



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

المحقق إيهاب الله الشويخ محقق السند

مقدمات جامعة الزهراء (ع)

الْوَدَائِعُ الْأَصْطَفَائِيَّةُ

لِقَاظِمَةَ الزَّهْرَاءِ (ع)



الطبعة الأولى: ١٤٢٤ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوراثه الاصطفائيه لفاطمه الزهرا عليها السلام تقريراً لبحاث المحقق آيه الله الشيخ محمد السند

كاتب:

محمد السند

نشرت في الطباعة:

باقيات

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٣	الورائاه الاصطفائيه لفاطمه الزهرا عليها السلام تقريراً لابحاث المحقق آيه الله الشيخ محمد السند
١٣	اشاره
١٤	اشاره
١٨	المقدمه
٢٨	القسم الأول : الورائاه الاصطفائيه
٢٨	اشاره
٣٠	تمهيد : المنهج التحليلي في معاني المناقب والفضائل
٣٦	المقاله الأولى : الحجّيه ومعانيها
٣٦	اشاره
٣٩	معاني الحجّيه
٤٢	أسماء الحجّيه العمليّيه في الشريعه
٤٤	العصمه والحجّيه
٤٥	العصمه بين الجبر والتفويض والاصطفاء
٥٠	العصمه والاكْتساب
٥٠	العصمه والعداله
٥١	فوارق ما بين العصمه والعداله :
٥٦	فوارق ما بين العصمه والفقاهه
٦١	فضيله الصفات الاصطفائيه على الصفات الكسبيّه
٦٤	قاعده أفضلية الصفات الاصطفائيه
٦٦	المقاله الثانيه : الورائاه في القرآن وحقيقه ورائاه الأنبياء عليهم السلام
٦٦	اشاره
٦٨	نظريّه علماء أهل السنّه الخلافه في الورائاه النبويه
٧٩	توزط أهل السنّه في موارد استثنواها من عدم ورائاه النبي صلى الله عليه و آله

٨٠	نظريته علماء الإمامية في الوراثة النبوية
٨٤	الصحيح في وراثه الأنبياء
٨٤	إقرار جمهور السنه بالوراثة الاصطفائية :
٨٥	مطالبه الزهراء عليها السلام بإرث الاصطفاء :
٨٦	احتجاجها عليها السلام في الوراثة عقائدي لا فقهي :
٨٧	التباس في دور القرابه في الوراثة الاصطفائية :
٨٩	أدله قاعده الوراثة الاصطفائية
٨٩	اشاره
٨٩	الآيه الأولى
٨٩	اشاره
٩١	دلالة الآيه على عموم الوراثة في مناصب الاصطفاء :
٩٣	الآيه الثانيه
٩٤	الآيتان الثالثه والرابعه
٩٤	اشاره
٩٥	شواهد قول العامه من اختصاص الوراثة بالاصطفائية :
٩٧	شواهد قول علماء الإمامية من اختصاص الوراثة بالمال :
٩٩	الرأى المختار في عموم وراثه الأنبياء :
١٠١	الشواهد القرآنيه على عموم السنن الإلهيه
١٠١	في التكوين والتشريع
١٠٤	وقفه مع شواهد القولين :
١٠٤	قول العامه :
١٠٨	الثاني : قول الخاصه :
١٠٨	منع حصر الإرث في المال :
١١١	لطيفه في الوراثة المعنويه :
١٢٥	الآيه الخامسه : في الوراثة الاصطفائية
١٢٥	اشاره

- ١٢٦ دلالة الآية على الورائه الاصطفائيته فى روايات أهل السنّه :
- ١٣٢ آيه الإنذار وشرايط الورائه الاصطفائيته
- ١٣٧ شرايط الوارث فى ورائه الاصطفاء :
- ١٤٠ الفارق بين الورائه الاصطفائيته والورائيه فى المال الخاصّ :
- ١٤٣ دلالة الآية على أنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله بعثتين :
- ١٤٤ هدف البعته الأولى التى للأقربين هو (ميثاق الوصايه) :
- ١٤٦ القيادة فى الدين حصريته بنى عبد المطلب :
- ١٤٦ الفارق بين الوزير والخليفه :
- ١٥٠ تشريعات البعته الخاصه :
- ١٥٤ الإنذار رساله خاصه ، لا استنصار عام :
- ١٥٦ لا منافاه بين النصّ فى الإمامه والتخيير فى إنذار يوم الدار :
- ١٥٨ تساؤلات حول حديث الدار ودرجات الاصطفاء :
- ١٦١ شدّه المسؤوليه وقوّه الإراده عند رُقى المقامات الغيبيه :
- ١٦٦ بعته النبيّ صلى الله عليه وآله برساله خاصه فى بنى عبد المطلب :
- ١٦٨ إنّما يعرف القرآن من حُوطب به :
- ١٧٠ دعوه بنى عبد المطلب للوصايه والإمامه فى الدين :
- ١٧٠ اشاره
- ١٧١ الأوّل : خصائص بنى هاشم :
- ١٧٣ الثانى : إيمان أبى طالب :
- ١٧٦ الثالث : أهليته بنى عبد المطلب للترشيح الإلهى لمقام الإمامه :
- ١٧٨ يوم الدار مائده سماويه لبنى عبد المطلب :
- ١٨٠ الآية السادسة فى الورائه الاصطفائيته لأهل البيت عليهم السلام
- ١٨٠ اشاره
- ١٨٠ الفرق بين سلسلتى ورائه الكتاب وورائته النبوه أو الإمامه
- ١٨١ المحطّه الأولى : المراد من « الكتاب » :
- ١٨٢ المحطّه الثانيه : الورائه المقصوده :

- ١٨٢ اشاره
- ١٨٤ شواهد الوراثة الشامله لِدَّتِيه :
- ١٨٧ مَنْ هم الذين عَلموا الكتاب وورثوه :
- ١٨٨ البعثة في الأُميين ووراثه الكتاب :
- ١٨٩ تطابق البعثة الخاصه في الأُميين مع البعثة الخاصه في الأُفريين :
- ١٩٢ العلم اللدتي لأهل البيت والعلم المكتسب لبعض الصحابه
- ١٩٥ التوفيق بين كون القرآن علماً لدنياً وموروثاً :
- ١٩٦ المحطه الثالثه : اصطفاء الوارثين لعلم الكتاب في الآيه :
- ٢٠٤ الآيه السابعه في الوراثة الاصطفائيه
- ٢٠٤ اشاره
- ٢٠٥ المحطه الأولى : في تحديد هؤلاء الناس :
- ٢٠٨ المحطه الثانيه : المراد بإيتاء الكتاب والحكمه :
- ٢٠٨ اشاره
- ٢١٠ وراثه الكتاب وحى نبوي أم علم لدتي ؟
- ٢١١ المحطه الثالثه : المراد بالملك العظيم :
- ٢١٣ المحطه الرابعه : الجمع بين الملك والنبوه لآل إبراهيم :
- ٢١٤ المحطه الخامسه : حسد قريش لأهل البيت عليهم السلام على الخلافه :
- ٢١٤ اشاره
- ٢١٦ شمول الملك العظيم لفاطمه عليها السلام :
- ٢١٨ الآيه الثامنه : في الوراثة الاصطفائيه
- ٢١٨ اشاره
- ٢١٩ النص التاريخي الأول : وراثه مقامات النبي صلى الله عليه و آله حكم فطرتي :
- ٢٢٠ السقيفه وارتكازيه ميراث الخلافه :
- ٢٢٠ تناقض السقيفه في الميراث :
- ٢٢١ العباسيون وميراث الخلافه :
- ٢٢٢ أهل البيت عليهم السلام مقدمون على بني هاشم :

٢٢٨	المقالة الثالثة : شراكتها عليها السلام لمقامات النبي صلى الله عليه و آله بالوراثه عدا النبوه والإمامه
٢٢٨	اشاره
٢٣٠	بيان ثبوت المقامات المتقدمه للنبي صلى الله عليه و آله فى أهل البيت عليهم السلام :
٢٣٩	الوراثه ومقام الفىء والخمس :
٢٤٥	الفىء والأطفال ليسا ملكاً للمسلمين :
٢٤٦	معنى الفىء والأطفال :
٢٥٠	النحله وقوامه القربى :
٢٥٤	فلسفه ولايه الفىء لذى القربى :
٢٥٦	إقامه العدل تحت رايه أهل البيت عليهم السلام ملحمه ونبوه قرآنيه:
٢٥٩	براهين قاعده الوراثه فى سيره الصحابه
٢٦٤	حجّيتها عليها السلام وولايتها على الأمه عند الصحابه
٢٦٤	اشاره
٢٦٨	إثاره : التوفيق بين خاتميّه النبوه وبقاء الارتباط الغيبى :
٢٦٨	نماذج من الارتباط الغيبى فى غير النبوه :
٢٧٢	وراثه المقام النبوى فى التشريع :
٢٧٥	الخلط بين أقسام الإلهام :
٢٧٩	المقالة الرابعه :مصادر سياده أهل البيت العليا فى احتجاجها عليها السلام
٢٧٩	تمهيد :
٢٨٢	عموم مصادر الالتزام والإلزام فى احتجاجها عليها السلام السياسى والدينى والتكوينى
٢٨٢	اشاره
٢٨٣	الأولى : قاعده النّخله :
٢٨٤	الثانيه : قاعده شموليّة الميراث للولايه :
٢٨٦	الثالثه : قاعده قوامه ذوى القربى على الأمه :
٢٨٨	الرابعه : قاعده شموليّة الوصيّه لكلّ صلاحيات الموصى ، واستقلال الوصى فيها
٢٩٠	الخامسه : قاعده الخراج بالضمان ، أو من عليه الغرم فله الغنم
٢٩٣	السادسه : البيعه على نصره رسول الله وذريّته لإقامه الدين

- المقالة الخامسة : مقام ولايتها وافتراض طاعتها على جميع الخلائق حتّى الأنبياء ٣٠٠
- اشاره ٣٠٠
- الوجه الأوّل : بمعرفة الأنوار الخمسه استُخلف آدم ٣٠٠
- اشاره ٣٠٠
- سوره النور وأنوار أصحاب الكساء : ٣٠٣
- نبؤه الأنبياء بإقرارهم بالنبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام : ٣٠٦
- إمامه الأنبياء بإقرارهم بالنبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام : ٣٠٧
- الوجه الثاني: علم فاطمه عليها السلام بالكتاب كلّه : ٣١٣
- الوجه الثالث : مشاركتها عليها السلام لجميع مقامات النبيّ صلى الله عليه و آله عدا النبؤه ٣١٦
- الوجه الرابع : ٣١٧
- الوجه الخامس : آيه (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى) ٣١٩
- الوجه السادس : ٣٢١
- الوجه السابع : ٣٢٢
- القسم الثاني : موقعه فاطمه الزهراء عليها السلام في اصول الدين ٣٢٧
- اشاره ٣٢٧
- المقّمه : ٣٢٩
- موقعه فاطمه الزهراء عليها السلام في اصول الدين ٣٢٩
- موقعه عصمتها بين المعصومين عليهم السلام : ٣٣٠
- مقامات الأنبياء والحجج السابقين ضربه القرآن لأهل البيت عليهم السلام ٣٣١
- تمهيد : إنّ لفاطمه كلّ المقامات الملكوتيه للإمامه عدا بعض الشؤون الاعتباريه في الرئاسه الدينويه ٣٣٣
- المقالة الأولى : موقعه فاطمه عليها السلام في سلسله الأنبياء والأوصياء والحجج الإلهيه ٣٣٩
- اشاره ٣٣٩
- فاطمه ضمن سلسله الأوصياء عليهم السلام : ٣٤٠
- الأوصياء هم حجج إلهيه : ٣٤٠
- اشاره ٣٤٠
- ١ - مصحف فاطمه : ٣٤٢

- ٢ - فاطمه عليها السلام أم أبيها : ٣٤٦
- ٣ - فاطمه وازدياد العلم للأنبياء والأوصياء : ٣٤٨
- المقالة الثانية : الزهراء عليها السلام وصيانه الإسلام عن التحريف ٣٦٢
- دور الأوصياء عليهم السلام في حفظ الشريعة عن التحريف : ٣٦٢
- اشاره ٣٦٢
- ١ - خطبتها عليها السلام الكبرى في المسجد ٣٦٥
- ٢ - خطبتها عليها السلام الصغرى مع نساء المهاجرين والأنصار ٣٦٥
- ٣ - رثاؤها وبكاؤها عليها السلام ٣٦٦
- ٤ - صدها عليها السلام للباب ٣٦٦
- ٥ - خروجها عليها السلام خلف الإمام علي عليه السلام في أزقه المدينة ٣٧٠
- ٦ - امتناعها عليها السلام عن البيعه لأبي بكر ٣٧٠
- ٧ - وصيتها عليها السلام أن تدفن ليلاً وأن يُكتم أمرها ٣٧٢
- ٨ - وصيتها عليها السلام في التشييع والدفن : ٣٧٤
- تشييعها عليها السلام لسنه ومنهج الإصلاح ٣٧٤
- المقالة الثالثة : دور الزهراء عليها السلام في العقيدة والبنية الأولى للإسلام ٣٨٠
- اشاره ٣٨٠
- المحطه الأولى : استنهاضها الأنصار للجهاد : ٣٨٣
- المحطه الثانيه : هيمنتها على مقاليد امور الأمه : ٣٨٦
- المحطه الثالثه: تفردتها في المواجهه المعلنه لمشروع السقيفه ،وتكبتها بذلك أكبر التضحيات ٣٩٤
- المحطه الرابعه : فلسفه شده جزعها على أبيها : ٣٩٦
- المقالة الرابعه : فاطمه عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار ٤٠٥
- اشاره ٤٠٥
- فدك إرث أم نحلته أم فيء ؟ ٤٢٢
- قاعده منهجيته في العقائد : ٤٢٨
- تطابق الإرث والفيء : ٤٣٣
- انطباق النحلته مع ولايه الفيء : ٤٣٣

٤٣٤ ----- : مهر فاطمه عليها السلام هو ولايتها نحلّه

٤٤١ ----- مصادر الكتاب

٤٥٨ ----- تعريف مركز

الوراثه الاصطفائية لفاطمه الزهرا عليها السلام تقريراً لباحث المحقق آية الله الشيخ محمد السند

اشاره

سرشناسه: سند، محمد، ۱۹۶۲- م.

عنوان و نام پدیدآور: الوراثة الاصطفائية لفاطمه الزهرا عليها السلام تقريراً لباحث المحقق آية الله الشيخ محمد السند / بقلم محمد صالح الموسوي التبريزي.

مشخصات نشر: قم: باقيات، ۱۴۳۱ ق. = ۱۳۸۹.

مشخصات ظاهري: ۴۳۲ ص.

شابك: ۹۷۸-۶۰۰-۵۱۲۶-۹۲-۱

وضعیت فهرست نویسی: فیپا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه: ص. [۴۱۵]-۴۲۳؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع: فاطمه زهرا (س)، ۸؛ قبل از هجرت - ۱۱ ق. -- فضایل

موضوع: فاطمه زهرا (س)، ۸؛ قبل از هجرت - ۱۱ ق. -- جنبه های قرآنی

موضوع: Fatimah Zahra, The Saint -- Koranic aspects

موضوع: کلام شیعه امامیه

موضوع: شیعه امامیه -- عقاید

موضوع: ارث -- جنبه های قرآنی

موضوع: Inheritance and succession -- Qur'anic teaching

موضوع: فدک (عربستان سعودی)

موضوع: (Fadak Saudi Arabia)

شناسه افزوده: موسوی تبریزی، محمد صالح

رده بندی کنگره: BP۲۷/۲۵/س ۹ و ۴ و ۱۳۸۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۷۳

شماره کتابشناسی ملی: ۲۰۰۹۳۵۷

ص: ۱

اشاره

الوراثه الاصطفائيه لفاطمه الزهرا عليها السلام

تقرير الابحاث المحقق آيه الله الشيخ محمد السند

بقلم محمد صالح الموسوي التبريزي

ص: ٣

هناك مجموعه من التساؤلات تمتزج بالاستغراب والتعجب بيديها البعض تجاه القول بحجّيه فاطمه عليها السلام ، ناشئه هذه التساؤلات :

تارةً من أنّ كتب المتكلمين لم تُفرزها كأصل آخر من اصول الاعتقادات وراء الأصول الخمسه من : التوحيد ، والعدل ، والنبوّه ، والإمامه ، والمعاد ، فكيف يمكن القول بأنّ الاعتقاد بحجّيتها عليها السلام كأصل من اصول العقيدة ؟ !

وأخرى : إنّ الحجّيه التي بحثها المتكلمون ، إمّا هي النبوّه أو الرساله أو الإمامه ، وليس وراء هذه الأقسام الثلاثه قسم آخر للحجّيه .

وثالثه : ما هو الأثر التشريعي الذي يترتب على القول بحجّيتها عليها السلام ؟

ورابعه : إنّ الأئمّه هم إثنا عشر ، وهذا العدد من الثوابت التي لا تُرفع اليد عنها بالزياده أو النقصان .

وغيرها من التساؤلات .

وقد قامت هذه الدراره بتسليط الأضواء على هذه التساؤلات والإجابه عليها ، متّبعه منهج الاستدلال والبرهان في حلّها ، وإليك خلاصه جواب هذه التساؤلات في الإجابه هنا ، وسنوافيك إن شاء الله تعالى بتفصيل ذلك في طيّات صفحات الكتاب :

إنّ ما يشاهد من التبويب الخماسي لأصول العقيدة الذي اعتمده المتكلمون ، ليس حصراً شرعياً لأصول العقائد في هذا العدد ، وإنّما هو تبويب وتنظيم فني

لمباحث ومسائل العقيدة من قبل المتكلمين المتأخرين ، وإلا فأعلام الطائفة نظير الشيخ الكليني والشيخ الصدوق وشيوخهما ، وكذا الشيخ المفيد وغيرهم من متقدمي الأصحاب لم يعتمدوا هذا الحصر في كتبهم العقائديه ، نظير قوله تعالى : آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ (١) حيث عددت الآيه جمله من الأصول الاعتقاديّه تزيد على الأصول الخمسه المعهوده في الكتب الكلاميه .

كما أنّ الحجج الإلهيه لا تنحصر في النبوه ، والرساله والإمامه ، فهذه مريم عليها السلام قد اصطفاها الله تعالى وجعلها حجّه على العالمين ، قال تعالى : وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٢) .

وقوله تعالى : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً (٣) .

وهذا نظير الاستظهار الموجود في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (٤) .

وقد أخبر أيضاً عن تحديث جبرئيل لها في قوله تعالى : فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (٥) .

كما أنه قد حُملت مسؤوليه من السماء بغير وساطه نبيّ أو رسول لتكون أوّل منذر بشريعه ناسخه لبعض شريعه موسى ، لقوله تعالى : فَاِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا

ص:٦

١- (١) البقره : ٢٨٥ .

٢- (٢) آل عمران : ٤٢ .

٣- (٣) المؤمنون : ٥٠ .

٤- (٤) آل عمران : ٣٣ و ٣٤ .

٥- (٥) مريم : ١٧ - ١٩ .

فَقُولِي . . . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (١).

وَأَمَّا حَجَّيْهِ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَهِيَ عَيْنُ حَجَّيْهِ الْمَعْصُومِينَ الْإِثْنَى عَشَرَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، أَيْ حَجَّيْهِ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَتَقْرِيرِهِمْ وَسِيرَتِهِمْ وَسُنَنِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ ، سِوَاءً فِي مَوْقِفِهَا الْعَقَائِدِيِّ مِنْ إِبْطَالِ مَسَارِ السَّقِيفَةِ وَنَهْجِهَا ، وَتَثْبِيتِ أَنْ وَلا يَه الْأَمْرُ هِيَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَقُرْبَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَطْهَرِينَ . وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَانِي الْعَقْدِيَّةِ ، وَصَوْلًا إِلَى تَثْبِيتِهَا جَمْلَهُ شَرَائِعِ الدِّينِ ، أَوْ التَّشْرِيعَاتِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْمَرْأَةِ فِي الْأَسْرَةِ كَشَخْصِيَّتِهِ فَاعِلُهُ ، وَكُدُورِهَا فِي سَاحَةِ الدِّينِ وَالنِّزَامِ السِّيَاسِيِّ .

وَلا يَخْفَى أَنَّ وَجُوبَ الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ لَا يَقْتَضِرُ عَلَى مَنْصَبِ الْإِمَامَةِ .

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ تَسَاوُلًا آخَرَ وَحَاصِلُهُ : إِنَّهُ مَعَ التَّسْلِيمِ بِحَجَّيَّتِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ لِعَصْمَتِهَا إِلَّا أَنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَى وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ عَلَى نَحْوِ الْإِطْلَاقِ ، بِنَحْوِ يَكُونُ دَخِيلًا بِتَحَقُّقِ أَصْلِ الْإِيمَانِ ، نَظِيرِ الْإِعْتِقَادِ بِإِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ الْإِثْنَى عَشَرَ عَلَيْهِمُ السَّلَامِ .

وَبِعِبَارِهِ أُخْرَى : إِنَّ هُنَاكَ مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ مَا يَكُونُ وَجُوبَ الْإِذْعَانِ وَالتَّسْلِيمِ بِهَا مَعْلَقًا عَلَى حُصُولِ الْعِلْمِ ، أَيْ أَنَّ وَجُوبَ الْإِعْتِقَادِ بِهَا مَقْتَدِرٌ بِحُصُولِ الْعِلْمِ ، فَلَا مَوْأَخِذَهُ إِلَّا بَعْدَ حُصُولِ الْمَعْرِفَةِ ، لَكِنْ لَيْسَتْ هُنَاكَ مَسْئُولِيَّةُ تَجَاهِ تَحْصِيلِ الْمَعْرِفَةِ ، وَهَذَا بِخِلَافِ النَّمْطِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأُمُورِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ الدَّخِيلَةِ فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَسْئُولِيَّةُ تَجَاهِ التَّقْصِيرِ فِي تَحْصِيلِ أَصْلِ الْمَعْرِفَةِ بِهَا ، إِذْ بَدُونِهَا لَا يَتَحَقَّقُ الْإِيمَانُ مِنْ رَأْسٍ ، فَيَقَعُ الْكَلَامُ فِي هَلْ أَنَّ الْإِيمَانَ بِحَجَّيَّتِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ هُوَ مِنَ النَّمْطِ الْأَوَّلِ أَوْ مِنَ النَّمْطِ الثَّانِي ؟

وَنَقُولُ فِي مَقَامِ الْإِجَابَةِ : إِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ مِنَ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْحَدِيثِيَّةِ هُوَ كَوْنُ الْإِعْتِقَادِ بِحَجَّيَّتِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ شَرْطًا فِي أَصْلِ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ تَحْصِيلِهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، وَإِلَى ذَلِكَ قَدْ يَشِيرُ مَا رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَخَذَ الْبَيْعَةَ عَلَى عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ

ص:٧

عبد المطلب خاصه يوم خروجه إلى بدر ، حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وحمزه وفاطمه عليها السلام إلى البيعه فقال لهم :

بايعوني بيعه الرضا .

فقال حمزه : بأبي أنت وأمي على ما نبايع ؟ أليس قد بايعنا ؟

فقال :

يا أسد الله وأسود رسوله ، تباع لله ولرسوله بالوفاء والاستقامه لابن أخيك ،

إذن تستكمل الإيمان .

قال : نعم ، سمعاً وطاعة . وبسط يديه ، فقال لهم :

يد الله فوق أيديكم ، علي أمير المؤمنين ، وحمزه سيد الشهداء ، وجعفر الطيار في الجنة ، وفاطمه سيده نساء العالمين ، والسبطان الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، هذا شرط من الله على جميع المسلمين من الجنّ والإنس أجمعين ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١) ، ثم قرأ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ (٢) .

وقد جدّد النبي صلى الله عليه وآله هذا الإقرار وشرط الإيمان على عمه حمزه في موضع آخر ، وهو الليله التي أصيب حمزه في يومها ، دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال :

يا حمزه ، يا عم رسول الله ، يوشك أن تغيب غيبه بعيده ، فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى ،

فسألك عن شرائع الإسلام ، وشروط الإيمان ؟

فبكى حمزه وقال : بأبي أنت وأمي ، أرشدني وفهمني .

فقال :

يا حمزه ، تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً ، وأنى رسول الله تعالى بعثني بالحقّ .

قال حمزه : شهدت .

ص: ٨

٢- (٢) بحار الأنوار : ٢٢ : ٢٧٨ ، الحديث ٣٢ ، عن كتاب الطرف للسيد ابن طاووس ، نقلاً عن كتاب الوصية لعيسى بن
المستفاد ، عن موسى بن جعفر ، عن أبيه عليهما السلام .

قال :

وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ ، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ،

وفريق في الجنة وفريق في السعير ، وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

قال حمزه : شهدت وأقررت ، وآمنت ، وصدقت .

وقال :

الأئمة من ذريته الحسن والحسين ، وفي ذريته .

قال حمزه : آمنت وصدقت .

وقال :

فاطمه سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين . قال : نعم ، وصدقت .

وقال :

حمزه سيد الشهداء وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه .

فبكى حمزه وقال : نعم ، صدقت وبررت يا رسول الله .

وبكى حمزه حتى سقط على وجهه وجعل يقبل عيني رسول الله .

وقال :

جعفر ابن أخيك طيار في الجنة مع الملائكة ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا وَآلَهُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ،

تؤمن يا حمزه بسرهم وعلائيتهم ، وظاهرهم وباطنهم ، وتحیی علی ذلك وتموت ،

وتوالی من والاهم ، وتعادی من عاداهم .

قال : نعم يا رسول الله اشهد الله وأشهدك و كفى بالله شهيداً .

فقال رسول الله :

سَدِّدْكَ اللَّهُ وَوَفِّقْكَ (١).

وتفصيل الأدلة سنوفايك به في فصول الكتاب إن شاء الله تعالى .

هذا وقد جاءت هذه الدرسة للوقوف على محطات عديدة ذات أهميه كبرى في عالم العقيدة ، وحلّ مجموعه من معضلات المسائل الشائكه فيها ، والتي لازالت مزلاً للأقدام ، كما هو الحال في معنى وراثتها عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه و آله ، والآثار المترتبة على ذلك ، أو ما ورد في مؤدى مناقبها المتفق عليها وأنها من ضرورات الدين ،

ص: ٩

١- (١) بحار الأنوار : ٢٢ : ٢٧٩ .

وتداعياته على موقعيتها فى العقيدة وأصول الإيمان ، أو حجيتها من بين الحجج المعصومين عليهم السلام رُغم انوثتها ، أو تفسير ولايتها وافتراض طاعتها على عامّة الخلائق ، وكذا معنى تقدّم حجيتها بعد علىّ عليه السلام على الأئمّة الأحد عشر عليهم السلام ، وتفسير وساطتها العلميّة اللدنيّة ضمن مجموعه من المقالات ، تقع فى قسمين :

القسم الأوّل : الوراثه الاصطفائيّه .

القسم الثانى : موقعيه الاعتقاد بحجيتها فى اصول الدين .

والوقوف على معانى الحجّيه فى الاعتقاد ، ثمّ تفسير الفارق بين العصمه والعداله .

وقد جاء فى مقاله الأولى العصمه بين الجبر والتفويض ، والعصمه والاكتساب .

وجاءت مقاله الثانيه فى بيان الوراثه فى القرآن ، وحقيقه وراثه الأنبياء .

والمقاله الثالثه لبيان مواضع شراكتها عليها السلام لمقامات النبىّ صلى الله عليه وآله بالوراثه عدا النبوه والإمامه فى المجال الإجرائى .

والمقاله الرابعه تدور حول مصادر سياده أهل البيت عليهم السلام ورئاستهم على الناس ، الذى تعرّضت له سيده النساء عليها السلام فى احتجاجها المشهور .

وقد جاء القسم الثانى من الكتاب ضمن مقالات أيضاً ، حيث كانت مقاله الخامسه منه تحت عنوان : مقام ولايتها ووجوب طاعتها على جميع الخلائق حتّى الأنبياء .

وأما مقاله السادسه لبيان موقع فاطمه عليها السلام فى سلسله الأنبياء والأوصياء والحجج الإلهيه .

والمقاله السابعه لبيان دور الزهراء عليها السلام فى صيانه الإسلام عن التحريف .

والمقاله الثامنه فى بيان دور الزهراء عليها السلام فى العقيدة والبنيه الأولى للإسلام .

والمقاله التاسعه تحت عنوان : فاطمه عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار .

والمقاله العاشره فى بيان قوله صلى الله عليه وآله :

« فاطمه عليها السلام حوراء إنسيه » .

والمقاله الحاديه عشر وهى خاتمه الكتاب ، فكانت تحت عنوان : ولايتها العامه فى الأموال ، أو إضاءات قانونيه حول فذك
والفىء .

وهنا أودّ أن اشير إلى أنّ ما سيطر هنا هو باقه من البحوث التى تمّ تداولها وتحريرها فى أكثر من ثلاث سنين ، مع شيخنا الأستاذ
المحقّق الشيخ محمّد السند حفظه الله تعالى ، وقد جاءت على شكل مقالات ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلها فى ذخيره
أعمالنا .

والحمد لله ربّ العالمين ،

والصلاه والسلام على محمّد وآله الطاهرين

السيد محمّد صالح الموسوى التبريزى

١٥ شعبان ١٤٣٠ هـ

ص: ١١

وفيه مقالات :

المقاله الأولى : الحجة ومعانيها

المقاله الثانيه : الوراثة فى القرآن وحقيقه وراثه الأنبياء عليهم السلام

المقاله الثالثه : شراكتها عليها السلام لمقامات النبى صلى الله عليه وآله بالوراثة

عدا النبوه والإمامه

المقاله الرابعه : مصادر سياده أهل البيت عليهم السلام العليا فى

احتجاجها عليها السلام

ص: ١٣

تمهيد : المنهج التحليلي في معاني المناقب والفضائل

تعددت المناهج في دراسته حياه أهل البيت عليهم السلام ، ومقاماتهم ومواقعهم الدينيه ، فمن تلك المناهج المنهج المعروف في استقصاء الأخبار والآثار الواردة في المصادر ، وتمحيصها ، لمعرفة صحه صدورها ، ودرجه الوثوق بطرقها ، وقد كُتب على نمط هذا المنهج الكثير من الموسوعات ، فضلاً عن الكتب ، عبر القرون المتتاليه المتعاقبه .

ولم ينفرد علماء الإماميه بهذا الإنجاز ، بل خاض في إنتاج هذا الجهد على هذا المنهج ، الرعيل الكبير من علماء المذاهب الأخرى ، لا سيما أولئك الذين تملكهم نزعه معنويّه روحيه ، وتربطهم بأهل البيت عليهم السلام روابط المحبّه والتعظيم والولاء .

ولا يخفى أمر أهميه هذا المنهج ، لما فيه من حفظ الحديث النبويّ وسنّه الرسول صلى الله عليه وآله والأحاديث القدسيّه ، من الضياع والاندراس ، وصيانته للأمانه الإلهيه ، وإيصالها إلى الأجيال اللاحقه .

ولا ندعى كفايه ما أنجز ، إذ هو باب واسع ، لا زال منهج التحقيق فيه يتكامل ويتجدّد ، وكم ترك الأول للآخر !!

والملاحظ أنّ مساعى التحقيق في هذا المنهج قد أخذت أبعاداً جديده ، وقواعد بديعه ، في تطوير هذا المنهج وضبط المصادر ، ورسم منظومات إحصائيه ،

وجرد جداول وقوائم بحسب التسلسل التاريخي والطبقي ، تنتهي بالباحث إلى كشوفات دقيقة في الدراسات عن مدى سعه طرق ومصادر الحديث ، ومتانه الوثوق باستفاضته أو تواتره .

إلّا أنّ هذا المنهج رغم خطورته وأهميته ليس بكاف وحده في باب المعرفة ، بل لابدّ من ضمّ منهج آخر إليه أيضاً ، وهو بمكانه من الخطوره والأهميه ، إذ هو بمنزله الغايه للمنهج الأوّل ، ألا- وهو منهج فقه تلك النصوص القرآنيه والحديثيه ، الوارده في فضائل أهل البيت عليهم السلام .

حيث إنّ تحليل العناوين الوارده في نعوتهم وأوصافهم ، ودلالاتها ودرايه معانيها ، بالغ التأثير في بُنيه المعرفه ، بل هو الأساس فيها ، ولذلك ورد عنهم عليهم السلام

« حديث تدرية خير من ألف حديث ترويه »(١).

وقولهم عليهم السلام :

« أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا ، إنّ الكلمه لتصرف على وجوه ، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ، ولا يكذب »(٢).

وبتوسط هذا المنهج ، يمكن الوقوف على درجات مهمّه من الحقائق ، والوصول إلى حاقّ الطبقات من المعاني ، فإنّ الغايه من النصوص اللفظيه والدلالات ليس المشارفه الإجماليه على ضفاف المعاني ، بل هو الخوض في عُباب بحارها ومحيطاتها ، ومن ثمّ شُبّه الثقلان : القرآن الكريم وعتره النبيّ صلى الله عليه وآله بالجبل الممدود من السماء إلى الأرض ، طرف منه بيد الناس والطرف الآخر بيد الله تعالى وهو بيان وحثّ على الرّقى والارتقاء في درجات وسلالم هذا الجبل ، والوقوف به على مكنونات غيبية .

ومن نتائج هذا الباب الالتفات إلى قاعده مهمّه ، وهي : ما هي حقيقه الفضيله أو الفضائل الوارده في لسان القرآن والأحاديث الشريفه ، فإنّ الكثير من الناس

ص:١٤

١- (١) معاني الأخبار للشيخ الصدوق : ١ .

٢- (٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق : ١ .

قد يفهم منها معنى بسيطاً جداً ، وهو كونها مديحاً وثناءً وتقديراً وشكراً ، فى حين يغفل عن حقيقتها ، وعن أنها مراتب فى الحجّيه ، ومواقع مناصب فى الدين الحنيف ، بعد الالتفات إلى القالب الحقيقى الذى انطوت عليه خصوصيته تلك الفضيله ، وأنّ المادح وصاحب الأخبار هو البارى تعالى ، الذى لا زلل ولا خطل فى قوله ، ولا باطل فيما يستهدفه من كلامه .

وبعبارة اخرى : إنّ الفضيله لغه من لغات الحكمة العمليه والنظريه ، إلّا أنّ لها وجهاً آخرأ ، بلغه اخرى مترجمه وموازيه لها ، فهى وجوه متعدده لحقيقه واحده ، و ذلك لأنّ الفضيله ترادف الكمال ، وبيان الكمال من قبل الله تعالى ووصفه لبعض أفراد البشر هو فى الحقيقه بيان لكون ذلك البعض هو من الصفوه التى اختارها الله تعالى ، وانتخبها واصطفاها ، كما أنه تبيان للمؤهلات التى أودعها الله تعالى وقدرها فيهم ، وذكر هذه الصفات لهم هو لسان آخر لبيان حجّيتهم من قبله تعالى على البشر .

أضف إلى ذلك أنها بيان إلى أنهم وسائط بينه تعالى وبين خلقه أيضاً ، إذ فى هذا البيان إيضاح لدنوّ درجتهم منه تعالى .

وبكلمه : إنّ أسلوب ذكر الفضائل ينطوى على مداليل اخرى ، أعرّض عن التصريح بها صيانه لبقائها ، وحفاظاً عليها من يد التحريف والطمس والتلاعب .

مضافاً إلى أنها لغه أسهل فهماً لعموم الناس من اللغات والأساليب الأخرى القانونيه والحقوقيه ، ذات القوالب والأطر المعرفيه التى يصعب إدراكها على عموم الناس ، هذا مع ما لهذه اللغه من تأثير فى سهوله الحفظ فى الذاكره البشريه ، لانسيابيتها مع الإدراك الإجمالى للفظه .

ولكنّ اللازم على الباحثين والدارسين فى العلوم التخصصيه ، تحليل وتفكيك قوالب هذه اللغه ، والقيام بترجمتها إلى اللغات العلميه الأخرى ، والتى بها يتم إرساء قواعد العقيدة والشريعه ، وتمييز الراعى من الرعيه ، والولّى المنسوب من المولى

عليه ، والناطق عن السماء من المتخَرِّص برجم الغيب بظنون ، ومعرفة الحَجِّه وصاحب الحَجِّيه مَمَّن هو محجوج .

وبعبارة ثالثة : إنَّ نصوص الفضيله ليست إخبارات تكويته لظواهر كونه ، بل هي تشريع و جعل إلهي ، وتقنين فرائض هي من أمهات أركان الدين ، فلا بد من الخوض فيها بتحليل على طبق موازين متينه ، كي تُستكشف حقائقها ويُدرَك مغزى لبابها الذي أُريد منها ، وبالتالي يتم تفصيل ما هو مجمل وتبين ما أُبهم .

وهو علاوة على ذلك منهج استنباطي ، يتم فيه استخراج الأجوبة العديده عن مسائل اعتقاديه مطروحه بالحاح ، وبذلك تكون نصوص الفضائل الهائله كمّاً وكيفاً موادّ وتراثاً ضخماً ، ومنبعاً للإجابة على كثير من الإشكالات الفكرية ، والمسائل المستجده في المعرفة .

ثمَّ إنَّ هناك أبعاداً اخرى عديده تُستفاد من خلال العلم بالفضائل والفضيله ، لا تُحصر فيما ذكرنا ، فمنها :

١ - الوصول إلى الصوره الواضحه عن حقيقه الأحداث في صدر الإسلام ، وحقائق سلسله تلك المشاهد والوقائع ، فإنّه من الطبيعي بالضروره أنّ صفات ونعوت أصحاب الفضائل تعكس صورته واضحه وشفافه صافيه وقريبه جداً من نمط سلوكهم وأدوارهم في العصر الإسلاميّ الأوّل ، لا سيّما وأنّ الناعت لهم بهذه الأوسمه هو البارئ تعالى ونبيّه صلى الله عليه وآله لا أقلام المؤرّخين ، أو كلمات المعاصرين لهم ، أو غيرهم من شرائح البشر ، الذين تتجاذبهم الميول أو المصالح .

٢ - الوصول إلى الحقيقه الواضحه عن جمله من متشابه شؤون أحوالهم ، فإنَّ هناك من يُغرق في الجانب البشريّ لهم ، ويتناسى الجانب الروحيّ والمعنويّ لهم ، من اصطفتائهم والمواهب اللدنيه التي حباها الله تعالى بهم .

كما أنّ هناك من يشكّل عليه الجمع بين كلا الجانبين ، فينكر مقتضياتهم البشريّه ،

كما حكى الله تعالى عنهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق (١).

وحكى لنا قولهم أيضاً: أ بشر يهدونا (٢).

أو قولهم: لو لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً (٣).

أو قولهم: لو لا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك (٤).

أو قولهم: أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها (٥).

مع أن الباري تعالى قد أجاب في مواضع عديدة عن ذلك بضرورة اجتماع الجنتين فقال تعالى: وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَشَاءِ عَلَيْهِمْ مَا يُلْسُونَ (٦).

وكذا قوله تعالى على لسان نبيه: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ (٧)، حيث إن في نصوص الفضائل تفصيل ما أجمل من مقاماتهم ومناصبهم التشريعية، ومواقعهم في الخلقة التكوينية.

فمثلاً كون انعقاد نطفه فاطمه عليها السلام من ثمار الجنة، وذلك بعد صيام الرسول صلى الله عليه وآله أربعين يوماً، واعتزاله خديجه رضى الله عنها، ثم إفطاره على المائدة السماوية، إلى غير ذلك مما ذكر من تمهيدات بعنايه إلهية في الإعداد لانعقاد نطفتها، مما يرسم إعداداً

ص: ١٩

١- (١) الفرقان : ٧ .

٢- (٢) التغابن : ٦ .

٣- (٣) الفرقان : ٧ .

٤- (٤) هود : ١٢ .

٥- (٥) الفرقان : ٨ .

٦- (٦) الأنعام : ٩ .

٧- (٧) الكهف : ١١٠ .

إلهياً اصطفاً بالغ العلوّ في تنسيل فاطمه عليها السلام ، وطينه خلقتها ، لتفاض تلك الروح المطهّره الموصوفه في القرآن بأنّها تمسّ الكتاب المكنون الغيبيّ .

مع أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أبوها هو أشرف الكائنات طُراً ، قد كان بدنه الشريف مصدر البركات وينبوع الحياه ، كما روى أنّه بريقه قد نبعت عيون الآبار بالمياه ، وبمسّ يده أينعت الأشجار ، وبكفّ راحته ازداد الطعام وأوفر لجميع من حضر ، وقد بلغوا المئات ، وبسؤره الشريف شُفي المرضى ، إلى غير ذلك ممّا قد أحصته كتب الفريقين .

ص: ٢٠

قد وقع الجدل الدينى والمذهبى كثيراً حول نبوّات الأنبياء ، وإمامه الأوصياء والخلفاء من بعدهم ، وقد عنون هذين البحثين الكثير من المتكلمين والباحثين فى المذاهب والأديان ، إلّا أنّه يبقى البحث شاغراً عن منصب وموقع دينى لا- يقلّ خطوره عن الموقعين السابقين ، ورغم ذلك لا نجد له المزيد من البلوره والبحث والتعميق والتركيز ، نظير ما جرى فى النبوه والإمامه ، وإن كنّا نقف على أبحاث عديده متناثره هنا وهناك حول هذا الموقع الثالث ، إلّا أنّها غير منضّده ولا مرتّبه ترتيباً واضح المعالم يجمعه إطار واحد .

و هذا الموقع الثالث فى الوقت الذى يشمل النبوه والإمامه بل هو أعمّ منهما قلباً ، إلّا أنّه ينفرد عنهما فى موارد كثيره ، ويشترك معهما فى حيثيات وجهات عديده ، أهمّها العصمه والحجّيه ، والعلم اللدنى ، والاصطفاء ، والتوفّر على جملة من الصلاحيات الشرعيه ، والمقامات الغيبية التكوينية .

وبكلمه أكثر وضوحاً : أنّ المشاهد فى النصوص القرآنيه والسُّنّه الشريفه أنّ لبعض النساء والرجال موقعيه فى (الحجّيه المصطفاه) ، والتى هى بدرجه العصمه ، والمزوّده بالعلم اللدنى ، ومع ذلك لم توصف بالنبوه ولا بالإمامه ، فى حين أنّها وُصفت بالحجّيه والقُدوه الربّانيه بالمعنى العامّ ، وقُلّدت أوسمّه ، وجملة من الصلاحيات الخطيره ، بها شاركت مقام النبوه والإمامه ، ومن نماذج هذه الموقعيه فى القرآن الكريم هو الخضر ، وعُزير ، ومريم ، وفاطمه ، وغيرهم ممّن ذُكر بالاسم

خاصه ، أو بالعنوان العام (١).

ولا- يخفى أنّ هذه الموقعية وإن لم تكن نبوه ولا- إمامه ، إلّا أنّها ذات مراتب ، قد تبلغ بعض المراتب منها شأنًا خطيرًا ، كما فى قصه النبى موسى عليه السلام وهو من اولى العزم ، حيث أتبع الخضر ، كما فى قوله تعالى : فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٢).

فإنّ كلاً من هذه المناصب الثلاثه هى ذات مراتب ودرجات ، كما فى قوله تعالى : تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (٣) ، وقوله تعالى : وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ (٤) فإنّ منصب الحجّه المصطفاه وإن غاير النبوه والإمامه ، إلّا أنّ ذلك لا يقلل من أهميته وحساسيته البالغه فى الدين ، لا سيما وأنّ النماذج التى تمثّل هذا المنصب هم منبع من منابع أحكام الشريعة ، وقدوه منصوبه منه تعالى يجب التأسى بها ، كما أنّ نطقها يكشف عن رأى السماء ،

ص: ٢٢

١- (١) كما فى آباء النبى صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام ، و ذلك فى قوله تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل : (رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ . . رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) البقره : ١٢٨ و ١٢٩ . وقوله تعالى لإبراهيم : (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي) البقره : ١٢٤ . وقوله تعالى : (وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) الزخرف : ٢٨ . وقوله تعالى : (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَهُ أَيْبُكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ) الحج : ٧٨ ، فإنّ هذه الآيات تبين أنّ ذريه إبراهيم من إسماعيل ، والأمة المسلمه المجتبه بقيت فى عقب إبراهيم من إسماعيل إلى أن بُعث النبى صلى الله عليه وآله فصارت فى أهل بيته ، و كانوا هم الذروه فى الذريه .

٢- (٢) الكهف : ٦٥ و ٦٦ .

٣- (٣) البقره : ٢٥٣ .

٤- (٤) الإسراء : ٥٥ .

فهى ناطق رسمى عن السماء ، وإن اختلفت موقعيتها عن النبوه والإمامه ، كما فى قوله تعالى فى شأن الخضر : وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١) .

أو كما فى قوله فى شأن مريم : فَإِذَا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشْرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ... فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢) .

وبناءً على ذلك نقول : إن هناك مقاماً ثالثاً من الحجيه والاصطفاء لم يُعنون فى كتب الكلاميين ، ولكن اشير إليه فى القرآن الكريم فى آيات وسور عديده لقائمه من الأفراد ليسوا بأنبياء ولا- أئمه ، ولكنهم حجج مصطفون على العباد ، وهم مبيّنون وحافظون لشرائع الأنبياء ، نعم قد تطرقت السنّه وكتب الحديث والسير إلى جملة من أحوالهم وشؤونهم .

وحينئذ يقع الحديث عن فاطمه عليها السلام ، بعدما ورد فيها من النصوص القرآنيه الكثيره مباشره وبالخصوص ، أو ضمناً عند ذكر أصحاب الكساء ، وكذلك ورد الحديث النبوى المستفيض أو المتواتر بين الفريقين بالخصوص أو بالتضمن .

فهل يجب الاعتقاد بحجيه فاطمه عليها السلام وتحصيل مثل هذه المعرفه ؟

وما هو نمط هذه الحجيه بعد الفراغ عن كونها ليست من النبوه أو الرساله ؟

وما هو الأثر الذى يترتب على الاعتقاد بحجيتها ، وما هى الثمره الخطيره لذلك ؟

وعلى تقدير ثبوت العصمه لها ، فهل هناك ارتباط بين عصمتها وطهارتها من جانب ، وكونها حجّه من جانب آخر ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات توضيحاً لا استدلالاً - وسيأتى الاستدلال على

ص: ٢٣

١- (١) الكهف : ٨٢ .

٢- (٢) مريم : ٢٦ - ٢٩ .

كُلِّ ذَلِكَ مَفْصَلًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - نَقُول :

معانى الحجّيه

إِنَّ الْحَجَّيَةَ لَهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْمَعَانِي وَجَمَلَةٌ مِنَ الْأَقْسَامِ ، وَهِيَ :

الأوّل : تَطَلُّقُ الْحَجَّيَةِ وَيُرَادُ بِهَا الطَّرِيقُ الْكَاشِفُ لِلْحَقِيقَةِ وَالْوَاقِعِ ، وَالَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْحَجَّهِ النَّظَرِيَّةِ ، وَبِالْبُرْهَانِ ، عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ وَالْمَنَاطِقَةِ ، وَأَصْحَابِ الْعُلُومِ التَّجْرِبِيَّةِ .

وَفِي اسْتِعْمَالَاتِ الْقُرْآنِ قَدْ عُبِّرَ عَنْهُ بِالْآيَةِ الْبَيِّنَةِ تَارَةً ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ (١) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ (٢) .

أَوْ بِالْبُرْهَانِ تَارَةً أُخْرَى ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣) ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى : تِلْكَ أَمْثَلُهُمْ قُلُوبٌ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤) .

وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ : فَتَارَةً يَقِينِيَّةٍ ، وَأُخْرَى ظَنِّيَّةٍ ، فَالْيَقِينِيَّةُ مِنْهَا كَالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْمَعْتَمَدِ عَلَى الْبَدِيهِيَّاتِ أَوْ الْقَرِيبِ مِنْهَا ، وَالظَنِّيَّةُ مِنْهَا كَالدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الْمَبْنِيِّ عَلَى مَقْدَمَاتٍ مَتَوَعَّلَةٍ فِي الْبَحْثِ النَّظَرِيِّ ، أَوْ الْاسْتِقْرَاءِ الْنَاقِصِ فِي الْعُلُومِ التَّجْرِبِيَّةِ .

الثَّانِي : تَطَلُّقُ عَلَى الطَّرِيقِ الْكَاشِفِ أَيْضًا وَلَوْ بِنَحْوِ الْإِجْمَالِ ، لَكِنْ لَا مِنْ حَيْثِيَّةِ كَشْفِهِ فَقَطْ ، بَلْ مِنْ حَيْثِيَّةِ لَزُومِ مَتَابَعَتِهِ ، وَاسْتِحْقَاقِ الْمَدْحِ وَالثَّوَابِ عَلَى ذَلِكَ ،

ص: ٢٤

١- (١) البقره : ٢١١ .

٢- (٢) الأعراف : ٧٣ .

٣- (٣) النمل : ٦٤ .

٤- (٤) البقره : ١١١ .

أو التحسين ، أو استحقاق الذم أو العقاب والتقيح لمخالفته ، فيلاحظ في هذا القسم الجانب العملي والانقياد ، ويُطلق عليها « الحجّة العمليّة » ، كما في الحكمه العمليّه ، والعلوم الإنسانيه ، وعلم الكلام ، وفقه الشريعة ، وقد استعملها القرآن في هذا المعنى ، كما في قوله تعالى : وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً (١) فمفهومه أنّ الحجّة غير المدحوضه حكمها الاستجابة والمتابعه والانقياد .

وقوله تعالى : فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَ مَنْ أَتَّبَعَنِ (٢) فيبين الآيه أنّ الحجّة الحق لا بدّ أن تُتبع ويُسلم لها الانقياد .

وينقسم هذا القسم - الحجّة العمليّه - إلى قسمين ، هما : اليقينيّ والظنيّ ، فمثال اليقينيّ الحجّيه في مُحكمات الآيات من القرآن الكريم ، أو السنّه القطعيّه .

ومثال الظنيّ : حجّيه الروايه التي هي خبر الراوى الواحد العادل ، وهكذا حجّيه الدلاله الواحده الظنيّه في الكتاب والسنّه .

وإذا اتّضح مجمل هذه الأقسام في الحجّيه ، فاعلم أنّ لفظ المعرفه يطلق وينقسم إلى تلك الأقسام بعينها .

فيقال : (معرفه نظريّه) ويراد بها مجرّد الإدراك وآلياته ، و (معرفه عمليّه) ويراد بها الإيمان والتصديق والتسليم .

ثمّ إنّ المعرفه الأولى قد يطلق عليها المعرفه البشريّه ، و ذلك لأنّها لا تستدعى التزاماً عملياً تصديقيّاً .

والمراد من العمل ليس العمل الجوارحي بل الجوانحي ، بلحاظ الدرجات العاليه

ص: ٢٥

١- (١) الشورى : ١٦ .

٢- (٢) آل عمران : ٢٠ .

منه ، كالإذعان ، حيث إنه علمي ، أى تقوم به النفس فى مقام تصديقها بالقضايا .

وأما المعرفة العمليّة فهى التى يُراد منها المعرفة الدينيّة ، والتى تكثر على لسان القرآن الكريم ، والسنة الشريفه ، تحت عنوان الإيمان ، والتسليم ، والتصديق ، وغيرها (١) .

ويشير إلى الفارق بين هاتين المعرفتين قوله تعالى : وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا (٢) فترى التفكيك واضحاً بين الإدراك النظرى والتسليم والمتابعه .

ومن هذا القبيل ما رواه الكليني ، عن أبى عبد الله عليه السلام ، قال : « قلت له : ما العقل ؟

فقال عليه السلام :

ما عبد به الرحمن ، واكتسب به الجنان .

قال : قلت : فالذى كان فى معاويه ؟

فقال :

تلك النكراء ، تلك الشيطنة ، وهى شبيهه بالعقل ، وليست بالعقل « (٣) .

ففيه إشارة إلى أن العقل أيضاً يطلق على القوه التى تحصل بها المعرفة النظرية ، ويُسمى « العقل النظرى » ، كما يطلق على القوه التى يتحصّل بها المعرفة العمليّة ، ويُسمى « العقل العملى » .

ص: ٢٦

١- (١) كما فى قوله تعالى فى الأمر بالإيمان : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ) البقره : ٢٧٦ . أو أمره بالتسليم كقوله تعالى : (وَ مَنِ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ) النساء : ١٢٥ . أو التصديق : (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ...) آل عمران : ٣٩ . أو قوله تعالى : (وَ صَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتُبِهِ وَ كَانَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ) التحريم : ١٢ .

٢- (٢) النمل : ١٤ .

٣- (٣) الكافى للشيخ الكلينى : ١ : ١١ ، الحديث ٣ ، المطبعة الحيدريّه .

ومن ثمار هذا التقسيم التنبيه إلى أن الحجية العملية يعبر عنها بألسنه وعناوين تختلف عن الألسنه المعبر بها عن الحجية النظرية .

فلو نظرت إلى جملة من نعوت الفضائل ، نظير التعبير بالاصطفاء والتطهير ، كقوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (١) فَإِنَّ الْإِتْيَانَ بلفظه (على) للدلالة على الحجية ، كما في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢) .

أو نظير التعبير بنفى الضلالة أو الغواية أو اتباع الهوى ، كما في قوله تعالى :

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) فهو تعبير بالفاظ الحجية العملية .

كالتعبير الوارد بعنوان « سيد الأنبياء » حيث إن المراد به هو مقام الحجية على سائر الأنبياء ، كما هو مفاد قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤) .

أو كالتعبير الوارد ب « سيد الأوصياء » لأمير المؤمنين عليه السلام (٥) .

ص: ٢٧

- ١- (١) مريم : ٤٢ .
- ٢- (٢) آل عمران : ٣٣ .
- ٣- (٣) النجم : ٢ و ٣ .
- ٤- (٤) آل عمران : ٨١ .
- ٥- (٥) كما روى ابن أبي الحديد في شرح النهج : ١٣ : ٢٠٩ . ينابيع المودة : ١ : ١٩٧ ، ٢٣٩ . فرائد السمطين : ٤٠٩ . حليه الأبرار : ١ : ٢٣٥ ، وغيرها .

أو التعبير الوارد ب « سيّده نساء أهل الجنه » (١) ، أو « سيّده نساء العالمين » (٢) ، لفاطمه الزهراء عليها السلام ، وهكذا التعبير الوارد ب « سيّدى شباب أهل الجنه » فى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام (٣) فإنّ المراد من السيادة والسؤدد ، هو تعبير آخر عن الحجّه العمليّه ، و ذلك لأنّ السيادة والسؤدد عباره عن تدبير السيّد وطاعه المسود عليه ، حيث إنّ السيّد لغّه هو من ترأس قومه وسادهم .

وهكذا التعبير بالمعيّه فى الحديث المتواتر فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله :

« علىّ مع الحقّ ، والحقّ مع علىّ » (٤) فإنّ المعنيّه مع الحقّ تقتضى العصمه ، وحقّانيّه كلّ أقواله وأفعاله وسيرته .

ونظيره التعبير :

« إنّ الله ليغضب لغضب فاطمه ويرضى لرضاها » (٥) فإنّ مقتضاه أنّ أقوالها وأفعالها وسيرتها كلّها ميّنه لمواطن رضا الله تعالى ومواطن سخط الله تعالى وغضبه ، لأنّها إذا رضيت قولاً فإنّ رضاها يكشف عن رضا الله تعالى ، وإن سخطت قولاً فسخطها يكشف عن سخط الله ، وكذلك فى الأفعال والسيره ،

ص: ٢٨

-
- ١- (١) مسند أحمد : ٣ : ٨٠ و ٥ : ٢٩١ . صحيح البخارى : ٤ : ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٩ . سنن الترمذى : ٥ : ٣٢٦ ، الحديث ٣٨٧٠ .
 - ٢- (٢) مسند أبى داود الطيالسى : ١٩٧ . المصنّف لابن أبى شيبه : ٧ : ٥٢٧ . السنن الكبرى للنسائى : ٤ : ٢٥٢ و ٥ : ١٤٧ . المستدرک على الصحيحين : ٣ : ١٥٦ . مجمع الزوائد : ٧ : ٧٦ .
 - ٣- (٣) الأمالى للصدوق : ٥٢٤ . الإرشاد للمفيد : ١ : ٣٧ . أمالى الطوسى : ٥٤٦ ، وغيرها كثير من كتب علمائنا . وكذلك روتها كتب أهل السنّه ، كما فى مسند أحمد : ٣ : ٣ . سنن الترمذى : ٥ : ٣٢١ . المستدرک للحاكم : ٣ : ١٦٧ ، سنن النسائى : ٥ : ٥٠ ، وغيرهم كثير .
 - ٤- (٤) تاريخ بغداد : ١٤ : ٣٢١ . المستدرک على الصحيحين : ٣ : ١٢٤ . الهيثمى فى الزوائد : ٧ : ٢٣٥ ، وغيرهم . وهذا غير ما رواه علماؤنا فى عشرات المصادر .
 - ٥- (٥) المستدرک على الصحيحين : ٣ : ١٥٤ . ميزان الاعتدال : ١ : ٥٣٥ . كنز العمال : ١٢ : ١١١ .

فهو نظير التعبير بالاصطفاء على نساء العالمين .

العصمه والحجيه

إنَّ العصمه تعنى الأمان من الخطأ ، والزلل ، عمدًا أو جهلاً ، وهى إمّا فى العلم ، أو فى العمل ، ومن ثمَّ قَسَموا العصمه إلى عصمه علميّه وعصمه عمليّه .

فالعلميه منها تارة تُفسّر بعدم الوقوع فى الخطأ إدراكاً ، وأخرى بعدم القصور العلمى فى كلّ ما يسوق إلى الهدايه ، وقد يُسمّى الأول منه بالعلم الشائى ، والثانى بالعلم الفعلى .

وأما العصمه العمليّه فقد فسّرت بالعلم اللدنى ، أو الصفه النوريّه المانعه لصاحبها عن الوقوع فى المعصيه أو المخالفه ، كما فى قوله تعالى : مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى فهِى إشاره إلى كلّ من العصمتين ، فنفى الضلال هو نفى للزلل فى الإدراك العلمى ، كما أنّ نفى الغوايه هو نفى للزلل فى السلوك العلمى ، وكذا قوله تعالى : وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا - أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (١) وفى الآيه إشاره إلى العصمه العمليّه وأنها بسبب علم حضورى وهو معاينه البرهان الإلهى .

إلّا أنّه لا- يخفى أنّ كلّ واحده من العصمتين قد تُسمّى بالحجّه العلميه تارة ، وبالحجّه العمليّه اخرى ، أى أنّ العصمه العلميه يطلق عليها تارة حجه علميه ، ويطلق عليها اخرى حجه عمليه ، وكذلك العصمه العمليّه .

والوجه فى ذلك أنّ العصمه العلميه تتوفر على اليقين وانكشاف حقيقه الواقع على ما هو عليه فى مراتبه العاليه فتسبّب تلقائياً الاستقامه العمليّه بالضروره ،

ص: ٢٩

وتجنّب صاحبها المعصيه ذات الهلكه المشهوده فيها .

وكذلك الحال فى العصمه العمليّه ، فإنّها وليده انكشاف علمى للواقع والحقيقه على ما هو عليه ، إذ كيف يمكن فرض الاستقامه فى العمل فى كلّ الموارد والموضوعات والحالات من دون معرفه ملابسات تلك الموارد والموضوعات ، وما تؤول وتؤدى إليه من نتائج .

ومن ثمّ تتوقّف العصمه العمليّه على العصمه العلميه السابقه عليها .

وبعباره اخرى : أنّ العصمه العلميه موجهه لليقين بإدراك حقيقه الشئ ، كما أنّها تستتبع العمل أيضاً ، وأما العصمه العمليّه ، فهى وإن كانت بالذات استقامه لديّيه فى العمل والسلوك ، إلّا أنّها كاشفه بالتبع عن نهج الحقّ ، فتكون حجّه علميه ، وحيث تستلزم التأسى والاتباع تكون حجّه عمليه أيضاً .

ثمّ إنّ العصمه تلازم الحجّيه ولا- تنفكّ عنها ، لأنّ بيانها من قبل الشارع إيصال لها إلى المكلّفين ، فيكون إيصال لما يوجب اليقين ، وهو يستلزم العمل ، فلا يُعقل التفكيك بين العصمه والحجّيه .

العصمه بين الجبر والتفويض والاصطفاء

إنّ العصمه التى سبقت الإشاره إليها ، حقيقتها الإصطفاء ، وهو يغيّر الجبر ، الذى هو من الإلجاء ، ويغيّر التفويض الذى هو من الاكتساب ، فلا هى إلجائيه ولا هى - أى العصمه - كسيّيه ، بل اصطفائيه .

فلا جبر فى العصمه ولا تفويض ، وإنّما هى اصطفاء واختيار .

ومعنى ذلك : أنّ العصمه لا- تُلجىء المتّصف بها على الأفعال الحسنه ، ولا- تسلب منه القدره على الأفعال القبيحه ، كيف والعصمه - كما مرّ - نحو من العلم الحضورى ، يزيد صاحبه قدره واختياراً ، ولا يسلبه القدره والاستطاعه على فعل ذلك ،

وأما امتناع صدور القبيح منه ، فيكون بسبب العلم بحقيقه الفعل ، وجهات قبحه ، وما يترتب عليه من آثار سيئه ، أخرويّه وديويّه .

كما أنّ أصل إعطاء ومنح هذه الصفه لشخصٍ لم يكن جزافاً ، واعتباطاً ، بل هو تابع لنظام الاصطفاء والاختيار الإلهي ، بحسب علم الله الغابر السابق على الخلق ، وإطلاعه على قابليات النفوس ومعادنها وطواعيتها ، وانقيادها له تعالى ، فعلمه بما سيكون اقتضى اختياره واصطفاه تعالى للمؤهلين لهذه المقامات من البشر ، فعلمه السابق بما سيكون عليه حالهم من التفوق في الوفاء والطاعة ، والتسليم له ، والانقياد ، والطواعية على جميع الخلق ، هو الذي اقتضى ذلك الإعطاء والمنح .

فصفه العصمه ومقامها وإن كانت هبه وتفضّل منه تعالى ، إلّا أنّ منحها على طبق ما سيكون عليه اختيار العبد من الطاعة .

كما أنّ العصمه ليست تفويضية تُكتسب في دار الدنيا بالجهد والجهد ، وسبر المقامات المعنويه العاليه بالسير والسلوك والرياضات ، بأن تُستحصل بعد ما لم تكن في أوّل العمر ، بل كما قال تعالى : وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) أى أنّ الاصطفاء فعل إلهي لا جهد بشري ، فليس شأنها شأن الفضائل والملكات المكتسبه ، كالتقوى والعداله والشجاعه ، والمروءه . . . الخ .

وليس الاصطفاء شيء يتعلّق بمجرد علمه تعالى بالصفوه من خلقه ، ذات الصفات والفضائل والمكارم الكماليه ، كما أنّ الاختيار ليس مجرد الرغبه في الذي اختير للعصمه ، بل هو معنى يتعلّق بشخص ينتخب ويمنح مقاماً ومن ثمّ يتعلّق به مادّه الاصطفاء فيكون قد اختاره ثمّ اصطفاه ، واختاره لذلك الموقع أو الشيء ،

ص: ٣١

فلا بد أن تنضاف المادتين إلى جعل وإسناد لموقعيه ما ، فيكون مؤدى الاصطفاء والاختيار هو التنصيب والجعل لمنصب ومقام ما هو من مراتب الحجية ، وقد مر أن الحجية أعم من النبوه والرساله والإمامه ، وغيرها من موارد اخرى ، تنفرد الحجية الاصطفائية عنها .

ولا شك أن مفاد هذه الآيات فى الدلاله على المطلوب واضح ، وهو قوله تعالى : **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١)** .

وقوله تعالى فى شأن يوسف : **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢)** .

وكذلك قوله تعالى فى شأن موسى : **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٣)** .

وفى هذه الآيات بيان واضح لكون المواهب الإلهية اللدنية الإيتائية من لدنه ليست إجماعية جبرية ، ولا كسبية تفويضية ، وإنما هى أمر بين أمرين ، وهو معنى الاصطفاء .

ونظير مفاد هذه الآيات المتقدمه قوله تعالى : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** حيث إن التعبير فى الآية **لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ** يفترق عن التعبير (ليذهبكم عن الرجس) حيث إن الأول يفيد إبعاد الرجس عن أن يقترب إليهم ، بخلاف التعبير الثانى فإن معناه أنه يبعدهم عن أن يقبلوا على

ص: ٣٢

١- (١) الأنعام : ٨٤ .

٢- (٢) يوسف : ٢٢ .

٣- (٣) القصص : ١٤ .

الرجس ، فالتعبير الأوّل يفيد أنّ العصمه أمر بين أمرين ، أى جانب منها من فعل العبد المصطفى ، وجانب آخر من فعل الله تعالى ، حيث يحصّنه عن إقبال الرجس والسوء إليه من البيئه المحيطه به .

وقوله تعالى : وَ يُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً هو زياده كمالات ومواهب لديّه .

وعليه ، فإنّ العصمه كسائر المقامات الاصطفائيه الأربع وبقية المواهب اللدنيه ذات الصله بالإنذار الإلهي ، وهى النبوه ، والرساله ، والإمامه ، والحجّه المصطفاه ، فى أنّها غير جبريه ولا تفويضيه كسبيّه ، بل هى أمر بين أمرين ، وهو الاصطفاء ، كقوله تعالى فى مقام النبوه : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) . فبينت هذه الآيه عدم كسبيّتها ، بل ولا جبريّتها ، بل فعل منه تعالى لوجود مواصفات وملكات خاصه فى نفس الصفوه .

وقوله تعالى فى علم الكتاب والحكم والنبوه : ما كان لبشرٍ أن يُؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربّانيين (٢) .

وبعبارة اخرى : ليس من شأن أى بشرٍ ممّن يتّصف بالانحراف أن يؤتيه الله الكتاب ، والحكم ، والنبوه .

فالذى يؤتى هذه الأمور الثلاثه هو الذى يمتنع عليه الانحراف بحسب قابليه ذاته . ومن ثمّ لا يؤتى مثل بلعم بن باعورا الكتاب والحكم والنبوه .

فدلّ على أنّ علم الكتاب وعلم القضاء والنبوه ، ليست كسبيّه ، بل إيتائيه منه تعالى ، يخصّها من يمتنع عليه النكث فى تبليغ أمانه الرساله والتفريط فى صونها .

ص: ٣٣

١- (١) آل عمران : ٣٣ .

٢- (٢) آل عمران : ٧٩ .

وقوله تعالى فى الاصطفاء : اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ (١).

وقد مرّ معنى الاصطفاء أنّه ذو جنبتين .

وقوله تعالى فى الإمامه : وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (٢).

وقوله تعالى : وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٣).

وقوله تعالى فى الحجّه الاصطفائيّه : وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤) وقد مرّت الإشارة إلى أنّ كلمه (على) واضحه الدلاله على الحجّيه كما فى قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ .

وكذلك من موارد الحجّيه الاصطفائيّه قوله تعالى : فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٥) فترى أنّه لم يوصف صاحب موسى عليه السلام بالنبوّه ، أو الرساله ، أو الإمامه ، ولكن وُصف بالعلم اللدنى ، وبتأهله بتوسّط ذلك إلى العلم بإرادته الله تعالى ومشيتته ، وبعلمه بالتأويل وبالمشيئه الإلهيه والإرادته فى الموارد الخاصّه ، حيث قال : وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُزهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَ أَقْرَبَ رُحْمًا * وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا

ص: ٣٤

١- (١) الحج : ٧٥ .

٢- (٢) البقره : ١٢٤ .

٣- (٣) السجده : ٢٤ .

٤- (٤) مريم : ٤٢ .

٥- (٥) الكهف : ٦٥ .

صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْرِخَ تَخْرُجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (١).

وقوله تعالى : وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . . . فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ (٢).

وقوله تعالى : وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ اقْذِيفِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ . . . (٣).

وقوله تعالى فى العصمه عن الزلل : كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٤).

والملاحظ هنا هو التعبير بصرف السوء عنه لا- صرفه عن السوء ، ولا يخفى الفارق بينهما على الفطن اللبيب كما تقدم فى آية التطهير .

فتلحظ فى الآيتين أَنَّ فعل الإذهاب للرجس ، و صرف السوء ، قد أسند إلى الله تعالى مباشرة .

العصمه والاكساب

العصمه والعداله

من الضرورى الإشارة هنا إلى الفرق بين العداله التى هى من الصفات العمليه المكتسبه ، وبين العصمه العمليه التى هى من المقامات اللدنيه الاصطفائيه

ص: ٣٥

١- (١) الكهف : ٨٠ - ٨٢ .

٢- (٢) القصص : ١٣ .

٣- (٣) طه : ٣٨ - ٣٩ .

٤- (٤) يوسف : ٢٤ .

من حيثيات متعدده .

فمن جهه العمل فالعصمه العمليه مرتبطه بالجانب العملي ، أى أنّ صاحبها مسدّد من الزلل والخطأ فى السلوك .

ومن جهه العلم فإنّ العصمه العلميه وهى المرتبطه بالجانب العلمى ، فيكون صاحبها مسدّد بالهدايه عن الضلاله فى المعرفه والعلم .

ومن جهه الاختيار فهى اصطفاييه ، أى لا جبر فيها ولا تفويض .

ومن جهه كونها بالذات أو بالغير ، فهى العصمه الذاتيه الإلهيه والعصمه النبويه التى هى عصمه بالله تعالى ، والفرق بين الفقاهه التى هى صفة علميه مكتسبه ، وبين العصمه فى العلم التى هى مقام وهبى لدنى .

وضروره معرفه الفارق تظهر بيان الخطأ فيما يتداول فى بعض الكتابات ، التى تدعى وجود عصمه مكتسبه ، ويعرّفونها بأنّها : عدم ارتكاب المعصيه طيله العمر . مع أنّ هذا التعريف ليس هو إلّا العداله بعينها ، وبعض درجات التقوى المكتسبه ، ومنشأ الوقوع فى هذا الخلط هو عدم التفريق بين الصفات الاكسابيه والمقامات اللدنيه الاصطفاييه .

فوارق ما بين العصمه والعداله :

أولاً : إنّ العداله ملكه لا يمتنع أن يقع صاحبها فى المعصيه ، فضلاً عن المخالفه غير العمديه ، بخلاف العصمه ، فإنّه يمتنع فيها المعصوم عن الوقوع فى المخالفه ، فضلاً عن المعصيه . ولا يخفى أنّ المخالفه أعمّ مطلقاً من المعصيه ، حيث إنّ المراد بالمخالفه هى مطلق ارتكاب الفعل المبعوض شرعاً ، أو ترك الفعل المطلوب ولو من دون علم ، بخلاف المعصيه فإنّه يشترط فيها العلم والقدرة .

والسبب فى ذلك أنّ العصمه فى العمل عباره عن طهاره ذاته ، وعلم حضورى يعاين فيه قبائح الأفعال فى وجهها الدينوى والأخروى ، وعليه فيمتنع فيه صدور

الفعل القبيح منه ، ولو عن غير عمد ، ولا يخفى أن هذا الامتناع في مقام الوقوع وليس امتناعاً ذاتياً ، لا سيما مع يقظته الدائم للحضور الإلهي ، وليس الحال كذلك في العدالة ، فإن ملكه التقوى والورع ، وإن بلغت أوجها عند شخص ، فلا يمتنع معها صدور المعصية منه ، فضلاً عن وقوع المخالفه في الغالب ، حيث إن الغفله أو الجهل بالموضوعات كثير الوقوع من غير المعصوم ، وكذلك المعصية ، لإمكان تغلب قوى الشهوة والغضب وشعبهما على ملكه التقوى .

وقد ضرب لنا القرآن الكريم أمثله لذلك ، كما في قوله تعالى : **وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسِيَ لَاحَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١)** .

فترى أن القرآن يشهد (بلعم بن باعورا) أنه قد آتاه الله من الآيات ، ومع ذلك انزلق واتبع هواه .

وفي معتبره الحسين بن خالد عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام :

« أنه أعطى بلعم بن باعورا الإسم الأعظم وكان يدعو به فيستجاب له » (٢) .

لكنه حيث اعترضه له هواه ، فافتتن به واتبعه ، ولم يصد عنه ، مع أنه كان قد بلغ إلى درجة المتقين ، بل من أهل اليقين ، حيث أوتى بعض أحرف الإسم الأعظم كما مرّ ، فلم يمنعه ذلك كله من الوقوع في معصية هي من أكبر الكبائر .

وكذلك الحال في السامري ، حيث قال تعالى عن لسان موسى عليه السلام : **فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا**

ص: ٣٧

١- (١) الأعراف : ١٧٥ و ١٧٦ .

٢- (٢) تفسير القمي : ١ : ٢٤٩ .

وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي (١)، حيث كان من خيار أصحاب موسى عليه السلام، كما في « تفسير القمي »، حتى أنه بصر بما لم يبصره بنو إسرائيل، وشاهد جبرئيل ومركوبه، وأخذ من التراب الذي كان تحت حافر مركوبه، حيث كانت تدب فيه الحياه

و هذا بخلاف مقام العصمه، فإنه يمتنع فيها الزلل مهما اشتدت فيها فتنة الامتحان .

ويحكي لنا القرآن في قصه يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهٍ وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا- أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٍ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ إِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢) فقد عبرت الآيه أن الله تعالى قد صرف عنه سوء، ولم تعبر قد صرفه عن سوء، ولا يخفى الفرق بين التعبيرين .

بل إن العصمه في العمل لا يخالغ صاحبها حتى خطور المعصيه، ويدل عليه قوله تعالى في يوسف عليه السلام: وَ هَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهٍ، فإن كلمه (لولا) تدل على الامتناع للامتناع، أي أنه امتنع أن يميل لعدم احتجابه عن نور الله تعالى .

مضافاً إلى تقبيح العقل للتجزي على المولى، وإن كان بدرجة التيه، ومن ثم ورد العفو عن نيه المعصيه في روايات الفريقين، كما في معتبره زراره عن أحدهما عليهما السلام:

« إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِآدَمَ فِي ذُرِّيَّتِهِ . . . مِنْ هَمٍّ بَسِئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ وَمِنْ هَمٍّ بِهَا وَعَمَلُهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ » (٣).

و هذا مما يدل على اقتضاء نيه المعصيه للقبح، وللمؤاخذة عليها، إلا أن الله تبارك وتعالى تفضل على عباده بذلك .

ص: ٣٨

١- (١) طه : ٩٦ .

٢- (٢) يوسف : ٢٤ .

٣- (٣) وسائل الشيعة : ١ : ٣٦، الحديث ٦ .

حتى أنه قد ورد في جملة من الروايات الشريفة بيان أثر تبيّهِ المعصية على النفس الإنسانية ، كما ورد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن عيسى عليه السلام : كما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في حديث كلام عيسى عليه السلام مع الحواريين ، قال :

« إن موسى نبى الله عليه السلام أمركم أن لا- تزنوا ، وأنا أمركم أن لا- تحدّثوا أنفسكم بالزنا ، فضلاً عن أن تزنوا ، فإن من حدّث نفسه بالزنا كان كمن أوقد في بيت مزوّق ، فأفسد التزويق الدخان ، وإن لم يحترق البيت »(١).

ثانياً : وهناك فرق آخر بين العصمة في العمل وبين ملكة العدالة ، وهو درجة قدره في المناعة عن المعصية ، وذلك أنّ العصمة في العمل تتحدّى كافّة المغريات ، والآثار الشهوية ، والغضبية ، والشيطانية عن الوقوع في المعصية ، مهما بلغت في شدّة عنفوانها وتكالبها على شخص المعصوم ، وهذا بخلاف العدالة ، فإنّ العادل ، أو المتقى ، أو صاحب اليقين ، إنّما تصل قدره مناعته إلى درجة من مقاومه المغريات ، لكنّها تنهار وتنكسر إذا تجاوزت المغريات ذلك الحدّ من الشدّة ، وقد أشارت النصوص الشريفة إلى ذلك ، فقد ورد أنّ :

« أشدّ الناس بلاءاً الأنبياء ثمّ الذين يلونهم ، ثمّ الأئمة فالأمثل »(٢).

فهى واضحة الدلالة على أنّ الافتتان الذى يكابده الأنبياء أشدّ ممّا يكابده سائر الناس ، ثمّ الذين يلونهم وهم الأوصياء ، ثمّ الأئمة فالأمثل .

وقد سيّر لنا القرآن جملة من الأنبياء الذين ابتلاهم الله تعالى واختبرهم ، ومدحهم على الاستقامه ، رغم شدّة الافتتان ، كما فى سورة ص ، حيث ذكرت أنّ داود ذا الأيد . . . أنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير . . .

ص: ٣٩

١- (١) الكافي للشيخ الكليني : ٥ : ٥٤٢ ، وقد وردت بهذا المضمون كذلك فى الدرّ المنثور للسيوطى : ٢ : ٣٢ .

٢- (٢) الكافي للشيخ الكليني : ٢ : ٢٥٢ .

وشددنا ملكه و آتيناہ الحكمه وفصل الخطاب ، ووصفه الله تعالى بأنه عبدٌ أوّاب ، وكذلك في سليمان ، حيث آتاه الله الملك ، وسِيَّخرت له الريح تجرى بأمره والشياطين كلّ بناء وغوّاص ، ومع ذلك لم يلهه كلّ ذلك ولم يتبع الهوى بكلّ ذلك ، فوصفه الله بأنه عبد أوّاب رجّاع إلى ربه ، وقد مرّ الحديث عن يوسف عليه السلام كذلك .

ونظير ذلك ما حصل لسيد الشهداء أبى عبد الله الحسين عليه السلام ، حيث توالى عليه المحن والمصائب ، مع خذلان القوم وعظائم الأهوال ، وبقي وحيداً فريداً لم يهن ولم ينهدّ ركنه ، حتّى قال فيه الراوى : « ما رأيت مكثوراً قطّ أربط جأشاً ، ولا أمضى جناً ، ولا أجراً مقدماً ، من الحسين عليه السلام ، قتل ولده وجميع أصحابه حوله ، وأحاطت الكتائب به ، فوالله كان يشدّ عليهم فينكشفوا عنه انكشاف المعزى إذا شدّ عليها الأسد » (١) .

ومن ثمّ قال العلّامة الطباطبائي في ذيل قصّه امتحان يوسف عليه السلام : « إنّ التدبّر البالغ في أطراف القصّه ، وإمعان النظر فيما احتفّ به من الجهات والأسباب والشرائط ، يُعطى أنّ نجاه يوسف منها لم تكن إلّامراً خارقاً للعاده ، وواقعه هي أشبه بالرؤيا منها باليقظه . . . » .

ثمّ أخذ يعدّد تلك الأسباب ، ثمّ قال :

« فهذه أسباب وأمر هائله ، لو توجهت إلى جبل لهدّته ، أو أقبلت على صخره صمّاء لأذابتها ، ولم يكن هناك ما يتوهم مانعاً . . فلم يكن عند يوسف ما يدفع به عن نفسه ، ويظهر به على هذه الأسباب القويّه ، إلّأصل التوحيد ، وهو الإيمان بالله ، وإن شئت فقلّ المحبّه الإلهيه التي ملأت وجوده ، وشغلت قلبه ، فلم تترك

ص : ٤٠

١- (١) الطبرى : ٤ : ٣٤٥ . البدايه والنهايه ٨ : ٢٠٤ . شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى : ٣ : ١٦٤ ، وغيرهم ممّن روى واقعه عاشوراء .

لغيرها محلاً ولا موضع إصبع» (١).

ثالثاً: إنّ العصمة العمليّة تستند إلى العصمة العلميّة بالضرورة ، لأنّ العصمة كما تجنّب صاحبها الوقوع في المخالفه عمداً ، فإنّها تجنّبه أيضاً الوقوع في المخالفه سهواً وغفله ، و ذلك لكون أحد مناشيء العصمة العمليّة هو العصمة في العلم ، وهذه الأخيره لا تقتصر على معرفه الأحكام والتشريع فحسب ، بل تشمل الموضوعات التي تنطبق عليها الأحكام أيضاً .

ولذلك تتسع الممانعه عن الوقوع في المخالفه في الموضوعات ، لعدم تصوّر الجهل والغفله في الموضوعات . وهذا بخلاف العدالة المصطلحه في الثقات والمؤمنين ، فإنّها لا تنطوي على علم شامل ومحيط ، لا في جانب الأحكام - أي الشبهه الحكميّة وهي معرفه النظرية للدين - ولا في جانب الموضوعات ، أي الشبهه الموضوعيّة ، وهي معرفه التطبيقية له .

ومن ثمّ فإنّ العدالة لا تحفظ صاحبها من الانحراف الفكري ولا العملي .

وهناك فروق اخرى بين العصمة في العمل والعدالة ، ولا تنحصر فيما ذكر .

فوارق ما بين العصمة والفقاهه

هناك فوارق مهمّة بين العصمة وبين الفقاهه ، نجملها في نقاط :

أولاً: إنّ العصمة في العلم هي من سنخ العلم الحضوري اللدنيّ الإيتائيّ من عنده تعالى .

وبعبارة اخرى : هي من نمط العلم الذي يُلهم به المعصوم ، ويُنفث في رَوْعه ، ويسدّد به ، وأما الفقاهه فهي من نمط العلم الحصولي الكسبي ، أي أنّها عبارة عن الصور الذهنيّة الفكرية ، التي تكتسب بالقراءة والتعليم والتعلّم مع الرياضه الفكرية .

ص: ٤١

١- (١) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي: ١١ : ١٢٦ .

ثانياً: إنّ العلم اللدنيّ عند المعصوم هو علم بحقائق الأشياء ، وبالأحكام في اللوح المحفوظ ، لأنّ مصدره ليس من الطرق الظنيّه الكسبيّه ، كدلاله الألفاظ ، وأخبار الرواه ، ولا ترتيب المقدمات في الاستنتاج ، بل عبر طريقه الوحي ، بخلاف العلم الحاصل عن طريق الاجتهاد والفقاهه ، فإنّه علم بظواهر الأحكام وظواهر الأشياء بدرجه ظنيّه ، ولذا يخطئ في جملة من الموارد ، ويقع الاختلاف في كثير من الموارد بين الفقهاء ، بخلاف علم المعصومين فإنّه إصابه لعين الواقع ، لا مع اختلاف بينهم ، وإليه يشير قوله تعالى : **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (١)** .

ثالثاً: إنّ العلم في الاجتهاد والفقاهه علاوه على كونه ظنيّاً ظاهريّاً ، فهو محدود ، لا يُحيط بكافه التشريعات ، فضلاً عن كافه معارف الدين ، ومن ثمّ يُستعان في الاستدلال الاجتهادي بقواعد تُسمّى بالوظائف العمليّه ، والتي مفادها رفع الشكّ والتخيّر في مقام العمل ، لا الكشف عن التشريع الواقعي ، وهذا بخلاف العلم اللدنيّ عند المعصوم ، فإنّه يُحيط بالتشريع في اللوح المحفوظ ، وبجملة المعارف الدينيّه ، والآداب والحكمه ، وإلى ذلك أشار قوله تعالى : **ما فَرَطْنَا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ (٢)** ، وقال تعالى : **وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً (٣)** .

ولا يخفى أنّ كونه تبياناً لكلّ شيء ، إنّما هو وصفٌ للقرآن في المرتبه والمنزله العُلّيا له ، وهي منزله عالم الملكوت واللوح المحفوظ ، وإلّا فظاهر المصحف قد وصفه الله تعالى بأنّ منه آيات محكمات ، وأخر متشابهات ، وقد أخبر تعالى أنّ هذا

ص: ٤٢

١- (١) النساء : ٨٢ .

٢- (٢) الأنعام : ٣٨ .

٣- (٣) النحل : ٨٩ .

الكتاب المبين لا- يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١) ، وهم أهل التطهير ، وقال : يَلُ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٢) ، فأخبر أنّ أهل آية التطهير هم الذين يدركون حقيقته الكتاب المكنون ، حيث إنّه تعالى جعل علمه في صدورهم ، فلهم الإحاطة التامة بعلم الكتاب .

نعم ، هناك تفاضل في درجات هذه الإحاطة بين الأنبياء عليهم السلام ، لقوله تعالى :

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ (٣) ، فهي تبيّن أنّ هناك هيمنه وفوقه وإحاطه للقرآن الكريم على بقية الكتب السماوية المنزلة ، كالتوراه ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم وغيرها ، ممّا يعنى وجود زياده وهيمنه فيما أوحى إلى النبي صلى الله عليه و آله أكثر ممّا أوحى إلى غيره من الأنبياء السابقين .

إلّا أنّ أدنى مستويات هذه الإحاطة لا تقصر عمّا يحتاجه العباد إلى المعارف والتشريعات ، إلزاماً أو ندباً .

وعلى ضوء هذا الفارق بين الفقيه والعصمه في العلم يتبيّن أنّ لا عصمه في العمل مع عدم العصمه في العلم ، و ذلك حيث إنّ عدمها في المساحات الوسيعة يوجب الوقوع في المخالفه ، إمّا عن جهل أو ضلال .

وبذلك يتبيّن وجه آخر لعدم إمكان اكتساب العصمه ، و ذلك لأنّ كسب العلم مهما استمرّ وطال ، واشتدّ الذكاء ، فإنّه لا يحقّق السعه والإحاطة التامة في العلم من جانب معرفه الأحكام والمعارف ، ولا من جانب الموضوعات ، والموارد التطبيقية .

وأهمّ فارق بين العصمه الاصطفائية والصفات الاكتسابية الأخرى ، هو أنّ العصمه

ص: ٤٣

١- (١) الواقعة : ٧٩ .

٢- (٢) العنكبوت : ٤٩ .

٣- (٣) المائدة : ٤٨ .

الاصطفائيّه هي عطيه لدنيّه إلهيّه ، تسبق الفعل ، وتكون ابتداءً ، بخلاف الصفات الاكسائيّه ، وإن كانت لدنيّه ، فإنّها تكون كنتيجه متأخره عن الفعل .

وبعباره اخرى : إنّ العصمه والاصطفاء وإن كانت بحسب صلاح الأفعال وسدادها ، إلّا أنّ ذلك يمنح بحسب علم البارئ تعالى في سابق وغابر علمه المتقدم على الخلقه ، بخلاف عطايه تعالى ، التي يحصّي لها الإنسان بالاكسباب ، فإنها لا يُعطاها العبد إلّا بعد تحقّق الأفعال في الخارج ، كنتيجه مكتسبه مترتبه من تلك الأفعال ، وإن كانت نسبة الأفعال إليها بمقدار نسبة الإعداد والتهيؤ . ويشير إلى هذا الفرق قوله عليه السلام في دعاء الندبه :

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ ، إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَزَوَالٍ لَهُ وَلَا اضْمِحَالٍ ، بَعِيدٍ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهَيْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدِّيْنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرَجِهَا ، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ ، فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ ، وَالنَّسَاءَ الْجَلِيَّ ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ » .

وفي هذه الفقرة بيان رشيق لحقيقه العصمه ، حيث بين عليه السلام أنّ حقيقه الاصطفاء في العصمه ليست جبريّه ولا إجائيّه ، ولا تفويضيّه قابله لاكسباب البشر ، بل هي عطيه من الله تعالى ، تستند إلى علمه السابق بما سيكون عليه الأصفياء من نجاح في الامتحان الإلهي ، وأنّها نحو عهد إلهي سابق ، والتزام من الأصفياء به ووفاء به ، وهذا العهد نحو مشارطه تكليفيّه بتكليف خاصّ جزاء الطاعه فيه هو عطيه العصمه وهبتها ، إلّا أنّ هذه العطيه والجزاء يسبق وقت الامتثال والعمل ، ولكنّه مشروط به ، ومتولّد من علم الله تعالى بوقوع الامتثال والطاعه .

ومن ثمّ كانت العصمه بهذا اللحاظ ليست جبريّه ، بل اختياريّه ، لأنّها جزاء إلهي

عاجل في دار الدنيا على عمل الأصفياء ، إلّا أنه يتقدّم العطاء والثواب من قبل الله تعالى لهذا الشخص على وقت العمل .

ومن ثمّ أكّد عجل الله فرجه الشريف في هذا الدعاء الشريف على هذه النقاط :

أوّلاً : بقوله :

« بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمْ . . . ، فَشَرَطُوا لَكَ » بأنّ منشأ إعطاء العصمه هو مشارطه تكليفه بعهد خاصّ على ذمّه الأصفياء .

ثانياً : إنّ إعطاء وهبه العصمه هي قبل أوان العمل ، فهي مترتبة على علمه تعالى السابق ، بطاعتهم ووفائهم اللاحق ، كما يشير إلى ذلك قوله عليه السلام :

« وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ ، فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ . . . »

وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ » .

ثالثاً : إنّ عمل الأصفياء و حسن وفائهم وطاعتهم ، له دور مهمّ يساهم في اصطفتائهم ، وحبائهم بالعطية الإلهية ، وهذا ما يُبين نفى الإلجاء والجبر ، ودور الاختيار في الاتّصاف بصفه العصمه ، فضلاً عن الأفعال الصادره بعد الاتّصاف بالعصمه .

رابعاً : إنّ العصمه ذات حيثيات متعدّده ، فهي إلى جانب توفرها على الحيثيات التي مرّ ذكرها ، الراجعه إلى كونها فعل إنسانيّ ، فهي من جانب آخر وحيثيه اخرى فعل إلهيّ ، وأشار إليه عليه السلام بقوله :

« وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ ، وَالشَّانَاءَ الْجَلِيِّ ،

وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ » .

خامساً : إنّ حقيقه العصمه تتقدّم وتتألف من بُنى متعدّده ، أي من أنماط وأنواع من العلوم المختلفه ، وكذلك من أدوات بيئيه متعدّده ، فمن قبولهم في قرب المحضر الإلهيّ ، وتقديم الذكر العليّ لهم ، وإهباط وإنزال الملائكه عليهم ، وجعلهم أدلاء على الله لخلقهم على لقائه وقربه واكتساب رضاه ، كما في قوله عليه السلام :

« فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ ، وَالشَّانَاءَ الْجَلِيِّ ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ ، . . . الخ » .

ومِمَّا يُؤكِّد هذا المعنى فى الاصطفاء ومغايرته للاكتساب ، واشتمال الاصطفاء النافين للجبر والتفويض ، ما رواه الشيخ فى « التهذيب » عن أبى جعفر الثانى عليه السلام فى زياره سيده النساء عليها السلام :

« يا مُمْتَحَنُهُ امْتَحَنَكَ اللهُ الَّذى خَلَقَكَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكَ فَوَجَدَكَ لِمَا امْتَحَنَكَ صَابِرَةً » (١).

فضيله الصفات الاصطفائية على الصفات الكسبيه

هناك إثارة وتساؤل عن فضيله الصفات الاصطفائية للمعصومين عليهم السلام ككون تقليبهم فى الأصلاب الشامخه والأرحام المطهّره ، وأنهم من النسل الطاهر ، أو كون بدء خلقتهم من النور ، وهى أعلى مراتب ذاتهم ، وكون طينتهم وأرواحهم من مقام علوى ، وطينه أبدانهم من مقام رفيع ، وغيرها من الصفات ، كما هو الحال فى شأن فاطمه الزهراء عليها السلام .

والإثارة هى : إنّ هذه الصفات حيث لم تكن مكتسبه ، فلا- فضيله فيها لأصحابها ، لأنها لم تكن نتيجة لإرادتهم واختيارهم كالصفات الكسبيه ، فكيف تعدّ فضيله يحمدون عليها ، إذ لا يُحمد الفاعل المختار على ما لم يصدر منه باختياره ولم يكن نتيجة سيرته وعمله ، بل هو من الصفات المجبور عليها ، وعلى ضوء هذه الإثارة فكيف يفضّلون ويقدمون على غيرهم بهذه الصفات ؟ وكيف تكون هذه الصفات منشأً لاختيار الله تعالى لهم واصطفائهم بالنبوه والرساله كما هو الحال فى سيد الرسل صلى الله عليه وآله ، واصطفائهم بالإمامه كما فى الأئمه الأطهار عليهم السلام ، وبالاصطفاء والتطهير كما هو الحال فى سيده النساء عليها السلام .

ونقول فى مقام الإجابة عن ذلك ضمن عدّه نقاط :

ص: ٤٦

١- (١) التهذيب للشيخ الطوسى : ٦ : ٩ و ١٠ . ورواها الشيخ فى مصباح المتهدّد : ٧١٧ ، الحديث ٧٩٢ .

١ - إن الصفات الاصطفائية ليست - كما يُظنّ - جبرية ، كما أنّها ليست تفويضية ، بحيث يتقمّمها ويرتديها من يشاء ، بل هي أمر بين أمرين ، بل ومن نمط خاصّ راجعه إلى هبات الله تبارك وتعالى الخاصّة وفق علمه بمستقبل أحوال أصفيائه ، وما سيكونون عليه من طاعه وانقياد وتسليم له تعالى في مستقبل أيّامهم ، تبلغ درجات لا- يصل إليها غيرهم ، فعلمه الغابر بما سيكونون عليه ، يوجب الاختيار الإلهي لهم بالاصطفاء والاختيار ، وهذه الألفاظ والمواهب اللدنيّة الممنوحة لهم تقع تفضلاً منه تعالى وجزاءً لما يعهد منهم من الإخلاص ، فلا يساوى بينهم وبين غيرهم في العطاء والهبات اللدنيّة .

وهنا نحاول أن نشير إلى تحليل معنى الاصطفاء والصفوه والتصفيه ، فهي - لغه - بمعنى التمييز والانتقاء ، قال في « لسان العرب » : « واستصفيت الشيء إذا استخلصته واستصفي صفو الشيء : أخذه ، وصفا الشيء أخذ صفوه ، والصفى الخالص من كلّ شيء » (١) .

فانتقاء النخبه من البشر هو اختيار الله تعالى لهم وفق علمه بما يكونون عليه في مستقبل أعمالهم وأحوالهم وصفاتهم ونياتهم ، أى بمعنى اختيار ما هو خالص من الكدوره ونقى من رذائل الصفات ، ومن ثمّ يقال لصفايا الملوكة من الأموال ما هو أعزّ وأكرم الأموال التي يختارها لنفسه ، فالاصطفاء فى أصل معناه ليس إحداث أمر فى الشيء ، وإنّما هو اختيار وانتخاب له لما فيه من قابليه مزايا يفوق غيره ، فبعد « الاصطفاء » يأتى « الاحتباء » ، أى : إعطاء الحبوه والمواهب اللدنيّة ، ويشير إلى هذا المعنى أيضاً ما ورد فى دعاء الندبه من قوله عليه السلام :

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ ،

إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَأَزْوَالٌ لَهُ وَلَا اضْمِحْلَالٌ ،

ص: ٤٧

١- (١) لسان العرب لابن منظور : ١٤ : ٤٦٣ ، نشر أدب الحوزه - قم .

بَعِيدَ أَنْ شَرَطَتْ عَلَيْهِمُ الرَّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدِّينِيَّةِ وَزُخْرِفَهَا وَزِبْرِجَهَا ، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ ،
فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيِّ ،

وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ ،

وَجَعَلْتَهُمُ الدَّرِيْعَةَ إِلَيْكَ ، وَالْوَسِيْلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ» ، حيث بين عليه السلام أنّ علمه تعالى السابق بأنهم سيفنون لله تعالى بخالص الطاعة ، ذلك العلم السابق هو الذى أوجب استخلاصه لهم واختياره إياهم ومن ثمّ حباهم بالقرب ووهب لهم مقومات العصمه ، من الذكر العليّ ، والثناء الجلى ، وهبوط الملائكة عليهم ، والوحي لهم ، وإرفادهم بالعلم ، ومن ثمّ منحهم منصب الهداه إليه والدلائل إلى رضوانه .

٢ - إنه بمقتضى النقطه السابقه حيث تبين أنّ اصطفاء الله تعالى ومنحه العصمه لأصفيائه ليست على نحو الجبر وإنّما على وفق التزام من قبلهم على الطاعة وخلص العمل والانقياد لأوامره انقياداً تاماً يظهر من ذلك أمر آخر ، وهو أنّ الصفات الاصطفائيّه والمواهب اللدنيّه هى أيضاً بسبب أفعال اختياريّه ، إلّا أنّ هذه الأفعال على درجه عاليه جداً من الكمال تفوق الكمال الذى يصل إليه الفاعل للخيرات والإحسان ، المستحقّ للصفات الكسيبيّه ، نظير المتّقين ، والصدّيقين ، وأهل اليقين ، والمحسنين ، والزاهدين ، والعبّاد ، والحكماء ، والمجاهدين وغيرهم ، وذلك لأنّ الاصطفاء - كما مرّ - يكون تحت درايه تامّه وعلم من الله تعالى بما يكون عليه الصفيّ من أفعال يتميّز ويرتقى بها على الأبرار والصالحين ، وبقية الأصناف التى مرّت الإشارة إليها .

ومن ثمّ اختلف الاصطفاء والعصمه عن سائر المواهب اللدنيّه التى يجوبها الله تعالى لصاحب الصفات الاكتسابيه ، كالعلم الإيتائى والحكمه لمن يصل إلى درجه الإحسان والمحسنين ولكنها لا تصل إلى مرتبه العصمه والحجّيه .

النقطة الثالثة : إنّ الجراء فى نمطه الإعدادى متقدّم على العمل فى الاصطفاء والعصمه ، بخلافه فى الصفات الكسبيه ، فإنها تتأخر عن الكسب والعمل .

أى : إنّ علمه السابق على خلق المخلوقات ، المتعلّق بما يكون عليها حالها من الطاعه والانقياد بدرجة متميزه ؛ يستوجب توفير أرضيه وسبيل إعداد لتكامل تلك القابليات الخاصّه ، لما لها من الاستعداد الكامل تختصّ به دون غيرها ، ممّن ليس لها تلك الاستعدادات والقابليات .

لا- تخفى أهميه هذا البحث ، وهو حقيقه الوراثه في القرآن ، ضمن سلسله الأنبياء عليهم السلام ، و ذلك لأن من عمدته أدله حجه أهل البيت عليهم السلام ، وولايتهم على الدين والأمة من بعد النبي صلى الله عليه و آله هو وراثتهم له صلى الله عليه و آله ، حيث إن مقتضى عموم الوراثه لمقامات ومناصب النبي صلى الله عليه و آله الإلهيه هو ثبوتها لهم عليهم السلام ، كما في قوله تعالى :

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
الآيه (١) حيث تشير الآيه إلى ولايه النبي صلى الله عليه و آله العامه على الأمة ، وأن أولى الأرحام من القربى أولى بهذا المقام والمنصب من المؤمنين ، الأنصار منهم والمهاجرين .

وكذا عموم قوله تعالى : وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (٢) .

وكذا قوله تعالى : إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٣) ، فإن الأولويه هنا أولويه وراثيه خاصه بشؤونه ومقاماته ، والتي منها مقام الإمامه ، فهذه الأولويه هي أولويه وراثيه ، والتي تعلقت بأولى الأرحام بعضهم ببعض ، وأن الأحق بمقامات وشؤون إبراهيم وراثته

ص: ٥١

١- (١) الأحزاب : ٦ .

٢- (٢) الأنفال : ٧٥ .

٣- (٣) آل عمران : ٦٨ .

- ومنها إمامته على الناس - هو من اتّصف بصفتين أو سببين : أحدهما : هو الرحم ، والآخر : هو الطاعة ، والأول يشير إليه قانون الأولويّه فى اولى الأرحام بعضهم ببعض ، وقول إبراهيم عندما جعل إماماً داعياً لله عزّ وجلّ : قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ .

وإن كانت تلك المقامات لسيد الأنبياء إلهيه غيبه وإيتائه لدنيه ، فإنها يرثها أهل بيته عدا مقام النبوه والرساله ، وسياده فضله صلى الله عليه وآله على سائر المعصومين ، ولا ينافى ذلك اقتضاء مفهوم الوراثه لوراثه المال أيضاً .

واعلم أنه قد وقع الخلاف الكبير بين أهل السنّه والخلافه وبين الإماميه ، فى ما يورثه الأنبياء ، فبين من يخصّه بالعلم والنبوه ، وبين من يذهب إلى أنّ إرثهم كإرث غيرهم من الناس ، أى كلّ ما ينتقل من الموروث إلى الوارث ، من الأموال والحقوق المنقوله .

والحقّ هو عموم الإرث لكلّ ذلك ، أى يشمل حتّى المقامات المعنويه ، وهى العلم ، والنبوه ، والشؤون الماديه ، ولا موجب لتخصيص الإرث بأحدهما ، بل يعمّ كلّاً منهما .

ولنستعرض نبذه من أقوال الفريقين فى ذلك :

١ - قال الآلوسی فی ذیل قوله تعالى على لسان زكريا: فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (١) قال: « واستدلّ الشيعة بالآيه على أنّ الأنبياء عليهم السلام تورث عنهم أموالهم ، لأنّ الوراثة حقيقه في وراثه المال ، ولا داعى إلى الصرف عن الحقيقه ، وقد ذكر الجلال السيوطى في « الدر المنثور » ، عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمه ، وأبى صالح ، أنّهم قالوا في الآيه : يرثنى مالى . . . وقال بعضهم : إنّ الوراثة ظاهره في ذلك ولا يجوز هاهنا حملها على وراثه النبوه ، لئلا يلغو قوله : وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ، ولا على وراثه العلم لأنّه كسبى ، والموروث حاصل بلا كسب .

ومذهب أهل السنه أنّ الأنبياء لا يرثون مالا ولا يورثون ، كما صحّ عندهم من الأخبار ، وقد جاء ذلك أيضاً من طريق الشيعة ، فقد روى الكليني في الكافي ، عن أبى البخترى ، عن أبى عبد الله جعفر الصادق (رضى الله تعالى عنه) أنّه قال :

« إنّ العلماء ورثه الأنبياء ، و ذلك أنّ الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ،

وإنّما ورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ بحظّ وافر » ، وكلمه « إنّما » مفيدّه للحصر قطعاً باعتراف الشيعة ، والوراثة في الآيه محموله على ما سمعت ، ولا نسلم كونها حقيقه لغويّه في وراثه المال ، بل هي حقيقه في ما يعمّ وراثه العلم ، والمنصب ، والمال ، وإنّما صارت لغلبه الاستعمال في عرف

ص: ٥٣

الفقهاء ما اختصّ بالمال ، كالمقولات العرفيه ، ولو سلّمنا أنّها مجاز في ذلك ، فهو مجاز متعارف مشهور ، خصوصاً في استعمال القرآن المجيد بحيث يساوى الحقيقه ، ومن ذلك قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (١) .

وقوله تعالى : فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ (٢) .

وقوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ (٣) .

وقوله تعالى : إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٤) ، وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٥) « (٦) .

وذكر الألوسى نظير ذلك في ذيل سورة النمل عند قوله تعالى : وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٧) . انتهى كلامه .

أقول : وقبل التعرّض لبقية كلامهم يلزم تسجيل بعض الملاحظات على كلام الألوسى ، وهى :

أولاً : إنّه قد أقرّ بأنّ الإرث حقيقه فيما يعمّ وراثه العلم ، والمنصب ، والمال ، ومع ذلك يدعى بأنّ اللفظ قد استعمل في الآيتين في خصوص إرث العلم والنبوه من دون شاهد قرآنى .

ثانياً : إنّ الألوسى تبعاً لأهل سنّه الخلافه لم يفرّقوا بين اشتقاق مادّه التعبير

ص: ٥٤

١- (١) فاطر : ٣٢ .

٢- (٢) الأعراف : ١٦٩ .

٣- (٣) الشورى : ١٤ .

٤- (٤) الأعراف : ١٢٨ .

٥- (٥) آل عمران : ١٨٠ .

٦- (٦) تفسير روح المعانى للألوسى : ١٦ : ٦٤ .

٧- (٧) المصدر المتقدّم : ١٩ : ٢٢٤ .

« نحن معاشر الأنبياء لا نورث . . . » ، أي بكسر الراء وتشديدها ، وبين أن يُعبر « لا نورث » بفتح الراء ، حيث إنَّ الأوَّل هو من باب التفعيل ، أو الإفعال(١) ، وهو بمعنى السعى لجمع المال ، حرصاً على مستقبل الوارث له ، وهي حاله مذمومه بطبيعتها المفرطه .

نعم لو كان التعبير بكلمه (لا نورث) ، فإنه من باب الفعل والفعاله(٢) ، فهو بمعنى انتقال ما للموروث إلى الوارث .

ومن ثمَّ ذُيِّل الحديث بقوله عليه السلام :

« وإِنَّمَا وَرَثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ » ، أي قاموا بتبليغ ونشر أحاديث معرفه الدين ، كي تؤخذ عنهم .

فالحديث في صدد بيان ما يقوم به المورث وهم الأنبياء ، لا في صدد بيان حكم تركيهم . ولذا اقتصر الطعن على الحديث الذي رواه أبو بكر على خصوص ذيل الحديث ، الذي ادَّعاه وزعمه ، وهو « ما تركناه صدقه » ، حيث إنَّ مفاد هذه العبارة هو نفى حكم الوراثه بين الأنبياء وذويهم ، بينما صدر الحديث وهو « نحن معاشر الأنبياء لا نورث . . . » بصدد بيان نفى حرص معاشر الأنبياء على جمع الأموال لمن يرثهم من بعدهم(٣) .

٢ - قال الفخر الرازي في ذيل قوله تعالى : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ

ص:٥٥

١- (١) أي الراء المكسوره إمَّا مشدده أو مخففة ، أي من باب « وَرَّثَ ، يورث » ، أو من باب « أَوْرَثَ ، يورث » .

٢- (٢) أي : وَرَثَ يرث إرثاً ووراثه .

٣- (٣) وقد بسط الكلام ابن أبي الحديد المعتزلي في بيان تناقض ووضع الروايات المذكوره لديهم في الصحاح حول الحديث المزعوم « ما تركناه صدقه » فلاحظ : شرح نهج البلاغه : ١٦ : ٢١٩ - ٢٣٠ . كما حكى عن الجوهرى في كتاب « السقيفه وفدك » أن نزاع فاطمه أبا بكر كان في ثلاثه امور ، في الميراث ، والنحل ، وسهم ذوى القربى .

وقوله : وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي . . . قال : « والمختار أن المراد من الموالى الذين يخلفون بعده إمّا فى السياسة أو فى المال الذى كان له ، أو فى القيام بأمر الدين ، فقد كانت العاده جاريه أن كل من كان إلى صاحب الشرع أقرب فإنّه كان متعيّناً فى الحياه » (١).

وقال فى جواب اعتراض أن النبوه لا تورث قال :

« قلنا : المال إنّما يقال ورثه الابن بمعنى قام فيه مقام أبيه ، وحصل له من فائده التصرف فيه ما حصل لأبيه ، وإلّا فملك المال من قبل الله لا من قبل المورث ، فكذلك إذا كان المعلوم فى الابن أن يصير نبياً بعده فيقوم بأمر الدين بعده ، جاز أن يقال : وَرِثَهُ » (٢).

وقال أيضاً : « واعلم أن هذه الروايات ترجع إلى أحد أمور خمس ، وهى المال ، ومنصب الجوه ، والعلم ، والنبوه ، والسيره الحسنه ، ولفظ الإرث مستعمل فى كلّها ، أمّا فى المال فلقوله تعالى : وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ ، وأمّا فى العلم فلقوله تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ » (٣).

وقال فى ذيل قوله تعالى : وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ : « فقد اختلفوا فيه ، وقال الحسن : المال ، لأن النبوه عطيه مبتدأه ولا تورث ، وقال غيره : بل النبوه ، وقال آخرون : بل الملك والسياسه .

ولو تأمل الحسن لعلم أن المال إذا ورثه ولد فهو أيضاً عطيه مبتدأه من الله تعالى ، ولذلك يرث الولد إذا كان مؤمناً ، ولا يرث إذا كان كافراً أو قاتلاً ، لكن الله

ص: ٥٤

١- (١) التفسير الكبير للفخر الرازى : ٢١ : ١٨٢ .

٢- (٢) التفسير الكبير للفخر الرازى : ٢١ : ١٨٤ .

٣- (٣) التفسير الكبير للفخر الرازى : ٢١ : ١٨٤ .

تعالى جعل سبب الإرث فيمن يرث الميت على شرائط ، وليس كذلك النبوه ، لأن الموت لا يكون سبباً لنبوه الولد ، فمن هذا الوجه يفترقان ، و ذلك لا يمنع من أن يوصف بأنه ورث النبوه ، لما قام به عند موته ، كما يرث الولد المال إذا قام به عند موته ، ومما يبين ما قلناه ، أنه تعالى لو فضل فقال : (وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ مَا لَهُ) لم يكن لقوله : (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) معنى ، وإذا قلنا :

ورث مقامه من النبوه والملك حسن ذلك ، لأن تعلم منطق الطير يكون داخلاً في جملة ما ورثه ، وكذلك قوله تعالى : وَ أوتينا من كل شئٍ لئلا يورث الملك جمع ذلك ، وورث المال لا يجمعه ، وقوله : إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ لا يليق أيضاً إلا بما ذكرناه ، دون المال الذي قد يحصل للكامل والناقص ، فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنه لم يرث إلا المال ، فأما إذا قيل : ورث المال والملك معاً ، فهذا لا يبطل بالوجه التي ذكرناها ، بل بظاهر قوله عليه السلام : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » (١) ، انتهى كلامه .

أقول :

أولاً : إن إقراره بأن الإرث يشمل الوراثه للمقامات المعنويه والأموار الماديه هو الصحيح ، لكن ما تشبث به من تخصيص عموم الآيه في غير المال ، قد مرت الإشارة أن هذا المقطع من الحديث النبوي ليس مفاده نفى الإرث بين الأنبياء وذريتهم ، بل نفى حرص الأنبياء على الجمع لتكون إراثاً لذريتهم ، وهو غير ما زعمه أهل سنه الخلافه ، تبعاً لزعم أبي بكر .

ثانياً : إن ما ذكره من « أن إرث المال له شرائط وموانع » ، فكذلك إرث النبوه ، وعلومها ، من المقامات المعنويه ، فلها شرائط وموانع أيضاً ، كما سيأتى بيان ذلك مفصلاً ، من دون أن يستلزم ذلك امتناع صدق حقيقه الوراثه في مورد النبوه

ص: ٥٧

وعلمها من المقامات المعنويه ، وعليه فإنّ ظاهره الوراثة كحقيقه قرآنيه عامه شامله لكلّ من وراثه المال ، ووراثه المقامات الغيبية ، أى لكلّ من الوراثة التشريعيه والتكوينيّه .

٣ - وقال القرطبيّ في « الجامع لأحكام القرآن » في ذيل قوله تعالى : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا .

قال : فللعلماء فيه ثلاثه أجوبه . قيل : هي وراثه النبوه ، وقيل : هي وراثه حكمه ، وقيل : هي وراثه مال .

فأمّا قولهم هي وراثه نبوه ، فمحال ، ولو كانت تورث لقال قائل : الناس ينتسبون إلى نوح عليه السلام ، وهو نبى مرسل .

ووراثه العلم والحكمه مذهب حسن ، وفي الحديث « العلماء ورثه الأنبياء » .

وأما وراثه المال فلا يمتنع ، وإن كان قوم قد أنكروه لقول النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا نورث ما تركناه صدقه » ، فهذا لا حجّه فيه ؛ لأنّ الواحد يخبر عن نفسه بأخبار الجمع ، وقد يؤوّل هذا بمعنى : لا نورث الذى تركناه صدقه ؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يخلف شيئاً يورث عنه؛ وإنما كان الذى أباحه الله عزّ وجلّ إياه فى حياته بقوله تبارك اسمه :

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ لِأَنَّ مَعْنَى « لِلَّهِ » لِسَبِيلِ اللَّهِ ، وَمَنْ سَبِيلَ اللَّهِ مَا يَكُونُ فِي مَصْلَحَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا دَامَ حَيًّا؛ فَإِنْ قِيلَ : فَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ « إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ مَا تَرَكَاهُ صَدَقَهُ » فَفِيهِ التَّأْوِيلَانِ جَمِيعًا ، أَنْ يَكُونَ « مَا » بِمَعْنَى الَّذِي ، وَالْآخِرُ لَا يُورِثُ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالَهُ .

وقال أبو عمر : « واختلف العلماء فى تأويل قوله عليه السلام : « لا نورث ما تركناه صدقه » على قولين : أحدهما - وهو الأكثر وعليه الجمهور - أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يورث وما ترك صدقه . والآخر أنّ نبينا عليه الصلاه والسلام لم يورث ؛ لأنّ الله تعالى خصّه بأن جعل ماله كلّ صدقه ، زياده فى فضيلته ، كما خصّ فى النكاح بأشياء ، أباحها له وحرّمها

على غيره؛ و هذا القول قاله بعض أهل البصره ، منهم ابن عُلَيْه ، وسائر علماء المسلمين على القول الأول .

انتهى كلامه (١).

أقول : وفي كلامه مواقع للنظر :

الأول : دعواه استحاله الوراثه فى النبوه وعلومها ، ومقاماتها المعنويه ، واستدل على دعواه بأن الناس سواسيه فى الانتساب إلى نوح عليه السلام ، وهو نبى مرسل ، فلم يصبحوا كلهم أنبياء مرسلين .

ففيه : أنه لم يذهب أحد إلى أن مجرد النسبه هى السبب المنفرد فى وراثه علوم ومقامات النبوه ، بل لا يدعى ذلك حتى فى وراثه المال ، إذ للوراثه شرائط ، وعدّه موانع ، كما سيأتى بيان ذلك مفصلاً

هذا مضافاً إلى أن الناس ينتسبون بمقتضى قوله تعالى : ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٢) ، هو عدم انتساب جميع الناس إلى نوح عليه السلام ، وإنما ينتسبون إلى من حمل مع نوح ، لا أنه كلهم ذرئته .

الثانى : قد أقر القرطبى بأن الوراثه فى قوله تعالى : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ لا- يمتنع شمولها لوراثه المال ، وهو يناقض دعوى أبى بكر من نفى الإرث بين الأنبياء وذريتهم ، وكذلك التناقض واضح بين ما ذهب إليه جمهور علماء سنّه الخلافه وبين دعوى أبى بكر ، حيث إنهم ذهبوا إلى أن معنى الحديث النبوى

« نحن معاشر الأنبياء لا- نورث » ليس لنفى الوراثه بين الأنبياء وذريتهم ، بل على أن معناه أن الأنبياء لا يبقوا مالا أصلاً كى يورث ، وأنهم يتصدقوا بما عندهم قبل أن ينتقل إلى الوراث ، لسدّ طريق انتقاله إلى وارثه .

ص: ٥٩

١- (١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ٦ : ٨٢ .

٢- (٢) الإسراء : ٣ .

ومن المعلوم أنّ هذا خلاف دعوى أبى بكر ، من نفى أصل الوراثه بين الأنبياء وأبنائهم .

مع أنّ ذيل الحديث وهو « ما تركناه صدقه » مكذوب على النبىّ صلى الله عليه وآله ، لم يروه برغم روايته إلّا أبو بكر ، مع أنّه مناقض بنحو المباينه لنصّ القرآن الكريم فى الآيتين بوراثه يحيى لزرّكيا ، وسليمان لداود ، فلا يُعبأ به وي طرح ، لأنّه مناقض للكتاب .

بل إنّ أبا بكر قد ناقض نفسه حين منع فاطمه عليها السلام فدكاً وترك سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وبغلته ، وعمامته ، والثبرده ، والقضيب ، وجمله من مختصّاته فى يد أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل النحله ، بغير بيّنه ظهرت ولا شهاده قامت ، بينما انتزع فدكاً وهى نحله رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمه عليها السلام ، وقد شهد أمير المؤمنين عليه السلام والحسان وغيرهم بنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فدكاً لها ، ولم يرفع أبو بكر إلى ذلك كلّه .

ومن ثمّ التجأ جمهور أهل سنيّته الخلافه إلى تفسير الحديث على غير ما ادّعاه أبو بكر ، كى لا يناقض أو يباين النصّ القرآنى ، واضطّروا إلى ذكر تأويلات اخرى بعد أن تأكّدت هذه المناقضه والمباينه لصريح القرآن ، فمن تلك التأويلات :

دعوى أنّ المراد بقوله صلى الله عليه وآله :

« نحن معاشر الأنبياء لا نورث » هو خصوص سيّد الأنبياء محمّد صلى الله عليه وآله ، والتعبير بالجمع للتفخيم ، وهذا التأويل كما ترى مخالف لظاهر الحديث ، لا سيّما التعبير بكلمه (معاشر) .

ومن هذه التأويلات أيضاً : دعوى أنّ الذى كان بيد رسول الله صلى الله عليه وآله من فدك وغيرها إنّما هو من سهم سبيل الله وليس ملكاً للنبىّ صلى الله عليه وآله ولا تركه له ، وعليه فلا تكون تركه يُبقيها لورثته ، فهو يُصرف فى مصلحه رسول الله صلى الله عليه وآله ما دام حيّاً .

ولا يخفى فساد هذا التأويل ، فإنّه خلاف مفاد آيه الخمس ، والفاء ، والأنفال ، فى قوله تعالى : **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى**

وقوله : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى . . .

وقوله تعالى : يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، حيث إنه قد كُتِرَت اللام الداخلة على لفظ الجلالة وعلى لفظ الرسول ، مما يدل على تعدد السهم والملكيه .

ومن الأمور التي اعتمدها في دعم روايه أبي بكر : هو أن المسلمين تركوا النكير على أبي بكر . وهذا دليل على صواب منع الإرث من قبل أبي بكر .

فأجاب الشريف المرتضى قدس سره : « بأن في ترك المسلمين أيضاً النكير على فاطمه عليها السلام دليلاً على صواب طلبها .

وأدنى ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت ، وتذكيرها ما نسيت ، وصرفها عن الخطأ ، ورفع خطرهما عن البذاء ، و أن تقول هجراً ، أو تجور عادلاً ، أو تقطع أصلاً ، فإذا لم تجددهم أنكروا على الخصمين جميعاً فقد تكافأت الأمور ، واستوت الأسباب ، والرجوع إلى أصل حكم الله في الموارث أولى بنا وبكم ، وأوجب علينا وعليكم» (١) .

الثالث : إن تفسيره لما كان بيد النبي صلى الله عليه وآله من كونه من سهم سبيل الله تعالى ، خلاف ما عليه جمهورهم ، كما ستأتي الإشارة إليه ، من تغاير سهم النبي صلى الله عليه وآله مع سهم سبيل الله ، فضلاً عن سهم ذوى القربى .

كما أن حصر القرطبي ما كان للنبي صلى الله عليه وآله بالخمس فقط ، هو خلاف آية الفء والأنفال ، مضافاً إلى أن هناك أسباباً أخرى للملك له صلى الله عليه وآله ، كالهبة ، وغيرها ، كما في مشربه أم إبراهيم ، والحوادث السبعة التي أهداها اليهودي للنبي صلى الله عليه وآله بعد أن أسلم ، وغيرها .

ص: ٦١

فقد ذكر ابن حجر في «فتح الباري» من كتاب فرض الخمس قال: «وروى عمر بن شُبَّه من طريق أبي عون عن الزهري قال: كانت صدقه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أموالاً - لمُخِيرِق - بالمعجمه والقاف مصغّر - ، وكان يهودياً من بقايا بني القينقاع ، نازلاً ببني النضير ، فشهد أحداً قُتِلَ به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مُخِيرِق سابق يهود ، وأوصى مخيريق بأمواله للنبي صلى الله عليه وسلم .»

ومن طريق الواقدي بسنده عن عبد الله بن كعب قال : « قال مخيريق : إن أُصِبْتُ فأموالي لمحمد صلى الله عليه وسلم ، يضعها حيث أراه الله .»

أقول : قال ابن شُبَّه بعد أن نقل ذلك : « وأسماء أموال مُخِيرِق التي صارت للنبي صلى الله عليه وسلم : (الدلال) و (البرقه) و (العواف) و (الصافيه) و (الميثب) و (الحسنى) و (مشربه أم إبراهيم) «(١) .

وقد حكى عن الواقدي أنّ هذه الحوائط السبعة من أموال بني النضير(٢) .

٤ - قال ابن الجوزي في كتابه « زاد المسير » ، ذيل قوله تعالى : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ : « إنّه لا يجوز أن يتأسف نبي الله على مصير ماله بعد موته ، إذا وصل إلى ورثته المستحق له شرعاً »(٣) .

وحكى ابن أبي الحديد عن كتاب « المغنى » للقاضي عبد الجبار ، أيضاً في قوله :

وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ : « إنّ المراد العلم والحكمه ، لأنّه لا يرث أموال يعقوب في الحقيقة ، وإنّما يرث ذلك غيره »(٤) .

ص: ٦٢

١- (١) تاريخ المدينة المنورة لابن شُبَّه : ١ : ١٧٣ ، باب ما جاء في أموال النبي صلى الله عليه وسلم وصدقاته ونفقاته بالمدينة .

٢- (٢) المصدر المتقدم : ١ : ١٧٥ .

٣- (٣) زاد المسير لابن الجوزي : ٥ : ١٤٧ .

٤- (٤) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد : ١٦ : ٢٣٩ .

وقد لخص ابن الجوزي الأقوال التي وردت في تفسير الميراث هذا :

أحدها : يرثني مالي ، ويرث من آل يعقوب النبوه ، رواه عكرمه عن ابن عباس ، وبه قال أبو صالح .

الثاني : يرثني العلم ، ويرث من آل يعقوب المُلْك ، فأجابه الله إلى وراثته العلم دون الملك ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً .

الثالث : يرثني نبوتى وعلمى ، ويرث من آل يعقوب النبوه أيضاً ، قاله الحسن .

الرابع : يرثني النبوه ، ويرث من آل يعقوب الأخلاق ، قاله عطاء(١) .

أقول : قد أجاب الشريف المرتضى عن ذلك بقوله : « أنه خاف من بنى عمه ، لأن الموالى هاهنا هم بنو العم بلا شبهه ، وإنما خافهم أن يرثوا ماله فينفقوه في الفساد ، لأنه كان يعرف ذلك من خلائقهم وطرائقهم ... »

وأيضاً فإنه تعالى خبر عن نبيه أنه اشترط في وارثه أن يكون رضيعاً ، ومتى لم يُحمل الميراث في الآيه على المال دون العلم والنبوه ، لم يكن للاشتراط معنى . . . ، ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون العلم والنبوه ، لأنه عليه السلام كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً ليس أهلاً للنبوه ، وأن يورث علمه وحكمه من ليس أهلاً لهما ، ولأنه إنما بُعث لإذاعه العلم ونشره في الناس ، فلا يجوز أن يخاف من الأمر الذي هو الغرض في البعثه

وليس من الضنّ (البخل) أن يأسى على بنى عمه - وهم من أهل الفساد - أن يظفروا بماله فينفقوه على المعاصى ، ويصرفوه في غير وجوهه المحبوه ، بل ذلك غايه الحكمة وحسن التدبير في الدين ، لأنّ الدين يحظر تقويه الفسّاق ، وإمدادهم بما يعينهم على طرائقهم المذمومه « (٢) .

ص: ٦٣

١- (١) زاد المسير لابن الجوزي : ٥ : ٢٠٩ .

٢- (٢) الشافى للسيد المرتضى : ٤ : ٦٣ .

توزّط أهل السنّة في موارد استثنواها من عدم وراثته النبيّ صلى الله عليه وآله

ومن التدافعات التي وقع أهل السنّة في حرج توجيهها ، والتوفيق بينها وبين مقاله أبي بكر المزعومه ، من عدم جريان قانون الوراثة في ترّكات الأنبياء :

منها : ما قاله القاضي عبد الجبار في « المغنى » : « فأما حُجْرُ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنّما تركت في أيديهنّ لأنّها كانت لهنّ ، ونصّ الكتاب يشهد بذلك ، وقوله :

وَقَوْلَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ (١) وروى في الأخبار أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قسم ما كان له من الحُجْر على نسائه وبناته «(٢)» .

ومنها : مختصّات أدوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كسيفه ، وبغلته ، وعمامته ، وبُردته ، وخاتمه ، وغيرها ممّا كانت في يد أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل النُحْل .

ص: ٦٤

١- (١) الأحزاب : ٣٣ .

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد : ١٦ : ٢٧٠ .

١ - قال الشيخ المفيد قدس سره : « فصل : مع أن للشيعة أن يقولوا : إن الرباع ليست ممّا تركها الأزواج لجميع الورثه ، وإنما قضى عموم القرآن لاستحقاق الزوجه الربع من تركات الأزواج ، والثمن ، على ما بينه الله عزّ وجلّ ، وإذا لم يثبت من جهه الإجماع ولا دليل قاطع للعدر أن التربه والرباع من تركات الأزواج للزوجات ، بطل التعلّق بالعموم فى هذا الباب .

فصل : على أنك أيها الشيخ قد خصصت - وأئمتك من قبلك - عموم هذه الآيه ، بل رفعتم حكمها فى أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله و آله و حرمتموهنّ من استحقاق بركات ميراثه جملة ، و حرمتموهنّ شيئاً منها بخبر واحد ، ينقضه القرآن . وهو ما رواه صاحبكم عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه ، فردّ على الله قوله : وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (١) .

وقوله : فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٢) .

وخصّص عموم قوله تعالى : لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٣) .

ص: ٦٥

١- (١) النمل : ١٦ .

٢- (٢) مريم : ٥ و ٦ .

٣- (٣) النساء : ٧ .

وقوله تعالى: **وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ (١)**. وقصد بذلك منع سيده نساء العالمين عليها السلام ميراثها من أبيها صلى الله عليه وآله ، مع ما بيناه من إيجاب عموم القرآن ذلك ، وظاهر قوله تعالى: **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ (٢)** ، وجعل هذه الصديقه الطاهره عليها السلام فى معنى القاتله الممنوعه من ميراث والدها لجرمها ، والذميه الممنوعه من الميراث لكفرها ، والمملوكه المسترقه الممنوعه من الميراث لرقها ، فأعظم الفريه على الله عز وجل ، ورد كتابه ، ولم تقشعر لذلك جلودكم ، ولا أبته نفوسكم .

فلما ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه وآله من جهه عترته الصادقين الأبرار ، بمنع الزوجات ملك الرباع ، وتعويضهن من ذلك قيمه الطوب ، والآلات ، والبناء ، جعلتم ذلك خلافاً للقرآن ، وخروجاً عن الإسلام ، جراه على الله ، وعناداً لأولياته عليهم السلام ، هذا مع أننا قد بينا أنه يجب عليكم إثبات الرباع فى التركات المعروفات للأزواج ، حتى يصح احتجاجكم بالعموم ، فأنى لكم بذلك ، ولن تقدروا عليه إلا بالدعاوى المعزاه من البرهان (٣) .

٢ - قال السيد المرتضى قدس سره : « والذى يدل على أن المراد المذكور فى الآيه ميراث المال ، دون العلم والنبوه ، على ما يقولون ، أن لفظه الميراث فى اللغه والشريعه جميعاً لا- يُعهد إطلاقها إلماعلى ما يحق أن ينتقل على الحقيقه من الموروث إلى الوارث ، كالأموال ، وما فى معناها ، ولا يستعمل فى غير المال إلا تجوزاً واتساعاً ، ولهذا لا يفهم من قول القائل لا وارث لفلان إلا فلان ، وفلان يرث مع فلان ، بالظاهر والإطلاق إلاميراث الأموال والأعراض ، دون العلوم وغيرها ،

ص: ٦٦

١- (١) النساء : ١٢ .

٢- (٢) النساء : ١١ .

٣- (٣) المسائل الصاغانيه للشيخ المفيد : ٩٩ .

وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مجازه بغير دلاله .

إلى أن قال - فى معرض الحديث عن وراثه العلم والنبؤه - : لا يخلو هذا العلم الذى أشرت إلى من أين يكون هو كتب علمه وصحف حكمته - فى قول زكريا عليه السلام يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ - لأن ذلك قد يُسَمَّى علماً على طريق المجاز ، أو أن يكون هو العلم الذى يحلّ القلوب ، فإن كان الأول فهو يرجع إلى معنى المال ، ويصحح أنّ الأنبياء عليهم السلام يورثون أموالهم ، وما فى معناها .

وإن كان هذا الثانى لم يخل هذا العلم من أن يكون هو العلم الذى بُعث النبى صلى الله عليه وآله بنشره وأدائه ، أو أن يكون علماً مخصوصاً لا يتعلّق بالشريعه ، ولا يجب إطلاع جميع الأممه عليه ، كعلم العواقب ، وما يجرى فى المستقبل من الأوقات .

والقسم الأول لا- يجوز على النبى أن يخاف من وصوله إلى بنى عمه ، وهم من جمله أمته ، الذين بعث إلى أن يطلعهم على ذلك ، ويؤدّيه إليهم ، وكأنه على هذا الوجه يخاف ممّا هو الغرض فى بعثته ، والقسم الثانى فاسد؛ لأن هذا العلم المخصوص إنّما يستفاد من جهته ، ويوقف عليه بإطلاعه وإعلامه ، وليس هو ممّا يجب نشره فى جميع الناس ، فقد كان يجب إذا خاف من إلقائه إلى بعض الناس فساداً ، أن لا يلقيه إليه ، فإن ذلك فى يده ، ولا يحتاج إلى أكثر من ذلك «(1)» .

وذكر السيد المرتضى أيضاً مثله فى ذيل قوله تعالى : وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ .

٣ - قال الشيخ الطوسى رضى الله عنه : « إن لفظه الميراث المذكور - ذيل آيه يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ - فى اللغه والشريعه جميعاً لا يفيد إطلاقهما إلأعلى ما يجوز أن ينتقل على الحقيقه من الموروث إلى الوارث ، كالأموال ، وما فى معناها ،

ص: ٦٧

ولا يستعمل في غير المال إلتجوزاً واتساعاً ، ولهذا لا يفهم من قول القائل :

(لا وارث لفلان) و (فلان يرث مع فلان) بالظاهر والإطلاق ، إلميراث الأموال والأعراض ، دون العلوم وغيرها .

وليس لنا أن نعدل عن ظاهر الكلام وحقيقته إلى مجازه بغير دلالة «(١)» .

ثم ذكر قريته اشتراط أن يكون رضىً بكون الميراث هو المال ، كما مرّ سابقاً .

وقال في ذيل قوله تعالى : وَ وَرَثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ : « إِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُرِيدَ بِالظَّاهِرِ مِيرَاثَ الْمَالِ ، وَبِهَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْاِسْتِدْلَالِ : العلم ، ولا تنافى بينهما .

وليست إذا دلت الدلالة على معنى يجب قصره عليه ، إلما إذا لم يكن حمله مع ذلك على الحقيقه ، على أنه لا- يمتنع أن يريد ميراث المال خاصه ، ويكون قوله :

عُلْمُنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ءِ إِشَارَهُ بِذِكْرِ الْفَضْلِ الْمُبِينِ إِلَى الْعِلْمِ وَالْمَالِ جَمِيعاً ، فله بالأمرين جميعاً فضلاً على من لم يكن عليهما ، وقوله :

وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ءِ يَحْتَمِلُ الْمَالُ كَمَا يَحْتَمِلُ الْعِلْمُ «(٢)» .

ص: ٦٨

١- (١) تلخيص الشافى للطوسى : ٣ : ١٣٣ .

٢- (٢) تلخيص الشافى للطوسى : ٣ : ١٣٣ .

إقرار جمهور السنه بالوراثه الاصطفائيه :

إن جمهور أهل سنه الخلافه قد أقرّوا بأنّ قاعده الوراثة في الأنبياء بحسب نصوص الآيات يرثني و يرث من آل يعقوب وقوله تعالى : وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ هـمَا فِي مَوْرِدِ إِرْثِ النَّبُوّه ، وَعِلْمِ النَّبُوّه ، وَمَقَامَاتِهَا كَمَنَاصِبِ إلهيه ، كَمَا مَرَّ اسْتِعْرَاضَ نَبْذِهِ مِنْ كَلِمَاتِهِمْ .

وعلى ضوء ذلك ، فقاعده الإرث في قربي الأنبياء تقتضى إرث الوارث من قربي النبي ، مع توفر الشرائط في الوارث لمقامات ومناصب النبوه الإلهيه .

وقد أراد أهل سنه الخلافه نفي شمول قاعده الإرث للأنبياء من جهة شخصيتهم الحقيقيه في أموالهم الشخصيه ، ولكنهم أثبتوا الإرث في الأنبياء في شخصيتهم الحقيقه والاعتباريه ، أى فيما ثبت للأنبياء من جهة منصب النبوه لا من الجاه العامه البشريه ، والتي هي في الأموال التي له في الشأن الخاص ، وإنما اضطروا لهذا الإقرار ، لأنهم لو نفوا الوراثة مطلقاً في كلا الجانبين لوقعوا في دعوى النسخ ، بل التكذيب ، والإنكار لصريح القرآن بإرث سليمان لداود ، وإرث يحيى لزكريا ، فهم ملجأون إلى الإقرار بالإرث في أحد الجانبين ، ولم يتفطنوا إلى أنّ ما أثبتوه وأقرّوا به أعظم شأناً وأخطر على معتقدتهم ممّا قد نفوه ، وذلك لأنّ حقيقه مطالبه الزهراء عليها السلام في الإرث لم تكن في الجانب الشخصى الحقيقى ، والجانب البشرى العادى ، في النبي صلى الله عليه وآله ، بل كانت حقيقه مطالبتها كما أشرنا إليه في نقطه سابقه

- وستأتى - هو فى إرث مقام ولايه النبى صلى الله عليه و آله على الأموال ، الذى له فى شأن ولايته ومنصبه النبوى ، وهو من مقامات مناصب النبوه الإلهيه .

مع أنهم فى نفيهم الإرث فى جانب الشخصيه الحقيقيه قد وقعوا فى تناقض ، مع ممارسه سلطه الخلافه فى إعطاء بيوت النبى صلى الله عليه و آله وحجراته لأزواجه ، وهو عباره اخرى عن الإرث فى الجانب الشخصى ، مع أنه غير ثابت للأزواج إرث العرصه .

فهم وقعوا بين محذورين لتبرير موقف السلطه فى اغتصاب فذك ، وحقوق الزهراء عليها السلام .

فهم إميا أن ينفوا الوراثه فى الأموال التى له فى الشأن الشخصى ، والأموال التى فى شؤون ولايته العامه ، ويشبثوها فى المقامات الرسميه الإلهيه للنبى ، وهذا أشد عليهم مما فروا منه .

وإميا أن يثبتوا الوراثه فى الجانب الشخصى البشرى للنبى ، ويلزمهم على ذلك الإنكار على ممارسه سلطه الخلافه فيما ارتكبه فى حق الزهراء عليها السلام أيضاً .

والغريب كما قال الشهيد الثالث فى « إحقاق الحق » : « إنهم إذا سمعوا استدلال الإماميه بأنه ينبغى أن تكون الخلافه لعلى عليه السلام ، بأن لا يخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه و آله من داره وقر بيته ، قالوا : هذه سنه هرقلية لا تجتمع النبوه والإمامه فى بيت واحد ، وهاهنا يثبتون مذهبهم الهرقلية و يقولون : إن النبى يتولد منه النبى ، ويرث منه النبوه » (١) .

مطالبه الزهراء عليها السلام بإرث الاصطفاء :

أقول : إن الإماميه إذا استدلت على إثبات الخلافه بقاعده الوراثه ، كما قد روى فى احتجاج على عليه السلام على أصحاب السقيفه ، بعين هذا البيان وبعنوان القربى ،

ص: ٧٠

أى وراثته القربى ، اعترض عليهم العامه بأن إجراء قاعده الوراثة هي سُنَّه القياصره ، وهرقل الروم ، من الوراثة النسييه ، مع أنّ أهل سنّه الخلافه يصرّحون ويؤكّدون ويشدّدون على أنّ معنى الإرث في وراثته سليمان داود ووراثته يحيى لذكرياً هي وراثته في المناصب الإلهيه الشرعيه ، وأنّ هذه سنّه إلهيه قرآنيه أصيله ، فكلامهم متدافع متهافت .

بل الأمر الأخطر في ذلك أنّهم ينبذون كتاب الله في هذه السنّه الإلهيه في بيوتات الأنبياء ، مع أنّهم قد أقرّوا بها .

ولم يؤدّ بهم إلى هذا التدافع إلّما تخيلهم خطأ أنّ احتجاج الزهراء عليها السلام قائم على إرث المال ، دون إرث الاصطفاء ، والحال مبتنٍ على إرث الاصطفاء أكثر من ابتناؤه على إرث المال ، بينما نرى موقفهم في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر وبطانته معاكس لموقفهم الأوّل ، وأنّ قاعده الإرث لا تعمّ المناصب الإلهيه والشرعيه ، وأنّ القول بالوراثة في الخلافه في بيوت الأنبياء سُنَّه كسرويه هرقليه ، وهذا تشنيع على السنّه الإلهيه القرآنيه ، وهي وراثته الاصطفاء ، وعدم التمييز بين السنّه الملوكيه القبليه في الوراثة ، وبين السنّه الإلهيه القرآنيه في وراثته الاصطفاء ، كما سيأتي شرحها مفصّلاً في الآيات الكريمه ، لا سيّما قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) .

احتجاجها عليها السلام في الوراثة عقائدي لا فقهي :

والغريب من أصحابنا في تفسيرهم لاحتجاج الزهراء عليها السلام أنّهم ضيقوا دائره الاحتجاج على نطاق إرث المال ، وهذا هبوط عن مستوى علوّ الحجّه ، التي أبانت

ص: ٧١

عنها الصديقه الزهراء عليها السلام . فإنّ مقام وراثه الاصطفاء أرفع شأنًا ، وأعظم قدرًا من درجه إرث المال ونحوها ، فإنّها عليها السلام وأصحاب الكساء عليهم السلام أهل آيه التطهير من أهل البيت إذا ورثوا مناصب النبي صلى الله عليه وآله فالحجّه على أبي بكر وأصحاب السقيفه أتمّ وأبلغ .

فالتفسير السائد بين علماء المدرستين لم يرق إلى معالي تلك الحقيقه ، التي احتجّت بها الصديقه الطاهره عليها السلام .

فإنّ السرّ الذي كشفت عنه عليها السلام في الحجّه ، والبيئه الإلهيه التي أنارتها في عقول الأئمّه ، هي إيقاظهم وإرشادهم إلى قاعده الوراثة الاصطفائيه ، وأنّ عموم قاعده الوراثة شامل لكلّ من الاصطفاء والمال ونحوهما ، بينما ترى الأصحاب في تفسير احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافه والإمامه التي هي من المناصب الإلهيه قد فسروه بوراثه القربى ، إلما أنّهم لم يتوسّعوا في بلوره القاعده ، وأنّها من أمّ الحجج والبيّنات الإلهيه القرآنيه ، ولم يخوضوا في شرائط الوراثة الاصطفائيه بنحو مركز ، وإن بحثوا ذلك بشكل منتشر في موارد متباعده ، فما فسره الأصحاب في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام من معنى عالٍ راق ، قد غفلوا عنه في تفسير احتجاج الزهراء عليها السلام ، مع أنّ الاحتجاجين من باب واحد .

ومن ثمّ يتبيّن أنّ مطالبتها كانت للوراثة الاصطفائيه في الولايه العامه على الأئمّه .

التباس في دور القرابه في الوراثة الاصطفائيه :

هناك مسار يخطئ إصابه الحقيقه في قاعده وراثه الأنبياء ، القاعده الاعتقاديّه المعروفه ، ويرى أصحاب هذا المسار أنّ وراثه الأنبياء تختصّ بوراثتهم الأموال دون وراثه المناصب والمقامات المعنويّه ، فيقتصرون عند البحث عن وراثه الزهراء عليها السلام باعتبارها أقرب أقرباء النبي أو هي الوارث الوحيد للنبي صلى الله عليه وآله ، فهي ترثه في الجانب المادى ، أى ترث شخصيته البشريّه ، وهو ما يعرف في القانون المدنى ب

« الشخصية الحقيقية » .

بينما الأهم في ذلك - في بحث الوراثة - هو وراثته الجانب المعنوي والحقوقى لشخص النبي صلى الله عليه وآله ، أى أنها تراث مناصب النبي صلى الله عليه وآله أو مقاماته ، وأنه كيف تكون القربى موضوعاً وسبباً للوراثة في هذا الجانب ، أى المناصب الرسمية في السنّة الإلهية .

فقاعده الوراثة أعظم شأناً من أن تختصّ بالأموال وتقتصر على الشؤون التى تتعلق بالجانب الشخصى المالى ، بل هى شامله لبعده آخر أهم ، وهو شمولها للشؤون الحقوقية والمقامات والمناصب الإلهية ، وأن القرابه وسببيه الوراثة تقتضى نقل البعد الثانى إلى الذريه ، إذا توفرت الشروط فى الذريه .

وسياتى فى ذيل البحث عن هذه القاعده - قاعده وراثه الأنبياء - أن احتجاج الصديقه الزهراء عليها السلام بقاعده الوراثة وآياتها فى مورد فدك ، هو لكون فدك والحوائط السبعه هى من أموال الولاية المختصه بالنبي صلى الله عليه وآله لا على نحو الملك المعتاد للأشياء .

فالتخاصم فيها تخصم فى الولاية المختصه بأهل البيت عليهم السلام ، أى فى جانب الشخصيه الحقوقية للنبي صلى الله عليه وآله و آله ، وهى مختصه بهم عليهم السلام ، لا فى الجانب الشخصى العادى له صلى الله عليه وآله .

ص: ٧٣

إشارة

ويدلّ على هذه القاعده الاعتقاديّه - كسُنّته إلهيّه فى بيوت الأنبياء والأصفياء ، من وراثته ذريّتهم لمقاماتهم الغيبيّه ، ومناصبهم الولائيّه - طوائف من الآيات الكريمه ، والروايات النبويّه الشريفه .

أمّا الآيات الدالّه على ذلك ، فهي :

الآيه الأولى

إشارة

قوله تعالى : النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (١).

فإنّ صدر الآيه هو لبيان ولايه النبيّ صلى الله عليه وآله العامّه على المؤمنين ، بل قد قُربت هذه الولايه بالولايه المتميزه ، الفائقه على الولايه العامّه ، حيث إنّها ظاهره فى نفوذ ولايته حتّى فى الشؤون الشخصيه للمؤمنين ، لا فى مجرد شؤونهم العامّه فقط ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى فى قصه تزويج زينب بنت جحش وما كان للمؤمنين ولا مؤمنه إذا قضى الله ورَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٢).

ص: ٧٤

١- (١) الأحزاب : ٦ .

٢- (٢) الأحزاب : ٣٦ .

وهي في نفس سورة الأحزاب ، حيث كانت زينب بنت جحش ، وهي ابنة عمه الرسول صلى الله عليه وآله ، وأخوها عبد الله بن جحش قد أبيا نكاحها من زيد بن حارثة ، ومن المعلوم أن النكاح من الشؤون والأحوال الشخصية .

ثم بعد ذلك تتعرض الآية إلى تكريم أزواج النبي صلى الله عليه وآله ، لشرف علقتهم السبب به صلى الله عليه وآله ، وأن هذه العلقه السبب أوجبت نحو تكريم لهم ، نعم في الآيات اللاحقه تشتت لهذا الاحترام و هذا التكريم شروطاً وتعلقه على التقوى ، كما يشير إليه قوله تعالى : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقين (١) .

ثم تردف الآية بجملة و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين ، ومقتضى عموم مفاد أولويه الرحم ، أي أن الرحم يلي رحمه ، فيرثه فيما كان له ، ومقتضى عموم هذا المعنى وإردافه لجملة النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم هو وراثه الأقرب رحماً للنبي صلى الله عليه وآله ، لما كان للنبي صلى الله عليه وآله من مقام الولايه العامه على المؤمنين ، والأقرب له صلى الله عليه وآله هم أصحاب الكساء بحسب الترتيب .

ويعضد وراثه قرباه صلى الله عليه وآله له في الولايه العامه ، نفى ذلك عن سائر المؤمنين والمهاجرين ، فلا تكون صحابته من عامه المؤمنين والمهاجرين خلفاء له صلى الله عليه وآله في سلطته العامه ، وقد بينه تعالى بالإخبار عن عنوان و أولوا الأرحام أنهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ، أي أن أولى الأرحام مقدمون على المؤمنين والمهاجرين .

ودعوى أن الجار والمجرور في من المؤمنين والمهاجرين متعلق بالظرف المستقر للأرحام ، فتكون العبارة حينئذ (و أولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض) فتكون « من » بيانيه للأرحام ، فيكون المراد من الأرحام

ص: ٧٥

ليس خصوص قربي النبي صلى الله عليه وآله ، وإنما لبيان عموم قاعده الوراثه فى تمام الآيه .

لكن هذا المعنى خلاف الظاهر جداً ، وخلاف القواعد الأدبيّه ، و ذلك :

أولاً: إنّ العامل الأقرب وهو « أولى ببعض » أحقّ بالعمل فى الجار والمجور من العامل الأبعد الذى قبله ، لاسيّما وأنّ أفعل التفضيل اشتهر فى استعمالها فى مقام المفاضله والمقابله بإتيان « من » فى متعلّقها ومدخولها .

ثانياً: إنّ هذه الآيه وأمثالها من آيات وأولويه الأرحام بعضهم ببعض جعلت ناسخه لولايه المهاجرين بعضهم ببعض فى مورد التوارث (١) ، والمؤمنين بعضهم ببعض (٢) ، فعلى النسخ تكون « من » للمقابله ، وحينئذ يتعيّن هذا المعنى .

والظريف فى تعبير الآيه أنّها لم تنعت المهاجرين بالإيمان ، وجعلته وصفاً للأنصار وغيرهم ، وجعلت المقابله بين الأرحام أنّهم مقدّمون على هذين الفريقين ، وهما (الفريق المدنى والقرشى) ؛ فكأنّه تلويح بأطراف القوى المتنازعه على القدره بعد النبى صلى الله عليه وآله ، وقد استشهد بهذه الآيه الكريمه رسول الله صلى الله عليه وآله فى يوم الغدير ، عندما أمر المسلمين بالمبايعه لعلى عليه السلام بالولايه .

كما استشهدت بهذه الآيه أيضاً الصديق الزهراء عليها السلام فى محاجتها لأبى بكر .

دلاله الآيه على عموم الوراثه فى مناصب الاصطفاء :

إنّ الآيه الكريمه فى صدد بيان أنّ الولايه السياسيّه هى للنبي صلى الله عليه وآله ، ونفوذ سلطته على سلطه كل مؤمن حتّى على نفسه ، سواء كان ذلك فى الشؤون الفرديه أو

ص: ٧٦

- ١- (١) وهو قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا) الأنفال : ٧٢ .
- ٢- (٢) وهو قوله تعالى : (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) التوبه : ٧١ .

الشخصيّه ، فضلاً عن الشأن العامّ .

فتكون فيها دلالة على أنّ قاعده أولويه أولى الأرحام بعضهم ببعض ، ووراثه الأرحام بعضهم لبعض ، عامّه وشامله لوراثه التّركه المعنويه ، من المناصب ، والصلاحيات العامّه ، السياسيّه ، والدينيّه . . . الخ ، وهذا العموم يتّفق مع الأدلّه الأخرى المفسّره لنمط هذه الوراثة ، أي أنّها وراثه اصطفايّه للمناصب الإلهيّه اللدنيّه .

ص: ٧٧

ومن ثمَّ يتقرَّر عموم الاستدلال بالآيه الثانيه ، الوارده في أولى الأرحام ، وهي قوله تعالى : **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١)** .

حيث إنَّ هذه الآيه والتي هي أصل في الوراثه عامه ، وغير خاصه في وراثه المال ، ولا- بما كان يمتلكه المورث من الأمور الخاصه ، أو ما يخص شؤون الفرد بشخصيته الحقيقيه ، بل يعم ما كان يمتلكه وما كان يختص به من صلاحيات على الصعيد العام في شخصيته المعنويه .

فهذه الآيه تؤكد على عموم الوراثه في إطارها اللفظي ، ولا- تختص بوراثه المال ، غايه الأمر أن لوراثه الاصطفاء شرائط كما لوراثه الأموال شرائط تتحكم بها ، ولا بد منها ليحصل التوارث ، كذلك الحال في وراثه الأمور المعنويه ، فلا بد فيها من توفر شرائط دلت عليها الآيات الأخرى ، والروايات الوارده في وراثه المناصب الإلهيه .

والتقييد والاشتراط للتركه في الوراثه المائيه لا ينفى أصل الوراثه وطبيعتها ، كذلك الحال في الوراثه المعنويه .

وسياتى في الآيات الأخرى إشارات عديده في دلالتها على عموم وراثه وأولويه أولى الأرحام بعضهم لبعض للشؤون المعنويه .

ص: ٧٨

قوله تعالى: وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١).

وقوله تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٢).

ذهب جُلٌّ مفسري العاصم إلى أن مفاد الآيه في وراثه العلم والنبوه ، من الشؤون والمقامات المعنويه .

وحاصل قولهم : إنَّ قوله : وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ الْمَلِكِ وَالنَّبُوَّةَ ، أَيْ جَعَلْنَاهُ قَائِمًا بَعْدَهُ ، فِيمَا كَانَ يَلِيهِ مِنَ الْمَلِكِ وَتَدْبِيرِ الرِّعَايَا ، وَالحكم بين بنى إسرائيل ، وجعلناه نبيًّا كريمًا كأبيه ، وكما جمع لأبيه الملك والنبوه ، كذلك جمع لولده ذلك من بعده .

كقولهم : « فسأل ربه ولداً صالحاً يأمنه على أمته ، ويرث نبوته وعلمه ، لئلا يضيع الدين ، يرث مقامه من النبوه والملك ، ويرث من آل يعقوب النبوه » (٣).

ص: ٧٩

١- (١) النمل : ١٦ .

٢- (٢) مريم : ١ - ٤ .

٣- (٣) تفسير البغوى : ٣ : ١٨٩ . تفسير الرازى : ١٢ جزء ٢٤ : ١٨٦ . تفسير المراغى : ٦ جزء « ١٦ : ١٣٥ . شرح الترمذى لابن العربى : ٤ جزء ٧ : ١١٢ .

أو قولهم: « فسأل الله تعالى ولداً يكون نبياً من بعده ليسوسهم بنبوته ، فأجيب في ذلك »(١).

مع تصريح كثير منهم أنّ هذا تأويل للفظ .

قال في « فتح الباري » : « حمله أهل العلم بالتأويل على العلم والحكمه ، وكذا قول زكريّا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرْثُنِي »(٢).

بينما ذهب جُلّ مفسّري الخاصّه إلى إرادته إرث المال ، ومنهم من ذهب إلى إرادته الأعم ، والمعنى شامل للثنتين ، وهو المختار كما سنبيّن شواهد في مفاد الآيه .

شواهد قول العامّه من اختصاص الوراثه بالاصطفائيّه :

قد ذكر مفسّرو أهل سنّه الخلافه جمله من الشواهد على ما ذهبوا إليه :

الشاهد الأوّل : لغويه كون مفاد الخبر في الآيه هو إرث المال ، لأنّ الناس يعلمون أنّ الأبناء يرثون من الآباء أموالهم ، ولا يعلمون أنّ كلّ ابن يقوم مقام أبيه في العلم والملك والنبوّه(٣) .

الشاهد الثاني : أنّ تخصيص سليمان دون بقيّه أولاد داود بالإرث يقتضى إرادته خصوص وراثته الاصطفاء ، لأنّ إرث المال قد تحقّق لأولاد داود أيضاً(٤) .

الشاهد الثالث : سياق الآيات ، حيث إنّ لفظ « وَرَثَ » ها هنا قد سبقه بيان

ص: ٨٠

١- (١) تفسير ابن كثير : ٣ : ١١٢ .

٢- (٢) فتح الباري في شرح البخارى : ١٢ : ٦ .

٣- (٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبه : ٢٨٢ .

٤- (٤) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد : ١٦ : ٢٤٤ . وأيضاً معانى القرآن للنحاس : ٥ : ١١٨ . والطبرى في جامع البيان : ١٩ :

١٧٢ ، وزاد المسير لابن الجوزى : ٦ : ٦٠ .

إيتاء العلم منه تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ لَحَقَهُ تَعْلِيمَ مَنْطِقِ الطَّيْرِ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ، والإيتاء من كل شيء ، مما يبين اندراج هذه النعم الاصطفائية في المراد من الإرث (١) .

الشاهد الرابع : استعمال لفظ الإرث في وراثه العلم في جملة من الآيات ، منها قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، وقوله :

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ .

وقوله تعالى : فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي ، وغيرها (٢) .

الشاهد الخامس : أن يحيى قُتل قبل زكريا ، فلو كان المراد إرث المال لبقى بعده ، بمقتضى استجابة الدعاء (٣) .

الشاهد السادس : قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام : مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَهُمْ أَوْلَادُ الْأَنْبِيَاءِ ، أى أن الموروث ليس هو خصوص زكريا ، بل عموم آل يعقوب ، ومن الواضح أن الوارث لكل ذلك ليس هو فى المال ، بل فى العلم والدين ، فمعنى خوفه من الموالى ، من أن يضيعوا العلم والدين (٤) .

الشاهد السابع : قوله تعالى فى سليمان عليه السلام : وَ هَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٥) فهى فى معرض الشاء على سليمان بكثرة الطاعة والإنابة إلى الله عز وجل ، مما يشهد ويدل على قابليته لوراثه النبوه ، وأن الإرث هو إرث

ص: ٨١

١- (١) الصواعق المحرقة ، كما نقل قوله فى الصوارم المهرقة : ١٦٥ ، وأيضاً فى المغنى للقاضى عبد الجبار المعتزلى نقل عنه المرتضى فى الشافى : ٤ : ٥٩ .

٢- (٢) المصدر المتقدم .

٣- (٣) جملة من المصادر المتقدمه .

٤- (٤) الصواعق المحرقة ، بنقل الصوارم المهرقة للتستري : ١٦٥ .

٥- (٥) سورة ص : ٣٠ .

وقد روى ابن أبى حاتم فى سنده عن مكحول ، قال : « لَمَّا وَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَاوُدَ سَلِيمَانَ ، قَالَ لَهُ : يَا بُنَيَّ ، مَا أَحْسَنُ ؟ قَالَ : سَكِينَةُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ .

قال : فما أقبح ؟ قال : كفر بعد إيمان .

قال : فما أحلى ؟ قال : روح الله بين عباده .

قال : فما أبرد ؟ قال : عفو الله عن الناس ، وعفو الناس بعضهم عن بعض .

قال داود عليه السلام : فأنت نبىّ «(١)» .

شواهد قول علماء الإمامية من اختصاص الوراثة بالمال :

وأما الشواهد التى استدلت بها جملة من علماء الإمامية على كون المراد وراثته المال :

فالشاهد الأول : أنّ النبؤه لا تقبل الوراثة ، لعدم قبولها الانتقال ، والعلم الذى يختص به الأنبياء والرسل وهبى من الله ، لا يكتسب بالفكر ، وما يكتسب من الأنبياء من العلم عبر الفكر وإن قبل الانتقال ، وأطلق عليه الإرث بنحو من العناية ؛ لكن النبى لا يرث علمه من نبى آخر (٢) .

ولا يكون وراثته فى الحقيقة بل يكون كسباً جديداً مبتدأ ، إنّما التوريث لا يتحقق إلّا فى المال على سبيل الحقيقة (٣) .

فالنبؤه والعلم ليسا بالإرث ، وإنّما هما من الله تعالى أصاله .

ص: ٨٢

١- (١) تفسير ابن كثير : مجلد ٤ : ٣٤ .

٢- (٢) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائى : ١٥ : ٣٤٩ .

٣- (٣) رساله فى حديث « نحن معاشر الأنبياء » للشيخ المفيد : ٢٥ .

الشاهد الثاني : إنّ الظاهر المتبادر من إطلاق الميراث هو ميراث الأموال والأعراض ، دون العلوم وغيرها ، ولم يُعهد إطلاقها إلّاعلى ما يستحقّ أن ينتقل على الحقيقة ، من المورث إلى الوارث ، فاستعمالها في غير المال تجوّز واتّساع ، لا بدّ له من قرينه وشاهد(١).

الشاهد الثالث : إنّ لو أُريد من الإرث إرث العلم والشرع والنبوّ والمقامات الإلهيّة ، لكان ذلك من الانتقال من محلّ إلى آخر(٢).

أقول : ولعل المراد من هذا الشاهد هو استحاله انتقال العرض من محلّ إلى آخر .

الشاهد الرابع : إنّ النبوّ متوقّفه على ما يعلم الله سبحانه وتعالى من صلاح الخلق ، وما يحدثه الله تعالى ويفعله من تصديق النبيّ لبيان ذلك ، ووقوف العلم على اكتساب العالم له(٣).

والنبوّ تابعه للمصلحة العامّة ، مقدّره لأهلها من أول يومها عند بارئها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولا مدخل للنسب فيها ، كما لا أثر للدعاء والمسأله في اختيار الله تعالى أحداً من عباده نبياً ، والعلم موقوف على من يتعرّض له ويتعلّمه(٤).

الشاهد الخامس : لو كان العلم والنبوّ ممّا يورث ، لوجب أن يكون جميع ولد آدم أنبياء وعلماء ، وكذلك أولاد أولاده ، إلى يوم القيامة ، ولم يكن على وجه الأرض إلّا الأنبياء والعلماء ، إذ الميراث لا يجوز أن يكون لواحد من الورثة دون الآخر ، وأوّل الخلق كان نبياً ، وهو آدم عليه السلام(٥).

ص: ٨٣

١- (١) الشافى للمرتضى : ٤ : ٦٣ .

٢- (٢) زبده البيان للمقدّس الأردبيلي : ٦٥٧ .

٣- (٣) تقريب المعارف لأبى الصلاح الحلبي : ٣٣٩ .

٤- (٤) الغدير للعلّامة الأميني : ٧ : ١٩٢ .

٥- (٥) الصوارم المهرقه للشيخ نور الله التستري : ١٦٦ .

الشاهد السادس : أنه لا اختصاص للعلم والدين بالولد الوارث ، بل هو يشمل جميع الأمم ، فيمكن للولد غير المرضى تضييع ذلك ، وكذا حفظ العلم والدين لا يخصّ الولد ، بل ربّما يحصل ذلك لغيره من المرضيين (١) .

الشاهد السابع : أنّ زكريّا عليه السلام خاف بنى عمّه ، فطلب وارثاً لأجل خوفه ، ولا يليق خوفهم إلبالمال دون العلم والنبوّه ، لأنّه عليه السلام كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً ليس بأهلٍ للنبوّه ، أو أن يورث علمه وحكمه من ليس أهلاً لهما ، بخلاف المال فإنّه يرثه الصالح والطالح .

الشاهد الثامن : إنّه لا يصحّ أن يكون المراد إرث العلم ، و ذلك لأنّ الغرض من علم الشرائع وعلم الدين هو النشر والبثّ في سائر الناس ، حتّى الأشرار منهم ، وبنو عمّ زكريّا عليه السلام من جملة الأمم ، الذين بُعث لإطلاعهم على ذلك ، فكيف يخاف من وصوله إليهم ؟

وأما العلم المخصوص الذى لا يتعلّق بالشريعة ، ولا يجب إطلاع جميع الأمم عليه ، كعلم العواقب ، وما يجرى فى المستقبل من الأوقات ، وما جرى مجرى ذلك ؛ فلا يتصوّر خوفه من انتشاره ، لأنّه إنّما يستفاد وينتشر من جهته ، ويوقف عليه بإطلاعه وإعلامه ، فإذا خاف من إلقائه ، كتّمه (٢) .

الرأى المختار فى عموم وراثه الأنبياء :

إنّ الآيتين الواردتين فى إرث سليمان لداود ويحيى لزكريّا - أى الثالث والرابعه - تفيدان كلا المقامين من الإرث ، أى الإرث فى الأموال والإرث فى الاصطفاء للمقامات ، كما قرّنا ذلك فى آيات الإرث العامه - أى الأولى والثانيه - وأنّ عنوان

ص: ٨٤

١- (١) الصوارم المهرقه للشيخ نور الله التستري : ١٦٧ .

٢- (٢) إحقاق الحقّ لنور الله التستري : ٦٥ .

ومادّه « وَرِثَ » بطبعه يشمل كلّاً من الوراثة التكوينيّة والوراثة الاعتباريّة ، أى الوراثة فى المقامات التكوينيّة ، كالعلم والنبوّه والإمامه ، ووراثة المال والحقوق .

بل إنّ الوراثة الاعتباريّة فى نفسها غير مختصّه بالمال ، بل شامله للمناصب والصلاحيات الاعتباريّة فى الشؤون العامّه .

والشواهد على عموم هذا المعنى ، وعموم إرادته ، هى مجموع شواهد القولين السابقين - أى قول العامّه والخاصّه - فإنّ الشواهد السابقه عند التدبّر فيها غير متنافيه ، ولا متدافعه ، ولا دلالة فيها على حصر الوراثة بأحد المعنيين بحسب مفادها ، بل هى دالّه على أصل اقتضاء وشمول مقتضى الإرث لأحد الجانبين ، من دون نفى اقتضائه لاستعماله فى المعنى العامّ الشامل للجانب الآخر .

وبعبارة اخرى : إنّ الذى أوقع أصحاب القولين فى الحصر ، هو تخيل تباين المعنيين الاعتبارى والتكوينى ، وعدم وجود جامع بينهما ، ولكن الصحيح هو وجود الجامع ، وإمكان إرادته المعنى العامّ الشامل لكلا النمطين من ذلك الجامع بلحاظ الجبهه المشتركه .

و مثل هذا الاستعمال - أى استعمال اللفظ فى المعنى الجامع للاعتبارى والتكوينى - قد تكرر فى الآيات القرآنيّه ، بل لا يقف هذا التعميم على استعمال اللفظ فى المعنى الشامل للوجود التكوينى والاعتبارى ، بل إنّّه يبيّن العموم فى السنن الإلهيّه ، من كونها سنناً واحده تكويناً وتشريعاً .

وإليك جملة من الأمثله على ذلك :

فى التكوين والتشريع

منها : قوله تعالى : **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ (١)** .

وقوله تعالى : **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ (٢)** ، إذ أن المراد من الحكم هاهنا ليس خصوص الحكم الاعتبارى ، ولا خصوص الحكم التكوينى ، بل المراد كل منهما .

ومنها : قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام : **حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ (٣)** ، فإن الحق هنا أعم مما هو صدق بحسب التكوين ، وما هو بحسب التشريع .

ومنها : قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (٤)** ، فإن الأمانات هنا هى ما استؤمن عليه ، سواء كان فى شؤون النبوة والإمامه ، مما ينتقل اعتباراً ، كالكتب ، والصحف ، أو ينتقل تكويناً ، كنقل بعض المقامات التكوينية ، وقد ورد فى طرق أهل البيت عليهم السلام جملة من الروايات فى ذيل الآية :

من أن المراد تأديه الإمام الأول إلى الإمام الذى بعده ، الكتب ، والعلم ، والسلاح ، وفى بعضها ، أن يؤدى الإمامه ، وفى بعضها الوصية ، وفى بعضها أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذى بعده (٥) .

مع أن تأديه الكتب والسلاح من قبيل الأموال المنقولة ، بينما تأديه العلم فهى

ص: ٨٦

١- (١) يوسف : ٦٧ .

٢- (٢) التين : ٨ .

٣- (٣) الأعراف : ١٠٥ .

٤- (٤) النساء : ٥٨ .

٥- (٥) تفسير البرهان ذيل الآية ٥٨ من سورة النساء .

من التأديبه التكوينيّه ، و ذلك بأن ينتقل الروح المسدّد لهم من الإمام السابق إلى الإمام اللاحق .

ونظير هذا الاستعمال كما فى صحيحه أبى علىّ بن راشد ، قال : « قلت لأبى الحسن الثانى عليه السلام : إنا نوتى بالشىء فىقال : هذا كان لأبى جعفر عليه السلام عندنا ، فكيف نضعه ؟

فقال عليه السلام :

ما كان لأبى عليه السلام بسبب الإمامه فهو لى ، وما كان غير ذلك فهو ميراث ، على كتاب الله وسنّه نبىّه «(1) .

فإنّ اللّام هاهنا قد استعملت فى الأعم ممّا كان من اختصاص اعتبارى شخصى ، أو معنوى حقوقى ، غايه الأمر أنّ الإمام عليه السلام قد فُرق بين ما كان معنوياً حقوقيّاً ، فهو الوارث له خاصّه ، وبين ما كان اعتباره شخصياً ، فيشاركه فيه بقية إخوته .

ومنها : قوله تعالى فى شأن إبراهيم عليه السلام : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَإِنَّ الْجَعْلَ لَا يَقْتَصِرُ فِي الْإِمَامَةِ عَلَى الْجَعْلِ التَّشْرِيعِيِّ ، بل يعمّ كلّاً من التكوينيّ والتشريعيّ ، ويشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى : وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، فَإِنَّ الهدايه الأمريه - أى التى من عالم الأمر ، وهو الملكوت والوحى - فعل إلهى تكوينى .

ومنها : قوله تعالى : أَوْفُوا بِالْعُقُودِ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِلْعُهُودِ وَالْعُقُودِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْبَشَرِ ، بَيْنَ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ ، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى ، مع أنّ التى بينهم وبين الله ليست عهداً اعتباريه فقط ، من قبيل الإقرار بالشهادتين ، بل شامله للعهود التكوينيّه .

كما يشير إلى ميثاق عالم الدرّ والإقرار فيه قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ

ص: ٨٧

بَيْنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١).

وكما يشير إلى ذلك أيضاً قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٢).

وكذلك قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٣) ، إلى أن جميعها من العهد التكويني في عالم الميثاق .

ومنها : أوامره تعالى ، فإنها شاملة لكل من الأمر التكويني والأمر التشريعي ، كما في قوله تعالى : وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٤) .

وفي قوله تعالى مخاطباً إبليس : قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ (٥) .

وقوله تعالى : إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَبَيَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . . . فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (٦) .

ص: ٨٨

١- (١) الأعراف : ١٧٢ .

٢- (٢) آل عمران : ٨١ .

٣- (٣) الأحزاب : ٧ .

٤- (٤) البقره : ٣٤ .

٥- (٥) الأعراف : ١٢ .

٦- (٦) الأنفال : ١٢ .

وقوله تعالى فى شأن الملائكه والأصفياء : بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (١).

وقوله فى شأنهم أيضاً : لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٢).

إلى غير ذلك من السنن الإلهيه ، المتناثره فى القرآن الكريم ، الداله على أنّ شئته تعالى واحده تكويناً وتشريعاً ، وأن متعلق تلك السنه الإلهيه يُراد منه الأعم من الوجود التكويني والوجود الاعتباري التشريعي .

ومما يدعم إرادته عموم المعنى العام الشامل للموردين ، ما تقدّم من الآيات فى قاعده الإرث ، وما سيأتى من آيات اخرى ، الوارده فى خصوص إرث القرابه ، لكلّ من المقامات والمناصب الدينيه والاعتباريه فى الشأن العام ، فضلاً عن الأموال والتركات الشخصيه ، كما فى قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣) ، حيث تشير الآيه الكريمه - كما سيأتى - إلى توريث الاصطفاء للذريه بحسب التناسل .

وقفه مع شواهد القولين :

قول العامه :

أما شواهد القول الأول : فقد مرّ أنه لا غبار فى دلالتها على إرادته إرث العلم والنبوه ، والشؤون والمقامات المعنويه ، إنّما الخدشه فى توظيف تلك الشواهد لنفى المعنى العام ، الشامل لإرث المال ، وتخصيص المعنى بأحد فرديه دون المعنى الآخر ، أى دون المعنى العام الشامل لكلا الموردين (إرث العلم والنبوه والمال) .

ص: ٨٩

١- (١) الأنبياء : ٢٦ و ٢٧ .

٢- (٢) التحريم : ٦ .

٣- (٣) آل عمران : ٣٣ و ٣٤ .

فمثلاً الشاهد الأول من لغويته إرادته إرث المال ، لوضوحه ، دون إرث المقامات الغيبية ، إنما يتم لو أريد إرث المال بخصوصه ، وأما لو أريد المعنى العامّ الشامل لهما فلا لغويته في البين .

أما الشاهد الثاني من تخصيص سليمان عليه السلام دون بقيته أولاد داود ، لبيان امتيازته بإرث المقامات الغيبية دونهم ، فهو وإن كان متيناً في نفسه ، إلّا أنّ ذلك لا يقتضى حصر الإرث به دون المعنى العامّ للإرث ، لأنه يرث أباه في المال ونحوه من التركة ، كبقية إخوانه .

وقد أقرّ مفسرو العايمه بأنّ بقيته أولاد داود عليه السلام ورثوا من أبيهم ماله الخاصّ ، كما في ميراث التركة للأولاد من الآباء ، ولم يكن ما تركه داود عليه السلام صدقه ، فلا محاله يكون الإرث هاهنا لسليمان عليه السلام بمعناه العامّ ، الجامع لكلا النحويين من الإرث ، وهذا منهم كثر على ما فرّوا منه ، وإقرار منهم بتحقيق إرث النمط الثاني في الأنبياء أى إرث المال .

ومن ثمّ صاروا في حيص وبيص في تفسير الحديث الذى روى « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه » ، لا سيّما وأنّ هذا الحديث الذى زعموه بضميمه الذيل ، حيث زعمه أبو بكر ، عامّ لجميع الأنبياء ، فالتزم بعضهم بأنّ الحديث خاصّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، وأنّه ناسخ لما كانت عليه سنّه الأنبياء . وغير ذلك من التكلّفات والتمحّلات ، فلاحظ كلماتهم في ذيل الآيتين .

فتبيّن أنّ الشاهد الثاني شاهد قوى ، ناصع على إرادته المعنى الجامع المنطبق على النمطين .

وأما الشاهد الثالث وهو أنّ سياق الآيات في وراثته سليمان لداود عليهما السلام متضمّن لإيتائهما العلم ، وعلم منطق الطير ، ونحوها من العطايا والهبات الاصطفائية ، فلا محال تكون الوراثه اصطفاييه .

فهو في نفسه أيضاً متين ، ودالّ على إرادته الواصلانيه ، ولكن كما مرّ في الشاهد الثاني ، لا يعني ذلك التخصيص بها ، وعدم إرادته الجامع .

وقد أقرّوا بوجود الأولاد لداود عليه السلام ، ومشاركه سليمان لبقية أولاد داود عليه السلام في التركة .

وأما الشاهد الرابع من استعمال لفظ الإرث في وراثته العلم في جملة من الآيات ، فهو متين في نفسه أيضاً ، إلّا أنه كما استعمل في ذلك ، قد استعمل في آيات كثيرة أخرى في إرث المال أيضاً ، وبالتالي فالإرث قد استعمل في المعنى العام ، وطبق على كلا الفردين والنمطين ، فالأصل في بقية الموارد التي لا- يمتنع فيها إرادته كلا الفردين أن يستعمل اللفظ في المعنى الجامع المنطبق عليهما ، من دون موجب لتخصيصه بأحدهما .

أما الشاهد الخامس وهو « كون يحيى قُتل قبل زكريّا ، وأنّه لو كان مراد زكريّا من دعائه إرث المال لبقى بعده » .

أقول : لم يثبت بشيء محقق أنّ يحيى عليه السلام قتل قبل زكريّا عليه السلام ، بل إنّ بعض المؤرخين ذكر أنّ زكريّا قُتل قبل يحيى ، وذلك عندما اتّهموه بمريم عليها السلام ، وفي بعض الروايات أنّ يحيى قام بالوصية بعد رفع عيسى .

ولو سلّم كونه قُتل قبل زكريّا فلا ينافي عموم إرادته الإرث ، لتحقق الكلّي الطبيعي بأحد فرديه ، وهو وراثته الواصلانيه ، وليس من اللازم الاستغراق والشمول لكلّ من النمطين من الإرث ، مع أنّ الإشكال بظاهرة قد يقرّر بنحو مشترك الورد على كلا النمطين من الإرث .

وبعبارة أخرى : إنّ هذا الإشكال بظاهرة يرد أيضاً على إرث الواصلانيه ليحيى بن زكريّا عليه السلام ، مع سبق قتله على قتل أبيه .

وأما الشاهد السادس من كون الموروث ليس خصوص زكريّا عليه السلام ، بل عموم

آل يعقوب ، لقوله تعالى : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِرْثَ فِي الْعِلْمِ وَالِدِينِ ، وَفِي الْمَنَاصِبِ الْإِلَهِيَّةِ .

فهو شاهد متين في نفسه ، إَلَّا أَنَّهُ لَا يَنْفِي إِرَادَةَ الْعُمُومِ ، حَيْثُ إِنَّ إِثْبَاتَ الشَّيْءِ لَا يَنْفِي مَا عَدَاهُ ، فَالْإِرْثُ طَبِيعُهُ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ لِكُلِّ النَّامِيَّةِ .

ومثله الشاهد السابع من قوله تعالى : وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ، حَيْثُ يَشِيرُ النِّعْتَ إِلَى قَابِلِيهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِوَرَاثَةِ مَقَامَاتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ الْوَرَاثَةَ فِي الْمَقَامَاتِ دُونَ الْمَالِ .

فهو كما مرَّ أيضاً ، مِنْ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفِي إِرَادَةَ الْعُمُومِ ، وَإِنْ صرَّحتْ بِهِ الْآيَةُ بِنَحْوِ بَارِزٍ ، بَلْ إِنَّ الْوَرَاثَةَ الْإِصْطِفَائِيَّةَ إِنَّمَا يَتَقَرَّرُ تَحَقُّقُهَا وَحُصُولُهَا بِمُقْتَضَى طَبِيعِهَا الْأَوَّلَى فِي مَوْرَدِ وُجُودِ عُمُومِ قَاعِدَةِ الْوَرَاثَةِ ، أَيْ فِي طَبَقَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَالْقَرَبِيِّ مِنَ الْوِلَادَةِ .

غَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْوَرَاثَةَ الْإِصْطِفَائِيَّةَ إِنَّمَا تَثْبُتُ فِي الذَّرِّيَّةِ بِشَرَايِطٍ زَائِدَةٍ عَلَى شَرَايِطِ إِرْثِ الْمَالِ ، وَهِيَ شَرَايِطُ خَاصَّةٌ .

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى : إِنَّ مُقْتَضَى قَانُونِ وَسِيَّتِهِ الْوَرَاثَةَ بِسَبَبِ الرَّحْمِ وَالِاسْتِيْلَادِ هُوَ الْمُقْتَضَى لِكُلِّ مَنْ وَرَاثَةُ الْمَالِ وَوَرَاثَةُ الْإِصْطِفَاءِ ، إَلَّا أَنَّ وَرَاثَةَ الْمَالِ لَهَا شَرَايِطٌ وَمَوَانِعٌ ، كَأَنَّ يَبْقَى الْوَارِثُ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَ أَنَّ يَكُونَا مِنْ أَهْلِ مَلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنَّ لَا يَكُونُ قَاتِلَ أَبِيهِ ، وَ أَنَّ يَكُونُ طَاهِرَ الْمَوْلَدِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْنَا فِي بَابِ الْمِيرَاثِ ، فَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي وَرَاثَةِ الْإِصْطِفَاءِ ، بَلْ هِيَ تَزِيدُ عَلَى شَرَايِطِ وَرَاثَةِ الْمَالِ ، كَشَرَطِ صِلَاحِ الْوَارِثِ ، وَطَهَارَتِهِ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَإِنْبَاتِهِ نَبَاتًا حَسَنًا كَمَا سَيَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ مَفْصَلًا .

منع حصر الإرث في المال :

أمّا الشواهد التي أقامها جملته من علماء الإمامية على إرادته إرث المال ، فإنّها وإن كانت تشهد بشمول الإرث للمال ، إلّا أنّها لا تستلزم الحصر في إرث المال .

أمّا الشاهد الأول : فدعوى أنّ النبوه لا تقبل الوراثه ، لعدم قبولها الانتقال ، إضافة إلى أنّ العلم المختصّ بالأنبياء والرسول وهبى من الله تعالى ، غير كسبى ، وما يكتسب الآخرون من الأنبياء ليس هو علم النبوه ، الذى هو لدى نبيّ لاحق من بعد نبيّ سابق ، فما لدى اللاحق علم جديد ، غير منتقل من السابق ، فالنبوه والعلم من الله أصاله لا بالوراثه .

فجوابه : أنّ القرآن قد أثبت الوراثه في النبوه ، وسائر المقامات الغيبية ، كما في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فَبَيَّنْتَ الْآيَةَ أَنَّ الاصطفاء الإلهي انتقل إلى الذريه ، من الآباء إلى الأعقاب ، وأنّ دور التنسيل والذريه والتوالد بعضهم من بعض ، دخيل في انتقال الاصطفاء في الأعقاب ووراثتهم له ، كما أورد في التعبير « بآل عمران وآل إبراهيم » للتنبيه والتدليل على أنّ الاصطفاء في هذه البيوتات بمقتضى النسبه والعلاقه الرحميه الخاصه ، ثم ذكرت الآيات بعد ذلك اصطفاء مريم بنت عمران ، من عمران الصيفى ، كما ذكرت اصطفاء يحيى من زكريا ، واصطفاء عيسى من مريم ، وكان عيسى ويحيى ابنا خاله .

وكما في قوله تعالى : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (١) .

فبين تعالى أن النبوة والحكمه والإمامه قد تعاقبت في نسل إبراهيم عليه السلام ، بسبب الوراثه من الرحم ، فيمن هو صالح من الذريه ، سابق بالخيرات ، مؤهل لحمل الأمانه الإلهيه .

وكما في قوله تعالى : **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١)** .

فدعا إبراهيم ربه بأن يبقى الإمامه وراثته في ذريته ، وقد استجاب له تعالى ذلك ، فجعل الإمامه باقيه في عقبه إلى يوم القيامة ، حيث قال : **وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢)** كما نُبّه وأشير إلى ذلك في روايات أهل البيت عليهم السلام ذيل هذه الآيات .

فهذه جاءت إجابته للدعوه التي دعا بها إبراهيم وإسماعيل ، المتطابقه مع الدعوه السابقه ، حيث قالوا : **رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ . . . رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ (٣)** أى وابعث في هذه الذريه والأمة المسلمه منها رسولا من نفس هذه الذريه .

وأشار الله تبارك وتعالى إلى إجابته الدعوه بجعل الإمامه في عقبه ونسله ، ونسل إسماعيل ، في قوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَهُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَيِّمًاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٤)** .

ص: ٩٤

١- (١) البقره : ١٢٤ .

٢- (٢) الزخرف : ٢٨ .

٣- (٣) البقره : ١٢٨ و ١٢٩ .

٤- (٤) الحج : ٧٧ و ٧٨ .

فأباً تعالى باجتماعه من ذرية إبراهيم وإسماعيل من هذه الأمة ، وأن الرسول صلى الله عليه وآله الخاتم المبعوث فيهم هو من هذه الذرية والأمة المسلمة ، فينه وبينهم رحم .

كما قد ذكرهم القرآن في قوله تعالى : **سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَسَينَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ كَمَا سَلَّمَ عَلَىٰ بَقِيَّةِ النَّبِيِّينَ ، دُونَ آلِ بَقِيَّةِ النَّبِيِّينَ ، فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ بِفَتْحِ الْهَمْزِ وَمَدِّهَا - آل - هِيَ مَشْهُورَةٌ مِنْ بَيْنِ الْقِرَاءَاتِ ، وَعَلَى الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى بِالْكَسْرِ ، فَالْمَعْنَى مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ أَيْضاً ، لِأَنَّ الْإِلَّ - بِالْكَسْرِ - فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى الرَّحْمِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :**

لَا يَرْثُوهَا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً (١) ، وَيَاسِينَ اسْمٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

كما أخبر تعالى بوجود وراثته الاضطفاء في آل النبيين في الأمم السابقة ، كما في قوله تعالى المتقدم في آل عمران .

وكما في قوله تعالى في آل موسى وآل هارون : **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢) .**

وكما في قوله تعالى في آل يعقوب : **يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٣) .**

ويشير إلى الوراثة أيضاً في هذه الأمة في نسل إبراهيم وإسماعيل قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٤) .

غايه الأمر أن الوراثة المعنوية والروحية للكاملات ليست من قبيل الوراثة في

ص: ٩٥

١- (١) التوبة : ٨ .

٢- (٢) البقرة : ٢٤٨ .

٣- (٣) مريم : ٦ .

٤- (٤) فاطر : ٣٢ .

لطفه فى الوراثه المعنويه :

قد ورد فى جملة من الآيات والروايات الإشاره إلى أنّ من الأسباب التكوينيّه للعلم اللدنى والسبب لجملة من المقامات الغيبية والمناصب الإلهية ، هو تزويد الأنبياء والأصفياء من الأولياء والأوصياء وتأبيدهم بأرواح مقدّسه من عالم الأمر ، يكون معهم كقوّه من القوى الروحيّه الخادمه لهم ، فتسندهم وتؤيّدهم على خوارق الأفعال ، وتكون بمثابة نافذه يشرفون بها على العوالم الغيبية الأخرى ، وتظهر منهم غرائب الأحوال والأفعال ، كما فى قوله تعالى : وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (١) .

وأشار تعالى إلى أنّ هذا التأيد بروح القدس يُورثه تعالى وينقله إلى من يشاء من عباده ، ويختارهم ويصطفاهم ويجتبيهم لذلك ، حيث قال : يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٢) .

وقال تعالى : يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٣) .

وكذلك قوله تعالى لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله : وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدَى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (٤) .

فلاية تشير إلى الارتباط الوثيق بين الروح الذى هو من عالم الأمر والعلم

١- (١) البقره : ٢٥٣ .

٢- (٢) النحل : ٢ .

٣- (٣) غافر : ١٥ .

٤- (٤) الشورى : ٥٢ .

بالكتاب ، وأن هذا الروح الذى هو علم الكتاب نور يُؤيد ويسدّد البارى تعالى به من يشاء من عباده .

و هذا التأيد لسلسله من يريدهم ويصطفيهم تعالى من عباده قد أشار إليه قوله تعالى أيضاً : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (١) ، فعلم الكتاب بتوسط التأيد بهذا الروح ، ورثه تعالى بنحو التعاقب إلى سلسله من اصطفاهم من عباده .

وقد أشارت جملة من الروايات إلى ذلك كما فى صحيحه أبى بصير ، قال :

« سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى : وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ .

قال :

خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْظَمَ مِنْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ يُخْبِرُهُ وَيَسُدُّهُ ، وَهُوَ مَعَ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ «(٢) .

وكذلك فى صحيحه أبى بصير الأخرى ، قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي .

فقال :

خَلَقَ أَعْظَمَ مِنْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ ، كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ،

وَهُوَ مَعَ الْأُمَّةِ ، وَهُوَ مِنَ الْمَلَكُوتِ «(٣) .

ويُشار فى جملة من الآيات إلى ذلك المقام الغيبي للقرآن والكتاب ، والذى حقيقته ذلك الروح ، كما فى قوله تعالى : وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى (٤) .

ص: ٩٧

١- (١) فاطر : ٣٢ .

٢- (٢) الكافى : ١ : ٢٧٣ ، الحديث ٢ .

٣- (٣) المصدر المتقدم .

٤- (٤) الرعد : ٣١ .

فأثبت الآيه الكريمه قدره تسيير الجبال ، وإحياء الموتى ، وانشقاق الأرض به ، مع أنّ هذه ليست للمصحف الشريف ، بل هي آثار ذلك المقام الغيبي ، كما في قوله تعالى : لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (١) .

ومِمَّا يشير إلى كون هذا الروح أعظم من الملائكه قوله تعالى : يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٢) ، حيث تشير الآيه أنّ جميع الملائكه إنّما يتنزلون ويعرجون بتوسط هذا الروح .

والخلاصه : أنّ هذا الروح العظيم الذى هو من عالم الأمر والملكوت يؤيد البارى تعالى به الصفوه من الأنبياء والأوصياء ، كقوّه روحيه مسخره لهم ، وينقلها بنحو التعاقب الوراثي من واحد لآخر .

وليس في ذلك تناسخ كما ظنه جملته من الفرق ، فما أبهمه المتكلمون من كيفيه إحداث الله تعالى العلم لأوليائه وأبهم بيانه عليهم ، قد بينته هذه الآيات والروايات من كونه بنحو الانتقال .

ثم لا يخفى أنّ هذا الانتقال في عالم المقامات والمنازل والكمالات الملكوتيه ليس بمعنى فقد السابق من الأصفياء لما كان لديه من ذلك الكمال ، وانتقاله بنحو التجافى عن الموقع الأوّل إلى الموقع الثانى ، بل هو حصول اللاحق إلى المنزل والمقام الذى وصل إليه السابق من الأهلتيه والمكانه التى يؤيد بها بروح القدس ، إذ لا يستعصى على قدره ذلك الروح التأييد لجمله الأولياء ، والتعبير بالانتقال والوراثه إنّما هو بلحاظ رحيل السابق عن دار الدنيا إلى الرفيق الأعلى ، ووصول النوبه فى الخلافه الإلهيه إلى اللاحق ، فبلحاظ ذلك المنصب يُقرّر معنى الانتقال والوراثه .

ص: ٩٨

١- (١) الحشر : ٢١ .

٢- (٢) النحل : ٢ .

ولابدّ من الالتفات إلى أنّ هناك جملة من الفوارق بين الوراثة في المقامات الغيبية وبين الوراثة في الأموال والشؤون المادية :

الأول : إنّ الوراثة المعنوية لا تسبّب خلوّ المورث من التركة المعنوية ، مع أنّها قد انتقلت إلى الوارث ، بخلاف المادية .

وإليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام لكميل :

« الْمَالُ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ ، وَالْعِلْمُ يَزُكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ... »

اللَّهُمَّ بَلَى ! لَاتَخْلُوا الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّتِهِ ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا ، وَإِمَّا خَائِفًا مَعْمُورًا ، ...

يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَّتَهُ وَبَيْنَاتِهِ ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظْرَاءَهُمْ ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ » (١).

الثاني : إنّ قابلية الوعاء المادّي محدوده ، فإذا امتلأ ضاق عن استيعاب الزائد ، وهذا بخلاف الوعاء في المقامات المعنوية ، حيث إنّ الوعاء فيها يزداد سعة بالإملاء ، ولا يضيق بالزائد بل تزداد قابليته .

وإليه يشير قول أمير المؤمنين عليه السلام :

« كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ . »

الثالث : إنّ الوارث في الوراثة التكوينية ليس من الضروري خلّوه عن الشيء الموروث قبل الوراثة ، ومع ذلك تصدق معه حقيقة الوراثة ، لوجود معنى البقاء للشيء له .

وبالجملة : فإنّ جملة من آثار ولوازم الوراثة الاعتبارية لا تنسحب على الوراثة التكوينية ، وإن اشتركتا في أصل معنى الوراثة ، وهو بقاء الشيء للوارث .

وعلى ضوء ما تقدّم من بيان الوراثة المعنوية والروحية يزداد الإشكال جلاءً في استدلالهم في الشاهد الثاني ، فإنّه إن أريد بالشاهد المتقدّم من نفى الوراثة في

ص: ٩٩

النبوه والمقامات الغيبية والمعنوية نفى هذا الانتقال المادى ، فهو صحيح ، لكنه لا- يستلزم نفى وراثه النبوه ، والعلم اللدنى ، والمقامات الغيبية بنمط آخر ، بحيث تكون طينه الوراثة سبباً معدداً لتأهل الذريه ، فى نيل هذه الهبات من الله تعالى .

فيكون الرحم والتنسيل الذرى من الأسباب المعده ، مع اجتماع بقيه الشرائط الموجه لإعطاء الله تعالى ، ونقله لتلك المقامات الغيبية فى الملكوت لا- بنحو العزل عن السابق ، من الأب بعد موته إلى الذريه ، فانتصاب وتقلد تلك المناصب من قبل الولي اللاحق ، نحو من الاستخلاف والانتقال .

غايه الأمر أنّ هذه الوراثة ذات طابع تكويني كوني ، وليست ذات طابع اعتباري ، كما فى إرث المال ، لا سيما مع قاعده تطابق السنن التشريعيه مع السنن التكوينيّه ، وأنّ كلّ معنى قانوني أدبي اعتباري هو فى أصله مأخوذ من تحقّق تكويني كوني له .

فمن المحال بناء وتأطير قانون تشريعي من غير أن يكون مستلماً ومأخوذاً من واقع تكويني لذلك المعنى فى الأصل .

أمّا الشاهد الثانى وهو دعوى تبادل ميراث الأموال والأعراض من إطلاق الميراث دون ميراث العلوم وغيرها ، وأنّه لم يعهد إطلاق الوراثة على العلوم ، مع ملاحظه عدم الانتقال الحقيقى من المعنى الأول إلى الثانى ، فاستعمالها فيها نحو تجوّز وتوسّع لا بدّ له من قرينه .

ففيه : أنّ معنى الإرث كما مرّ هو ، معنى جامع وشامل لكلّ من النمطين - أى وراثه المقامات الملكوتيه والماليه معاً - وإذا اطلق شملهما ، غايه الأمر يتحدّد النمط والمصداق فى كلّ مورد بحسب المتعلّق الذى يسند إليه الإرث .

وأما إطلاق الإرث على إرث المقامات الغيبية من دون اختصاصه بها ، فقد تقدّم فى جملة من الموارد .

وبعبارة أخرى : إنّ الأصل فى المعانى ، عدم اختصاصها بالمصاديق والأفراد القانونيّة والاعتباريّة ، بل هى شامله فى الأصل للأفراد التكوينيّة ذات الطابع الكونى ، ثم ادرجت فيها وألحقت بها المصاديق الاعتباريّة القانونيّة ، كما تقدّم التمثيل بجملة من العناوين ، كالملك ، والولاية ، والحق ، والأمر ، والعهد ، وذلك لما تقدّم من أنّ المعانى فى الأصل ليست موضوعه للوجود الأدبى القانونى الاعتبارى ، بل هى موضوعه فى الأصل للوجود التكوينيّ ، ثمّ توسّع فى الوضع بما يشمل الوجود الأدبى الاعتبارى القانونى من المصاديق .

الشاهد الثالث وهو استحاله انتقال العلم والنّبوه والمقامات اللدنيّه من محلّ لآخر ، وكونها بمنزله انتقال العرض من محلّ لآخر .

فجوابه : إنّ وراثه المقامات اللدنيّه الملكوتيّه ليس بمعنى سلب تلك المقامات عن السابق المورث ، وتوفّر اللاحق لها بخلوّها عن مضى ، أى ليست بنحو التجافى والعزل والإخلاء كما مرّ ، فليست الوراثه اللدنيّه كانتقال الشىء المادى من الأموال من موضع لآخر ، إذ طبيعه الشىء المادى خلّو الموضع السابق منه بانتقاله إلى موضع آخر ، لأنّ الأمر المادى لا يشغل حيزين فى آن واحد ، وهذا بخلاف الأمر الملكوتى ، والأمر الروحانيه ، فإنّها تفاض من العالى إلى التالى ، من دون أن يستلزم تجافيهما وخلوّ العالى منها .

غايه الأمر هو اتّساع فى ظهور أنوار الملكوت ، وازدياد فى انعكاسها فى مرايا النفوس ، فحيث بُنى على أنّ معنى الإرث والوراثه انتقال شىء من موضع إلى موضع ، بُنى على مجازيه معنى الوراثه فى المقامات المعنويه ، مع أنّ التوريث لا ينحصر فى أصل معناه ولا- يقتصر على المصاديق والنماذج ذات الوجود الأدبى الاعتبارى ، شأنه شأن بقيه المعانى التى لها مصاديق ونماذج اعتباريه ، إلّا أنّها فى أصل وضعها موضوعه للمعنى المنطبق على المصاديق التكوينيّه الحقيقيّه ،

فضلاً عن أن تنحصر بالمصايق الاعتبارية الأدبية القانونية .

بيان ذلك : إنّ الإرث في أصل معناه لغهً بحسب تتبع المعنى في موارد الاستعمال ، هو بقاء الشيء .

قال ابن منظور في « لسان العرب » : « الوارث صفة من صفات الله عزّ وجلّ ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ، ويبقى بعد فنائهم ، والله عزّ وجلّ يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، أى يبقى بعد فناء الكلّ . . . وقوله عزّ وجلّ وَ لِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (١) أى الله يفنى أهلها فتبقيان بما فيهما وليس لأحد فيهما ملك . . .

وفى قوله صلى الله عليه وآله :

اللّهُمَّ أمتعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى (٢) . أى :

أبقيهما معى صحيحين سليمين حتّى أموت ، وقيل : أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوى الجسمانية . . . وأورثه الشيء : أعقبه إياه . . .

وفى الحديث :

اثبتوا على مشاعركم هذه فإنكم على إرث من إرث إبراهيم ، أى إنكم على بقيته من ورث إبراهيم ، الذى ترك الناس عليه بعد موته (٣) .

ويُستشفّ من موارد الاستعمال هذه أنّ الوِث في أصل معناه هو بقاء الشيء ووصوله وانتهاءه إلى آخر ، وهذا المعنى فى أصله ينطبق على البقاء التكويني للشيء الكونى ، ومن ثمّ استحدثت له مصايق ونماذج ذات طابع وجود أدبى قانونى ، نظير انتقال ملكية الأشياء والأعيان التى توصف بعنوان اعتبارى أدبى وهو المال ، وبقيائها عند الوارث بعد موت المورث .

ص: ١٠٢

١- (١) آل عمران : ١٨٠ .

٢- (٢) المستدرک على الصحيحين : ٢ : ١٤٢ . مجمع الزوائد : ١٠ : ١٧٨ . كنز العمال : ٢ : ٢١٥ ، الحديث ٣٨٢٧ و ٣٨٢٨ .

٣- (٣) لسان العرب : ماده « ورث » .

وعلى ضوء هذا التقدير لعنوان ولفظ الإرث يتبين أنّ بقاء العلم اللدني في طبيعته البشريه وبقاء المقامات الغيبية ، وبقاء السبب المتصل بين طبيعته البشريه والسماء الذي كان عند نبي سابق لدى نبي لاحق ، أو وصي يخلّفه ، ينطبق عليه حقيقه معنى الإرث ، لأنه من بقاء الشيء ، وعدم زواله بذهاب السابق من دون أن يستلزم ذلك فقدان السابق لتلك المقامات بحسب دار الآخرة التي ينتقل إليها .

فليس الانتقال مأخوذ في أصل معنى الإرث ، ليستلزم خلوّ السابق منه ، بل هو بقاء الشيء ، ولو بحسب طبيعته ، لا شخص فرده .

و هذا نظير استعمال عنوان الخلافه في توريث الله تعالى ، واستخلافه الأرض لعباده الصالحين ، كما في قوله تعالى : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (١) فمن الواضح أنه لا يعنى به عزل اليد والقدرة الإلهية عن مورد الاستخلاف ، بل تمكين الطرف الآخر من القدرة ، من دون انحسار تلك القدرة عنه تعالى .

وهكذا الحال بالنسبه إلى قوله تعالى : وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضُّعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٢) فجعلهم الوارثين للأرض ليس بمعنى انحسار قدرته تعالى عن الأرض .

أو قوله تعالى : وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) ، فهي ليس بمعنى عدم واجديته القدرة الإلهية على ملك السماوات و الأرض من قبل وانتقالها إليه من بعد ، بل هي بمعنى أنّ القدرة الباقية على السماوات والأرض هي لله تعالى .

ونظير ذلك أيضاً ما ورد في عنوان الوكاله ، والتي هي ضرب من التحويل

ص: ١٠٣

١- (١) البقره : ٣٠ .

٢- (٢) القصص : ٥ .

٣- (٣) آل عمران : ١٨٠ .

والتنويب ، ومعناها فى أصل طبيعته ذو مصاديق ذات طابع تكوينى ، ووسّع إلى المصاديق ذات الوجود الاعتبارى ، والمصاديق الاعتبارية تختلف عن المصاديق التكوينية من حيث اللوازم والآثار ، ممّا يوجب الغرابه فى انطباق المعنى على المصاديق التكوينية التى هى الأصل فى المعنى ، و ذلك نتيجة الأنس والانشداد والعكوف على تعاطى اللفظ فى المصاديق الاعتبارية .

فمثلاً فى الوكاله الاعتبارية يكون الموكّل منحسراً عن الإشراف فى صعيد الفعل الذى هو مورد التوكيل ، بينما ليس الحال كذلك فى الوكاله التكوينية ، كما فى قوله تعالى : قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١) ، مع أنّ البارى تعالى لا تنحسر قدرته عن الفعل الذى أقدر ملك الموت عليه ، وهو إماتة جميع الكائنات الحية ، بل تعالى أقدر منه فيما أقدره عليه ، وقدره ملك الموت برمتها هى بحول من الله وقوته .

فترى أنّ طبيعه الوكاله التكوينية تختلف فى جملة خصائصها وأحكامها عن الوكاله الاعتبارية .

ونظير ذلك فى عنوان الزوجية ، فإنّ هذا المعنى والعنوان فى الأصل ذو مصاديق تكوينية ، إلّا أنّ شأنه شأن بقيه المعانى والعناوين توسّع فيها إلى المصاديق ذات الوجود الأدبى القانونى الاعتبارى ، وأخذ العنوان والمعنى فى ضلّ المصاديق الاعتبارية ، مع ما له من آثار تختلف عن العنوان والمعنى فى وجوده فى المصاديق التكوينية ، ولتركيز الاستعمال وكثرته فى المصاديق الاعتبارية استوحش من صدقه واستعماله فى المصاديق التكوينية ، والذى هو الأصل فى الوضع ، مثل قوله تعالى :

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ٢

ص: ١٠٤

أو قوله تعالى : وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَى (١) فَإِنَّ الزَّوْجِيَةَ التَّكْوِينِيَّةَ هِيَ مِمَّا تَشْتَمِلُ عَلَى ارْتِبَاطٍ وَعِلَاقَةٍ تَفَاعُلِ تَكْوِينِيٍّ ، بِخِلَافِ الزَّوْجِيَةِ الِاعْتِبَارِيَّةِ فَإِنَّهَا عُلُقَةٌ فَرَضِيَّةٌ اِعْتِبَارِيَّةٌ ، وَإِنْ تَسَبَّبَتْ فِي حَدُوثِ آثَارِ تَكْوِينِيَّةٍ .

وغيرها من الأمثلة التي يقف عليها الباحث بالتتبع ، الدالّة على أنّ المعانى التي تستعمل في الموارد ذات الوجود القانوني الاعتباري الأدبي ، هي في أصل وضعها موضوعه للموارد ذات الوجود التكويني .

الشاهد الرابع : وهو أنّ النبوة متوقّفة على علم الله سبحانه وتعالى بصلاح الخلق ، وما يحدثه تعالى من تسديد النبي لبيان ذلك ، وتصديق الناس له ، ولا مدخل للنسب فيها ، كما أنّ العلم موقوف على اكتساب الشخص له وتعلّمه .

وجوابه : إنّ النبوة وبقية المقامات الغيبية لا-ريب في دخاله جملة من العوامل المؤثّرة فيها ضمن نظام التكوين للسنن الإلهية ، ومجموعها أسباب كثيرة ، كما هو الحال في جملة من التقديرات الإلهية لعظام الأمور المهمّة ، كنظام الخلق والتكوين ، وهذا لا ينفي كون البيئه الوراثية أحد تلك العوامل المؤثّرة ، ولو من جهة الإعداد ، وليس المراد الحصر والتأثير بالنسب ، ولكن أحد الأسباب المهمّة الدخيلة هي طهاره الأعراق ، ونجابه الأصل ، وكرامه المعدن ، ومن ثمّ أنّ الوراثه بالنسب للمقامات المعنوية يشترط فيها شرائط تزيد على شرائط وراثه المال كما مرّ سابقاً .

الشاهد الخامس : لو كان العلم والنبوة ممّا يورث ، لكان جميع من على وجه الأرض أنبياء وعلماء ، من أولاد آدم والنبيين ، إذ الميراث لا يختصّ بواحد من الورثه دون الآخر .

وجوابه : إنّ الوراثه بالنسب يشترط فيها جملة من الشرائط الأخرى ، لا تتوفّر

ص: ١٠٥

١- (١) طه : ٥٣ .

فى الأؑلب إلفى سلسله حلقات خاصه ، كما فى هاىبل دون قاىبل ، وفى هبه الله شىث دون أولاد قاىبل ، إلى أن تصل السلسله إلى نوح ، ثم فى أولاد نوح وهو سام ، وهكذا إلى إبراهيم وآل إبراهيم ، وآل عمران ، وآل إسماعيل .

كما أن هذه الوراثة لم يتناسلها كل من كان فى ذرىه إبراهيم ، كما قال الله تبارك وتعالى فى جواب دعاء إبراهيم لذرئته بالإمامه بعد نيله إياها : لا ینال عهدى الظالمین فاستثنى تعالى الظالم منهم ، وخصها بالذى لا یرتکب الذنب ، فدل على أن هذه الوراثة يشترط فىها الطهاره من الذنوب كما مر .

وكما فى قوله تعالى : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتُونَ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (١)** .

فخص تعالى الوراثة اللدنيه للكتاب لمن اصطفاهم ، وهم البعض من العباد ، والعباد بعض منهم ظالم لنفسه ، وبعض مقتصد ، أى على درجه متوسطه من الخير وسبيل الهدى ، وبعض منهم سابق بالخيرات ، بتمكين من الله عز وجل من لدنه ، وهو الفضل الكبير .

فلم يجعل الوراثة المعنويه للكتاب من نصيب المقتصد فضلاً عن الظالم لنفسه ، بل خصها بمن اصطفاهم ، وهم السابقون بالخيرات ، فتدل الآيه على شرطيه اخرى لوراثة الكتاب اللدنيه المعنويه ، وهى وراثه خاصه من بين المقامات الغيبيه المعنويه ، وهو عدم الاكتفاء فىها بالبراءه عن ارتكاب الذنب ، والاعتدال فى السلوك والأخلاق ، بل هذا المقام من الوراثة يشترط فىه كون الوارث سابق بالخيرات ، وهو الرائد فى كل خير من الخيرات ، لا- يتفوق عليه أحد ، كيف لا- وهذا المقام من الوراثة اللدنيه هو من أعظم المقامات ، لأنها وراثه وإحاطه بالعلم بالكتاب كله ، الذى هو مهيم على جميع الكتب السابقه .

ص: ١٠٦

١- (١) فاطر : ٣٢ .

الشاهد السادس : عدم اختصاص العلم والدين بالولد الوارث ، بل يشمل ذلك جميع الآمه ، ممّن هو مرضى منها ، بل لعلّ الولد الوارث يكون غير مرضى .

فجوابه : ما مرّ مراراً ، من أنّ الولاده ليس هي تمام الموضوع والسبب للوراثه اللدنيّه ، بل هي أحد الشرائط المهمّه ، فلا هي تمام الموضوع ، ولا هي أجنبيّه عن أركان موضوع الوراثه ، فأحد الأسباب المؤثره غايه التأثير هي البيئه الوراثيه والتربويه . وقد مرّ أنّ الآيات دالّه على شرطيه التوالد من السلالة الطاهره في الاصطفاء الإلهي .

الشاهد السابع : إنّ خوف زكريّا من بنى عمّه من جهه انتهاء المال إليهم ، دون العلم والنبوه ، لعلمه بأنّ الله تعالى لا يبعث نبياً ليس أهلاً لذلك ، ولا يورث العلم والحكمه من ليس أهلاً ، بخلاف المال فإنّه يرثه الصالح والپالاح .

فجوابه : أنّه كان في بنى إسرائيل كثره من الأنبياء ، فلم يكن بقاء النبوه متعيّن أن يكون من نسل زكريّا ، إذ من الممكن أن يكون الوارث في آل يعقوب من نسل أنبياء آخرين .

أضف إلى ذلك أنّ الوارد في روايه عن الإمام الباقر عليه السلام ، رواها عليّ بن إبراهيم :

أنّ خوفه كان من استيلاء من ليس أهلاً لمنصب إداره الأموال العامّه ، أي في المناصب الدينيّه في مله بنى إسرائيل .

فقد روى علي بن إبراهيم قال : روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في ذيل الآيه :

« ولم يكن لزكريّا يومئذٍ ولد يقوم مقامه ويرثه ، وكانت هدايا بنى إسرائيل ونذورهم للأخبار ، وكان زكريّا رئيس الأخبار ، وكانت امرأه زكريّا اخت (١) مريم بنت عمران بن ماثان ، وبنو ماثان إذ ذاك رؤساء بنى إسرائيل ، وبنو ملوكهم ، وهم من ولد سليمان بن

ص: ١٠٧

١- (١) الظاهر أنّ الاشتباه من الراوى ، حيث إنّها اخت امّ مريم .

فتكون الآيه نصياً في المطلوب لقاعده الوراثة ، والتي نحن بصددھا ، ونصياً في مورد احتجاج فاطمه عليها السلام في منصب ولايتها ، وولايه أهل البيت عليهم السلام على الفیء ، وعلى فدك ، وأن الوراثة هي وراثه للمناصب الإلهيه الدينيه الشامله للولايه على الأموال العامه .

وبذلك يتبين أن الوراثة ليست منحصره في الأموال الخاصه ، بل شامله للولايه على الأموال العامه ، وللمقامات المعنويه .

الشاهد الثامن : إن علم الشرائع وعلم الدين لا بد من نشره وبثه في سائر الناس حتى بين الأشرار منهم ، وبنوعم زكريا من جمله الأمه الذين بعث لاطلاعهم على ذلك ، فكيف يخاف من وصوله إليهم ، وأميا العلوم الغيبيه اللدنيه فلا يتصور الخوف من انتشارها ، حيث إنه لا سبيل إليها إلا عنه عليه السلام .

وجوابه : إن علم الشرائع لا يمكن تحمله بأكمله من غير الأصفياء ، لأن تأويل الشريعه بحر لا ينفد ، وكون الغرض من الشريعه بثها ، لا يعنى إحاطه الناس بتفاصيل أسرار وأعماق الشريعه ، بل ذلك ليس في مقدور الفقهاء ، والعلماء ، والأخبار ؛ لأن أسرار الشريعه سياسه إلهيه ، وحكمه ربانيه لتربيته خلقه ، لا يُطلع عليها إلا أصفياء من أوليائه الحجج ، وإلى ذلك يشير قوله تعالى حول تأويل الشريعه :

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَخَصَّ عِلْمَ تَأْوِيلِ الشَّرِيعَةِ بِهِمْ .

وكذا قوله تعالى : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وقوله تعالى : بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَقَدْ مَرَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْ

توريث الكتاب كله بمن اصطفاهم من عباده .

وأما بالنسبة إلى العلوم اللدنيّة الغيبية الأخرى ، فتصوّر الخوف عليها ، من جهة أنّ بقاءها متوقّف على بقاء سلسله من يصطفيه الله تعالى لحمل تلك العلوم ، فالتخوّف من ارتفاعها من جهة عدم وجود العقب ، وهذه العلوم هي مصدر هدايه بنى إسرائيل ، وعليه يكون التخوّف عليهم من زوالها والتخوّف من ضلالهم .

ص: ١٠٩

قوله تعالى : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١) .

ومن الملفت فى مفاد الآيه وشأن نزولها أنها بصدد الوراثة الاصطفائيه لمقامات النبى صلى الله عليه و آله ، وأن الذى يستحق هذه الوراثة هم الأقربون من قرباه ، ولكن تحت شرائط خاصه بالوراثة الاصطفائيه ، قد بينها النبى صلى الله عليه و آله فى حديث الدار المروى عند الفريقين .

ومؤدى هذا الحديث المستفيض ، أن الوارث بالوراثة الاصطفائيه لمقامات النبى الغيبه من قرباه الأقربين لا بد أن يتأهل ويتوفر على شرائط خاصه ، كما أن الآيه تؤكد ركناً هاماً وهو أن مقامات النبى صلى الله عليه و آله ومناصبه الإلهيه يخلفه فيها الأقرب من قرباه ، الواجد لشرائط الاصطفاء ، بنصب من الله تبارك وتعالى .

وتقريب بيان الآيه أنه قد ورد فى قراءتها عطف لفظ «ورھطك منهم المخلصين» ، والرهط فى اللغه القرابه الأدنون والعتره ، ورھط الرجل عترته وقربته الأدنون .

قال الجوهرى : عتره الرجل : « نسله ورھطه الأدنون » (٢) .

وقال الراغب : « العشيره : أهل الرجل الذين يتكثر بهم ، أى يصيرون له بمنزله العدد الكامل » (٣) .

ص: ١١٠

١- (١) الشعراء : ٢١٤ .

٢- (٢) الصحاح : ١ : ٢ .

٣- (٣) مفردات غريب القرآن : ٣٣٥ .

فقد روى مسلم في « صحيحه » في كتاب الإيمان باب قوله تعالى : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ . . .) أنه « . . . لَمَّا نزلت هذه الآية (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ رَهطك منهم المخلصين . . .)» (١) وهذه القراءة كالتفسير لمعنى الأقربين ، وهم رهطه المخلصين .

و أخرج السيوطى ، عن ابن جرير ، عن عمرو بن مرّه ، أنه كان يقرأ « وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ رَهطك منهم المخلصين » .

و أخرج السيوطى أيضاً عن ابن مردويه عن ابن عباس . . . الحديث (٢) .

قيل : « إنما خصّ الإنذار بالأقربين لدفع توهم المحاباه ، و أن الاهتمام بشأنهم ، و أن البدء يكون بمن يلى ، ثم بعده » (٣) .

وسياتى بطلان هذه المقوله ، و أنّ التخصيص نوع اصطفاء .

دلاله الآيه على الوراثه الاصطفائيه فى روايات أهل السنّه :

أخرج فى « كنز العمّال » : عن ابن جرير الطبرى ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وأبى نعيم فى الدلائل ، عن على عليه السلام قال :

« لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دعانى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا على ، إنّ الله أمرنى

ص: ١١١

١- (١) صحيح مسلم : ١ : ١٣٤ . ورواه البخارى صحيحه : ٦ : ٩٤ ، ذيل تفسير سوره المسد . ورواه ابن أبى حاتم فى تفسيره كذلك : ١٠ : ٣٤٧٣ . ورواه البغوى فى تفسيره : ٣ : ٤٠١ . ورواه الثعالبى فى : ٤ : ٤٤٨ . ورواه القرطبى فى تفسيره فى عدة مواضع منها : ١٣ : ٤١٣ و ٤ : ١٣٢ و ٢٠ : ٢٣٤ . ورواه ابن حبان فى صحيحه : ١٤ : ٤٨٧ . ورواه البيهقى فى سننه : ٩ : ٧ ، باب مبتدأ الفرض على النبى .

٢- (٢) الدرّ المنثور : ٥ : ٩٦ و ٩٧ .

٣- (٣) روح المعانى : ١٩ : ١٣٥ .

أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ، وعرفت أنني متى ما ناديتهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصيمت حتى جاء جبرئيل فقال : يا محمّد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يُعذّبك ربّك ، فاصنع لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رجل شاه ، واملاً لنا عسياً من لبن ، ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلهم ، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به ، ثم دعوتهم ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه ، أبو طالب ، وحمره ، والعباس ، وأبو لهب .

فلما اجتمعوا إليه دعانى بالطعام الذى صنعته لهم فجئت به ، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله حذيه من اللحم فشقها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحي الصحف ، قال :

خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشىء حاجه ، وما أرى إلّامواضع أيديهم ،

وأيم الله الذى نفس علىّ بيده ، إن كان الرجل الواحد ليأكل ما قدّمت لجميعهم .

ثم قال : إسق الناس ، فجئتهم بذلك العسّ ، فشربوا حتى رووا منه جميعاً ، وأيم الله ، إن كان الرجل الواحد ليشرب مثله .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكلمهم ، بدره أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لقد سحرتم صاحبكم ، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : الغد يا علىّ ، إن هذا الرجل قد سبقنى إلى ما قد سمعت من القوم ، فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم ، فأعدّ لنا من الطعام مثل الذى صنعت ، ثم اجمعهم .

قال : ففعلت ثم جمعتهم ، ثم دعانى بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ،

فأكلوا حتى ما لهم بشىء حاجه .

قال : إسقمهم ، فجئتهم بذلك العسّ حتى رووا منه جميعاً .

ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله ،

فقال : يا بنى عبد المطلب ، إننى والله ما أعلم شائياً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به ، إننى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ،

وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه ، فأيتكم يؤازرنى على أمرى هذا ، على أن يكون أخى وكذا وكذا ؟

قال : فأحجم القوم عنها جميعاً .

فقلت - و أنا أحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً - :

أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه .

فأخذ برقبتي وقال : إن هذا أخى ، ووصيى ، وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ،

فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبى طالب : قد أمرك أن تسمع وتطيع لعلى «(1)» .

و أخرج فى « كنز العمال » أيضاً عن ابن جرير ، عن على ، قال : « إنّه قيل له :

كيف ورثت ابن عمك دون عمك ؟

فقال :

جمع رسول الله صلى الله عليه و آله بنى عبد المطلب ، فيهم رهط ، كلهم يأكل الجذعه ويشرب الفرق ...

إلى أن قال :

قال رسول الله صلى الله عليه و آله : يا بنى عبد المطلب ، إننى بعثت إليكم خاصه ، وإلى الناس عامه ، وقد رأيتم من هذه الآيه ما

رأيتم ، فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى ،

وصاحبى ، ووارثى ؟ فلم يقم إليه أحد ،

فقمتم إليه ، وكنتم من أصغر القوم ، فقال :

إجلس .

ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه فيقول لى : إجلس ، حتى كان فى الثالثه ضرب بيده على يدى .

قال :

فلذلك ورثت ابن عمى دون عمى «(2)» .

وفى « مسند أحمد » بإسناده عن على عليه السلام أنه :

« فقال لهم : من يضمن عنى دينى ،

ومواعيدي ، ويكون خليفتي في أهلي؟» (٣).

ورواها «الطبري في تفسيره» ، بإسناده عن عليّ عليه السلام في ذيل الآية .

ص: ١١٣

١- (١) كتر العَمَّال : ٦ : ٣٩٦ ، وقريب منها في تفسير الطبري ذيل آيه الإنذار : ١٩ : ١٢٣ .

٢- (٢) كتر العَمَّال : ٢ : ٣٩٦ .

٣- (٣) مسند أحمد : ١ : ١١١ .

وروى سبط ابن الجوزى فى « التذكره » ، عن أحمد بن حنبل فى « الفضائل » ، بإسناده عن السلوى ، وكان قد شهد حجّه الوداع ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول فى ذلك اليوم :

على منّى و أنا منه ، ولا يقضى دينى سواه .

قيل : قاله يوم نزل عليه و أنذر عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «(١) .

وذكر الراغب الأصفهانى فى « المفردات » : « روى بلفظ :

أنت أخى ووارثى .

قال : وما أرث منك يا رسول الله ؟

قال :

ما ورّث الأنبياء من قبلى .

قال : وما ورّث الأنبياء من قبلك ؟

قال :

كتاب ربهم وسنتى «(٢) .

أقول : والمحصل من هذه الروايات من طرق العامه هو :

١ - إن الآيه نزلت فى توريث بعض الأقربين من رهطه المخلصين وراثه اصطفاء .

٢ - إن هذه الوراثة هى وراثه اصطفاء ، وأن قوامها بالقرباه لسلاله النبيين .

٣ - إن من شرائط وراثه الاصطفاء للوارث من القربى هى مؤازره الوارث للمورث فى أمر السماء ، وصيرورته وزيراً له ، يشركه فى أعباء ما حُمّل من أمانه الدين والرساله ، وإبلاغها ، وإقامتها ، و أن يضمّن عن المورث عداته المترتبه على مقاماته ، ومناصبه الدينيه ، كسفير من السماء إلى البشر ، فيكون ضامناً له فى كلّ عهوده وعقوده السياسيه ، التى أبرمها مع الجماعات ، والملل ، و النحل ، والدول .

وغيرها من الشرائط التى تختلف فيها وراثه الاصطفاء عن الوراثة المالىه العاديه .

١- (١) تذكرة الخواص لسبط ابن جوزى : ٤٤ .

٢- (٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى : ٥١٩ .

فقد روى الصدوق بسند معتبر ، عن الريان بن الصيلى ، قال : « حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو ، وقد اجتمع فى مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان . فقال المأمون : أخبرونى عن معنى هذه الآية : ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا .

فقلت العلماء : أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها .

فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الرضا عليه السلام :

لا أقول كما قالوا ، ولكنى أقول : أراد الله عز وجل بذلك العتره الطاهره .

فقال المأمون : وكيف عنى العتره من دون الأمة ؟

فقال له الرضا عليه السلام :

إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها فى الجنه ، لقول الله عز وجل :

فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ، ثم جمعهم كلهم فى الجنه ، فقال عز وجل : جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ الْآيَه (١)

فصارت الوراثه للعتره الطاهره لا لغيرهم .

فقال المأمون : من العتره الطاهره ؟

فقال الرضا عليه السلام :

الذين وصفهم الله فى كتابه فقال عز وجل : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٢) ،

وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إننى مخلّف فىكم الثقلين ، كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفونى فىهما . أيها الناس ، لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .

ص: ١١٥

قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العتره ، أهم الآل أم غير الآل ؟

فقال الرضا عليه السلام :

هم الآل .

فقالت العلماء : فهذا رسول الله صلى الله عليه و آله يؤثر عنه أنه قال :

أمتي آلى ، وهؤلاء أصحابه ، يقولون بالخبر المستفاض ، الذى لا يمكن دفعه : آل محمد أمته .

فقال أبو الحسن عليه السلام :

أخبرونى فهل تحرم الصدقه على الآل ؟

فقالوا : نعم .

قال :

فتحرم على الأئمه ؟

قالوا : لا .

قال :

هذا فرق بين الآل والأئمه . ويحكم أين يذهب بكم ، أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون (١) ،

أما علمتم أنه وقعت الوراثه والطهاره على المصطفين المهتدين دون سائرهم ؟

قالوا :

ومن أين يا أبا الحسن ؟

فقال : من قول الله عز وجل : وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ

(٢) ،

فصارت وراثه النبوه والكتاب للمهتدين دون الفاسقين .

أما علمتم أن نوحاً حين سأله ربه عز وجل : فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٣) و ذلك

أن الله عز وجل وعده أن ينجيه وأهله ، فقال ربه عز وجل : يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ

-
- ١- (١) إشاره لقوله تعالى: أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ الزخرف : ٥ .
- ٢- (٢) الحديد : ٢٦ .
- ٣- (٣) هود : ٤٥ .

فَلَا تَسْتَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١).

فقال المأمون : هل فضل الله العتره على سائر الناس ؟

فقال أبو الحسن :

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَانَ فَضْلَ الْعَتْرَةِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ .

فقال له المأمون : وأين ذلك من كتاب الله ؟

فقال له الرضا عليه السلام :

فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢) .

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٣) .

ثُمَّ رَدَّ الْمَخَاطِبَةَ فِي أَثَرِ هَذِهِ إِلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

يعنى الذى قرنهم بالكتاب والحكمه وحسدوا عليهما .

فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا

يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين ، فالملك هاهنا هو الطاعة لهم .

فَقَالَتِ الْعُلَمَاءُ : فَأَخْبِرْنَا هَلْ فَسَّرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَصْطِفَاءَ فِي الْكِتَابِ ؟

فقال الرضا عليه السلام :

فَسَّرَ الْأَصْطِفَاءَ فِي الظاهر سوى الباطن فى اثنى عشر موطناً وموضعاً . . . فقول الله عز وجل فى آيه التحريم : حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ

ص: ١١٧

١- (١) هود : ٤٦ .

٢- (٢) آل عمران : ٣٣ .

٣- (٣) النساء : ٥٤ .

وَ أَخَوَاتِكُمْ... الآية (١)، فأخبروني هل تصلح ابنتي وابنه ابني وما تناسل من صلبى لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يتزوجها لو كان حياً؟

قالوا: لا .

قال :

فأخبروني هل كانت ابنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حياً؟

قالوا: نعم .

قال :

ففى هذا بيان ، لأئى أنا من آله ولستم من آله ، ولو كنتم من آله لحرّم عليه بناتكم كما حرّم عليه بناتى ، لأئى من آله وأنتم من أمته ، فهذا فرق بين الآل والأمه ،

لأن الآل منه ، والأمه إذا لم تكن من الآل فليست منه «(٢)» .

شرائط الوارث فى وراثه الاصطفاء :

ويظهر من الروايه بيان لجمله من شرائط وراثه الاصطفاء ، استشهداً بجمله من الآيات :

الأول : إن الوارث هو من الذريه لا- من مطلق القرابه ، أى ممن يكون محرّماً ، استناداً إلى قوله تعالى : وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَ الْكِتَابَ . . . (٣) .

وكذلك قوله تعالى : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي... (٤) .

وكذا قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى

ص: ١١٨

١- (١) النساء : ٢٣ .

٢- (٢) تحف العقول : ٤٢٥ و ٤٣٦ . أمالى الصدوق : ٦٢٥ و ٦٣٦ . بحار الأنوار : ٢٥ : ٢٣٣ - ٢٤٤ . الحدائق الناضره : ١٢ : ٤٠٣ - ٤١٤ .

٣- (٣) الحديد : ٢٦ .

٤- (٤) البقره : ١٢٤ .

أَلْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ... (١).

وغيرها من الآيات المتعددة التي أخذت عنوان الذرية في وراثه الاصطفاء .

الثاني : إن الوارث طاهر من الذنوب والمعصية : و ذلك استناداً إلى قوله تعالى :

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٢).

وكذلك قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ ذَلِكُمْ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣).

وكذا قوله تعالى : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (٤).

الثالث : إن الوارث من الذرية مهتد ، لا ضال ولا فاسق : و ذلك استناداً إلى قوله تعالى : وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٥).

وكذا قوله تعالى : فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ... (٦).

الرابع : إن الوارث هو الأقرب في القرابه : و ذلك استناداً إلى قوله تعالى :

وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ (٧).

ص: ١١٩

١- (١) آل عمران : ٣٤ .

٢- (٢) الأحزاب : ٣٣ .

٣- (٣) فاطر : ٣٢ .

٤- (٤) البقره : ١٢٤ .

٥- (٥) الحديد : ٢٦ .

٦- (٦) هود : ٤٦ .

٧- (٧) الأنفال : ٧٥ .

وقوله تعالى : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (١) .

الخامس : إنّ الوارث سابق بالخيرات : و ذلك استناداً إلى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢) ، أى لا يسبقه أحد فى أى سبيل من سبيل الخير ، ولذا ورد عن أهل البيت عليهم السلام فى أكثر من موضع قولهم :

« لو كان خيراً ما سبقونا إليه » (٣) .

السادس : كونه مخلصاً لله تبارك وتعالى كما فى قوله تعالى على قراءه ابى بن كعب ، ومصحف عبد الله بن مسعود : « وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ رهطك منهم المخلصين » فقيّد الوارث من الأقربين أن يكون من المخلصين ، وكذلك فى جملة من الروايات التى رووها ، كما مرّت الإشارة إليه .

السابع : أن تقع الخيره الإلهيه والاصطفاء عليه ، فيختار الله تبارك وتعالى من الذريه من هو أهل لهذه الوراثة ، استناداً إلى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٤) .

واستناداً إلى لفظ « جعلنا » فى قوله تعالى وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ (٥) .

ولفظ « يريد الله » فى قوله تعالى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً .

وقوله تعالى : وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ (٦) .

ص: ١٢٠

١- (١) الشعراء : ٢١٤ .

٢- (٢) فاطر : ٣٢ .

٣- (٣) كما فى التهذيب للطوسى : ٦ : ١٢٦ . الكافى : ٥ : ١٩ ، وغيرهما .

٤- (٤) فاطر : ٣٢ .

٥- (٥) الحديد : ٢٦ .

٦- (٦) القصص : ٦٨ .

الثامن : كل ما اشترط من شرائط وراثه المال ، حيث إن هذه الوراثة الاصطفائية أخذ فيها الشرائط العامه فى الوراثة ، وزيد فيها شرائط اخرى .

التاسع : قبول الوارث وتعهده بميثاق الاصطفاء ، فإن الاصطفاء مقام يتضمن مسؤوليات وتكاليف خاصه لهذا المقام ، و تلك المسؤوليات والوظائف تختلف بحسب مقام الاصطفاء ، حيث إن الاصطفاء هو الاختيار الإلهي للمناصب الإلهية ، وتختلف فيها المسؤوليات ، فمثلاً- فى قوله تعالى : **وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَبْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (١)** .

فاشترط الله تعالى الإيمان بخاتم النبيين عليهم فى ميثاق اصطفائهم للنبوّه ، والتعهد بنصرته ، و أخذ عليهم الميثاق الغليظ المشدد ، و أقام الاشهاد عليهم .

وكذلك فى حديث الدار ، وعند نزول قوله تعالى : **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، حيث كان ذلك الإنذار ميثاق تعاقد لاصطفاء الوصى ، والوزير ، والإمام ، والخليفه بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ، على أن يؤازره على أمر الدين ، ويشاركة فى حمل أعباء أمانه الدين ، ويقضى ديونه ، أى التزاماته بما هو رسول وحاكم من قبل الله تعالى ، ومواعيده أى عهوده المبتدأه مع الآخرين .

الفارق بين الوراثة الاصطفائية والوراثة فى المال الخاص :

إن هناك تغييراً جوهرياً بين طبيعه الوراثة المالىه والوراثة الاصطفائية ، كما أن هناك اختلافاً فى الآثار بتبع ذلك ، فهناك فوارق وتمايز فى جهه الموضوع ، وكذلك فى جهه الحكم والآثار ، وإن كان بينهما جامع فى أصل التوريث ، وحصول الوارث

ص: ١٢١

على أمور وأشياء من المورث ، من هنا أتجه البحث لبيان الفوارق ، لئلا يقع الخلط بينهما ، لا سيما وأنّ الوراثة الاصطفائية لها بُعد عقائدي مهم ، وكثيراً ما يحصل سرايه قواعد وأطر الوراثة الماليه إلى الوراثة الاصطفائية .

وبالأحرى فإنّ الوراثة الاصطفائية مغفول عنها في أذهان الكثير من المسلمين ، وينسب إلى أذهانهم الوراثة الماليه حصرياً ، بينما الوراثة الاصطفائية هي أخطر شأنًا في المصير العامّ للأمم والدّين .

ولنستعرض جملة من الفوارق كي يتمّ التعرّف على الوراثة الاصطفائية وأهمّيتها ، وآثارها ، والانقياد إلى الالتزام بها ، لا سيما وأنّها فريضة عقائديه ، وليست هي كفرائض الأموال :

الفارق الأوّل : إنّ الشرائط التي يلزم توفرها في الوارث الاصطفائي تزيد على الشرائط التي يلزم توفرها في الوارث المالي ، أي أنّه يشترط فيه مضافاً إلى شرائط الوراثة الماليه جملة من الشرائط الكثيره الأخرى ، والتي تتناسب مع خطوره الوراثة الاصطفائية .

الفارق الثاني : إنّ الوراثة الماليه لا- تكون فعليه إلّابموت المورث ، بينما الوراثة الاصطفائية تتحقّق فعليتها بمجرد التنسيل من المورث ، فلو مات الوارث قبل مورثه في الوراثة الماليه لم تتحقّق الوراثة ، وهذا بخلاف الوراثة الاصطفائية فإنّها تتحقّق بمجرد وجود الوارث سواء كان ذلك في حياه المورث أو بعد وفاته ، كما هو الحال في هارون عليه السلام ، حيث كان وصياً وخليفه ووزيراً لموسى عليه السلام ، وتوفّي قبله ، وكذلك هابيل حيث كان وصياً لآدم ، ولكن قُتل قبل وفاه آدم ، وخلف من بعده هبه الله شيث .

الفارق الثالث : إنّ الوراثة الماليه اعتباريه غير تكويته ، أي تجرى في انتقال الملك والحقّ الاعتباري ، فهي تابعه إلى التشريع ، بينما الوراثة الاصطفائية هي

فى الأصل تكويته ، ووراثه تنسيل ، أى تنتقل الصفات الوراثيه الروحيه التكوينيته من المورث إلى الوارث ، نظير الصفات الوراثيه الجسديه .

فقد روى الفريقان من أنّ فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أتت بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام فى شكواه التى توفى فيها فقالت :

« يا رسول الله ، هذان ابناك فورثهما شيئاً .

قال صلى الله عليه وآله :

أما الحسن فإن له هيبته وسؤددى ، وأما الحسين فإن له جرأتى وجودى «(١) .

نعم هى تشمل الموارث الاعتباريه والمناصب القانونيه بالتبع .

الفارق الرابع : إنّ موضوع الوراثة المالىه هو فى الأموال والملكيه الخاصه ، بينما موضوع الوراثة الاصطفائيه ومتعلقها الشؤون العامه فى الشخصيه الحقوقيه ، والمقامات الملكويه اللدنيه .

الفارق الخامس : إنّ ميراث الوراثة المالىه هو نتيجة ما يكسبه المورث ويتركه للوارث ، بينما فى الميراث فى الوراثة الاصطفائيه فهى مواهب لدنيه إلهيه ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ (٢) .

الفارق السادس : إنّ الوراثة المالىه حكم فقهيّ تشريعى ، بينما الوراثة

ص: ١٢٣

١- (١) الخصال للصدوق : ٧٧ ، باب الاثنين ، الحديث ١٢٢ - ١٢٤ . إرشاد الشيخ المفيد : ١٨٧ . المناقب لابن شهر آشوب : ٣ : ٣٩٦ . مسند فاطمه : ٥٥ . المعجم الكبير للطبرانى : ٢٢ : ٤٢٣ ، الحديث ١٠٤١ . شرح نهج البلاغه : ١٦ : ١٠ . وأورده العسقلانى فى تهذيب التهذيب : ٢ : ٢٩٩ . كنز العمال : ٧ : ٢٤٨ ، الحديث ١٨٨٣٩ و ١٣ : ٦٧٠ ، الحديث ٣٧٧٠٩ . تاريخ مدينه دمشق : ١٣ : ٢٣٠ .

٢- (٢) الأنعام : ١٢٤ .

الاصطفائية حكم عقائدي ، لأنه يرتبط بالاصطفاء الإلهي لفئه خاصه من البشر بحسب المناصب الإلهية .

دلاله الآيه على أن للنبي صلى الله عليه وآله بعثين :

إن تقييد الآيه في أوائل البعثة في مكة المكرمه الإنذار بخصوص الأقربين ، لا- سيما على قراءه أو تفسير « و رهطك منهم المخلصين »(١)، يدل على أن الأمر الإلهي ببعثه الرسول صلى الله عليه وآله ونذارته على نمطين وصعيدين ، فبعثته الأولى ونذارته خاصه بأهل بيته الأقربين ورهطه المخلصين ، دون سائر الأمة ، وأن ما ابتعث به في هذه البعثة هي أوامر وإنذار ، يخص أهل بيته الأقربين ، ولا يشمل بقيه الأمة ، وهذا بخلاف البعثة الثانيه للنبي صلى الله عليه وآله ، فإنها بعثه عامه لسائر الناس ، كما في قوله تعالى : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (٢) .

وفي هذه البعثة العامه تعم الأوامر الإلهية والنذر كلاً من رهطه الأقربين وسائر الأمة ، وقد ورد ذلك في الأحاديث النبويه التي رواها الفريقان ، حيث روى ابن حنبل في « مسنده » عن علي عليه السلام وفي طي ذكره لحديث الدار أن النبي صلى الله عليه وآله قال :

« يا بني عبد المطلب ، إنني بعثت إليكم خاصه ، وإلى الناس بعامه ، وقد رأيتم من هذه الآيه ما رأيتم ، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي ، وصاحبي ؟

قال :

فلم يقم إليه أحد ، فقامت إليه و كنت أصغر القوم .

قال :

فقال : إجلس ، قال : ثلاث مرّات كل ذلك أقوم إليه فيقول لي : إجلس ، حتّى إذا كان في الثالثه ضرب بيده على يدي «(٣) .

ص: ١٢٤

١- (١) كما هو الحال في قراءه ابى بن كعب ، ومثبته في مصحف عبد الله بن مسعود « و رهطك المخلصين » .

٢- (٢) سبأ : ٢٨ .

٣- (٣) مسند أحمد : ٢ : ٤٦٥ ، الحديث ١٣٧١ .

ورواه الطبري في « تاريخه » أيضاً باختلاف يسير و ذلك في قوله صلى الله عليه و آله :

« يا بني عبد المطلب ، إني بعثت إليكم بخاصه ، وإلى الناس بعامه ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما رأيتم ، فأيكم يبايعني ، على أن يكون أخي ، وصاحبي ، ووارثي ... »

الحديث(١).

ورواه النسائي أيضاً بنفس لفظ الطبري إلّا أنه زاد : « ووزيري »(٢).

وفي روايه ابن عساکر قوله صلى الله عليه و آله :

« يا بني عبد المطلب ، إنه لم يبعث الله نبياً إلّا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفه في أهله »(٣).

هذا مضافاً إلى أنّ هذا هو حديث الدار قد روى بطرق مستفيضه ، أو متواتره(٤) في مصادر الجمهور ، فضلاً عن المصادر الخاصه ، بألفاظ اخرى ، والذي كان في بدايه البعثه قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه و آله بالبعثه إلى عامه الناس .

هدف البعثه الأولى التي للأقربين هو (ميثاق الوصايه) :

ومقتضى تعدد النذاره والبعثه هو أنّ ما ابتعث به صلى الله عليه و آله لرهطه الأقربين ، هو بأمر يخصهم دون سائر العالمين ، كما يفيد لفظ الاختصاص في الآيه بالعشيره التي هي أقرب ، دون مطلق القربى ، وتفيد أيضاً ألفاظ الروايات المرويّه من أنه صلى الله عليه و آله قد بُعث إلى قرياه بخاصه وإلى الناس بعامه ، حيث إنّ التعبير النبويّ

« بعثت إليكم بخاصه »(٥) هي لبيان محتوى ما بُعث به ، وقد وصفه صلى الله عليه و آله على أنه أمر خاصّ بهم ،

ص: ١٢٥

- ١- (١) تاريخ الطبري : ٢ : ٦٢ ، باب خير عمّا كان عن أمر عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإرسال جبرئيل إليه .
- ٢- (٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي : ٩٧ ، الحديث ٥٦ . السنن الكبرى للنسائي : ٥ : ١٢٦ .
- ٣- (٣) تاريخ مدينه دمشق : ٤٢ : ٥٠ ، ترجمه عليّ بن أبي طالب ، الحديث ٤٩٣٣ .
- ٤- (٤) لاحظ موسوعه الإمامه في نصوص أهل السنّه للسيد المرعشي : ٢ : ٢٤ - ٣٣ .
- ٥- (٥) فقد سبق نقل نصّ حديث الدار من مصادر عديده ، فلاحظ .

وليس عامّاً لكلّ الناس ، و هذا بخلاف مضمون ومحتوى ما بُعث به صلى الله عليه و آله وأمر بإبلاغه لسائر الناس ، فإنّه أمر يعمّ جميع الناس .

وقد طفحت الروايات المتواتره فى حديث الدار الوارد فى بيان حادثه نزول الآيه الكريمه أنّه صلى الله عليه و آله أنذرهم بأن يكونوا أوّل من يتحمّل مسؤوليته إقامه هذا الدين ونشره ، والذين يشيّدون أركانه ، بأن يؤازروه ويناصروه فى ذلك ، ويتحمّلون هذه المسؤوليه من بعده أيضاً ، من الوصايه على حفظ هذا الدين وإقامته ونشره ما دام هذا الدين باقياً .

ومن الواضح أنّ هذه النذاره ليست لمجرّد دخول عشيرته الأقربين ورهطه المخلصين فى الإسلام ، بل للتعهّد والالتزام والبيعه على أن يشاركوه فى القيام بأصل الدعوه ، ويؤازروه على قيادتها ، ويناصروه على ريادةها ، فيكونوا طاقم قياده كأيدى وأذرع له صلى الله عليه و آله ، فى مركز رئاسه هذه الدعوه الجديده ، ويتحمّلون معه الأعباء فى كلّ صغيره وكبيره ، ويخلفوه من بعده فى هذا المقام .

و هذا المعنى القويم فى الآيه فى قبال ما ذهب إليه جملة من المفسرين ، من كون الدعوه كانت ذات مراتب فى توسعتها ، فابتدأت الدعوه بدعوه العشيره الأقربين ثمّ الناس عامّه .

أو من باب أنّ الأولى أن يأمر الإنسان نفسه ، ثمّ ذويه ، ثمّ الأبعد فالأبعد .

وإن كان ما ذكره تامّاً فى نفسه إلّا أنّه لا يفسّر تخصيص الإنذار الوارد فى القرآن الكريم بالأقربين المفاد الوارد فى الحديث النبويّ أنّ البعثه الإلهيه لرسول الله صلى الله عليه و آله خاصّه بالأقربين ، دون البعثه الثانيه لسائر الناس ، أو أنّه صلى الله عليه و آله بُعث بخاصّه لهم ، أى بأمور وأوامر خاصّه لهم دون غيرهم .

القيادة في الدين حصريه بنى عبد المطلب :

ومما يؤكد أنّ محتوى هذه البعثة الخاصه هي أوامر إلهيه خاصه بالعشيره الأقربين ، مرتبطه بمسؤوليه الطاقم القيادي هو جمله من الشواهد :

الشاهد الأول : ما تكرر وروده في حديث الدار المروي عند الفريقين ، من طلبه صلى الله عليه و آله منهم المؤازره والنصره والبيعه على الولايه والوصايه والخلافه من بعده ، وهو قوله صلى الله عليه و آله :

« إنّ الله لم يبعث رسولاً إلّا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً » (١) .

ويشهد لهذه السنه الإلهيه ما في قول موسى عليه السلام وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * أُشْدُّ بِهِ أَزْرِي * وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي... الآية (٢) وهذه الأُخُوّه لا تقتصر على المشاركه في النسب والأهل فقط ، بل هي تمتد إلى المشاركه بالنسب والارتباط الروحي ، والمشاركه في الموقعيه والمسؤوليه في الدين كحججه من الحُجج .

الفارق بين الوزير والخليفه :

الوزاره هي المشاطره في العبء ، لأنّ الوزر من الثقل ، ولا يخفى الفارق بين عنوان الوزير والخليفه ، فإنّ مقتضى الوزاره هي مباشره المسؤوليه والولايه في عهد وزمن من يُؤازر وهو الرئيس ، بخلاف عنوان الخليفه فإنّه تصدّى للولايه في زمن يقع ما بعد حياه المستخلف .

و هذا يفيد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كانت له ولايه فعليّه مسانده وتابعه للرسول صلى الله عليه و آله في ظلّ عهد حياته صلى الله عليه و آله .

وهذه من خواصّ ولايه ومقامات أمير المؤمنين عليه السلام ، كما أنّ من خواصّ

ص: ١٢٧

١- (١) تاريخ مدينه دمشق : ٤٢ : ٥٠ .

٢- (٢) طه : ٢٩ - ٣٢ .

ومقامات فاطمه الزهراء عليها السلام تفعيل ولايتها في الفیء والأمر العامه ، فی عهد أمير المؤمنين عليه السلام فضلاً عن الحقبه التي أعقبت وفاه النبي صلى الله عليه وآله .

الشاهد الثاني : ما رواه ابن عساكر أيضاً بسنده عن أبي بكر أنه قال للعباس بن عبد المطلب : « أنشدك الله ، هل تعلم أن رسول الله جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم ، وجمعكم دون قريش ، فقال :

يا بني عبد المطلب ، إنه لم يبعث الله نبياً إلا جعل له من أهله أخصاً ووزيراً ووصياً . . .

يا بني عبد المطلب ، كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناناً و الله ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمن ، فقام علي من بينكم فبايعه على ما شرطه له ودعاه إليه ، أتعلم هذا من رسول الله ؟ قال : نعم » (١).

فقد صيرح في هذه الروايه بأن مضمون هذه البعته الخاصه لتقلد بني عبد المطلب إمامه الأئمه وقيادتها من الله ، كطاقم قياده مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد روى هذا اللفظ - رؤوساً - بطرق اخرى أيضاً (٢).

الشاهد الثالث : ما ورد من تشديد الله تعالى على نبيه في إبلاغ هذا الإنذار والرساله الخاصه ، فهو نظير ما ورد في آخر حياه الرسول صلى الله عليه وآله من واقعه غدیر خم في آيه الإبلاغ : يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣).

وقد ورد في الحديث بعده طرق من الفريقين في بيان سبب نزول الآيه :

أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد اشتد عليه ذلك .

فقد روى عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال :

« لما نزلت هذه الآيه

ص: ١٢٨

١- (١) تاريخ مدينه دمشق : ٤٢ : ٥٠ .

٢- (٢) المصدر المتقدم .

٣- (٣) المائده : ٧٦ .

وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ أَنْعَمْتَ أَنْ يَشُقَّ عَلَيْهِ ،

فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، لِتَبْلُغَنَّ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ أَوْ لِيُعَذِّبَنَّكَ اللَّهُ .

قال : فدعاني وقال : يا عليّ ، إنّ الله أمرني بأمر اشتدّ عليّ وأنعمت أن يشقّ عليّ ، فجاءني جبرئيل فقال : يا محمّد ، لتبلغنّ ما أمرك الله به أو ليعذّبنك ﴿١﴾ .

وقد ورد هذا الحديث في مصادر أهل سنّه الجماعه (٢) . وقريب منه ما رواه السيوطى وابن مردويه والطبرى (٣) .

الشاهد الرابع : قوله صلى الله عليه و آله :

« يا بنى عبد المطلب ، كونوا فى الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناً ، و الله ليقومن قائمكم أو لتكونن فى غيركم » ومن الواضح أنّ مضمون الدعوه ممّا يرتبط برئاسه الدين والقيام بأعباء الدعوه الإلهيه ، حيث إنّ المراد من (الرؤوس) القاده والقيادات فى الدين .

الشاهد الخامس : قول أبى لهب وجماعه من بنى هاشم حين قاموا وانفضوا

ص: ١٢٩

١- (١) مناقب أمير المؤمنين لابن سليمان الكوفى : ١ : ٣٠٧ . وفى روايه اخرى للسيهقى فى الدلائل ، بإسناده عن عليّ بن أبى طالب قال : « لما نزلت هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه و آله (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه و آله : عرفت أنّى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره فصمت ، فجاءني جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد ، إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار . . . » دلائل النبوه : ٢ : ١٨٠ .

٢- (٢) تفسير مقاتل : ٥٣١ . تفسير عبد الرزاق الصنعانى : ٣ : ٧٧ . تفسير الطبرى : ١٩ : ١٤٥ ، الحديث ٢٠٣٦٤ و ٢٠ : ٤٢٩ ، الحديث ٢٩٥٨٨ . تفسير ابن أبى حاتم : ٩ : ٢٨٢٥ . تفسير الفخر الرازى : ٢٤ : ١٧٢ و ٣٢ : ١٦٥ . دلائل النبوه لأبى نعيم : ١ : ٣٧٨ ، باب وأنذر عشيرتك الأقربين . تاريخ الطبرى : ٢ : ٦٢ .

٣- (٣) كما فى كنز العمال : ١٣ : ١٣١ ، الحديث ٣٦٤١٩ . الطبرى فى تفسيره : ١٩ : ٧٤ . وأخرجه السيوطى فى مسند عليّ بن أبى طالب : ١ : ١٤٩ ، عن ابن إسحاق ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، وأبى نعيم .

من المجلس قولهم لأبي طالب : « أطع ابنك فقد أمره عليك » فيظهر منها أنّ مضمون الدعوه التي لم يلتزم بها في ذلك المجلس إلعلى بن أبى طالب قد فهم منها القوم أنّها دعوه مرتبطه بالجهاز القيادى للدعوه الإلهيه ، وأنّها مسؤوليه ورساله خاصه مرتبطه بحمل أعباء الرساله والدين فى موقعيه رياده ورياسه .

بل صرح النبى صلى الله عليه وآله وأمر بالسمع له والطاعه ، أى تنصبيه والياً عليهم فى قوله صلى الله عليه وآله :

« فاسمعوا له وأطيعوا » فى جملة من طرق هذا الحديث .

الشاهد السادس : ما ورد فى جملة من طرق هذا الحديث ، من أنّ طلبه صلى الله عليه وآله من بنى هاشم - من الأقربين - هو على مؤازرتهم ونصرتهم له صلى الله عليه وآله على هذا الأمر ، على أن يكون وزيراً له صلى الله عليه وآله وخليفه من بعده ، فلم يكن طلبه صلى الله عليه وآله منهم على أصل الإيمان بالدين ، وكأنّ هذا أمر مفروغ عنه فيما بينه صلى الله عليه وآله وبينهم من قبل ، كما فى قوله صلى الله عليه وآله :

« . . . وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم » .

الشاهد السابع : ما ورد فى عدّه طرق روايه هذا الحديث قوله صلى الله عليه وآله :

« يا بنى عبد المطلب ، إنّ الله لم يبعث رسولاً إلّاجعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً » (١) .

والنتيجه : فكما أنّ هناك دعوه لاعتناق الإسلام والإقرار بالشهادتين ، ودعوه للإيمان بالإقرار والتسليم القلبى للشهادات الثلاث ، فإنّ هناك فى مقابلها دعوه إلهيه اخرى لبنى هاشم خاصه ، وهى دعوه بالاستيزار والخلافه ، ومقتضى ظاهر الآيه وروايات الفريقين تخصيص هذه الدعوه والمقام بهم خاصه ، دون غيرهم من عامه الخلق .

ص: ١٣٠

١- (١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى : ١ : ٥٤٤ . تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤٢ : ٤٩ . كتر الفوائد للكرجكى : ٢٨٠ . المناقب لابن شهر آشوب : ١ : ٣٠٧ .

فى هذه الدعوه خصوصيه اخرى وهى أنّ فيها من الأوامر والفرائض تتعلق بمسؤوليه وأعباء قياده الدعوه ، ومشاركه الرسول صلى الله عليه وآله فى مسؤوليه إبلاغ الرساله السماويه ، ومؤازرته كمؤازره الوزير فى ذلك ، وهو المقام الذى يشير إليه قوله تعالى على لسان موسى وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (١).

وكقوله تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ جَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٢).

فإنّ قبول هذه الدعوه يتضمن الدخول فى تحمّل أعباء مسؤوليات ، ومنظومه أوامر وفرائض هذا المقام وقوانينه ، لا يخاطب بها سائر أفراد الناس ، بل لا يطلعون على جملة أحكامه ، لأنها مجموعه بنودٍ مختصه بالطاقم القيادى الإدارى ، كما هو مألوف فى الأنظمه الاجتماعيه البشريه طوال التاريخ حتى النظام القبلى ، فضلاً عن النظام المدنى .

وإذا أردنا أن نمثّل لهذه المنظومه من القوانين بمثال ، فإنّه يمكن لنا التمثيل بما تعتمده الدول من مجموعه قوانين إداريه ، ولوائح داخلية للهيئات العليا فى النظام ، فإنّ هذه القوانين لا يخاطب بها عموم الناس بل حتى قد لا يطلعوا ، فإنّ جملة من بنوده تكون سرّيه ، ويتأثر موازنه أمن النظام وقوه إدارته بسرّيتها .

كما أنّ من يشغل المناصب العليا فى إداره النظام يطلع على أسرار النظام ممّا لا يطلع عليه آحاد الناس ، بل ولا جملة الميِّدراء المتوسّطين ، حتى أنّه بات فى عرف الدول بقاء من يشغل المسؤوليات العليا ولو لمده يسيره ، بقاءه تحت الرقابه

ص: ١٣١

١- (١) طه : ٢٩ - ٣٢ .

٢- (٢) الفرقان : ٣٥ .

طيله حياته ، نظراً لما يحمل من معلومات سرّيه تتعلّق بمصدر النظام وأمنه .

وبالتالى فإنّ رجالات النظام تحكّمهم مقرّرات وقوانين تختلف عن بقيه طبقات الإداريين ، فضلاً عن عموم أوساط الناس .

فهذا حال طبيعه أى نظام اجتماعى سياسى يدار من قبل رجالاته .

بل لا يقتصر ذلك على النظام الاجتماعى والسياسى ، بل نلاحظ فى جملة من النظم الأخرى ، كالنظام التجارى ، والنظام المالى ، والنظام التعليمى ، وغيرها .

فإنّ الملاحظ فيها أنّه كلما ارتقت المواقع فى هيئاتها العليا فإنّ الملحوظ وجود أعراف ومقرّرات خاصه تحكّم العناصر الرائدة فى ذلك النظام ، بل من دون تلك القوانين والمقرّرات الخاصه بالطبقات العليا فى النظام لا يستتبّ أمن النظام ووجوده . وهذا قد بات واضحاً فى علوم النظم والإداره .

ومن ثمّ يتبيّن لنا الحال بأنّ الدعوه الإلهيه والرساله السماويه التى هى من أكبر وأضخم النظم ، والجامعه لكلّ الأنظمه ، والمقدّر لها البقاء إلى يوم القيامه ، لا ريب فى وجود منظومه من المقرّرات والتشريعات الخاصه بالطاغم القيادى المنتخب من قبل السماء لإداره وقياده هذه الدعوه من حين ولادتها إلى نهايه مطافها .

ويشير إلى ذلك جملة من الآيات والروايات الوارده فى نزول المقدّرات والمقضيات من كلّ أمر ، وتدير شؤون الأرض فى شتى المجالات ، تنزل تلك المعلومات الهائله فى ليله القدر ، المرتبطه بخزائن نزول القرآن الكريم على فئه خاصه لتدير قياده شؤون الأرض ، كما تشير إلى ذلك سوره الدخان حم * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (١) .

ص: ١٣٢

ومثلها قوله تعالى : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . . . تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (١) ، فهذه المعلومات الهائلة المرتبطة بنزول خاص للقرآن الكريم في ليلة القدر من كل عام يُبين القرآن أنها لا تنزل على سائر البشر ، بل على فئة خاصية اصطفاها الله لذلك ، كما في قوله تعالى : يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٢) .

وقوله تعالى : يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٣) .

وهؤلاء هم الذين أورثهم الله تعالى الكتاب في قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٤) .

وهم أهل البيت من بنى عبد المطلب الذين أفصح عنهم القرآن في قوله تعالى :

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٥) ، أى أهل آية التطهير .

ومن الواضح أنّ هذا الكمّ الهائل من المعلومات بحسب قواعد العلوم الاستراتيجية والإدارية ، إنّما يستعين به الجهاز القيادي في إداره شؤون النظام .

ومن ثمّ نلاحظ استمرار هذا الإنذار بالرسالة الخاصّة من قبل النبي صلى الله عليه وآله للأقربين في يوم الدار ، عند نزول قوله تعالى : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ إِلَى أُوَّانٍ وَصِيَّهَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله عند حضور وفاته صلى الله عليه وآله .

فقد روى الأصحاب بطرق مستفيضة عن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام :

ص: ١٣٣

١- (١) القدر : ١ - ٥ .

٢- (٢) النحل : ٣ .

٣- (٣) غافر : ١٥ .

٤- (٤) فاطر : ٣٢ .

٥- (٥) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ .

قال :

« لَمَّا حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاه دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ،

فقال للعباس : يا عمّ محمد ، تأخذ تراث محمد ، وتقضى دينه ، وتنجز عِداته ؟

فردّ عليه وقال : يا رسول الله ، أنا شيخ كبير ، كثير العيال ، قليل المال ، من يطيقك وأنت تبارى الريح ؟

فقال : فأطرق صلى الله عليه وآله هنيهة ، ثم قال : يا عباس ، أتأخذ تراث رسول الله ، وتنجز عِداته ، وتؤدى دينه ؟

فقال : بأبى أنت وأُمى ، أنا شيخ كبير ، كثير العيال ، قليل المال ، من يطيقك وأنت تبارى الريح ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما إنى سأعطيها من يأخذ بحقها .

ثم قال : يا علي ، يا أخا محمد ، أنتجز عداه محمد ، وتقضى دينه ، وتأخذ تراثه ؟

قال : نعم بأبى أنت وأُمى ،]

ذاك علي ولي]

قال : فنظرتُ إلى الخاتم ، حين وضعه علي عليه السلام في إصبه اليمنى ، فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله : يا بلال ، علي بالمعفر ، والدرع ، والرايه ، وسيفى ذى الفقار ، وعمامتى السحاب ، والبُرد ، والأبرقه ، والقضيب]

يقال له الممشوق] ،

فو الله ما رأيتها قبل ساعتى تلك ، يعنى الأبرقه ، كادت تخطف الأبصار ، فإذا هى من أبرق الجَنه ، فقال :

يا علي ، إنّ جبرئيل أتانى بها فقال : يا محمد ، اجعلها فى حلقة الدرع ، واستوفر بها مكان المنطقه ، ثم دعا بزوجى نعال عربيين ، إحداهما مخصوفه والأخرى غير مخصوفه ، والقميص الذى اسرى به فيه ، والقميص الذى خرج فيه فى احد ،

والقلانس الثلاث . . . » الحديث .

وتتمته قد ذكرت فيه بقيه موارثه صلى الله عليه وآله .

وقد روى هذا الحديث الشيخ الصدوق بعدّه طرق ، وكذلك الكليني فى

« الكافي » (١) ، ورواه المفيد في « الإرشاد » (٢) ، والطبرسي في « إعلام الوري » (٣) ، بل قد رواه جمهور العامه بطرق متعدده ، وفي جملة من تلك الطرق أنّ النبي صلى الله عليه وآله أعادها على العباس ثلاث مرّات .

وقد روى علماء العامه ذلك أيضاً كما في « سنن النسائي » وغيره (٤) .

الإنداز رساله خاصه ، لا استنصار عام :

لا يقال : إنّ هذه الدعوه الخاصه ، التي بعث بها النبي صلى الله عليه وآله إلى بني عبد المطلب ، ليست إلّامجرّد طلب للنصره ، واستنصار للدعوه العامه ، والمؤازره ، لا أنّها دعوه ورساله خاصه ، متضمّنه لمنظومه من الأوامر ، والنواهي ، والفرائض الخاصه بالطاقم القيادي للدعوه الإلهيه ، موازيه للدعوه العامه للناس ، التي بعث بها النبي صلى الله عليه وآله .

فليست هي بعثه بتمام حقيقه معنى البعثه ، فاستعمال لفظ البعثه الخاصه - في قوله صلى الله عليه وآله :

بعثت إليكم بخاصه - توسّعي مجازي .

والجواب : إنّ مستهلّ كلّ دعوه إلهيه هو التزام إجمالي عامّ بمضمون تلك الدعوه ، وتعهّد عامّ بها ، نظير من يلتزم بدعوه الإسلام بأن يُقرّر بالتوحيد والنبوه في البدء ويتشّهّد بالشهادتين ، وأنّ هذا الإقرار الإجماليّ يستتبع الالتزام من قبل المسلم الجديد الإيمان القلبي ، وأداء فرائض معينه ، كالصلاه والصوم . . . الخ مع الأخذ بالاعتبار التدرّج في الخطاب في الفرائض .

ص: ١٣٥

١- (١) علل الشرائع : ٦٦ و ٦٧ . الكافي : ١ : ٢٣٦ و ٢٣٧ . معاني الأخبار : ١١٠ و ١١١ .

٢- (٢) الإرشاد للمفيد : ١ : ١٨٥ ، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .

٣- (٣) إعلام الوري للطبرسي : ١ : ٢٦٦ ، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .

٤- (٤) السنن الكبرى للنسائي : ٥ : ١٢٥ ، الحديث ٨٤٥١ . تاريخ الطبري : ٣ : ٣٢١ . شرح ابن أبي الحديد : ١٣ : ٢١٢ يرويها

عن الطبري في تاريخه : ٢ : ٦٣ . كنز العمال ١٣ : ١٧٤ ، الحديث ٣٦٥٢٠ .

وكذلك يتعهد مَن يقرّ بدعوه الإيمان من الشهادات الثلاث ، من ولايه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته المطهرين ، فإنّ هذا تسليم إجمالي بقلبه ومعرفته ليخاطب بعد ذلك بالتفاصيل ، فبضميمة وظائف ظاهر الإسلام يخاطب بوظائف حقيقته الإيمان .

كذلك يتعهد بالالتزام بالإيمان بدعوه الخلافة ، والإمامه ، ووزاره النبوه ، والرساله ، فإنّها من أوائل الالتزامات يتعقّبها جملة من الفرائض والأوامر والنواهي الخاصّة بمقام الإمامه الإلهيّة ، ومقام الخليفة عن الله تعالى في الأرض ، فلها جملة من المراسم والطقوس الخاصّة .

وقد يُن هذا الالتزام في دعوه الرسول صلى الله عليه وآله الخاصّة لبنى عبد المطلب ، أنّها بيعه والتزام بالمؤاخاه ، أي بتمام معنى وحقيقته المؤاخاه ، والمؤازره بكلّ أعبائها ، وإنجاز عهود عاداته وهي عهود مواعيد النبي صلى الله عليه وآله المبتدأه لكافه العالمين ، وقضاء ديونه ، وهي كلّ ما تعهد النبي صلى الله عليه وآله بوفائه للآخرين ، من عهود والالتزامات في ضمن عقود (1) .

وبتعهدّه بأن يكون وصيّاً أي ينفذ وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله ، المتعلّقه بإقامه الدين وإداره وتدير الأُمّه .

وفي بعض طرق الروايات « من منكم يتابعني على أن يكون أخى ووزيرى » ، وفي بعضها الآخر « ووزيراً ووارثاً » ، أي وارثاً لكلّ مسؤوليه ومقامات الرساله والنبوه عدا النبوه .

وهذا ما يدلّ على أنّ التزامات مبدأ هذه الدعوه الخاصّة يتضمّن الالتزام والإقرار والتعهد بخمس أو سبع بنود ، وهي التزامات إجماليّه تفتح على تفاصيل جمّه .

ص: ١٣٦

١- (١) بخلاف العادات فإنّها العهود المبتدأه لا في ضمن عقود ، أي ليست عهود متقابله مع عهود الآخرين .

لا منافاه بين النصّ في الإمامه والتخيير في إنذار يوم الدار :

ولا يقال أيضاً: إنّه كيف يلتئم مضمون هذه الدعوه الخاصّه وعدم إجبار عليّ عليه السلام على قبولها والاستجابه لها والالتزام بها ، بل وتخيير عموم بني عبد المطلب على أنّ الإمامه والوصايه والوراثه للنبيّ صلى الله عليه وآله اصطفايّه من الله تعالى ، مقدّره محتومه عنده .

فكيف ينسجم ذلك مع قبول عليّ عليه السلام باختياره ، وأنها تمّت عبر مفاوضه وعرض إلهي .

فإنّه يجاب : إنّ الاصطفاء في النبوه والرساله والإمامه والخلافه الإلهيه ، لا يعنى الإلجاء والجبر والإكراه ، بل ينطوى على عنصر الاختيار والطاعه من العبد ، فهو أمر بين أمرين ، نعم ليس هو تفويضاً مطلقاً لإرادته العبد ، حتّى يكون اكتسابياً ، ولا أمراً إلجائياً جبرياً ، بل هو أمر بين أمرين .

ويشير إلى ذلك قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ .

وقوله تعالى : فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ .

وقوله تعالى : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، فإنّ هذه الأوامر الإلهيه في بدايه البعثه للقيام بأعباء الرساله تعلّقت بفعل اختياري من النبيّ صلى الله عليه وآله طاعه لربه واستجابته ، بعدما اختاره الله تعالى لهذه المسؤوليه .

وكذلك قوله تعالى حكاية عن لسان موسى عليه السلام : فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِتَذَكَّرَنِي . . . اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي *

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (١).

فنرى أنّ أصل ومُجمل الرسالة أمر بها الرسول صلى الله عليه وآله كوظيفته تكليفه ، على نحو بقية التكليف والقيام بالأفعال والوظائف الشرعيه ، ولم تكن بنحو الإلجاء على الفعل .

وبعبارة اخرى : إنّ علم الله تبارك وتعالى السابق بحال أصفائه من الطاعة ، والتسليم ، والاستجابة ، موجب لاصطفائه لهم ، واختياره إيّاهم لهذه المقامات ، وحبائهم بالموهب اللدنيّه ، والنعم الملكوتيه ، وهذا ما يشير إليه قوله عليه السلام فى دعاء الندبه :

« اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَى بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ ، إِذِ اخْتَرْتَ لَهُمْ جَزِيلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا

زَوَالَ لَهُ وَلَمَّا اضْمَحَلَّ ، بَعِيدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّيْنِيَّةِ وَزُخْرُفِهَا وَزَبْرَجِهَا ، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ ، وَعَلِمْتَ مِنْهُمْ الْوَفَاءَ بِهِ ، فَاقْبَلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعُلْيَى ، وَالنَّسَاءَ الْجَلِيَّ ، وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ ، وَجَعَلْتَهُمُ الدَّرِيْعَةَ إِلَيْكَ ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ » (٢).

فيقرّر مفاد الدعاء أنّ اصطفاءهم وقبولهم وتقريبهم وإرفادهم بالذكر اللدنيّ ، وإهباط الملائكة عليهم ، وتكريمهم بالوحي ، ورفدهم بالعلم ، إلى غير ذلك من المقامات اللدنيّه الغيبية ، إنّما كانت على أثر علم الله تبارك وتعالى السابق الغابر بأنهم على مدرجه الوفاء ، بكلّ ما يشترط عليهم ، ويأخذه عليهم من العهود والالتزامات ، وأنهم فى موضع الاستقامه والأمانه والصدق ، وشده الطاعه .

ص: ١٣٨

١- (١) طه : ١١ - ٣٦ .

٢- (٢) المزار لابن المشهدى : ٥٧٤ .

فمعنى كون الاصطفاء أمر بين أمرين ، أى جانب منه مرتبط بفعل الله تبارك وتعالى وعلمه ، وخياره واختياره وانتقائه ، من صفو علمه الذى لا يتخلف ولا يختلف .

وجانب آخر منه مرتبط بفعل العبد ، الذى يُصطفى للمقام الإلهي ، باختياره للطاعة بأعلى درجاتها الفائقة ، والسابقه لسائر أفراد البشر ، فسبقه وتفوقه مُنح المواهب الإلهية اللدنية .

فليس جعل الله تبارك وتعالى لشخص نبياً أو رسولاً أو إماماً أو خليفه فى الأرض ، يعنى إلجاؤه وعدم اختياره فى الأتصاف بالمقام ، بل هو جعل تكويني من الله تعالى وفق علمه السابق الغابر بطاعه وانقياد من سيصطفيه فى الأزمنه اللاحقه .

وفى هذا السياق يفهم قوله تعالى : **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (١)** حيث يشير إلى وجود القدره على المخالفه ، وإن امتنع وقوعاً صدورها من النبى صلى الله عليه وآله .

فلا- غرابه ولا- استنكار من وجود هذه الظواهر فى سنين هذه المقامات الإلهية ، أى فى عرض النبى صلى الله عليه وآله لمقام الإمامه يوم الدار ، وتخييره لبنى عبد المطلب توليها مقابل شروط إلهية عظيمه وقبولها من طرف العبد ، الذى يصطفيه الله تبارك وتعالى لذلك .

تساؤلات حول حديث الدار ودرجات الاصطفاء :

لماذا يعمّ العرض لهذه الدعوه والرساله الخاصه من الله تبارك وتعالى والإنذار جميع بنى عبد المطلب ، و هل هؤلاء جميعاً يشاركون علياً عليه السلام فى مهمته ؟

ثم لماذا التخصيص بهم دون بقيه الأئمه ؟

ولماذا سُميت هذه الدعوه والرساله إنذاراً ؟

ص: ١٣٩

وما هو التهديد الذى تضمّنته هذه الرساله إن لم يقم بنو عبد المطلب بأعبائها؟

ويمكن أن يقرّر الجواب عن ذلك بما يلى : بدءاً بالثالث من الأسئلة :

فقول : إن مضمون ما ورد فى أحاديث يوم الدار هو ما مرّت الإشارة إليه من قوله صلى الله عليه وآله :

« يا بنى عبد المطلب ، كونوا فى الإسلام رؤوساً ، ولا تكونوا أذناً ،

والله ليقومن قائمكم أو لتكونن فى غيركم ثم لتندمن » فالإنذار هو بلحاظ فوات هذا المقام الغيبى وهو الإمامه ، عنهم إلى غيرهم إن لم يقوموا به .

وأما الجواب عن الثانى : فلما قد قرّر فى الحديث النبوى أنه صلى الله عليه وآله قال :

« قسّم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين ، فجعلنى فى خيرهما ، ثم قسّم النصف الآخر على ثلاثة ، فكنت خير الثلاثة ، ثم اختار العرب من الناس ، ثم اختار قريشاً من العرب ،

ثم اختار بنى هاشم من قريش ، ثم اختار بنى عبد المطلب من بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى عبد المطلب » (١).

وقد روى مضمون هذا الحديث بألفاظ اخرى عند الفريقين ، ومحصله : أن بنى عبد المطلب وبنى هاشم هم خيره الخير ، وصفوه الصفوه ، فهم من حيث استعداد الوراثه سلاله من سلاله ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢).

وأما الجواب عن الأوّل : فإنّ الله تعالى وإن كان قد اصطفى آل إبراهيم على العالمين ، إلّا أنه قد فضّل بعض ذريه آل إبراهيم على بعض ، فقد أتى داود عليه السلام

ص: ١٤٠

١- (١) الخصال : ٣٦ ، الحديث ١١ . بحار الأنوار : ١٦ : ٣٢١ . ولاحظ كتب التفسير بما أخرجوه من حديث النبى صلى الله عليه وآله فى ذيل قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ) المائدة : ١٠١ .

٢- (٢) آل عمران : ٣٣ و ٣٤ .

زبوراً ، وقال فى شأن بعض تلك الذرّيه عندما سأله إبراهيم عليه السلام أن يجعل الإمامه فيها ، فى قوله تعالى : **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ، فترى أنه رغم اصطفاؤه لجميعهم إلا أنه اصطفى مرّه اخرى منهم بعضاً آخر .

وبعباره اخرى : إن الاصطفاء درجات ، إلا أن عموم درجاته تدلّ على وجود أرضيه الاستعداد الخاصّ ، ومن ثمّ يكون للمُحسِن منهم أجرين ، وللمسئء ضعفين . فلا يُستغرب من عرض هذا المقام العظيم والرساله على بنى عبد المطلب ، وفى ضمنهم أبو لهب ، وقد ضرب القرآن لهذه الظاهره مثلاً ، وهى ظاهره وجود الأرضيه والاستعداد الخاصّ ، إلا أنه رغم ذلك قد يقع الإخفاق ، كما فى قوله تعالى : **وَآتِلْ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ (١) .**

ومن ذلك يظهر أنّ فى هذه السلاله التى اصطفت من السلالات ، قد تكرر وقوع الاصطفاء فيها مرّه بعد اخرى ، فوقع التفضيل والاصطفاء فى بنى هاشم وبنى عبد المطلب أيضاً ، فكان الاصطفاء النهائى قد وقع على على عليه السلام من بينهم .

ويشير إلى ذلك ما رواه المجلسى فى « البحار » ، عن كتاب الشيرازى :

« **أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَمَّا نَزَلَ الْوَحْيَ عَلَيْهِ أَتَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَقَامَ يَصَلِّي فِيهِ ، فَاجْتَازَ بِهِ عَلِيٌّ ، وَكَانَ ابْنُ تِسْعِ سِنِينَ ، فَنَادَاهُ :**

يَا عَلِيُّ ، إِلَيَّ أَقْبِلْ ، فَأَقْبِلْ إِلَيْهِ مَلْبِيًّا .

قال :

إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ خَاصَّةً ، وَإِلَى الْخَلْقِ عَامَّةً ، تَعَالَى - يَا عَلِيُّ - فَفَقَفَ عَنِ يَمِينِي وَصَلَّ مَعِيَ ...

فاجتاز بهما أبو طالب وهما يصليان ، فقال : يا محمّد ، ما تصنع ؟

قال :

أَعْبُدُ إِلَهَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَعِيَ أَخِي عَلِيُّ يَعْبُدُ مَا أَعْبُدُ . يَا عَمَّ ،

ص: ١٤١

و أنا أدعوكم إلى عبادة الله الواحد القهار ، فضحك أبو طالب حتى بدت نواجذه ، وأنشأ يقول :

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى اغْتَبَّ فِي التُّرَابِ دَفِينًا (١)

و هذا الذى تشير إليه بقية الروايات التى رواها الفريقان ، من أنه لم يستجب لهذه الدعوه الخاصه من الله ، ولم يدخل فيها إلماعى عليه السلام ، ولم يستجب لهذه الدعوه وهى دعوه الإمامه والوزاره حتى مثل أبى طالب وحمزه وجعفر الطيار ، وإن استجابوا لدعوه الإسلام والإيمان .

شده المسئوليه وقوه الإراده عند رقى المقامات الغيبية :

وربما يتساءل : أنه مع البت فى تنصيب على إماماً فى يوم الدار ، وبحسب النصوص القرآنيه ، وتنصيبه يوم الغدير والنص عليه ، فما معنى التفويض والتخيير بعد ذلك من النبى صلى الله عليه وآله عند وفاته صلى الله عليه وآله بين العباس وعلى عليه السلام ، كما مرّت الإشاره إليه فى الروايات السابقه ؟

والجواب : أولاً : إنه لا بد من الالتفات إلى أن المقامات الإلهيه كالنبوه والرساله والإمامه وغيرها من المناصب الاصطفائيه للحجج فى الوقت الذى تشتمل على المنح الإلهيه ، والمواهب اللدنيه ، ومنازل من التمكين التكويني ، فإنه بالرغم ذلك فإن هذه الأعطيات ما هى إلا زياده فى قابليه التكليف لوظائف أشد ، نظير قاعده :

« إن الله يحاسب الناس على قدر عقولهم » ، فكلمة ازدادت القابليات من ناحيه العلم والمعرفه والقدر والولاية التكويني ، كلما ازدادت الوظائف والتكاليف على عهده ذلك المصطفى للمقام الإلهي .

كما لا بد من الانتباه إلى أن هذه المعادله فى السنه الإلهيه مع الأصفياء ليست

ص: ١٤٢

بحسب الحدوث والابتداء فقط ، بل هي مستمره إلى الانتهاء .

كما لا بد من الالتفات إلى أنّ المواهب اللدنيّه الخاصّه ، ومنح المقامات مشروطه حدوثاً وبقاءً واستمراراً بامثال تلك الوظائف الخاصّه ، بحيث لو فرض محالاً حصول تقصير أو إخفاق في الطاعه لسلبت عنه تلك المنح والمواهب والمقامات ، و أصبح حاله حال أوساط البشر .

وهذه الحقيقه في المقامات اللدنيّه الإلهيّه تبين بجلاء دور عنصر الاختيار في هذه المقامات ، ودرجه الامتحان ، شأنها شأن بقيه سُنن الجزاء والأعطيات الإلهيّه ، وأنّ الأصفياء بمجرد تمكينهم من تلك المنازل والمقامات لا يفقدون عامل الاختيار والإراده ، ولا يُرفع عنهم التكليف والامتحان ، بل يزداد شدّه وغلظه بقدر ازدياد قوّه الاختيار والإراده ، بحسب ازدياد العلم والقدره في عوالم التكوين .

فليس الاصطفاء والعصمه رافع للاختيار والإراده ، بل الاصطفاء يؤكّد شدّه ودرجه الاختيار ، كما أنّها موجه لتعاضم التكليف وتراكم الوظائف الملقاه على عاتقه ، وزياده الحصار في المراقبه والمحاسبه الإلهيّه .

وهذا على خلاف ما يفتريه أصحاب البدع من بعض المتصوّفه ، والفرق الباطنيّه ، من رفع يدها عن أحكام الشريعه ، وإسقاط التكليف عن الفرائض الإلهيّه والسُنن النبويّه ، واستباحه المحرّمات ، تحت شعار التأويل الزائف لقوله تعالى :

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (١)

وكذلك تندفع دعوى مزيفه اخرى من أنّ الاصطفاء والعصمه يُجبران ويلجئان من اصطفاه الله تعالى على فعل الطاعه ، فلا تكون الأفعال الحسنه الصادره منه منشأً للمدح ولا مستحقاً للثواب له ، ولا تحتسب له فضيله ، إذ هو مجبول عليها .

وأما الشواهد والإشارات القرآنيّه على هذه الحقيقه في المقامات والمناصب

ص: ١٤٣

١- (١) الحجر : ٩٩ .

الإلهية ، أى اقتران التكليف والامتحان وشدتهما مع الإرادة والاختيار لمن توهب له المنح والمواهب اللدنية ، فمن هذه الشواهد القرآنية ما يلي :

الشاهد الأول : قوله تعالى فى اخريات حياه النبى صلى الله عليه و آله ، وبعد حجه الوداع :

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ الْآيَه (١) .

ومفاد الآيه ظاهر بوضوح فى أن النبى صلى الله عليه و آله مكلف بإبلاغ أمر من الله تعالى و هذا الأمر ينطوى على مخاطر ، من قبيل تمرّد الناس عن الاستجابة لذلك ، مع التشديد فى إجراء التبليغ دونما تردّد .

الشاهد الثانى : قوله تعالى : وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٢) .

ومفاد الآيه صريح فى أن إبلاغ النبى صلى الله عليه و آله عن الله تعالى ، يقوم به فى حاله من الاختيار التام ، لا إجماع فيه ولا إكراه ، ومن ثم لو صدر عنه تقوّل على الله تعالى لكان جزاؤه العقوبه ، ومن الواضح أن العقوبه تترتب على الفعل الاختيارى .

الشاهد الثالث : قوله تعالى فى شأن نبى الله آدم : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً... وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ... قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ... وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ... وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا... فَتَلَقَى آدَمُ

ص: ١٤٤

١- (١) المائدة : ٦٧ .

٢- (٢) الحاقه : ٤٦ .

مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ (١).

مع قوله تعالى أيضاً: إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢).

والزَّلْزَلَةُ هُنَا فِي فَازَ لَهَا الشَّيْطَانُ وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى تَرَكَ الْأُولَى ، فَلَا مَعْصِيَةَ وَلَا إِثْمَ بَعْدَ طَهَارِهِ وَاصْطِفَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، إِذْ مَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لِيَصْطَفِيَ نَبِيًّا يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقْدُمُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، كَمَا يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَ لَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٣).

والمَحْضَلُ : إِنَّ صُدُورَ تَرَكَ الْأُولَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِمَّا اسْتَعْرَضَتْهُ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ عِنَصْرِ الْاِخْتِيَارِ ، كَمَا اسْتَعْرَضَتْ جَمْلَهُ مِنَ السُّورِ وَالْآيَاتِ حَالَاتٍ مِثْلَهُ لَتَرَكَ الْأُولَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَلِسَانِ تِلْكَ الْآيَاتِ فِيهِ مِنَ التَّشْدِيدِ مِمَّا قَدْ يَتَوَهَّمُ الْقَارِئُ فِي الْوَهْلَةِ الْأُولَى أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ ، مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ هَذَا التَّشْدِيدُ فِي الْقَوْلِ وَالْعِتَابِ هُوَ بِمَقْتَضَى شِدَّةِ الْمَسْئُولِيَّةِ الْمَلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِمْ ، وَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا شِدَّةُ الْمَحَاسِبَةِ وَالْمِرَاقَبَةِ ، وَ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مَوَاهِبٍ لَدَيْهِ ، وَعِلُومٍ إِلَهِيَّةٍ ، وَقَدْرِهِ فِي الْوِلَايَةِ ، فَاسْتَدَّتْ مِدَاقَتَهُ وَحِسَابَهُ تَعَالَى مَعَهُمْ .

وَنظِيرُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي شَأْنِ يُونُسَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

ص: ١٤٥

١- (١) البقرة : ٣٠ - ٣٧ .

٢- (٢) آل عمران : ٣٠ - ٣٤ .

٣- (٣) آل عمران : ٧٩ - ٨٠ .

الظَّالِمِينَ* فَاسِيَّ تَجْنَاهُ لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ (١) حيث إنه فارق قومه بعد أن دعا عليهم بالعذاب ، وكان الأولى أن ينتظر ويصبر حتى يأتيه أمر الله .

ونظيره أيضاً قوله تعالى : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَسْبِيَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٢) حيث كان الأولى أن لا يأذن النبي صلى الله عليه و آله لمن طلب الرخصة منه في التخلف عن الجهاد ، كي ينكشف أمام الناس كذب من يتعذر منهم .

ثانياً : بأن العرض الذي قدّمه رسول الله صلى الله عليه و آله بين يدي العباس والإمام علي عليه السلام وخيرهما فيه اقتصر على الترشيح بتراث النبي صلى الله عليه و آله ، في قبال إنجاز عاداته وقضاء ديونه ، و تراث النبي صلى الله عليه و آله و وراثته وإن كانت شامله في الأساس إلى مقامات ومناصب رسول الله صلى الله عليه و آله الإلهية في الدين - عدا النبوه - وبالتالي فهي تشمل الإمامه والخلافه عن الله تعالى ، التي هي أحد مناصب النبي صلى الله عليه و آله ، إلّا أنّ هذا التخيير تبيان من النبي صلى الله عليه و آله إلى أنّ وراثته صلى الله عليه و آله تختلف عن وراثته غيره من الناس ، لأنّ تراثه تراثاً ربانياً ، وهو ما امتلكه من صلاحيات ديبته ومسؤوليات في الدعوه الإلهية .

ولا- يخفى أنّ ميراثه الرباني هذا لا- تتساوى شرائط الوارث فيه مع شرائط الوارث في تراث وتركه الآخرين ، فإنّ في شرائط الوارث في هذا المقام شرائط اخرى خاصه ، مضافاً إلى شرائط الوراث الآخرين ، وهي بيعته والتزامه بالدعوه الخاصه ، واستجابته للبعثه الخاصه ، التي بعث بها النبي صلى الله عليه و آله يوم الدار ، وتحمل العبء الشديد لأوامر الرساله وأثقال الدين .

ثالثاً : إنّ هذا العرض من النبي صلى الله عليه و آله تبيان منه لهذا الشرط ، وتأکید منه أنّه لا يتأهل لهذا المقام ، أى مقام وراثته النبي صلى الله عليه و آله إلّا من يستجيب لهذه الشروط ، لا يستطيع أن يقوم بهذه الشروط إلّا على أمير المؤمنين عليه السلام ، ولا يحدث العباس نفسه غداً

ص: ١٤٦

١- (١) الأنبياء : ٨٧ و ٨٨ .

٢- (٢) التوبه : ٤٣ .

بمنازعه علي عليه السلام على تراث رسول الله صلى الله عليه وآله .

رابعاً: إنّ مقام الوراثه عن النبي صلى الله عليه وآله كانت أرضيته بنحو الإعداد العامّ ، تعمّ كلّاً من علي عليه السلام والعبّاس ، لمساسه رحمهما بالنبي صلى الله عليه وآله ، كما كانت الدعوه والبعثه الخاصه تعمّ من حيث الأهليه العامه كلّ بني عبد المطلب في يوم الدار ، إلّا أنّ الأهليه الخاصه اختصت بعلي عليه السلام .

بعثه النبي صلى الله عليه وآله برسالة خاصه في بني عبد المطلب :

وممّا يسلط الضوء على عمق ما تقدّم من تضمّن البعثه الخاصه لتشريعات تخصّ بني عبد المطلب ، مرتبطه بمسؤوليه الإمامه والخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، واتّضح ذلك بصورة جليّه ، ما رواه ابن عساكر وغيره بسنده عن أبي بكر من قول رسول الله صلى الله عليه وآله :

« يا بني عبد المطلب ، إنّ لم يبعث الله نبياً إلّا جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووصياً وخليفه في أهله » (١).

وأيضاً ما رواه الثقفى في كتاب « الغارات » من احتجاج الإمام الحسن عليه السلام على معاويه في قوله عليه السلام :

« . . . ولكلّ نبيّ دعوه في خاصه نفسه وذريته وأهله ، ولكلّ نبيّ وصيه في آله ، ألم تعلم أنّ إبراهيم أوصى بابنه يعقوب ، ويعقوب أوصى بنيه إذ حضره الموت ، وأنّ محمداً صلى الله عليه وآله أوصى إلى آله ، سنّه إبراهيم ، والنبيين ، اقتداءً بهم كما أمره الله ، ليس لك منهم ولا- منه سيئه في النبيين ، وفي هذه الذريه التي بعضها من بعض ، قال الله لإبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت : رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّه مُسْلِمَةً لَكَ فنحن الأمة المسلمه ، وقالوا : رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ فنحن أهل

ص: ١٤٧

١- (١) تاريخ مدينه دمشق : ٤٢ : ٥٠ ، ترجمه علي بن أبي طالب ، الحديث ٤٩٣٣ . شواهد التنزيل : ١ : ٥٤٥ .

هذه الدعوه ، ورسول الله منّا ، ونحن منه ، وبعضنا من بعض ، وبعضنا أولى ببعض فى الولايه والميراث ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ
اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعلينا نزل الكتاب ،

وفينا بعث الرسول ، وعلينا تليت الآيات ، ونحن المنتحلون للكتاب ، و الشهداء عليه ، والدعاه إليه ، والقوام به ، فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
يُؤْمِنُونَ (١) (٢) .

فإنه عليه السلام بين أن بعثه النبي صلى الله عليه وآله لها دعوتان : خاصه وعامه ، سُنّه إلهيه فى كلّ الأنبياء ، وأن دعوته الخاصه
هى فى ذرّيته وقرباه وأهل بيته ، وأن متعلّق الدعوه الخاصه يكون متعلّقاً لوصيته بعد مماته ، فهذه الوصيه خاصه مرتبطه
بشخصيته الحقيقه ، أى بمقاماته ومناصبه الإلهيه .

ومنه يظهر وجه الاستدلال بآيه الوصيه على الوراثه اللدنيه ، وهى قوله تعالى :

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ والتي استدلت بها سيده النساء عليها السلام فى خطبتها ، حيث تبين الروايات
الوارده فى يوم الدار أنّ وراثه بيوت الأنبياء من الأنبياء لا تقتصر على الوراثه المائيه ، بل تعمّ وتشمل وراثه المقامات ،
والمناصب الإلهيه التى حظى بها ذلك النبي .

كما أنه عليه السلام يشير إلى قوله تعالى فى شأن يعقوب فى وصيته لبنيه ، بأنّ الله اصطفى لهم الدين ، وهذا ممّا يشير إلى أنّ
لِبَابِ الدِّينِ الْخَالِصِ قَدْ شُرِّعَ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُصْطَفَيْنَ مِنْ ذُرَارِيهِمْ ، والمقصود من ذلك هو الإشاره إلى أنّ
تشريعات الدعوه الخاصه ، والرساله والبعثه هو فى خاصه ذرّيتهم المصطفاه ، وهذه التشريعات وإن كانت من الدين والشريعه ،
إلّا أنّ المخاطب بها خاصه القربى والرهط المخلصين لكلّ نبي .

ص: ١٤٨

١- (١) الأحزاب : ٤٠ .

٢- (٢) الغارات : ١ : ٢٠٠ .

إن مقتضى أن بعثه الأنبياء لها دعوتان : خاصه وعامه ، أن بعض الدرجات العاليه من الشريعة والدين والكتاب لا يخاطب بها إللقربى النبى وأهل بيته ، وبعض درجات القرآن لم يخاطب بها إللأهم .

بل يظهر من لحن بعض الآيات والروايات أن المخاطب الأول للقرآن هو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وهو ما يعبر عنه عدّه من المحققين : إن قطب خطاب القرآن الأول هو سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، فاختصاص الخطاب القرآنى بعضه بالنبى خاصه ، أو بأهل بيته خاصه ، شاهد آخر على تعدد الدعوه والبعثه والرساله ، أو فقل : دال على اختصاص التكليف الإلهى والمسؤوليه فى دوائرها العليا بالنبى وأهل بيته .

ومما يشير إلى اختصاص الخطاب بالدرجه الأولى بسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ، هو جملة السور التى تفتح بالحروف المقطعه المقرونه بذكر الكتاب ، فإنها أسماء للنبى صلى الله عليه وآله كما روى ذلك عن الإمام زين العابدين عليه السلام فى الصحيفه السجديه فى دعائه عليه السلام يوم الفطر :

« وَخَصَّيْتَهُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ ، وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي الْمُوَحَّاهِ إِلَيْهِ ، وَأَسْمَيْتَهُ الْقُرْآنَ ، وَأَكْنَيْتَهُ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، . . . فَخَصَّيْتَهُ أَنْ جَعَلْتَهُ قَسْمَكَ حِينَ أَسْمَيْتَهُ وَقَرَنْتَ الْقُرْآنَ بِهِ ، فَمَا فِي كِتَابِكَ مِنْ شَاهِدٍ قَسَمَ وَالْقُرْآنُ مُزْدَفٌ بِهِ إِلَّا وَهُوَ اسْمُهُ . . . » .

وقد اشتملت هذه الحروف على علم جم ، من أم الكتاب ، فقد ذكر الطبرسى فى « مجمع البيان » : أنه روت العامه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

« إن لكل كتاب صفوه ، وصفوه هذا الكتاب حروف التهجى » (١) ، وصفوه الشىء لبابه وأعالیه .

ص: ١٤٩

١- (١) روته العامه والخاصه ، فممن رواه من العامه الرازى فى التفسير الكبير : ٢ : ٣ . القندوزى الحنفى فى ينابيع الموده : ٣ : ٢١٨ . الثعلبى فى تفسيره : ١ : ١٣٦ ، وغيرهم . ومن الخاصه الطبرسى فى مجمع البيان : ١ : ٧٥ . المجلسى فى البحار : ٨٨ : ١١ . الفيض الكاشانى فى التفسير الصافى : ١ : ٩١ .

وروى العياشي عن أبي لبيد ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال :

« يا أبا لبيد ، إن لي في حروف القرآن المقطعه لعلماً جماً »(١).

ومما ورد مبيناً لاختصاص الخطاب ، وبالتالي اختصاص الدعوه الخاصه بهم ، ما استفاض عن أهل البيت عليهم السلام من قولهم :

« إنما يعرف القرآن من خوطب به »(٢)، أي أن لباب معرفه القرآن العميق ، المكنون في اللوح المحفوظ إنما خوطب به بخطاب خاص هم أهل البيت عليهم السلام ، ويشهد لهذا الحديث المتواتر عنهم قوله تعالى :

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٣) وهم أهل آيه التطهير .

فخصص الله تبارك وتعالى نيل الكتاب المكنون بالمطهرين ، وهم أهل آيه التطهير ، وهم الذين طهارتهم لدنيه وهبيته منه تعالى ، لا- طهاره اكتسابيه ، وهم المطهرون لا- المتطهرون ، حيث إن عنوان المطهر هو الذي طهره الله تعالى ، كما في آيه التطهير ، بينما المتطهر هو الذي ورد في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٤).

ويشهد له قوله تعالى : وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا- اللَّهُ وَ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٥) ، فبين تعالى أن جملة علم القرآن العزيز مختص بالراسخين بالعلم .

ص: ١٥٠

١- (١) تفسير العياشي : ٢ : ٢ .

٢- (٢) الكافي : ٨ : ٣١٢ . مستدرک الوسائل : ١٧ : ٣٣٥ ، الحديث ٣١ . ولاحظ وسائل الشيعة : ٢٧ : ١٧٥ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضى ، تحت عنوان (عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا بعد معرفه تفسيرها من الأئمه عليهم السلام) ، طبعه مؤسسه آل البيت عليهم السلام .

٣- (٣) الوقعه : ٧٧ - ٧٩ .

٤- (٤) البقره : ٢٢٢ .

٥- (٥) آل عمران : ٧ .

وهكذا قوله تعالى: **بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي ضَيْدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ (١)**، وهنا كذلك قد بين أن الله تبارك وتعالى قد خصَّ علمَ بيان الكتاب كلاً بفئة خاصه من هذه الأمة، ووصفهم بأنهم وُهبوا من لدنه العلم فرسخوا فيه .

وأفصح عن الراسخين في العلم بأنهم المطهرون من هذه الأمة، وقد خصَّ بهم بعلم القرآن، وهو شاهد على اختصاصهم بجمله الخطاب القرآني .

دعوه بنى عبد المطلب للوصايه والإمامه فى الدين :

إشاره

إنَّ فى المقام إثارة لا بدَّ من الالتفات إليها، وهى :

إنَّ ما ورد فى جميع الروايات التى رويت من طرق الفريقين التى تدور حول حديث الدار، من أنَّ النبىِّ صلى الله عليه وآله لم يعرض على أعمامه وبنى عبد المطلب، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، لم يعرض عليهم أصل الإسلام فحسب، بل كان تركيزه على أخذ البيعه من شخص منهم يكون أخاً ووزيراً ووصياً وناصرًا وخليفه له، أمَّا أصل الدعوه إلى الإسلام فكأنه أمر مفروغ عنه بينه صلى الله عليه وآله وبينهم، ومعهود لا- حاجه لتبيانها، بل إنَّه صلى الله عليه وآله يدعوهم إلى تقلد الوزاره والوصايه والخلافه من بعده .

وبعبارة اخرى : إنَّ المنتجع والمتأمل لمتون الروايات المرويّه عند الفريقين، يلاحظ أنَّ طلبه صلى الله عليه وآله الأصلي من بنى هاشم هو : طلب البيعه منهم على المؤازره، والنصره، وتحمل أعباء الدعوه الجديده، مشاطره للنبىِّ صلى الله عليه وآله .

وفى متون جليل هذه الروايات لم تكن دعوته لهم منصبه على الشهادتين، وأنَّه نبىِّ مبعوث، إلغافى متن بعض قليل من تلك الروايات، فقد ورد فيها التعرّض إلى الشهادتين بنحو إجمالى، كقوله صلى الله عليه وآله :

« يا بنى عبد المطلب، إننى أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ، والبشير بما لم يجرى به أحد، جئتكم بالدنيا والآخرة، فأسلموا

ص: ١٥١

وأطيعوني تهتدوا ، ومن يؤاخيني منكم ، ويؤازرنى ، ويكون وليي ، ووصيي بعدى ،

وخليفتي فى أهلى ، ويقضى دينى ، فسكت القوم ، وأعاد ذلك ثلاثاً ، كل ذلك يسكت القوم ، و يقول على :

أنا .

فقال :

أنت ، فقام القوم وهم يقولون لأبى طالب : أطع ابنك فقد أمره عليك «(١)» .

ويستفاد من هذه عدّه امور :

الأول : خصائص بنى هاشم :

إنّ النبىّ صلى الله عليه و آله لم يلمس ولم يجد من الأقربين منه من بنى عبد المطلب تمنعاً ، أو إنكاراً ، أو مجابهه لأصل دعوته ، من الشهاده بالتوحيد ، والشهاده بالنبوّه ، والرساله فى قراره نفوسهم ، وإن لم يكن ذلك بمعنى استجابتهم الفعلية لإبراز الشهادتين ، والإقرار بها فى العلن ، لاتخاذ موقف المسانده والوقوف مع النبىّ صلى الله عليه و آله فى مقابل قريش والمشركين ، إذ كان ذلك يجزّ عليهم مشاكل وأعباء بالغه الثقل ، وخير شاهد على ذلك ما لاقاه أبو طالب (رضوان الله عليه) من عناء شديد فى حمايه رسول الله صلى الله عليه و آله ، والدفاع عن دين الإسلام وأهله ، بما لم يلق أحد من المسلمين .

كما أنّ ما سجّله التاريخ من مواقف دفاع من بقيه أعمام النبىّ عنه صلى الله عليه و آله وإن كانت لا ترقى إلى مستوى ما قام به أبو طالب (رضوان الله عليه) لكنهم سجّلوا مواقف عديده ، بل وصل الأمر فى بعض الأحيان إلى أنّ أبا لهب وقف مدافعاً عن رسول الله صلى الله عليه و آله ، وإن كان الطابع العام لمواقفه كان عدائياً للنبىّ صلى الله عليه و آله ومسانداً لقريش .

والحاصل : أنّ تركيز رسول الله صلى الله عليه و آله على أخذ البيعه منهم على المؤازره والمشاركه فى تحمّل المسؤوليه دالّ بوضوح على عدم تمنع بنى عبد المطلب

ص: ١٥٢

١- (١) شواهد التنزيل للحسكاني : ١ : ٥٤٢ ، الحديث ٥٨٠ . فرائد السمطين : ٢ : ٦٥ ، الحديث ٨٥١ . الدرّ المنثور للسيوطى : ٥

من الإيمان بالأصلين الأولين فى الإسلام ، وهما الشهادتين ، وإنما كان إجماعهم وامتناعهم عن البيعه لشده ثقل المسئوليه فى بيعه الوصايه والوزاره والخلافه نيابه عن الرسول صلى الله عليه و آله .

والالتفات إلى هذه النقطه لا يحتاج إلى مؤنه كثيره بعد الالتفات إلى أنّ مطالبته صلى الله عليه و آله إيّاهم بالبيعه على الأصل الثالث ، وهو الوصايه والوزاره ، لا تعقل مع فرض رفضهم للأصلين الأولين فى الإسلام ، إذ لو فرض رفضهم للأصلين الأولين فكيف يطالبهم بما هو تابع لهما ، ويكون من قبيل المطالبه بالزكاه والصلاه منهم مثلاً مع رفضهم للشهادتين ، أى أنّه سيكون الحال نظير ما بُحث من عدم معقوليه خطاب الكفّار بالفروع مع رفضهم للأصول ، حتّى لو قيل بأنّ الكفّار مكلفون بالفروع بحسب الواقع لا- بحسب الخطاب ، وإن كان الأمر فى الوصايه والوزاره ليس على حذو أركان الفروع ، بل هو الأصل الثالث فى الإيمان .

ولو قيل : بأنّ الدعوه إلى الإسلام ربّما تكون قد سبقت يوم الدار ولو بنحو الخفاء وكان بنو عبد المطلب قد تسامعوا بها ، فمن الطبيعى والمنطقى حينئذ أن تكون دعوته صلى الله عليه و آله إيّاهم فى يوم الدار ، هو إلى البيعه على الأصل الثالث فى الإيمان ، وهى الوصايه ، والولايه ، والوزاره .

ويجاب : بأنّه لو سلّم ذلك إلّمأنّه لا- يُبرّر مطالبته صلى الله عليه و آله إيّاهم بالأصل الثالث ، مع فرض إبتائهم وتمنّعهم عن الأصلين الأولين .

وهناك شواهد اخرى على هذه النقطه :

منها : إنّ الإمام على عليه السلام كان قد أسلم قبل يوم الدار ، وكان بنو عبد المطلب يعلمون ذلك منه ، وإجابته عليه السلام للنبي صلى الله عليه و آله إنّما كانت فى بيعه الوصايه والوزاره والخلافه والمشاركه فى تحمّل المسئوليه ، فالذى أجاب إليه على عليه السلام هو الذى قد عُرض على بقيقه بنى عبد المطلب .

ومنها: قول أبي لهب كما في ذيل بعض طرق الرواية التي رواها ابن عساكر، وهي: «فقام علي بن أبي طالب فبايعه بينهم فتفل في فيه. فقال أبو لهب: بئس ما جبرت به ابن عمك إذ أجب إلى ما دعوته إليه فملأت فاه بصاقاً» (١).

فإن أبا لهب قد حدّد دعوته النبي صلى الله عليه وآله في الذي قد أجابه به علي عليه السلام، ومن الواضح أنّ الإجابة من علي عليه السلام لم تكن إلى أصل الإسلام، إذ كانت قد حصلت قبل ذلك، وإنّما كانت البيعة على الخلافة والوصاية والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومنها: قول أبي لهب أو معه بعض بني عبد المطلب قولهم لأبي طالب «أطع إبنك فقد أمره عليك» فإنّ التركيز على من له حقّ الطاعة والسؤدد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، دون التطرّق إلى أصل طاعته رسول الله صلى الله عليه وآله يظهر أنّ الدعوه منصبه على من يكون له أهليته المقام والصلاحيات بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ مقامه صلى الله عليه وآله مفروغ عنه بينهم.

الثاني: إيمان أبي طالب:

في نهايه هذه الواقعة، وفي ذيل جمله من الروايات الوارده في المقام تقول:

فقام القوم - أي بعد مبايعه علي للنبي صلى الله عليه وآله - «وهم يقولون لأبي طالب: أطع إبنك فقد أمره عليك» (٢).

وفي بعضها قالوا لأبي طالب أيضاً: «يا أبا طالب، ألا ترى إبنك؟»

فقال: دعوه فلن يألو ابن عمه خيراً» (٣).

ص: ١٥٤

١- (١) تاريخ مدينه دمشق: ٤٢: ٤٩ و ٥٠، الحديث ٤٩٣٣.

٢- (٢) شواهد التنزيل: ١: ٥٤٢، الحديث ٥٨٠. فرائد السمطين: ٢: ٦٥، الحديث ٨٥١. الدر المنثور للسيوطي: ٥: ١٨١.

٣- (٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ١: ١٤٧.

فإنّ جواب أبي طالب ظاهر يبيّن في دعم الدعوه الجديده ، والمشروع الإلهي الذي استنصر النبي صلى الله عليه وآله بنى هاشم فيه .

كما أنّ هذا الجواب من أبي طالب رغم ما أعلنه النبي صلى الله عليه وآله من وصايه عليّ وخلافته ، وإلزام كهول وشيوخ بنى عبد المطلب بطاعه عليّ عليه السلام ، ورغم صغر سنّه ، فإنّ جواب أبي طالب وأمام بنى عبد المطلب ، وبرغم تضاحك بعضهم واستخفافهم ، يدلّ على مدى استجابته أبي طالب للرسول صلى الله عليه وآله ، ولولايه ووصايه ابنه عليّ نفسه ، رغم أنّ مقام الأبوه يقتضى الترفع والتعالى لا الخضوع والنزول أمام الابن ، مع ملاحظه أنّ أبا طالب كان سيّد قريش .

فدراسه هذا الموقف يكشف عن إيمان أبي طالب ومدى انقياده وإطاعته لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ولأوامر الله تعالى ، ولابنه كوصي ، ووزير ، وأخ يشارك رسول الله صلى الله عليه وآله في تحمّل أعباء الرساله .

هذا إذا أضفنا إلى أنّ أبا طالب كان هو الحامي لرسول الله صلى الله عليه وآله ، والراعي لتربيته ورعايته ، منذ طفولته صلى الله عليه وآله إلى سنّ الأربعين وما بعدها ، حتّى يوم الدار والإنذار .

ومن ذلك يتّضح وجه دلالة جميع الروايات الأخرى ، التي يظهر فيها سكوت أبي طالب ومبايعه ابنه عليّاً ، وبعد أن نصبه رسول الله صلى الله عليه وآله وزيراً وخليفه ، وأمر عشيرته بالسمع والطاعه له ، فإنّ أبا طالب لم يبادر بالإنكار ولا بالاعتراض ولا بالمشاغبه ولا- بالردّ أمام ملاء بنى عبد المطلب وساداتهم ، مع مخاطبه النبي صلى الله عليه وآله له ولهم بالأمر بالطاعه والسمع لعليّ عليه السلام ، إذ لم يستثنه النبي صلى الله عليه وآله منهم لذلك ، بل أعلن النصره والقبول بجوابه السابق .

والتزام أبي طالب بهذا الموقف المشرف يعدّ في قمّه المسؤوليه ، ويُعدّ أبو طالب بناءً على ذلك من أركان وأعمده صرح الدين ، إذ رغم حراجه الموقف حيث إنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أحرّ القيام بإبلاغ ذلك الإنذار عدّه مرّات ، والقيام بتنصيب

الوزير والخليفة والوصي من بعده ، وأمرهم بطاعته والسمع له ، حيث قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام :

« يا علي ، إنَّ الله أمرني أن انذر عشيرتي الأقربين ، فضقت بذلك ذرعاً ،

وعرفت أنني متى ما أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتت عليه ، حتى جاء جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعدبك ربك » (١) .

وحراجه هذا الموقف وصعوبته تنشأ من خطوره منصب الإمامه وراثه الدين بعد النبي صلى الله عليه وآله ، ولذا نجد تكرر الوضع العصيب مره اخرى في بيعه الغدير ، حيث تمهّل النبي صلى الله عليه وآله في أخذ بيعه الغدير من عموم الصحابه والمهاجرين والأنصار ، ونزل عليه النداء الإلهي يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٢) .

فالمهمه صعبه وذات خطوره على مصير الرساله والدين ، وتعدّ من أكبر الامتحانات الإلهيه لكلّ شرائح المجتمع .

ومن هنا يمكن للباحث أن يقدر حراجه الموقف وشدّته ، ويوضح ثقل الامتحان فيه وما تكرر ذكره في الروايات الواصفه لمجلس يوم حديث الدار ، في قول علي عليه السلام :

« فقمّت وإني لأحدثهم سنّاً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً . . . » (٣) .

وفي عباره اخرى من طرق العامه :

« وأسوأهم هيئه » (٤) .

فكلّ هذا يبيّن صعوبه الامتحان ، ورغم كلّ ذلك فإنّ موقف أبي طالب كان موقف

ص: ١٥٦

١- (١) تاريخ الطبري : ٢ : ٦٢ . تفسير الطبري : ١٩ : ١٤٨ . شرح نهج البلاغه : ١٣ : ٢١٠ . الكامل في التاريخ : ٢ : ٦٢ . كتر العمّال : ١٣ : ١٣٢ ، الحديث ٣٦٤١٩ .

٢- (٢) المائده : ٦٧ .

٣- (٣) الأمالي للطوسي : ٢ : ١٩٤ .

٤- (٤) تاريخ دمشق : ٤٢ : ٤٧ ، الحديث ٤٩٣٣ .

الحامى ، والناصر والمدافع ، المجيب لاستنصار رسول الله صلى الله عليه وآله ، المشجع لابنه علياً فى بيعه الوصايه والخلافه .
فلم تكن زعامته لقريش عائناً أمام نصرته وتأيينه ورضوخه للحق ، والتنازل عن تلك الزعامه لرسول الله صلى الله عليه وآله ،
ومن بعده لابنه على عليه السلام ، كما ورد : « إن آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسه » .

الثالث : أهليه بنى عبد المطلب للترشيح الإلهي لمقام الإمامه :

فقد ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله :

« قسم الله تبارك وتعالى أهل الأرض قسمين ،

فجعلنى فى خيرهما ، ثم قسم النصف الآخر على ثلاثه ، فكنت خير الثلاثه ، ثم اختار العرب من الناس ، ثم اختار قريشاً من
العرب ، ثم اختار بنى هاشم من قريش ، ثم اختار بنى عبد المطلب من بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى عبد المطلب » (١) .

وقوله صلى الله عليه وآله فى حديث يوم الدار المتقدم :

« يا بنى عبد المطلب ، كونوا فى الإسلام رؤوساً ، ولا تكونوا أذناً ، والله ليقومن قائمكم أو لتكونن فى غيركم ثم لتندمن » .

حيث يدل على أن لبنى عبد المطلب اصطفاء واختصاص وأهليه ، وإعداد لتحمل الرساله وأعبائها ، دون بقيه قريش .

كما يدل الحديث على نوع اختصاص لقريش أى آباء النبى صلى الله عليه وآله وأجداده على بقيه العرب ، حيث كانوا سدنه
الحرم ، ورعاهه ، والمتكفلين بعمارته ، وإقامه طقوس المله الحنيفيه الإبراهيميه ، وإن دب فى بطون قريش الانحراف بعباده
الأصنام والأوثان عدا آباء النبى صلى الله عليه وآله ، لكن ظل لقب أهل الحرم مختص بهم دون بقيه العرب .

ص: ١٥٧

١- (١) الخصال : ٣٦ ، الحديث ١١ . بحار الأنوار : ١٦ : ٣٢١ . ولاحظ كتب التفسير ، ما أخرجه من حديث النبى صلى الله عليه وآله
وآله ذيل قوله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ) المائدة : ١٠١ .

كما أنّ بنى هاشم وبنى عبد المطلب كان لهم اختصاص ، حيث كانوا سادات قريش ، و كانوا أشدّ الناس محافظه على شرائع مله إبراهيم الحنيفيه ، و كانوا يتوارثون ما ترك إبراهيم وآل إبراهيم ، وإسماعيل وآل إسماعيل ، من موارث الأنبياء والأوصياء . وقد شهدت العرب عامه وقريش خاصه ، الكرامات والمعاجز المتعدده من آباء وأجداد رسول الله صلى الله عليه وآله ، حتّى أنّ حسّادهم من بقيه بطون قريش كانوا يصفون ذلك بالسحر .

ومن ثمّ كان فى بنى عبد المطلب استعداد خاصّ للقيام بمسؤوليه الدعوه الإلهيه العظمى ، ومؤازره النبى صلى الله عليه وآله فيما حمّل فى تبليغ الأمر الإلهى ، و هذا ما تشير إليه جمله الأحاديث الواردة من طرق الفريقين فى حديث الدار .

فقد أشار إلى ذلك قوله تعالى : (وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَ رَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمَخْلَصِينَ) كما مرّ أنّه مُبْتَدَأٌ فى بعض المصاحف ، كمصحف عبد الله بن مسعود ، وعدّه من القرءاء .

كما تكرر قوله صلى الله عليه وآله فى طرق الحديث :

« إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَخًا مِنْ أَهْلِهِ ، وَوَارِثًا ، وَوَصِيًّا ، وَوَزِيرًا ، فَأَيْكُمْ يَقُومُ فِيهَا عَنِي » . فبين صلى الله عليه وآله أنّ البيوت التى ينحدر منها أى نبى من الأنبياء لا بدّ أن يُقدّر الله تعالى فيها أهليه خاصه ، ليأخذ ويصطفى منهم رجلاً آخر يكون وارثاً لذلك النبى ، ووصياً من بعده ، ووزيراً له فى حياته .

وكذا ما تكرر من قوله صلى الله عليه وآله :

« يا بنى عبد المطلب ، كونوا فى الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناً » .

أو قوله صلى الله عليه وآله :

« و الله ليقومنّ قائمكم أو لتكوننّ فى غيركم ثمّ لتندمنّ » .

فهذه البيانات منه صلى الله عليه وآله و آله كلّها دالّة على ترشيح وأهليه خاصه لبنى عبد المطلب دون غيرهم لهذا المقام ، كما صرح صلى الله عليه وآله فى قوله فى حديث الدار بجميع طرقه

« بعثت إليكم بخاصه » فإن لفظ هذه الجملة قد تكرر في طرق الحديث بدخول الباء على « خاصه » ، وهو يغير التعبير « بعثت إليكم خاصه » ، حيث يتضمّن معناه وزياده ، أى بأمور وتكاليف ومسؤوليات خاصه ومناصب ، ودون بقيه عامه الناس .

يوم الدار مائده سماويه لبني عبد المطلب :

ففى بعض طرق تلك الروايات ما رواه السيد ابن طاووس بسنده عن النبى صلى الله عليه و آله :

« يا بنى عبد المطلب ، إني نذير لكم من الله جلّ وعزّ ، إني أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب ، فإن تطيعوني ترشدوا وتفعلوا وتنجحوا ، إن هذه مائده أمرني الله بها ،

فصنعتها كما صنع عيسى بن مريم عليه السلام لقومه ، فمن كفر بعد ذلك منكم فإن الله يعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، واتقوا الله واسمعوا ما أقول لكم .

واعلموا يا بنى عبد المطلب إن الله لم يبعث رسولاً إلّا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من أهله ، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء قبلي ، وأنّ الله قد أرسلني إلى الناس كافة ، وأنزل عليّ (وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك المخلصين) ، وقد والله أنبأني به وسّماه لي ، ولكن أمرني أن أدعوكم ، وأنصح لكم ، وأعرض عليكم لئلا يكون لكم الحجّه فيما بعد ، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي .

فأيكم يسبق إليها ، على أن يؤاخيني في الله ، ويؤازرنى في الله جلّ وعزّ ، ومع ذلك يكون لي يداً على جميع من خالفني ، فأتخذه وصياً ، وولياً ، ووزيراً يؤدى عني ،

ويبلغ رسالتي ، ويقضى ديني من بعدى وعداتي ، مع أشياء أشرطها ؟

فسكتوا ، فأعادها ثلاث مرّات ، كلّها يسكتون ويشب فيها عليّ .

فلما سمعها أبو لهب قال : تبّاً لك يا محمّد ولما جئتنا به ، ألهذا دعوتنا ؟

وهمّ أن يقوم مولياً . فقال : أما والله لتقومنّ أو يكون في غيركم ، وقال يحرضهم لئلا يكون لأحد منهم فيما بعد حجّه .

قال : فوثب عليّ عليه السلام ،

فقال : يا رسول الله ، أنا لها .

فقال رسول الله : يا أبا الحسن ، أنت لها ، قضى القضاء ، وجفّ القلم . يا عليّ ،

اصطفاك الله بأولها ، وجعلك وليّ آخرها «(١)» .

ولا يخفى اشتمال الروايه على دلالات عدّه ، داله على خصائص اصطفايته لبني عبد المطلب ، وإن لم يكونوا على درجه واحده في التوفّر عليها .

فالإعجاز في المائده كيبه إلهيه والتي تكثر ذكرها في جميع طرق الحديث بين الفريقين ، تبين هذه الروايه أنه نظير ما صنعه نبيّ الله عيسى عليه السلام مع خاصته وأنصاره من الحواريين .

كما أنه ذكر فيها ما تكثر ذكره في عدّه طرق روايات الحديث عند الفريقين :

« إنّ الله لم يبعث رسولاً إلاّ جعل له من أهله أخصاً ووزيراً ووصياً ووارثاً » وأنّ ذلك معيّن في علم الله تعالى ، وهو عليّ بن أبي طالب (٢) .

إلاّ أنّ الباري تعالى قد سبقت منه سنّه الامتحان لئلاّ يكون للعباد الحجّه على الله تعالى ، وتكون الحجّه البالغه له تعالى على العباد .

فكان امتحان الإمامه الكبرى والوصايه والعهد في بني عبد المطلب خاصه ، من دون أن ينافى ذلك التعيين السابق في علمه تعالى ، لا سيّما وأنّ الامتحان ممّا تنوء عن حمله الجبال الرواسخ ، ويثقل على الراسيات الطوامح .

ص: ١٦٠

١- (١) بحار الأنوار : ١٨ : ٢١٦ .

٢- (٢) المناقب لابن شهر آشوب : ١ : ٣٠٧ . تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤٢ : ٤٧ من ترجمه أمير المؤمنين عليه السلام . شواهد التنزيل : ١ : ٤٨٦ ، ٥٤٢ ، ٥٤٥ ، وغيرها .

قوله تعالى : وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِرُونَ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَ لِبَاسٍ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (١).

الفرق بين سلسلتى وراثه الكتاب ووراثه النبوه أو الإمامه

الآيات الكريمة فى صدد التعرّض لسلسله وراثه الكتاب دون السلسلتين الأخيرتين ، وإن كان بينهما عموم وخصوص مطلق ، حيث إنّ كلّ من ينال وراثه النبوه أو الإمامه لا بدّ أن يكون قد نال درجه وراثه الكتاب ، دون العكس .

ومجمل مفاد الآيات يقرّر حقيقه أنّ قريى النبىّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهم « على ، وفاطمه ، والحسن ، والحسين ، وذريه الحسين التسعه عليهم السلام » قد ورثوا ما قد أوحى إلى النبىّ صلى الله عليه وآله من طبقات ومنازل الكتاب (٢).

ص: ١٦١

١- (١) فاطر : ٣١ - ٣٥ .

٢- (٢) حيث إنّّه قد بين القرآن الكريم أنّ له مواقع تكويته متصاعده ، كأم الكتاب ، والكتاب المبين ، والكتاب المكنون ، واللوح المحفوظ .

وهذه الوراثه للكتاب مقام من مقامات أهل البيت عليهم السلام ، وهى من مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله ورثوها عنه ، وسيتبين لنا أن هذا المقام المتوارث انتقل عبر سلسله الأصفياء من آدم إلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله إلى أهل البيت عليهم السلام ، وهو يبين مقام النبوه ومقام الإمامه .

وتبيان هذا المفاد على نحو التفصيل يتم عبر التوقف فى مفاد العناوين التى اشتملت عليها الآيات .

المحطه الأولى : المراد من « الكتاب » :

فقد ابتدأت الآيات بالحديث عن الذى أوحى من الكتاب ، وعنوان الكتاب كما يصح إطلاقه على المصحف الشريف الذى بين الدفتين ، كذلك يصح إطلاقه على مقام الكتاب فى طرف ملكوت الوحي ، والذى تلقاه قلب وروح النبي صلى الله عليه وآله .

وقد استعمل هذا المعنى الثانى فى جملة من الموارد ، منها قوله تعالى : وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا (١).

وقوله تعالى : وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتَى (٢) .

وكذا قوله تعالى : وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٣) .

وكذا قوله تعالى : لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصْبَعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤) .

ص: ١٤٢

١- (١) الشورى : ٥٢ .

٢- (٢) الرعد : ٣١ .

٣- (٣) النحل : ٨٩ .

٤- (٤) الحشر : ٢١ .

وغيرها من الموارد الكثيره ، حيث أطلق فيها عنوان واسم الكتاب على تلك المقامات .

والمعنى الثانى هو المراد فى الآيات المتقدمه لمورد البحث ، بقريته تخصيص وراثته بخصوص المصطفيين ، إذ لو كان المراد المصحف الشريف لما صح الاختصاص والتخصيص بوارث خاص ، إذ المصحف الشريف فى تناول كل البشر فضلاً عن المسلمين والمؤمنين .

وبعبارة اخرى : إن الكلام الآتى فى تخصيص الوارث بخصوص أهل البيت عليهم السلام وهم قريبي النبى صلى الله عليه وآله دون سائر الأممه ، ودون عموم البشر يقتضى كون الكتاب المخصّص وراثته هو المعنى الثانى .

وسياتى الإشاره إلى شواهد اخرى ضمن بيان مفردات الآيه على كون المراد هو المعنى الثانى .

المحطه الثانيه : الوراثة المقصوده :

اشاره

فإن الوراثة أيضاً فى القرآن الكريم قد استعملت بمعان متعدده :

الأول : الوراثة المالىه والحقوقيه فى حدود ونطاق شؤون ذوى الأرحام ، بما لهم من شؤون خاصه فى شخصيتهم الحقيقيه ، كما فى قوله تعالى : **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ . . . فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ (١)** .

وكذا فى قوله تعالى : **لَا تَصَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ (٢)** .

الثانى : مطلق الإعطاء والتمكين ، كما فى قوله تعالى : **إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ**

ص: ١٤٣

١- (١) النساء : ١١ .

٢- (٢) البقره : ٢٣٣ .

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١) وهو معنى يقارب معنى الاستخلاف العام .

ومثله قوله تعالى : وَ تُوَدُّوا أَنْ تَلِكُمْ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢) .

وقوله تعالى : وَ أَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا (٣) .

الثالث : الوراثة بمعنى جامع للوراثة المعنويّة والماديّة ، مثل قوله تعالى :

وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (٤) .

وقوله تعالى على لسان زكريّا عليه السلام : فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٥) .

الرابع : من ينتهي إليه الشىء ، أو انتهاء شىء إلى شىء ، فالوراثة هى انتهاء الشىء إليه ، كما فى قوله تعالى : وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٦) .

والمراد فى المقام من الوراثة هو المعنى الثالث ، أى الوراثة بالمعنى الشامل للوراثة الماديّة والمعنويّة ، و ذلك لجمله من الشواهد التى سيأتى بيانها ، وإن كانت وراثته الكتاب قد استعملت فى موضع آخر من القرآن فى المعنى الثانى والرابع ، كما فى قوله تعالى : وَ إِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ (٧) .

ص: ١٦٤

١- (١) الأعراف : ١٢٨ .

٢- (٢) الأعراف : ٤٣ .

٣- (٣) الأحزاب : ٢٧ .

٤- (٤) النمل : ١٦ .

٥- (٥) مريم : ٦ .

٦- (٦) آل عمران : ١٨٠ .

٧- (٧) الشورى : ١٤ .

وكما فى قوله تعالى : فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ (١) .

ومن استعمالها فى المعنى الثالث هو قوله تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ * هُدًى وَ ذِكْرًا لِلأُولَى الْأَلْبَابِ (٢) فلا- يبعد أن يكون المراد بها هو الوراثة الشاملة للمعنوية اللدنية للكتاب ، وإسنادها لعموم بنى إسرائيل بلحاظ المصطفين منهم ، نظير قوله تعالى : وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٣) .

شواهد الوراثة الشاملة للدين :

أما الشواهد على إرادة الوراثة العامة الشاملة للمعنوية اللدنية فى الآيات المبحوث عنها فهى :

الشاهد الأول : تخصيص هذه الوراثة بالمصطفين ثم أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا الدال على أن الوارث فى هذه الوراثة يشترط فيه أهليه خاصه ، وأنه - كما سيأتى فى بقية المفردات - هو السابق فى كل الأمور بالخيرات الوارد فى هذه الآيات ، بتسديد وإذن خاص من الله تبارك وتعالى ، والسابق هو الشاهد على أعمال العباد .

وهذه الشهادة مقام ملكوتى يتمكّن بسببه من الإحاطه بكتاب الأبرار ، وكتاب أعمال العباد .

ص: ١٦٥

١- (١) الأعراف : ١٦٩ .

٢- (٢) غافر : ٥٣ .

٣- (٣) الحديد : ٣٦ .

وقد وصفهم تعالى في سورة الواقعة بكونهم المقربون ، وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ، والمقربون قد وُصفوا في سورة المطففين كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ * وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (١) .

ولا يخفى أنّ هذا الاصطفاء في وراثته أهل البيت عليهم السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله لم يرد في القرآن إلّا في المطهّرين من الحجج والأنبياء ، كآدم ، ونوح ، وآل إبراهيم ، وآل عمران ، ومريم بنت عمران ، وطالوت ، وغيرهم .

الشاهد الثاني : أنّه قد أخبر تعالى بأنّهم يدخلون الجنّة ، وعليه فلا يمكن أن يكون المراد كلّ الأئمّه كما هو واضح ، حيث إنّ في جملة من السور قد أخبر تعالى عن وجود المنافقين في هذه الأئمّه ، في الرعيّل والصدر الأوّل من الإسلام ، وأنّهم في الدرك الأسفل من النار ، وكذلك أخبر تعالى عن الذين في قلوبهم مرض ، ممّن كان قد أسلم في أوائل البعثة ، كما في سورة المدثر ، وهكذا في طوائف اخرى من الأئمّه غاويه ضالّه ، شهدت بوجودهم سورة براءه ، إلى غير ذلك من السور ، وهكذا روايات الحوض ، وأنّ من الصحابه ممّن يؤمر به إلى النار ، ويُحال بينه وبين دخول الجنّة ، وفي بعض الأحاديث أنّه لا يبقى منهم إلّا كهمل النعم ، وهكذا حديث الفرقة الناجيه ، وأنّه لا تنجو إلّا فرقه من ثلاث وسبعين فرقه ، وغيرها من النعوت الدالّه على أنّ طوائف كثيره من هذه الأئمّه ممّن يدخل النار .

وعليه فلا يمكن أن يكون الوعد بدخول الجنه لكلّ الأئمّه ، فلا يبقى إلّا أن يكون المراد بعض الأئمّه ، وهم الذين يكون لهم شأن وأهليّته لدخول الجنّه ، وهذا ممّا يدلّل على أنّ الكتاب الموروث ليس هو ما بين الدفتين ، وإلّا لكانت الأئمّه كلّها وارثه .

الشاهد الثالث : إنّ الله تبارك وتعالى قد أخبر بوجود مواقع ومنازل غيبية

ص: ١٦٦

تكويته اخرى للقرآن الكريم ، كما أخبر أنّ تلك المواقع الغيبية للكتاب لا ينالها إلا المطهرون ، كما فى قوله تعالى : فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١) .

وقد وصفهم بالطهاره اللدنيه منه تعالى ، كما كشف عنهم أنّهم هم أهل البيت عليهم السلام فى قوله تعالى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً و هذا تطابق وتشابه واضح بين الآيه فى المقام وبين ما فى سوره الواقعه والأحزاب ، حيث إنّ كلّاً من المفادين دالّين على أنّ هناك وراثه معنويه لدنيه للكتاب ، خاصّه بالمصطفين من هذه الأُمّه بالطهاره .

الشاهد الرابع : إنّ القرآن دلّ على أنّ له مواقع غيبية متعدده ، وكلّها قد ألمّ وأحاط بها رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أوحيت له ، وقد نُعتت تلك المواقع بأنّ فيها تبيان كلّ شىء ، وبعد وفاته صلى الله عليه وآله لا يُعقل تعطيل تلك المقامات للقرآن لهدايه البشر ، فلا بدّ من بقاء الوسيط الإلهي المّطلع عليها كى يرفد البشريّه بأنوار هدايتها ، إذ تلك المقامات ليست فى منال وتناول خواص الأُمّه ، فضلاً عن عامّتها .

و تلك المقامات نظير وصف القرآن بالمكنون كما مرّ فى سوره الواقعه ، أو فى قوله تعالى : يَلِ لَ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢) ، أو قوله تعالى :

وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) .

ص: ١٤٧

١- (١) الواقعه : ٧٨ و ٧٩ .

٢- (٢) البروج : ٢١ .

٣- (٣) يونس : ٤١ .

وكذا قوله تعالى : وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ (١) .

وكذا قوله تعالى : يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٢) .

وقوله تعالى : بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٣) .

ومقام الكتاب المبين الذى بُيِّنَ فيه كلُّ صغيره وكبيره فى السماوات والأرض ، وقد أخبر تعالى أنَّ هناك جماعه من هذه الأُمَّه قد أُوتوا وعَلِموا ذلك كله .

وما بين الدفتين لم يستطر فيه كلُّ غائبه فى السماء والأرض ، فليس ذلك إلَّا موقعاً غيبياً ملكوتياً قد أطلع الله عزَّ وجلَّ عليه الذين أُوتوا العلم ، وهم المطهرون الذين لهم أن يمسوا الكتاب المكنون .

الشاهد الخامس : وصف الله تعالى هذه الوراثه بالفضل الكبير ، ومن الواضح أنَّ هذا الفضل لا يُنعت به كلُّ من تعلَّم ظاهر آيات المصحف وعلوم التفسير ، فإنَّه قد خاض فيها حتَّى من ليس على مله الإسلام ، كجمله من المستشرقين المتخصّصين فى علوم القرآن ، فلا محاله أن هذا النعت إنَّما بلحاظ المواقع الغيبيه للكتاب ووراثتهم لها .

مَن هم الذين عَلِموا الكتاب وورثوه :

وربَّما يعترض :

أولاً : إنَّ قوله تعالى فى سورة الجمعه : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا

ص: ١٦٨

١- (١) النحل : ٨٩ .

٢- (٢) الرعد : ٣٩ .

٣- (٣) العنكبوت : ٤٩ .

مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فيكون المراد من وراثته الكتاب تلاوته وتعليمه للأمم ، وهذا هو الفضل ، وعليه فليست هي وراثته لدينه اصطفاً ، وإنما هي تعليم حسبي سماعي . كما هو الحال في تعليم التوراة لليهود ، حيث حملوا التوراة ، أي علموا التوراة وكلفوا العمل بها ، ثم لم يعملوا وابتغوا بها .

ونظيره قوله تعالى : كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١) .

البعثه في الأميين ووراثه الكتاب :

ثانياً : ما ذكره البعض من أن مقتضى أمره تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله بتعليم الأمم الكتاب والحكمه هو امتثاله صلى الله عليه وآله لذلك الأمر ، وقيامه بتعليم بعض الصحابه الكتاب كله ، تنزيلاً وتأويلاً ، أمثال عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلى ذلك فيكون حججه قول هذا البعض من الصحابه كحججه قول أهل البيت عليهم السلام .

وعليه فلا تنحصر وراثته الكتاب بأهل البيت عليهم السلام ، بل يشاركونهم مجموعهم من صحابه النبي صلى الله عليه وآله ، وبعض التابعين الذين تربوا على يد أولئك .

ص: ١٦٩

تطابق البعثة الخاصه فى الأئمين مع البعثة الخاصه فى الأقربين :

أما الجواب عن ذلك :

أولاً : بأن البعثة فى الأئمين ، المذكوره فى سورتى الجمعه والبقره ، وهما سورتان مدنيتان ، هى بعثه خاصه للمجتبى من بنى عبد المطلب ، وهى نفسها البعثة الخاصه فى قوله تعالى : **وَ أَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ** ، وفى قوله تعالى على لسان إبراهيم : **رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُوْلًا** .

وعليه فإنه ليس المراد من الأئمين هم كل العرب ، ولا كل قريش ، ولا كل بنى عبد المطلب ، بل المراد هو المجتبى والمختار من بنى عبد المطلب .

ومرّ بمقتضى بعض الآيات والأحاديث النبويه أنّ النبى صلى الله عليه وآله بُعث بخاصه للمجتبى من بنى عبد المطلب ، كما فى قوله تعالى : **وَ أَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ** ، وقوله صلى الله عليه وآله فى الحديث المستفيض يوم الدار مخاطباً بنى عبد المطلب أوائل البعثة ، بعد نزول الآيه :

« بعثت إليكم بخاصه » ، ومقتضاه أنه صلى الله عليه وآله بُعث فى المرحله الأولى وابتداءً إلى بنى عبد المطلب كبعثه خاصه ، دون سائر الأمم ، وأن الذين استجابوا من بنى عبد المطلب لتلك البعثة الخاصه ، هو علىّ عليه السلام خاصه ، وأصحاب الكساء من بعده بمقتضى البعثة فى الأئمين ، كما سيأتى توضيحها ، حيث إنّ أعباء ومسؤوليه هذه البعثة ممتده إلى يوم القيامة ، وقد تقدّم فى روايات الفريقين لحديث يوم الدار أنّ الوارث للنبى صلى الله عليه وآله بمقتضى تلك البعثة الخاصه هو علىّ عليه السلام .

ويشهد لهذه البعثة الخاصه ، أى بعثه النبى صلى الله عليه وآله لمن يستجيب لها من بنى عبد المطلب ، ويشاطر النبى صلى الله عليه وآله فى أعباء الرساله ، قوله تعالى : **وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيْمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيْلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ * رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِيْنَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّهً مُّسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ * رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُوْلًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ**

وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

حيث إن دعوه إبراهيم وإسماعيل ودعاءهم الله تبارك وتعالى أن يبعث فيهم خاتم النبيين في الأمة المسلمة من ذريته ، و أن يكون خاتم النبيين من تلك الأمة ، حيث إن الضمير في قوله تعالى : وَ ابْعَثْ فِيهِمْ يَعُودُ إِلَى الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِنَ الذَّرِّيَّةِ ، لَا إِلَى كُلِّ الذَّرِّيَّةِ فَضْلاً عَنْ كُلِّ الْعَرَبِ وَكُلِّ الْمُسْلِمِينَ ، كَمَا أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : رَسُولاً - مِنْهُمْ أَيْضاً يَعُودُ إِلَى تِلْكَ الْأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِنَ تِلْكَ الذَّرِّيَّةِ ، فَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ ، وَ تِلْكَ الْأُمَّةُ مِنْهُ ، فَهَذِهِ الْبَعْثَةُ الَّتِي دَعَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ بِهَا هِيَ الْبَعْثَةُ الْخَاصَّةُ دُونَ الْبَعْثَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ وَالَّتِي هِيَ لِجَمِيعِ الْعَالَمِينَ .

وعليه فالمبعوث فيهم أي في الأمة المسلمة من ذريته إسماعيل وإبراهيم ، أي بعض من الذريته ، والرسول المبعوث هو من تلك الأمة الخاصة . فالبعثة خاصة لتلك الأمة .

ومفاد وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا لِلتَّبَعِيضِ ، أَيْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ هِيَ بَعْضُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، وَهِيَ أَهْلُ بَيْتِهِ خَاصَّةً ، الَّذِينَ هُمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَهُوَ مِنْهُمْ ، دُونَ سَائِرِ قَرِيشٍ وَالْعَرَبِ ؛ وَ ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ قَدْ عَلَّمَ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ لَا يَنَالُ عَهْدَهُ ، لَمَّا يَرْتَكِبُهُ مِنَ الظُّلْمِ ، فَدَعَا إِبْرَاهِيمَ بِجَعْلِ الْإِمَامَةِ فِي ذُرِّيَّتِهِ مُتَطَابِقَةً مَعَ دَعْوَتِهِ وَدَعْوَةِ إِسْمَاعِيلَ ، بِأَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ فِي ذُرِّيَّتِهِ .

وكذلك يشير إلى أَنَّ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ هِيَ مَجْمُوعَةٌ خَاصَّةٌ وَمَعْيَنَةٌ مِنَ الذَّرِّيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى أَيْضاً عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ أُرْدِفَ إِبْرَاهِيمَ دَعْوَتَهُ الْأُولَى - وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ - بِدَعْوَتِهِ الْأُخْرَى - وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً - فَسَأَلَ لَهُمْ أَيْ لِلبَعْضِ مِنْ تِلْكَ الذَّرِّيَّةِ وَهِيَ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ ، أَنْ يَطَهَّرَهُمْ مِنَ الشِّرْكِ وَمِنْ عِبَادَةِ

ص: ١٧١

الأصنام ، فقال : وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَ مَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) ، ليصحَّ دعاؤه الأسبق فيهم وهو : قَالَ وَ مَن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّ فِي دُعَائِهِ هَذَا أَيْضًا طَلَبَ بَقَاءِ وَامْتِدَادِ وَاسْتِمْرَارِ الْأَمَانَةِ فِي بَعْضِ الْمُتَعَاقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ .

فإنَّ مجموع هذه الآيات دالٌّ على أنَّ الأئمة من ذرية إبراهيم ، والأئمة المسلمة التي بعث منها وفيها رسول الله صلى الله عليه وآله ليست إلَّا بعضاً من ذرية إبراهيم وإسماعيل ، فهم الذين طلب إبراهيم وإسماعيل أن يُبعث فيهم رسول الله خاصه ، أي بالبعثه الخاصه ، ويعلمهم الكتاب والحكمه ويزكِّيهم . ومنه يتضح أنَّ بعثه النبي الخاصه ونذارته المختصه هي لرهطه المخلصين من عشيرته الأقربين .

ومما يعضد هذا الاختصاص في التعليم اللدني عبر أسباب الوراثه الملكوتيه ، قوله تعالى في اصطفاء آل إبراهيم ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ففيهم بعث رسول الله ، وهم منه وهو منهم ، حيث إنهم الأقربون رهطاً له ، والمتفانون في مناصرته في دعوته .

كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٢) ، حيث تشير الآية إلى أن إيتاء الكتاب توريثي في آل الأنبياء ، لا عموم الأئمة ، وأنَّ في هذه الأئمة آل النبي صلى الله عليه وآله ، وهم محسودون على إيتاء الله تعالى الكتاب والحكمه لهم .

فذكر آل إبراهيم بأنهم اتوا الكتاب والحكمه والملك العظيم ، إنما هو لتفسير الفضل الذي آتاه الله تعالى لئله من هذه الأئمة .

وهذه القله من هذه الأئمة وهي أمه النبي صلى الله عليه وآله ، فالمراد بها هم أهل البيت عليهم السلام ،

ص: ١٧٢

١- (١) إبراهيم : ٣٥ و ٣٦ .

٢- (٢) النساء : ٥٤ .

و ذلك لوجهين فى دلالة الآيه :

الأول : إنَّ أهل البيت عليهم السلام هم من آل إبراهيم ، وهم الأُمَّه المسلمه من ذريه إبراهيم وإسماعيل ، وهم دعوه إبراهيم عليه السلام بأن تكون الإمامه فيهم وأنَّ الرسول يبعث فيهم أيضاً .

الثانى : إنَّ إيتاء الله تعالى الكتاب والحكمه والملك العظيم لآل إبراهيم هو سُنَّه إلهيه فى آل الأنبياء ، وبيوتات الرسل وذريَّاتهم

وهذه الآيه تكون كالنتيجه المحصَّله لمجموع الآيات فى ذريه إبراهيم ، وقد عبَّر عن إيتاء الكتاب بالفضل من الله تعالى كالتعبير بالفضل الكبير عن الآيه المبحوث عنها فى المقام ، ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، وقد أُشير إلى هذا المحصَّل فى آخر سوره الحجّ ، فى قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا . . . وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَيَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١) .

و هذا متطابق مع ما فى سوره الواقعه من تخصيص نيل الكتاب المكون فى اللوح المحفوظ بخصوص المطهَّرين من هذه الأُمَّه ، الذين عرَّفتهم سوره الأحزاب فى آيه التطهير من أهل البيت .

العلم اللدنى لأهل البيت والعلم المكتسب لبعض الصحابه

(٢):

وأما ما فى سوره الجمعه من قوله تعالى : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ... فهى بلحاظ

ص: ١٧٣

١- (١) الحجّ : ٧٧ و ٧٨ .

٢- (٢) هذه الإثارة تبناها البعض أخيراً فى تفسيره .

البعثه العامه ، والتعليم بلحاظ التعليم الكسبي والاكسابي ، لا فى العلم الوراثي اللدني ، وأن هذا التعليم يتم لعموم الناس وعموم الصحابه والتابعين ، بعد أن يتم نصب من يكمل لهم ذلك التعليم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما هو الحال فى قوله تعالى : **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَإِنْ إِكْمَالَ الدِّينِ وَتَعْلِيمِ النَّاسِ جَمِيعِ أَحْكَامِ دِينِهِمْ إِنَّمَا يَتَمُّ وَيَحْصُلُ بَعْدَ نَصْبِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكْمَلًا لِدَوْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَهُ .**

ولا شك أن التعليم الكامل والشامل للدين والكتاب والحكمه لا يمكن أن يستوعبه الزمن المحدود الذى عاشه رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما لا يتسنى للناس الذين عاصروه وصحبوه أن يستوعبوا كل الكتاب والحكمه والشريعة؛ وهذا الأمر قد وصفه القرآن نفسه ووصف حقائقه وواقعياته وأنها غير محدوده ولا تنفذ ، كما فى قوله تعالى : **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي (١) .**

وقوله تعالى : **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمِيْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢) .**

وكذا قوله تعالى : **وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيْحُ الْغَيْبِ لَا يَعْْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) .**

وقوله تعالى : **وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٤) .**

ص: ١٧٤

١- (١) الكهف : ١٠٩ .

٢- (٢) لقمان : ٢٧ .

٣- (٣) الأنعام : ٥٩ .

٤- (٤) النمل : ٧٥ .

ومن المعلوم أنّ الكتاب المبين هو حقيقه القرآن العلوّيه ، كما صيّرَح بذلك في مطلع سورة الدخان ، وسوره الزخرف ، في قوله تعالى : حم * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ .

وقوله تعالى : وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١) .

ومن ثمّ يُبين في سورة القدر ، وسوره النحل ، وسوره الدخان ، أنّه يتنزل في ليله القدر من كلّ عام تأويل الكتاب العزيز ، ينزل على من يصطفيه الله تعالى من عباده ، وهو من سلسله المطهرين ، الذين ينالون ويمسّون الكتاب المكنون من أهل البيت عليهم السلام .

وثانياً : أنّ من البيّن أنّ جماعه من الرعيل الأوّل من الصحابه ممّن عرفوا بتخصّصهم بعلوم القرآن وتفسيره ، لم يكونوا يحيطون علماً بجلّ القرآن ، وبجلّ تأويله وتنزيله ، كيف وقد كان الاختلاف بينهم في امّهات المسائل الاعتقاديّه والتشريعيّه ظاهر ، وقد انعكس ذلك في كتب السير ، وتاريخ تدوين القرآن ، وكتب الحديث ، كما قد استشرى الخلاف بينهم في القراءات ، فقد كان عبد الله بن مسعود يحسب أنّ المعوذتين ليستا من القرآن ، وإنّما هما تعويذتان نزل بهما جبرئيل حرزاً للحسين عليهما السلام وغير ذلك كثير .

وقصّه إنكار حذيفه على عبد الله بن مسعود وبقية القراء في الكوفه - وحذيفه هذا من أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام - معروفه في كتب السير والتواريخ والحديث ، ممّا دعت حذيفه إلى الإشاره على عثمان بأن يقوم بتوحيد المصاحف (٢) .

ص: ١٧٥

١- (١) النمل : ٨٩ .

٢- (٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ٣ : ٥٥ . المصاحف لابن أبي داود السجستاني : ١١ .

وكذا قد اشتمل مصحف ابى بن كعب على سورتي الخلع والحفد(١).

كما أنّ مصحف ابن مسعود قد اسقط منه سورة الفاتحه(٢)، إلى غير ذلك ممّا ذكره في وصف المصاحف .

فيا ترى هل أنّ ما انتشر من علم من هذه الثلثه من الصحابه في جنب ما انتشر من علوم أهل البيت عليهم السلام في امّتهات معارف الدين وأبواب التشريع والآداب ، إلّا كالقطره بجنب البحر الخضمّ ، وأين الثرى من الثريا !

ثمّ ما وجه تخصيص القرآن الكريم الإحاطه بالكتاب الكريم واللوح المحفوظ بالمطهّرين من أهل البيت ، دون سائر الأمّته والصحابه ؟ ومن الذى تنزّل عليه الملائكه والروح الأعظم فى ليله القدر ، يُنبؤونه عن ربّ العزّه بتأويل الكتاب فى كلّ عامّ ، إلى غير ذلك ممّا يطول ذكره من خصائص القرآن التى خصّ بها أهل البيت عليهم السلام دون الصحابه وبقية الأمّته ، كالفىء ، والموّده ، والخمس ، والولاية ، والمباهله ، والإيثار ، والتطهير ، والاجتباء ، والاصطفاء ، ومقام الشهاده على الأعمال ، وإظهار الدين كلّه فى الأرض يختم بهم كما بدأ بهم ، وإكمال الدين وإتمام النعمه بهم ، إلى غير ذلك من المقامات والخصائص القرآنيه التى خصّوا بها عليهم السلام .

التوفيق بين كون القرآن علماً لدنياً وموروثاً :

وقد يشار تساؤل قد تبناه جمله من متكلمى الإماميه ، وهو : هل أنّ إطلاق الوراثة على العلم اللدنى هو من المجاز ؟ إذ الوراثة انتقال الشىء من المورث إلى الوارث ، وهذا بخلاف العلم اللدنى ، فإنّه إلقاء من عالم الملكوت على نفس المعصوم .

ص: ١٧٦

١- (١) الإتقان للسيوطى : ١ : ٦٤ و ٦٥ .

٢- (٢) المصدر المتقدّم : ٨٠ .

ويجاب على ذلك : إن العلم وإن كان لَدُنِيَّأً ومن عالم الملكوت ، وليس جوهراً مادياً ينتقل بواسطه الأبدان ، إلّا أن الصفات الوراثية المنتقلة من الآباء والأمهات في النطفه وأمشاجها إلى الذريه والأولاد هي بيئه وأرضيه أُعدت لتكامل الروح المتعلقه بتلك النطفه ، بحيث تتحلّى الروح بقابليتها للفيوضات السّتيه والمواهب اللدنيّه التي كانت لدى المورث ، فالعامل الوراثي في أمشاج النطفه يؤثر أثره في ضمن قانون الصفات المكتسبه من الوراثة .

ولعله إلى ذلك يشير قوله تعالى : ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، أو وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ (١) .

ومن ثمّ ورد عنهم عليهم السلام أيضاً أنّ هناك شبه الجسم اللطيف النوراني الذي ينتقل من الإمام السابق إلى اللاحق ، فإذا انتقل إليه ينتقل إليه روح القدس ، كما ورد ذلك فيما رواه الصدوق عن أبي الصلت الهرويّ في حديث شهادته الإمام الرضا عليه السلام ومجيء الإمام الجواد عليه السلام إليه (٢) .

وكذلك ما تواتر واستفاض في ألفاظ زياراتهم عليهم السلام المأثوره عنهم في نعت الإمام كما في قولهم :

« أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ ، وَ الْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ » .

و هذا ممّا يؤكّد ضروره البيئه القابله وأرضيه الاستعداد الموروث .

المحطه الثالثه : اصطفاء الوارثين لعلم الكتاب في الآيه :

وهي قوله تعالى : الَّذِينَ اضْيَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ حَيْثُ وَقَعَ الْكَلَامُ فِي الْمَرَادِ مِنَ الْاصْطِفَاءِ ، وكيف يتلاءم مع كون بعض منهم ظالم لنفسه ، وبعض مقتصد ، وبعض سابق بالخيرات ، ومن

ص: ١٧٧

١- (١) العنكبوت : ٢٧ .

٢- (٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٤٢ .

ثم حمل بعض المعنى فى المقام على معنى الاختصاص بالنعمة ، كما فى قوله تعالى : ما يؤدُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١) .

وكما فى قوله تعالى : وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليهم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٢) .

أم أن المراد بالاصطفاء هنا هو المعنى المعهود ، كما فى اصطفاء الأنبياء والأوصياء والحجج ، كما فى قوله تعالى : إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم (٣) .

وكما فى قوله تعالى : يا مريم إن الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين (٤) .

وما فى شأن طالوت إن الله اصطفاه عليكم وزاده بشطه فى العلم والجسم (٥) .

وفى شأن موسى عليه السلام إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى (٦) ، وفى شأن إبراهيم عليه السلام : ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه

ص: ١٧٨

١- (١) البقره : ١٠٥ .

٢- (٢) آل عمران : ٧٤ .

٣- (٣) آل عمران : ٣٣ .

٤- (٤) مريم : ٤٢ .

٥- (٥) البقره : ٢٤٧ .

٦- (٦) الأعراف : ١٤٤ .

فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١).

وقال في شأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام : وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ (٢).

والصحيح هو إرادته المعنى الثاني ورجوع المعنى الأول إليه ، لأن النعمة الخاصه إنما هي نازله على النبي صلى الله عليه وآله ، وحيث إنه من قريش ، فلذا أسند الاختصاص إليهم بلحاظ وجوده فيهم ، وحظوتهم لديه .

وأما الضمير في قوله تعالى : وَ مِنْهُمْ فَهُوَ عَائِدٌ إِلَى الْعِبَادِ لَا إِلَى الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا .

ومن ثم وصف في الجملة الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا بأنهم بعض من العباد ، حيث إنَّ عِبَادِنَا جُعِلَ مَقْسَمًا لِكُلِّ مِنَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ، وكذلك للأقسام الثلاثة اللاحقه ، فمحور التقسيم هو عِبَادِنَا وقد وُصِفَ بِجَمِيعِ أَقْسَامِهِ أَنَّهُمْ جَمِيعًا يَدْخُلُونَ جَنَاتِ عَدْنِ . ولا يستقيم ذلك إلَّا أن يكون المراد من عِبَادِنَا هو بعض الأئمة ، فضلًا عن المصطفين منهم ، فإنهم قسم من ذلك البعض .

كما أنَّ الظاهر من القسم الظالم من هؤلاء هو الظلم الذي يُتَغَاضَى عنه وَيُغْفَرُ ، وَيُكْتَبُ لَهُ التَّوْبَةُ فِي الْمَالِ ، وقرينه ذلك هو دخولهم الجنة ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى حكاية عن هذا القسم : وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، ويشير إلى ذلك ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئِلَ عن الآية فقال عليه السلام :

« الظالم يحوم حول نفسه ، والمقتصد يحوم حول قلبه ، والسابق يحوم حول ربه » (٣).

ص: ١٧٩

١- (١) البقره : ١٣٠ .

٢- (٢) ص : ٤٧ .

٣- (٣) معاني الأخبار للصدوق : ١٠٤ .

ومؤدَى هذه الآية : أن هناك مصطفين في هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنهم طائفه وجماعه من هذه الأمة ، ويتطابق مفاد هذه الآية مع طوائف الآيات الواردة في اصطفاء بعض ذريه إبراهيم عليه السلام للإمامه ، وبقاء الإمامه في عقبه من نسل إسماعيل ، فتلك الطوائف هي الأخرى تشير إلى وقوع الاصطفاء في نسل إبراهيم وإسماعيل ، وإنه يُبعث فيهم الرسول صلى الله عليه وآله ، وهم على صله منه ، فكما أنه صلى الله عليه وآله من نسل إسماعيل وآل إبراهيم ، فهم كذلك ، و تلك المجموعه من الآيات هي قوله تعالى : **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١)** .

وقوله تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل : **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ . . . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)** .

وقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا وَاسْتَجِدُوا . . . وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٣)** .

وقوله تعالى : **وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ (٤)** .

فهذه وغيرها يستفاد منها أن الاجتباء الإلهي وقع في ذريه إسماعيل وإبراهيم ،

ص: ١٨٠

١- (١) البقره : ١٢٤ .

٢- (٢) البقره : ١٢٨ و ١٢٩ .

٣- (٣) الحجج : ٧٧ و ٧٨ .

٤- (٤) الزخرف : ٢٨ .

أى فى قريش ، وأن هؤلاء الذين اجتباهم الله وهم طائفه من قريش هى الأئمة المسلمه ، ومن ذريه إبراهيم وهى بعض الذريه لا كلها ، فضلاً عن كل المسلمين ، وهى التى دعا إبراهيم عليه السلام أن تكون فيهم الإمامه .

كما أنّ هؤلاء جعلهم الله تعالى شهداء على الناس ، وجعل سيد الرسل شهيداً عليهم ، فهاتان آيتان دالتان على وقوع الاصطفاء والاجتباء لطائفه من قريش ، وهؤلاء هم دعوه إبراهيم عليه السلام بالإمامه ، وهم الذين ورثوا الكتاب ، فيتبين أنّ هؤلاء الذين اصطفوا واجتُبوا هم بعض من ذريه إبراهيم وإسماعيل ، لا كل ذريته فضلاً عن كل المسلمين .

وقد مرّ أنّ العباد ليسوا جميع أمه المسلمين ، لأنهم موعودون بالجنّه ، كما تبين من هذه الآيات أنّهم من ذريه إبراهيم وإسماعيل ، فلا محال أن يكون المراد من عبادنا هم بعض قريش ، وكذلك المراد من المصطفين المجتبيين هم بعض من ذلك البعض .

ولا يخفى أنّ هذا استفاد من الإشارات والبيانات الوارده فى روايات أهل البيت عليهم السلام فى طوائف هذه الآيات .

وقد خصّ القرآن أهل البيت بالطهاره دون بقية الأئمة ، فيتبين أنّ المجتبيين المصطفين دون سائر الأئمة هم أهل البيت ، وهم بعض ذريه رسول الله صلى الله عليه وآله لا كلها ، وأنّ قوله تعالى : عبادنا هم ذريه خاتم الأنبياء .

وإليك جملة من الشواهد الأخرى على كون الوارثين بالعلم اللدنى بالكتاب لمقاماته الوحيّيه الغيبية المصطفين لذلك هم أهل البيت عليهم السلام :

الشاهد الأول : ما ورد فى سورة الواقعة فى آيه التطهير فى قوله تعالى : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا- يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (1) وعنوان (المطهرون)

ص: ١٨١

يغايير عنوان (المتطهّرين) فالمطهّرون هم المعتبون في قوله تعالى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (١) ، والمتطهّرون هم غيرهم ، وهم عموم الأُمَّه ، المخاطبون في قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢)

الشاهد الثاني : حديث الثقلين ، وهو قوله صلى الله عليه وآله :

« إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضَلُّوا أَبَداً مَا إِنْ تَمَسَّيْتُمْ بِهِمَا » (٣) ، فقد قرنهم النبي صلى الله عليه وآله بالكتاب وخصّهم به ، المقتضى لاختصاص علم الكتاب كلّهم بهم ، دون سائر الأُمَّه .

الشاهد الثالث : قوله تعالى : قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ (٤) ، حيث إنّ بين تعالى أنّ العلم بالكتاب من نمط خاصّ من أنماط العلم ، له آثار تكوينية خارجه عن دائره قدره البشر ، حيث إنّ الاقتصار على الوصف يدلّ على العليّه ، وأنّ هذا الوصف علّه لهذا الأثر .

ومن الواضح أنّ هذا العلم ليس علماً بظاهر التنزيل ، وإلّا لحصلت تلك القدره لكلّ من اكتسب العلم بذلك ، فمن الواضح أنّ هذا الإيتاء بهذا الحجم من القدره يكشف عن تعالى الروح إلى مكانه يتأتّى منها هذا الفعل ، فتكون الروح محيطه بموقع الفعل المقدور عليه ، ممّا يؤكّد أنّ ذلك الموقع من الكتاب وموطن العلم به هو في الملكوت .

ص: ١٨٢

١- (١) الأحزاب : ٣٣ .

٢- (٢) البقره : ٢٢٢ .

٣- (٣) هو من الأحاديث المستفيضه ، قد رواه أكثر المحدثين بألفاظ متقاربه ، وأسانيدهم فيه صحيحه .

٤- (٤) النمل : ٤٠ .

ومن الواضح اليّين أنّ كلّ مقامات الكتاب ومنازله الغيبية قد أوحيت إلى روح وقلب النبيّ صلى الله عليه وآله ، والوارث للكتاب الذي أوحى بمنازله ومقاماته للنبيّ صلى الله عليه وآله يرث كلّ تلك المنازل ، وذلك بمقتضى عموم الوراثه المدلول عليها بالآيه ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ (١) .

والحاصل : أنّ المتدبّر في دلالات القرآن يقف على دلائل عديده دالّه على أنّ هذا الاصطفاء في ثلّه من ذريّه إبراهيم وإسماعيل من قريش هي العتره المطهره من آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وأن هذا الاصطفاء والاجتباء نعتٌ ذكر لأهل البيت عليهم السلام ، وهو شامل لكلّ من الصديقه فاطمه عليها السلام والأئمّه الإثنى عشر عليهم السلام .

وهؤلاء المصطفون هم السابقون بالخيرات بإذن الله ، وهذا النعت ممّا يفيد أنّهم الأفضل في كلّ المقامات على جميع الأئمّه ، إذ مقتضى السبق في الخيرات هو ذلك ، لا سيّما أنّ هذا السبق كما هو مفاد النعت (بإذن الله) ، أي بتسديد من الله عزّ وجلّ ، نظير التعبير الوارد في عيسى عليه السلام وَ أُبْرِيئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ (٢) .

و هذا السبق قريب من قوله تعالى أيضاً : وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ .

كما أنّه قد نعت المقرّبون في القرآن أنّهم يشهدون كتاب أعمال الأبرار كلّاً إنّ كتاب الأبرار لفيّ عليّين * وما أدراك ما عليّون * كتاب مرقوم * يشهده المقرّبون (٣) .

و هذا مطابق لما مرّ في سورة الحجّ من وصف المجتبيين من قريش من ذريّه

ص: ١٨٣

١- (١) فاطر : ٣٢ .

٢- (٢) آل عمران : ٤٩ .

٣- (٣) المطففين : ٢١ .

إبراهيم وإسماعيل من ذريه آل محمد صلى الله عليه وآله ، بأنهم الشهداء على الناس ، والرسول شهيد عليهم ، كما أنه مطابق لما ورد في نعت أهل البيت المطهرين في سورتي الدهر والإنسان ، من أنهم يشرفون على رفس الأبرار بعين الكافور إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً * يوفون بالندر و يخافون يوماً كان شره مستطيراً * و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيماً و أسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكوراً * إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطيراً .

قوله تعالى : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (١) .

وهذه الآيه تدلّ إجمالاً على وجود جماعه فى هذه الأئمه أوتيت الكتاب والحكمه ، وأوتيت الملك العظيم ، فالبحث ينصبّ على تحديد هويّه هؤلاء ، والمراد بإيتاء الكتاب والحكمه ، وتفسير الملك العظيم .

وسياق هذه الآيات وإن كان ضمن خطاب خاص باليهود ، حيث قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ قَبَلُوا النَّبُوَّةَ وَالرِّسَالَهَ وَالْإِمَامَهَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَمْ يَقْبَلُوها فِى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَذَوِيهِ ، وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْخِطَابَ يَعْمَ غَيْرَهُمْ أَيْضًا ، بِقَرِينِهِ أَنَّ مَا بَعْدَ الْآيَةِ فِى قَوْلِهِ تَعَالَى : فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ، وَقَوْلِهِ : إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَوْلِهِ تَعَالَى :

وَالَّذِينَ آمَنُوا هِىَ عَامَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ أَيْضًا ، فَضَلًّا عَمَّا هُوَ مَقْرَّرٌ فِى عِلْمِ أَصُولِ الْفِقْهِ مِنْ أَنَّ الْمَوْرِدَ لَا يَخْتَصُّ بِالْخِطَابِ ، وَلَا يَخْتَصُّ الْوَارِدُ .

وبادىء ذى بدء فإنّ القارىء للآيه ينتبه إلى إخبار القرآن عن وجود أناس وليس فرداً واحداً من هذه الأئمه من بيوتات الأنبياء من آل النبى صلى الله عليه وآله بسبب التشبيه بآل إبراهيم عليه السلام قد أوتوا الكتاب والحكمه والملك العظيم .

وهنا أمر ملفت للانتباه وهو أنّ غالب مفسرى الجمهور تحاشوا الوقوف على

معاني وحقائق هذه الآيات ، وتشاغلوا في أمور جانبية كالحواشي للمتن الأصلي ، والحال أنّ هناك عدّة مواقف ومحطّات هامّة جديره بالدرس ، سوف نقف عندها في مفاد هذه الآية :

المحطّة الأولى : في تحديد هؤلاء الناس :

إنّ أول مؤشّر في دلالة الآية على تحديد هؤلاء الناس هو أنّهم لهم صلة ما ، وتشابه ما مع آل إبراهيم ، وأنّ إيتاءهم هذه المقامات والتي هي فضل عظيم وسُنّه إلهية ، وليس هو بدعاً من سُننه تعالى ، بل قد وجد قبل ذلك في تاريخ النبوات وأنّ المراد منهم هم آل محمّد صلى الله عليه وآله .

ومما يشهد أنّ المراد بهؤلاء الناس هم آل محمّد صلى الله عليه وآله جملة من الشواهد :

١ - قول رسول الله صلى الله عليه وآله

: « فَإِنَّ اللَّهَ مَا اصْطَفَى نَبِيًّا إِلَّا اصْطَفَى آلَ ذَلِكَ النَّبِيِّ فَجَعَلَ مِنْهُمْ الصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ » (١) ، وحيث إنّ آل إبراهيم هم آل نبي من الأنبياء فلا محالة أن يكون المقصود من (الناس) هنا في هذه الآية هم آل النبي محمّد صلى الله عليه وآله ، وأنّ إيتاء الله عزّ وجلّ لآل محمّد هذه المواهب اللدنية الثلاث - الكتاب ، والحكمة ، والملك العظيم - هو كسُننه تعالى في آل إبراهيم .

٢ - إنّ تقرير الآية في أنّ آل إبراهيم قد أوتوا الكتاب ، والحكمة ، والنبوه ، يفيد ثبات وبقاء واستمرار هذه العطية ، والسنة الإلهية فيهم ، أي في آل إبراهيم ، ومحمّد صلى الله عليه وآله وآله هم من آل إبراهيم ، لاسيّما وأنّ قول إبراهيم في حقّ ذريته من إسماعيل في دعائه ببقاء هذه المقامات لهم كما في قوله : رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ .

ص: ١٨٤

١- (١) تاريخ ابن عساكر : ٤٢ : ٤٩ و ٥٠ ، ترجمه عليّ بن أبي طالب ، الحديث ٤٩٣٣ .

وقول إبراهيم أيضاً حينما قال الله تبارك وتعالى : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ، طلبها لذريته أيضاً ، حيث قال : قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي .

وأيضاً قال إبراهيم وإسماعيل في دعائهما : رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ . . . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

فمن ثم قال تعالى في شأن إبراهيم : وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ .

٣- إنَّ القرآن الكريم قد أشاد بالفضل الإلهي لجملة من آل الأنبياء ، وبيوت النبيين ، حيث ذكر آل إبراهيم ، وآل لوط ، وآل عمران ، وآل يعقوب ، وآل موسى ، وآل هارون ، وآل داود ، وهذا يقتضى إشارات به بآل محمد صلى الله عليه وآله لكونه أشرف الأنبياء ، وهو يقتضى كون آل أشرف الآل في آل النبيين .

ومن ثم خصَّ القرآن آل محمد صلى الله عليه وآله بالتسليم ، كما نبه على ذلك الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام ، كما في سورة الصافات ، حيث قال تعالى : سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَنُوحٍ هَارُونَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

٤- إنَّ القرآن قد خصَّ آل محمد صلى الله عليه وآله بكرائم قرآنيه ، كما في قوله تعالى :

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ ، فجعل ولايه النفيء لهم .

وكذلك خمس الغنائم وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ (٢) .

وكذلك تخصيصهم بعلم الكتاب كما في قوله تعالى : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي

ص: ١٨٧

١- (١) الصافات : ١٣٠ .

٢- (٢) الأنفال : ٤١ .

كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وَالْمَطَهَّرَ هُم أَهْلُ آيَةِ التَّطْهِيرِ ، الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمُ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ ، كَمَا بَسَطْنَا ذَلِكَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ آيَاتِ الْوَرَاثَةِ .

وبالجملة : فما أوتوا من فضل مذكور في خصائص وكرائم القرآن لهم ، مع كونهم من آل إبراهيم ، ومناسبه استشهاد الباري تعالى بآل إبراهيم ، كل ذلك قرينه على أنّ المقصود هو محمد صلى الله عليه وآله ، وآله عليهم السلام هم المحسودون ، وأنّ ما آتاهم الله تعالى فهو علم الكتاب ، والحكمه ، والملك العظيم ، وهي الولاية والطاعة ، وهذه ثلاثه امور قد ذكرت في آيات عديده كخصائص وقرائن قرآنيه لهم .

فما ذكرته الآيات في سور متعدده شاهد على الصله بين تلك المقامات والآيه في المقام .

ونظير ذلك ما ورد عند الفريقين من كيفية الصلاه « اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد . . . كما صلّيت . . . على إبراهيم وآل إبراهيم » فإنّ هذا التنزيل والمشابهه بين آل إبراهيم وآل محمّد يفيد أنّه لم يعط إبراهيم وآله شيئاً إلّا وأعطى محمّد وآله مثله . بل في الحقيقة إنّ آل محمّد من آل إبراهيم .

وقد روى ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره ذيل الآيه عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام أنّه قال :

« نحن النّاس » (١) .

وقريب منه ما أخرجه السيوطي في « الدرّ المنثور » ذيل الآيه عن ابن المنذر والطبراني عن ابن عباس ، قال : « نحن النّاس دون النّاس » (٢) .

ومن هنا يظهر أنّ استعمال لفظ (النّاس) في القرآن على معان :

منها : من استكمل الحقيقة الإنسانيه ، وهذا ينطبق عليهم عليهم السلام ، كما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام :

« نحن النّاس ، وشيعتنا أشباه النّاس ، وأعداؤنا

ص: ١٨٨

١- (١) تفسير ابن أبي حاتم : ٣ : ٥٩ ، الحديث ٥٥٠٦ .

٢- (٢) الدرّ المنثور : ٢ : ٢٣٩ ، ذيل الآيه .

النَّسْنَسُ «(١)» ، أى أنّ صورتهم صورته إنسان ، ولكنّ القلب قلب حيوان ، كما روى ذلك فى تأويل قوله تعالى : وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ فى قباحه صور بعضهم ، أنّه يحسّن عندها صور القرده والخنازير .

ومنها : عموم البشر .

ومنها : فى قبال من لم يتحلّ بالإيمان ، وأنّه باق على طبيعته الناقصه الأوّليه ، وأنّه لم يتكامل .

المحطه الثانيه : المراد بإيتاء الكتاب والحكمه :

إشاره

قد تقدّم فى قوله تعالى : ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا أَنْ عِلْمَ الْكِتَابِ لا يعنى بالضروره النبوه ، بل يعنى الاصطفاء ، كما ورث الله تبارك وتعالى علم الكتاب الذين اصطفاهم من هذه الأّمه ، بمقتضى الآيه السابقه ، كما أنّ إيتاء الحكمه هنا أيضاً دالّ على أنّ هناك مواهب لدنيّه من الله تعالى للعباد غير النبوه .

فالتعبير بالإيتاء دالّ على أنّ هذه المقامات ليست كسبيّه ، بل مواهب لدنيّه وعطايا غيبيه ، لاسيّما وأنّه قد اختصّ ذلك بهم دون سائر الأّمه ، وهذا نظير ما ورد فى قوله تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ (٢) .

وقوله تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا (٣) .

وقوله تعالى : وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا (٤) .

وقوله تعالى فى شأن يحيى : وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (٥) .

ص: ١٨٩

١- (١) روضه الكافى : ٨ : ٢٤٤ .

٢- (٢) لقمان : ١٢ .

٣- (٣) النمل : ١٥ .

٤- (٤) سبأ : ١٠ .

٥- (٥) مريم : ١٢ .

وفى شأن موسى : وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا (١) .

وفى شأن داود : وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلَ الْخِطَابَ (٢) .

فالأية المبحوثة فى المقام وهذه الآيات تدلّ على وجود مقامات غيبية كثيرة غير النبوة والرسالة ، يعطيها الله عزّ وجلّ لخاصية أوليائه المصطفين ، وإن لم يكونوا أنبياء ، كما هو الشأن فى لقمان ، وطالوت ، وذى القرنين حيث قال فيه تعالى : وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٣) .

وكذلك فى الخضر عليه السلام فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٤) ، ومن تلك المواقع هى وراثته الكتاب ، والحكمة ، وفصل الخطاب ، والملك ، والحكم ، والعلم اللدنى ، وتأويل الأحاديث ، ومنطق الطير ، وتليين الحديد ، والبيّنات ، والتأييد بروح القدس ، والسلطان المبين .

و هذا ممّا يدلّ على أنّ هناك مناصب إلهية ومقامات غير النبوة والرسالة ، وكلّها ذات مواقع غيبية ، ومواهب من الله تعالى لدنيه ، وهذه المواهب لم تكن تُعطى للأصفياء المصطفين فى الأمم السابقة ، وتنقطع عن الأصفياء المصطفين فى هذه الأمة ، من نسل آل إبراهيم ، و هذا هو مغزى استدلال القرآن فى هذه الآية ، واستنكاره على الحاسدين الجاحدين فى الاعتراف بوجود هذه المقامات فى آل النبىّ صلى الله عليه وآله ، مع اعترافهم بوجودها فى آل إبراهيم ، فكيف يقرون بوجودها فى آل إبراهيم وينكرونها فى آل محمّد صلى الله عليه وآله فما هو إلّا الحسد والجحود .

ص: ١٩٠

١- (١) القصص : ١٤ .

٢- (٢) ص : ٢٠ .

٣- (٣) الكهف : ٨٤ .

٤- (٤) الكهف : ٦٥ .

وقد يثار تساؤل(١) حاصله : أن علم أوصياء النبي صلى الله عليه وآله بحقيقه الكتاب الملكوتيّه الغيبية إن كانت هي عين ما تلقاه النبي صلى الله عليه وآله ؛ فيكون حينئذ علمهم وحي نبوه ، وإن كان من سنخ آخر فما هو ؟

وبعبارة اخرى : إن ما تلقاه الأوصياء من الكتاب إن كان هو مجرد ألفاظ الصور المسموعه والمدونه ، فهذا لا يميزهم عن سائر الأمم ، وإن كان ما تلقوه هو حقيقه الكتاب التي تلقاها النبي صلى الله عليه وآله ، والتي هي من سنخ الغيب والملكوت ، وهي حقيقه وراء الألفاظ والمعاني ، فهذا هو وحي النبوه !

هناك فروق في كيفية تلقي الوحي حقيقه الكتاب قد بينتها الروايات ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله يتلقى حقيقه الكتاب مع المعانيه والرؤيه ، بينما الإمام يتلقى ذلك بدون المعانيه والرؤيه ، بل بالإلهام ، والسمع ، والنكت ، ونحوها .

وهناك فارق آخر ، وهو أن الإنزال لتلك الحقيقه في البدء هو على النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك لما تتمتع به النفس والروح النبويه من قدره على العروج إلى الغيب ، والأطلاع على تلك المقامات الملكوتيّه والارتباط بها ، والذي يوجب نحو تنزل لتلك الحقائق العلويه ، فهذه القدره هي من مختصات خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ، أما الأوصياء عليهم السلام فإنهم يتلقون بعد ذلك ما تنزل على النفس النبويه ، ولم يكن تلك القدره من التلقى لهم دونه صلى الله عليه وآله .

و هذا فارق الوحي النبوي الخاص بخاتم الأنبياء مع ما ورثه تكويناً الأوصياء منه .

وقد مرّ في قوله تعالى : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا أَنْ وراثه**

١- (١) كما أثير أخيراً في بعض الأوساط الثقافيه الأكاديميه ، وإن لم تكن الإثاره جديده في مضمونها .

وروى العلامة المجلسى فى « بحاره » عن كتاب « كشف اليقين » بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال :

« قال ابن عباس : كنت أتتبع غضب أمير المؤمنين عليه السلام إذا ذكر شيئاً أو هاجه خبر . . . إلى أن قال :

قال علىّ عليه السلام : يا بن عباس ، ذهب الأنبياء فلا ترى نبياً ، والأوصياء ورثتهم ، عنهم أخذوا علم الكتاب وتحقيق الأسباب . .
« الحديث (١) .

فهو يشير إلى المقام الغيبى لعلم الكتاب ، وبقية المقامات الغيبية الأخرى .

المحطه الثالثه : المراد بالملك العظيم :

ما المراد بالملك العظيم الذى أوتى آل إبراهيم ؟ مع أنهم لم يؤتوا الملك الظاهرى عدا يوسف عليه السلام ، ومع ذلك لا يوصف ما أوتى يوسف عليه السلام بالملك العظيم ، نعم ذلك قد تحقّق فى سليمان عليه السلام ، وعليه فلم ينقل لنا تاريخ النبوات أنّ إبراهيم أو إسماعيل أو إسحاق أو يعقوب عليهم السلام قد تسنّموا ملكاً بحسب السطح المعلن الظاهر ، ولم تكن بيدهم زمام القدره الرسميه البارزه .

و هذا التساؤل بعينه قد أثير فى قوله تعالى : وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَإِنِّ هَذَا الْإِخْبَارِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِأَنْ جَعَلَهُ إِمَامًا لَّابَدٍ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ ، ومع ذلك فلم يُنقل لنا أنّ إبراهيم قد تسلّم زمام سلطه ودوله .

وللإجابة عن ذلك نقول : إنّ التاريخ قد خلد لإبراهيم عليه السلام ظاهره تعجز عن القيام بها حضارات ، فضلاً عن دول ، وهى ظاهره انتشار مله التوحيد الحنيفيه ، وتغيير كثير من المجتمعات البشريه ، التى عاش فى وسطها إبراهيم عليه السلام من الوثنيه إلى الحنيفيه ، ولا شك أنّ ظاهره تغيير العقيدة وتحولها تعجز عنها قدرات ودول جباره وحضارات

ص: ١٩٢

عملاقه ، و ذلك لأنه مهما كانت فمن الصعوبه بمكان أن يتخلى عنها الإنسان أو الأمم والمجتمعات .

من هنا فقد وُصف ذلك الملك الذى آتاه الله تعالى آل إبراهيم بالملك العظيم ، مع أنّ الله تعالى يصف متاع الحياه الدنيا برّمته بأنه متاع قليل .

ثم إنّ المُلك فى أصل الوضع اللغوى يفيد السلطه والقدرة والاقْتدار ، وهذه القدره بحسب وصفها بالعظمه يفيد أنّها قدره غالبه على كلّ القدرات الموجوده على الأرض .

والذى يمكن أن يكون تفسيراً لهذا الملك العظيم هو ما أشارت إليه روايات أهل البيت عليهم السلام فى قوله تعالى فى وصف خليفه الله فى الأرض ، أى المَجْعول إماماً من قبيله تعالى للناس ، فى قوله تعالى : وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً... وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَۙ .

وفى موضع آخر قوله تعالى : إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (١) ، وغيرها من السور التى تبين أنّ جميع الملائكه قد أمروا بالخضوع والطاعه والانقياد والاتباع لخليفه الله فى الأرض ، مع أنّ القرآن الكريم قد وصف للملائكه كثيراً من القدرات الهائله فى الكون ، نظير الإمامته ، والإحياء ، والتدبير ، والوحى ، وكتابه الأعمال ، والعذاب ، حتّى أنّ بعض الملائكه كجبرئيل وُصف فى قوله تعالى : ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ (٢) ، وغيرها من القدرات والأدوار التى انيطت

ص: ١٩٣

١- (٢) البقره : ٣٠ .

٢- (٣) ص : ٧١ - ٧٣ .

بهم ، والتي أشار إليها القرآن الكريم .

فإذا كان جميع الملائكة كلهم أجمعون قد امروا بطاعه خليفه الله تعالى ، وكانت قدراتهم رهن إشارته ، كان هذا سلطاناً وملكاً عظيماً ، يفوق ملك سليمان عليه السلام .

ففى صحيحه بُريد العجلي : عن أبى جعفر عليه السلام ، فى قول الله عزّ وجلّ :

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (١) .

قال :

جعل منهم الرُّسل والأنبياء والأئمّه ، فكيف يُقرّون فى آل إبراهيم وينكرونه فى آل محمّد ؟

قال : قلت : وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا .

قال :

الملك العظيم أن جعل فيهم أئمّه ، من أطاعهم أطاع الله ، ومن عصاهم عصى الله ، فهو الملك العظيم «(٢)» .

وسياتى فى معنى الحسد ما يدلّ على حساسيّه مقام الملك العظيم ، الذى أوتيته هذه الجماعه من الناس فى الأئمّه الإسلاميه ، والذين هم من آل النبىّ صلى الله عليه وآله .

المحطه الرابعه : الجمع بين الملك والنبوه لآل إبراهيم :

ثمّ إنّ الآيه تركّز على أمر آخر ، وهو الجمع فى مواهب الله تبارك وتعالى بين إبتاء النبوه والحكمه والملك ، وأنّ الحسياد ينكرون على آل محمّد صلى الله عليه وآله وبنى هاشم بأن جمع الله لهم بين النبوه والخلافه ، و (الإمامه) ، فليس الجمع بين هذه المقامات بدعاً فى الشنن الإلهيه ، بل هى سنّه إلهيه فى جميع بيوتات الأنبياء ، كما سبق الإشاره إليه فى حديث الدار ، من أنّه ما بُعث نبىّ إلّا وُبعث من بيته وصياً ، ووزيراً ، ووارثاً ، وخليفه له .

ص: ١٩٤

١- (١) النساء : ٥٤ .

٢- (٢) الكافى ، الشيخ الكلينى ، ١ : ٢٠٦ ، الحديث ٥ ، ط دار الكتب الإسلاميه - طهران .

وقد رُوي في مصادر الآثار أنّ أهل البيت عليهم السلام وبنى هاشم قد أجابوا مع كثير من الاستغراب والإنكار على رفض قريش لجمع الله تعالى النبوه والخلافه لبنى هاشم ، وقد أجابوا بهذه الآيه أمَّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ

ومما يؤكد أنّ سبب الحسد هي الخلافه والإمامه ، وهي الملك في أهل البيت عليهم السلام ، هو أنّ الذي يُجمع له النبوه والخلافه غير متصوّر في هذه الأمه إلآبيت النبي صلى الله عليه وآله ، إذ ليست النبوه إلآفيهم ، فالجمع بينها وبين الخلافه لهم لا في غيرهم .

وهذا تنصيص من الآيه على كلّ من الخلافه في آل محمّد صلى الله عليه وآله والنبوه في محمّد صلى الله عليه وآله ، وأنّ المحسودين هم أهل البيت عليهم السلام .

فقد روى الصدوق بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام ، في حديث قال عليه السلام :

« قال الله عزّ وجلّ : أمَّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (١) .

ثم ردّ المخاطبه في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٢)

يعنى الذين قرنهم بالكتاب والحكمه وحسدوا عليهما فقوله عزّ وجلّ : أمَّ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... يعنى الطاعه للمصطفين الطاهرين ، فالملك هاهنا الطاعه لهم «(٣) .

المحطه الخامسه : حسد قريش لأهل البيت عليهم السلام على الخلافه :

اشاره

هناك صله واضحه بين هذه الآيه وبين قوله تعالى في سوره المائده : يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ

ص: ١٩٥

١- (١) النساء : ٥٤ .

٢- (٢) النساء : ٥٩ .

٣- (٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٠٩ . أمالي الصدوق : ٦١٧ ، الحديث ٨٤٣ .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، حيث إن هذه الآية نزلت في سورة المائدة ، وهي آخر السور نزولاً ، وأن النبي صلى الله عليه و آله قد أمر بتليغها ، إلا أنه كان يخشى تمرّداً عاماً في الناس على ذلك الأمر الإلهي ، فهو ممّا يمتّ بصله بالشأن العام الاجتماعي والسياسي ، وأن هناك منصباً وصلاحيات أُسندت إلى شخص بأمر إلهي ، كما في هذه الآية ، وهو يتمتع بالحكمه اللدنيّه وعلم الكتاب ، وأنه قد أوتي ملكاً عظيماً منه تعالى ، ومن عظمه هذا المقام قد ساوى الباري تعالى التبليغ لإمامته وبين تبليغ كافّه شؤون الرساله ، وهذا إشاره اخرى لطيفه إلى معنى عظمه الملك .

وممّا يشير إلى أنّ مورد الحسد هاهنا هو منصب تكويني لدنّي من الله تبارك وتعالى ، هو ما ورد نظير هذا اللسان في قوله تعالى في سورة ص : وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ... أَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا... أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١) .

ونظير التعبير في الآية في المقام أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤثنون الناس نقيراً (٢) فقد ورد في شأن نزول هذه الآية : أنه « أقبل أبو جهل بن هشام ، ومعه قوم من قريش لما أظهر رسول الله الدعوه في مكّه ، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا ، فادعّه ومُره أن يكفّ عن آلهتنا ، ونكفّ عن إلهه ، وأنه قد سفّه أحلامنا ، وسب آلهتنا ، وأفسد شبابنا ، وفرق جماعتنا . . .

الخ ، فردّ عليهم رسول الله صلى الله عليه و آله ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآيات من سورة « ص » ، وبين فيها تعالى أنّ حسد قريش وجحودهم ناشئ من عدّه أسباب ، منها :

حسدهم للنبي صلى الله عليه و آله على منصب النبوه ، ولما خصّه الله تعالى بذلك ، وإلى هذا أشار

ص: ١٩٦

١- (١) ص : ١ - ٤ .

٢- (٢) النساء : ٥٣ .

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في محاججته مع معاويه في قوله عليه السلام :

« وأوّل من حُسد آدم الذى خلقه الله عزّ وجلّ بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلّها ، واصطفاه على العالمين ، فحسده الشيطان فكان من الغاوين .

ثمّ حسد قاييلَ هايبَل فقتله ، فكان من الخاسرين .

ونوح حسده قومه فقالوا : ما هذا إلاّ بشرٌ مثلكم يَأْكُلُ ممّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ ممّا تَشْرَبُونَ* وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (١)

ولله الخيره يختار من يشاء ، ويختصّ برحمته من يشاء ، ويؤتى الحكمة والعلم من يشاء .

ثمّ حسدوا نبينا محمداً صلى الله عليه و آله ، ألا ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، ونحن المحسودون كما حُسد آباؤنا «(٢)» ، وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة من قوله تعالى : أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا (٣) وقوله : أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٤) .

فتطابق الحسد هناك على النبوه مع الحسد هنا على الإمامه ، للتعبير عنها بالملك ، وأنه منصب تكويني لدنّي إبتائي من الله تعالى ، وهو يغاير منصب النبوه بتسميته بالملك ، كما ورد في إمامه طالوت وسليمان .

شمول الملك العظيم لفاطمه عليها السلام :

لما كان مصطلح آل البيت يشمل فاطمه عليها السلام دون أدنى شكّ فإنه يعلم ثبوت وتقرّر هذا المقام لها ، وقد اشير إلى ذلك في جملة من الروايات الوارده .

منها : ما رواه الطبري في « دلائل الإمامه » ، بسنده عن أبي بصير ، عن أبي جعفر

ص: ١٩٧

١- (١) المؤمنون : ٣٣ .

٢- (٢) الاحتجاج : ١ : ٢٣٤ .

٣- (٣) ص : ٨ .

٤- (٤) ص : ٩ - ١٠ .

محمّد بن عليّ عليه السلام ، في حديث عن مصحف فاطمه ، قال عليه السلام :

ولقد كانت (صلوات الله عليها) طاعتها مفروضه على جميع من خلق الله من الجنّ ، والإنس ، والطير ، والبهائم ، والأنبياء ، و
الملائكة [\(١\)](#) .

وسياتى فى الفصول اللاحقه مزيد من البحث حول فرض طاعتها عليها السلام على جميع الخلق .

ص: ١٩٨

١- (١) دلائل الإمامه للطبرى : ١٠٤ - ١٠٦ .

قوله تعالى : ما كان مُحَمَّدٌ اَبَا اَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُوْلَ اللّٰهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّنَّ وَ كَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمًا (١).

و قالت عليها السلام فى خطبتها :

« فَإِنْ تَعَزَّوْهُ تَجِدُوهُ اَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ ، وَ اَخَا ابْنِ عَمِّى دُونَ رِجَالِكُمْ ، وَ لَنَعَمَّ الْمَعْرِىُّ اِلَيْهِ » (٢).

فهى عليها السلام تشير الى السبب الذى به يحصل وراثه المقامات النبويه اى تشير الى ما مفاد الآيه ، من أنه لا يرث مقام النبى صلى الله عليه و آله و مناصبه و صلاحياته اُحد من رجال هذه الأمة ، لأنه لم تثبت بينه و بينهم علقه الرّحم ، و التى هى سبب أصلى للوراثة ، إذا توفرت فيها شرائط الوراثة المعنويه الملكوتيه ، و التى تقدّمت الإشاره الى بيانها و تعدادها .

نظير ما فى قوله تعالى : اَلنَّبِيُّ اَوْلٰى بِالْمُؤْمِنِيْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ وَ اَزْوَاجُهُ اُمَّهَاتُهُمْ وَ اَوْلُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَ الْمُهَاجِرِيْنَ (٣) ، حيث خصّ مقام الولايه العامه للنبى بأولاهم به رَحِمًا ، دون بقية المؤمنين و المهاجرين .

فلسان الآيتين واحدٌ ، و كلٌ منهما من سوره واحده ، وهى الأحزاب . و لنذكر عدّه نصوص تاريخيه قبل الخوض فى دلالة الآيه :

ص: ١٩٩

١- (١) الأحزاب : ٤٠ .

٢- (٢) الاحتجاج للطبرسى ١ : ١٣١ .

٣- (٣) الأحزاب : ٦ .

النص التاريخي الأول : ورائه مقامات النبي صلى الله عليه وآله حكم فطري :

وقد احتج أبو بكر يوم السقيفه على الأنصار بورائه النسب والقرايه لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال أبو بكر : « ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً » (١).

وقال أيضاً : « وقد بعث الله محمداً بالهدى ودين الحق ، وكنا معاشر المهاجرين أول الناس إسلاماً ، ونحن عشيرته ، وذوو رحمة ، ونحن أهل النبوه والخلافه ، ونحن الأمراء وأنتم الوزراء » (٢).

الثاني : وفي نقل آخر للطبري أنهم ترادوا الكلام فيما بينهم فقالوا : فإن أبت مهاجره قريش ، فقالوا نحن المهاجرون وصحابه رسول الله الأولون ونحن عشيرته وأولياؤه ، فعلام تنازعون هذا الأمر بعده » (٣).

الثالث : ذكر الطبري أنهم أعادوا الاحتجاج بالقرايه عدّه مرّات ، وذكر أنّ عمر بن الخطّاب خاطب الأنصار قائلاً : « والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونيبها من غيركم ، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّى أمرها من كانت النبوه فيهم ، وولّى امورهم منهم ، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّه الظاهره ، والسلطان المبين ، من ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلامدلاً باطل ، أو متجانف لإثم ، أو متورّط فيهلكه » (٤).

الرابع : ذكر الطبري أنّ بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير قال : « ألا إنّ محمداً من

ص: ٢٠٠

١- (١) سيره ابن هشام : ٤ : ٤٥٩ ، تاريخ الطبري : ٢ : ٤٤٦ .

٢- (٢) السنن الكبرى للبيهقي : ٦ : ١٦٥ ، وأخرجه ابن حجر في فتح الباري : ٧ : ٢٤ ، عن المغازي لموسى بن عقبه ، عن ابن شهاب ، إكمال الإكمال .

٣- (٣) تاريخ الطبري : ٢ : ٤٥٦ .

٤- (٤) تاريخ الطبري : ٢ : ٤٥٧ .

قريش ، وقومه أحقّ به وأولى ، وأيم الله لا يرانى الله أنزعهم هذا الأمر أبداً» (١).

ويمكن تسجيل جملة من النقاط على هذه النصوص التاريخيه ، قبل الحديث عن مفاد الآيه ، ومؤدى خطبه سيده النساء عليها السلام :

السقيفه وارتكازيه ميراث الخلافه :

النقطه الأولى : أنّ شموليه قاعده الوراثة لمقامات ومناصب النبى صلى الله عليه وآله أمر مرتكز في ذهنيته المسلمين ، ويُعدّ قاعده دينيه صلبه ، إلى درجه أنّ الجدال العصيب الذى دار بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وآله ، بين قريش المهاجره وبين الأنصار ، إنّما حُسم لقريش بناءً على هذه القاعده ، مع أنّ النزاع شديد ، والأمر عصيب ، والحال خطير ، وهذا ممّا يُبين مدى ركيته هذه القاعده في الأصول والقواعد .

تناقض السقيفه في الميراث :

النقطه الثانيه : أنّ أصحاب السقيفه كالخليفه الأوّل والثانى وأنصارهما ، قد وقعوا في تناقض شديد ، حيث استدلّ كلّ منهما على أحقيته قريش من الأنصار بسلطان النبى صلى الله عليه وآله وولايته ، بقاعده وراثه القرابه والرحم ، مع أنّهم منعوا فاطمه وعليّاً عليهما السلام من الفىء ، والخمس ، وفدك وموارث النبى صلى الله عليه وآله ، تحت ذريعه الحديث الذى زعموه وينسبوه إلى النبى صلى الله عليه وآله ، من أنّ النبى لا يورث وما تركه صدقه .

فإذا كان النبى لا يورث ، فكيف ترث قريش سلطان النبى ، وولايته وإمارته ، وتكون أحقّ بإرث النبى - بموجب الرحم - من الأنصار ، مع أنّ السلطان والولايه والحاكميه أعظم خطراً من المال ، وإن كان فى الحقيقه الفىء وولايته هى عين الحاكميه والإماره والسلطان ، كما مرّ توضيحه . ومن ثمّ بادر أصحاب السقيفه إلى

ص: ٢٠١

غصبه من أهله ، وهم أهل البيت عليهم السلام .

العباسيون وميراث الخلافة :

النقطة الثالثة : قد سجّل التاريخ من إثارة المنصور الدوانيقى حول دلالة الآية على وراثته بنى هاشم للخلافة الإسلاميه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، يُعزّز متانه هذه الآية فى الفكر والوعى لدى المسلمين تجاه مفادها ، فقد ذكر الطبرى فى « تاريخه » رسائل متبادله بين المنصور الدوانيقى وبين محمّد بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، حينما ظهر بالمدينه ، فمما كتب الدوانيقى إليه :

« ... فإذا جلّ فخرك بقرايه النساء ... ولم يجعل الله النساء كالعومه والآباء ، ولا كالعصبه والأولياء ... »

وأما قولك إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنّ الله تعالى يقول فى كتابه : ما كان مُحَمَّدٌ أباً أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ، ولكنكم بنو ابنته ، وإنّها لقرايه قريبه ، ولكنّها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولايه ، ولا تجوز لها الإمامه ، فكيف تورث بها ... ، وقد علمت أنّه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبى صلى الله عليه وآله غيره - أى العباس - فكان وراثته من عمومته ، ... فكيف تفخر علينا ... وورثنا دونكم خاتم الأنبياء» (١).

فإنّ الظاهر من شعار العباسيين ومنطلقاتهم ، تخطئه مهاجره قريش وأصحاب السقيفه ، بمقتضى قاعده الوراثة والقرايه ، حيث إنّ بنى هاشم هم أمسّ رحماً وأقرب من أبى بكر التيمى ، وعمر العدوى .

فسلطان بنى العباس والخلافة العباسيه قائمه على قاعده لتبرير المشروعيه تتنافى مع الخلفاء الثلاثة الأوائل وإن كانت القاعده التى انطلق منها أصحاب السقيفه وبنو العباس واحده ، إلّا أنّ تطبيقها اختلف بينهما ، فأصحاب السقيفه طبّقوها

ص: ٢٠٢

على عموم وراثه القُربى البعيده ، وبنو العباس طَبَقوها على وراثه كلّ بنى هاشم ، فى القرايه المتوسطه .

وعلى أئى تقدير فهذان الاحتجاجان والمستندان يعكسان بدايه تطبيق قاعده وراثه القربى لمناصب النبى صلى الله عليه وآله ، وولايته ، وحاكميته ، وأنها باتت من مسلمات الدين .

ومن ثمّ جعل من شرائط الإمامه أن يكون الإمام قرشياً عند كافه فرق المسلمين(1) ، عدا الخوارج وجُلّ المعتزله ، ومما احتجوا به على ذلك هو عين ما جرى من احتجاج قريش يوم السقيفه على الأنصار ، الذى تقدّم نقله .

ومن ذلك يتبين أنّ قاعده وراثه النبى صلى الله عليه وآله ظلّت هى المستند الأوّل لمشروعيه الخلافه الإسلاميه ، منذ الصدر الأوّل إلى القرون اللاحقه من أجيال المسلمين ، وهذا يبيّن مدى تجذّر هذه القاعده فى المعرفه الدينيه ، والنظام السياسى للمسلمين منذ الصدر الأوّل الإسلامى .

أهل البيت عليهم السلام مقدّمون على بنى هاشم :

النقطه الرابعه : إنّ فاطمه والحسن والحسين وأمير المؤمنين عليهم السلام مقدّمون فى الوراثة على العباس عمّ النبى صلى الله عليه وآله ، أمّا فاطمه وأبناؤها عليهم السلام فإنّهم من الطبقة الأولى فى الإرث ، وأمّا علىّ عليه السلام فلاّته ابنُ عمّ صلبىّ للنبى صلى الله عليه وآله من الأب والأمّ ، بخلاف العباس عمّ النبى صلى الله عليه وآله فهو عمّ من الأب دون الأمّ ، وذلك لجمله دلائل :

ص: ٢٠٣

١- (١) فقد اشترط المالكيه فى الإمام كونه قرشياً كما فى حاشيه الدسوقي : ٢ : ١٢٠ ، ونسب التفتازانى ذلك إلى كافه المسلمين فى شرح المقاصد : ٥ : ٢٤٣ و ٢٤٤ ، وقد ذكر النووى فى شرح مسلم إجماع الصحابه والتابعين ، فمن بعدهم ونقل أحاديث عن الصحاح فى ذلك . شرح مسلم للنووى : ١٢ : ١٩٩ و ٢٠٠ ، وقد اشترط القاضى الأيجى فى كتاب المواقف وشرحه لزوم كون الإمام قرشياً . كتاب شرح المواقف : ٨ : ٣٥٠ .

الأول : نصّ القرآن بالخصوص على إرث فاطمه عليها السلام لولايه رسول الله صلى الله عليه وآله ، كما بيّنا شرح ذلك مفصلاً في قوله تعالى : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى (١) .

وقوله تعالى : وآت ذاك القربى حقه (٢) .

وقوله تعالى في سورة الروم : فات ذاك القربى حقه (٣) .

وقد نقلنا أقوال المفسرين ورواياتهم في ذلك ، وأن هذا الحق الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإيتائه لذي القربى هو ولايه الفىء .

كما أشرنا أيضاً إلى أنّ اختصاص ذى القربى بالفىء ليس ملكيه اعتياديه لمال خاص ، وإنما هي ولايه خاصه على مال عام .

ومن ثم تكرر اللام في الآيه بالإضافة إليه تعالى فله ، ورسوله صلى الله عليه وآله وللرسول ولذي القربى ولذي القربى ، دون اليتامى و المساكين وابن السبيل ، فهذا تنصيب قرآنى على اختصاص فاطمه لإرث رسول الله صلى الله عليه وآله وولايته دون غيرها .

هذا مضافاً إلى ما أشرنا إليه من شراكتها عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بالتبع في جملة من المقامات ، مثل : الحجية كما في آيه المباهله ، والعصمه والطهاره كما في آيه التطهير ، والعلم بالكتاب المكنون الغيبى كما في قوله تعالى : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، أى لأهل آيه التطهير المطهرين فحسب من هذه الأمة .

وفي الطاعه والولايه ، كما في قوله تعالى : أَلَنبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ

ص: ٢٠٤

١- (١) الحشر : ٧ .

٢- (٢) الإسراء : ١٧ .

٣- (٣) الروم : ٣٨ .

وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ (١).

و كقوله تعالى : أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٢) ، بعد كون المراد من الأمر فى الآيه هو الأمر فى قوله تعالى : تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٣) .

وفى قوله تعالى : يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٤) ، وهو الأمر فى قوله تعالى : وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرَىٰ مَا الْكِتَابُ (٥) . فهذه نصوص قرآنيه خاصه دلت على إرث فاطمه عليها السلام لهذه المقامات .

وغيرها من الآيات التى فضلنا ذكرها التى تؤكد على شراكتها لمقامات النبى صلى الله عليه و آله .

الثانى : بطلان التعصيب (٦) الذى زعمه المنصور الدوانيقى ليحجب إرث الزهراء عليها السلام وأبنائها المطهرين لمقامات رسول الله صلى الله عليه و آله ، و ذلك لأنّ التعصيب فى الأصل من أحكام الجاهليّه الذى نسخّه الله تعالى فى شريعته نبينا صلى الله عليه و آله ، و ذمّ من أقام عليه ، واستمرّ بالعمل به ، بقوله تعالى : أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٧) .

ص: ٢٠٥

١- (١) الأحزاب : ٦ .

٢- (٢) النساء : ٥٩ .

٣- (٣) القدر : ٤ .

٤- (٤) النحل : ٢ .

٥- (٥) الشورى : ٥٢ .

٦- (٦) التعصيب : ردّ ما فضل من سهام الإرث المفروضه على من كان من عصبه الميّت ، وهو من يمتّ إلى الميّت نسباً ؛ الأقرب فالأقرب من غير ردّ على ذوى السهام ، ولا تعصيب فى مذهب آل البيت عليهم السلام .

٧- (٧) المائدة : ٥٠ .

والقول بالعُصبة والتعصيب يبطله قوله تعالى : لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١) حيث إن الآيه نزلت لإبطال التعصيب ، الذى كان فى الجاهليّه يقوم على حرمان النساء من التّركه ، وتخصيص ذلك بالرجال .

وبعبارة اخرى : إنّ الإرث إمّا بالفرض والسهم المسمّى فى كتاب الله والسنة المطهّره ، أو بقرب القرابه ودنوّها التى تمنع الأبعد ، أو بالسبب كالزوجه ، وولاء العتق ، وولاء الجريره ، وأمّا الذكور كمنط خاص من القرابه فليست سبباً موجباً للإرث ، ولا يمنع ولا يحجب الآخرين من القرابه عن الإرث .

ومن ثمّ تكون الآيه نصّاً فى إبطال هذا السبب والموجب للإرث ، وهو الذكور من النّسب - الذى هو معنى العُصبة والتعصيب - ممّا كان من موجبات الإرث عند الجاهليّه ، كما أنّه من موجبات الحجب والمنع عن الإرث للمعصّبه .

ثمّ إنّ فى الآيه فى لفظه مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ دلالة اخرى على أنّه مع الاستواء فى القرابه والدرجه يستوى الذكور والإناث فى استحقاق الإرث ، وعدم حاجيّه الذكور للإناث فى الإرث .

وكذا قوله تعالى : وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (٢) وهذه الآيه تنصّ على أنّ القربى وتدانى الأرحام سبب فى استحقاق الميراث ، فالبنت الأقرب والأدنى رحماً تمنع الأبعد ، حيث إنّهُ فُسِّيرت الباء بمعنى « من » ، أى أنّ بعض أولى الأرحام لمسيس وقرب الرحم أولى بولايه وإرث وتركه الرحم من بعضهم الأبعد رحماً .

فهذه الآيه تبطل التعصيب من جهه اخرى ، وهى أنّ الأقرب رحماً ولو كان

ص: ٢٠٦

١- (١) النساء : ٧ .

٢- (٢) الأحزاب : ٦ .

بنتاً يمنع الأبعد رحماً و لو كان رجلاً وعُصبه(١).

وأما ما استدلوا به للعصبة بقوله تعالى في شأن زكريا عليه السلام : وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا بَأَنَّ المراد بالموالي عصبته ، أى فخاف أن ترثه عصبته ، فسأل الله تعالى أن يجعل له ولياً يرثه دون عصبته ، ولم يسأل وليه (بالناء) ترثه ، فهو مردود .

ودليلنا على ذلك : أنه تأويل للآية على خلاف الظاهر ، فإن الآية دالة على أن العصبة لا ترث مع الولد الأنثى ، لقوله تعالى : وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَالْعَاقِرُ هِيَ الَّتِي لَا تَلِدُ ، فلو كانت تلد لم يخف الموالي من ورائه ، إذ متى ولدت ذكراً أم أنثى ارتفع عُقرها ، وأحرز الولد الميراث .

فالآية دالة بوضوح على أن العصبة لا ترث مع أحد من الولد ، ذكراً كان أم انثى ، كما أن لفظ الولي قد يستخدم بمعنى اسم الجنس ، كما في قوله تعالى : يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً(٢) ، كما أن خوفه من إرث مواليه مع عدم الولد يشمل ما لو كان له بنات عم يرثنه بسبب ذوى الأرحام ، فخوف الموالي لا يختص بالعصبة ، ليكون دالاً عليه ، كما أن ظاهر قوله تعالى : وَ كَفَلَهَا زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعٌ

ص: ٢٠٧

- ١- (١) وللمزيد من البحث لاحظ كتاب الانتصار للسيد المرتضى رحمه الله : ٥٥٢ ، كلامه فى إبطال التعصيب تحت عنوان (فصل فى الكلام على العصبة) ، وكلام الشيخ الطوسى فى كتاب الخلاف : ٤ : ٦٢ من كتاب الفرائض ، المسألة ٨٠ ، طبعه جامعه المدرسين ، ولاحظ أقوال المفسرين أيضاً ذيل الآية (٧) من سورة النساء ، وتهذيب الأحكام : ٩ : ٢٦٥ .
- ٢- (٢) غافر : ٦٧ .

الدُّعاء (١)، يدلّ على أنّ الذي دعا به أعمّ من كونه ذكراً أم أنثى، لأنّه شاهدَ مريم عليها السلام قرّه عين في الصّلاح والتّقوى والطّهارة، مع كونها أنثى.

ص: ٢٠٨

١- (١) آل عمران : ٣٧ - ٣٨ .

ذكر القرآن الكريم والسنة الشريفه عدّه مقامات وشؤون لشخص النبي صلى الله عليه وآله ، وقد يعبر عنها في لسان أهل العلم بالمناصب .

فمنها : النبوه ، والبشاره ، والنداره ، قال تعالى : يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١) وكثير من الآيات القرآنيه تخاطبه بلفظ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ .

ومنها : العصمه والطهاره ، قال تعالى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ، ما ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَ مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى .

ومنها : الرساله ، قال تعالى : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا (٢) .

ومنها : الشاهد لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (٣) ، وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ (٤) .

ص: ٢٠٩

١- (١) الأحزاب : ٤٥ .

٢- (٢) الأعراف : ١٥٨ .

٣- (٣) البقره : ١٤٣ .

٤- (٤) التوبه : ١٠٥ .

ومنها: النذير، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ (١).

ومنها: الداعي إلى الله بإذنه، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٢).

ومنها: الحجج، قال تعالى: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ (٣).

ومنها: العلم بالكتاب المبين المكنون في اللوح المحفوظ، قال تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٤).

ومنها: الهادى، هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥)، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٦).

ومنها: الولاية في الطاعة والإمامه مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (٧)، وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ (٨)، إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...، النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ.

ومنها: الحكم والقضاء، قوله تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

ص: ٢١٠

١- (١) المدثر: ١ - ٢.

٢- (٢) الأحزاب: ٤٦.

٣- (٣) النساء: ١٦٥.

٤- (٤) الواقعة: ٧٧ - ٧٩.

٥- (٥) الجمعة: ١.

٦- (٦) الشورى: ٥٢.

٧- (٧) النساء: ٨٠.

٨- (٨) النساء: ٦٤.

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (١) ، إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ (٢) .

ومنها : ولِيّ الخمس ، والأنفال ، والفيء ، قال تعالى : يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ (٣) .

وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنٍّ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ . . . (٤) .

وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ (٥) .

بيان ثبوت المقامات المتقدمه للنبي صلى الله عليه و آله في أهل البيت عليهم السلام :

وبعد معرفه هذه المجموعه من المقامات والمناصب الإلهيه للنبي صلى الله عليه و آله نقول - على نحو الإجمال وسيأتي تفصيله في الفصول اللاحقه : إنّ القرآن الكريم أكد على أنّ هذه المقامات موروثه عن النبي صلى الله عليه و آله ، وإن كانت مقامات إلهيه غيبية ، وإيتائيه لدنيه ، عدا مقام النبوه والرساله ، وسيادته في الفضل ، أى أفضليته على سائر المعصومين عليهم السلام . وأكدت على حصر هذه الوراثة بأهل البيت عليهم السلام دون

ص: ٢١١

١- (١) النساء : ٦٥ .

٢- (٢) النساء : ١٠٥ .

٣- (٣) الأنفال : ١ .

٤- (٤) الحشر : ٧ .

٥- (٥) الأنفال : ٤١ .

غيرهم ، ومنهم فاطمه عليها السلام . فإنَّ مقام العصمه والطهاره ثابتة لها في آيه التطهير ، لأنَّ المراد في الآيه النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، وغيرها من الآيات المقتضيه للعصمه والطهاره في أهل البيت عليهم السلام ، ممَّا مرَّ وسيأتى بيان ذلك .

وأما مقامها عليها السلام في الشهاده على الأُمَّه : فيدلُّ عليه مثل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا... وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١) .

فإنَّ المخاطب في الآيه بهذا الخطاب هم ذريه إبراهيم خاصه ، لا عموم المسلمين ، و ذلك لقوله تعالى : مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، وتسميتهم بالمسلمين إشاره إلى دعوه إبراهيم وإسماعيل ، في قوله تعالى : رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّه مُسْلِمَةً لَكَ (٢) ، فإنَّ هذا الدعاء يُفصح أنَّ المخاطبين ليس هم جميع ذريه إبراهيم ، بل جماعه خاصه من تلك الذريه ، موصوفه بأنَّها مسلمه على حدو ودرجه وصف إبراهيم وإسماعيل بالمسلمين ، أي بدرجة خاصه من التسليم ، فهم مورد دعاء إبراهيم لجعل عهد الإمامه من الله فيهم ، حيث قال :

وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (٣) .

ويشير إلى أنَّ المراد هو الأُمَّه الخاصه من الذريه دون سائر الذريه وصف « الاجتباء » في الآيه هُوَ اجْتَبَاكُمْ كما في سوره الحج ، الذي هو بمعنى الاصطفاء ، و ذلك لأنَّ الاجتباء هو الاصطفاء والاختيار الخاص من الله تعالى ، لجماعه من المسلمين اختصهم الله تعالى بذلك دون غيرهم ، ولا نجد في ذريه

ص: ٢١٢

١- (١) الحج : ٧٨ .

٢- (٢) البقره : ١٢٨ .

٣- (٣) البقره : ١٢٤ .

إبراهيم وهم قريش من اختصّ بخصائص دون بقيه بطون قريش إلّا أهل البيت ، وهم أهل آيه التطهير ، وولايه الخمس ، وولايه الفىء ، والمودّه .

وهكذا قوله تعالى : **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (١)** ، فإنّ الرؤيه لنفس العمل ، لا- نتيجه وجزاؤه الأخرى ، ممّا يقضى بأنّ هناك ثلّه من هذه الأّمه تشهد أعمال الخلق حين صدور العمل ، وهذا معناه تحمّل هذه الثلّه للشهاده على أعمال الخلق ، وهذه الثلّه هم ما عرّفهم وأشارت إليهم الآيات السابقه ، وهم أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله .

ومقامها عليها السلام فى الحجّيه : قوله تعالى : **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعِدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٢)** فإنّ مفادها كما سيأتى بيانه حجّيه أصحاب الكساء من نمط و سنخ حجّيه النبى صلى الله عليه وآله ، وأنّها بلحاظ توفّرهم على مقامات غيبه .

ومن ثمّ لم يندب الله تعالى غيرهم من كبار الصحابه أو حتّى أزواجه صلى الله عليه وآله إلى ذلك ، بل خصّ أهل البيت ؛ لأنّهم من النبى صلى الله عليه وآله فى الاصطفاء ، والاجتباء ، والتطهير .

ومقامها عليها السلام فى الإنذار : فقوله تعالى : **يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٣)** فإنّ قوله تعالى : **عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، أَى عَلَى مَنْ يَصْطَفِيهِ مِنْ عِبَادِهِ ، ولم يعبر : (ينزل على أنبيائه) ، تنبيهاً على أنّ الآيه عامّه ، لكلّ مصطفى ومجتبى من خلقه تعالى ، باعتبار**

ص: ٢١٣

١- (١) التوبه : ١٠٥ .

٢- (٢) آل عمران : ٦١ .

٣- (٣) النحل : ٢ .

أن هذا النزول للملائكة والروح مستمر لما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وذلك لبقاء ليله القدر ، وعدم اقتصارها على أيام حياته صلى الله عليه وآله ، ومن المعلوم أنه ليس هناك من عباد الله تعالى من اصطفاه الله تعالى بعد النبي صلى الله عليه وآله وإلا أهل بيته ، الذين اصطفاهم الله تعالى بالطهاره .

مضافاً إلى كون من ينزل عليه الروح والملائكة لا بد أن يكون من عنده علم الكتاب ، وذلك لارتباط نزول الكتاب بنزول الروح ، كما اشير إليه في سورة القدر ، وسوره الدخان ، حيث قال تعالى : **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . . . تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ، وَقَدْ أَخْبَرْنَا الْقُرْآنَ أَنَّ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ وَيَمْسُونَهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ هُمُ الْمُطَهَّرُونَ ، قَالَ تَعَالَى : فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ وَهُمْ أَهْلُ آيَةِ التَّطْهِيرِ .**

ومحصّل الكلام : إن مقام الإنذار ثابت لمن يتنزّل عليه الروح في ليله القدر ، وهم الذين عندهم علم الكتاب ، وهم الذين اصطفاهم الله تعالى بالطهاره .

ومقامها عليها السلام في الهدايه : قال تعالى : **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (١)** ، فقولته تعالى : **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** إخبار بنحو القضيّه العامه الدائميّه وإلى يوم القيامه ، من أن هناك هدايه للأقوام يقومون بهدايتهم لأولئك ، وأن مقام الهدايه لهؤلاء الهداه على وزان مقام النبوه ، لكونه مقاماً غيبياً ، وقد ورد في سوره الفاتحه أن هذه الهدايه قد جعلت لمن توفّرت فيهم ثلاث صفات : الأولى : **أَنَّهُمْ مُنْعَمٌ عَلَيْهِمْ** بنعمه خاصه دون بقيه الأُمَّه .

الثانيه : **أَنَّهُمْ لَا يَضَلُّونَ قَطُّ ، وَإِلَّا لَمَا كَانُوا هِدَاةً لغيرهم على الدوام .**

الثالثه : **أَنَّهُمْ لَا يَنَالُهُمْ غَضَبُ إلهي قَطُّ .**

ص: ٢١٤

ولا نرى في هذه الآمه أناساً قد أنعم الله تعالى عليهم بنعمه خاصه ، دون بقيه الآمه ، إلا أهل البيت عليهم السلام ، حيث خصهم الله تعالى في كتابه باصطفاء الطهاره ، وبمس الكتاب المكنون ، وأن مودتهم أجر للرساله ، وحصر بهم الولايه ، وولايه الخمس والفيء .

وشهد لهم القرآن بالطهاره عن رجس المعصيه ، وحلول الغضب الإلهي ، وبمس الكتاب المكنون ، ومع هذه الخصائص فلا يتصور وقوعهم في الضلاله .

ومقامها عليها السلام في الإمامه والولايه في الطاعه : فقله تعالى : **إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (١)** ، وقوله تعالى : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٢)** .

وشأن نزول الآيه الأولى هو ما ورد عن الفريقين ، أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام عندما تصدق بالخاتم في أثناء ركوعه في الصلاه (٣) ، وهي داله على أن ولايه الطاعه المطلقه لعلي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على حذو طاعه الرسول ، والتي هي على حذو طاعه الله تعالى .

وهكذا الكلام في الآيه الثانيه ، في قوله تعالى : **وَ أُولَى الْأَمْرِ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَشَارُ بِهِ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْقَدْرِ ، وَ النحل ، والدخان ، وهم الذين تنزل عليهم**

ص: ٢١٥

١- (١) المائده : ٥٥ .

٢- (٢) النساء : ٥٩ .

٣- (٣) راجع : الدرّ المنتور للسيوطي : ٢ : ٢٩٣ ، ذيل الآيه . البلاذري في أنساب الأشراف : ١٥٠ ، الحديث ١٥١ ، في ترجمه الإمام علي . كنز العمال : ١٨ : ١٦٥ . ابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمه الإمام علي عليه السلام : ٢ : ٤٠٩ ، الحديث ٩١٥ . الطبراني في الأوسط : ٦ : ٢١٨ . الهيثمي في مجمع الزوائد : ٧ : ١٧ . ابن مردويه في لباب النقول في أسباب النزول : ٩٠ ، وغيرهم .

الروح و الملائكة فى ليله القدر ، وفى غيرها .

وبعبارة اخرى : إن لفظ الأمر استعمل فى القرآن الكريم فى مواضع متعدده ، ترتبط بصله وثيقه بالروح النازل فى ليله القدر مع الملائكة ، وبنزول الكتاب ، كقوله تعالى : **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ الْقَدْرِ... تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَيِّئَاتٍ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ (١)** .

وقوله تعالى : **حم * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا (٢)** .

وقوله تعالى : **وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (٣)** .

وقوله تعالى : **يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٤)** .

فإن المتأمل لهذه الآيات وغيرها ، يجد ارتباطاً وثيقاً وتلازماً بين نزول الكتاب ونزول الروح بالأمر ، وأن الروح والأمر ينتزل على من يشاءهم الله ويصطفيهم من عباده .

وعليه فللروح أصحاب هم ولائهم له اصطفاهم الله تعالى ليكونوا ولاءه وأصحاباً لذلك الأمر وهو الروح ، فهم أولوا الأمر ، فهذا مقام غيبى استحقوا لأجله وجوب الطاعة من الخلق على شاكله رساله الرسول صلى الله عليه و آله ، حيث استحق به مقام الطاعة ، فى سياق واحد ، بآيه الطاعة والولايه ، لاسيما وأن هذا الأمر الإلهى هو ما يفرق فى ليله القدر المباركه من كل أمر حكيم ، من المشيئات الإلهيه .

ص: ٢١٦

١- (١) القدر : ١ - ٥ .

٢- (٢) الدخان : ١ - ٥ .

٣- (٣) الشورى : ٥٢ .

٤- (٤) غافر : ١٥ .

فالتطاعه لأولى الأمر فى قوله تعالى : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١) راجعه فى حقيقتها إلى طاعه الإراده الإلهيه .

ثم لا- يخفى إلى أنّ المراد بالولئى فى الآيه لا- يمكن أن يكون هو الولئى بمعنى مطلق الحاكم ، وعموم الماسك بالزمام ، ولا المراد بالأمر هو مجرد الشأن العام فى النظام الاجتماعى للمسلمين .

و ذلك لعدم تعقل فرض الطاعه المطلقه لغير المعصوم ، ولا أنّ الطاعه لغير المعصوم بمنزله طاعه الله ورسوله ، إذ مع عدم الأمن من وقوعه فى المخالفه والضلال فكيف تكون طاعته مطلقه وطاعته بمثابه طاعه الله ورسوله .

وقد تقدم فى الآيه الأولى وهى آيه التصديق بالخاتم من حصر الولاية فى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، وفى على عليه السلام ، الذى هو من أهل البيت عليهم السلام .

و هذا كله (٢) فى أصل وراثه مقام الإمامه وولاية الطاعه عن النبئى صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام .

ثم إنّ هذه الآيات وإن كانت فى مقام تقرير الطاعه لمقام الإمامه ، والتى هى مختصه بالأئمه من أهل بيته عليهم السلام ، إلّا أنه سيأتى أنّ الصديق الهراء عليها السلام من أهل البيت ، الذين يتنزل عليهم الأمر فى ليله القدر ، وإن لم تكن إماماً ، فتشملها ولاية الطاعه ، كما تشملها ولاية الفئء ، والخمس ، وهى متفرعه عن ولاية الأمر ، وسيأتى بيان ذلك تفصيلاً .

ومقامها عليها السلام فى علم الكتاب : فقد قال تعالى : إِنَّهُ لَفُرْآنٌ كَرِيمٌ * فى كتابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣) فهذه الآيات الكريمة

ص: ٢١٧

١- (١) النساء : ٥٩ .

٢- (٢) سيأتى تفصيل وراثه ولاية الطاعه لاحقاً .

٣- (٣) الواقعة : ٧٧ - ٨٠ .

تشير إلى وجود القرآن في النشأ الغيبية ، وهو الكتاب المكنون ، الذي عُبر عنه في سورة البروج بِلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (١) ، وهو ما أشار إليه قوله تعالى في سورة الرعد يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٢) حيث يشير إلى أن أصل جملة الكتاب ، ومنع نزوله هو من نشأ الغيب ، وهي نشأ فوق نشأ لوح القضاء والقدر ، والتي هي أيضاً من النشآت الغيبية أيضاً .

فالآية من سورة الواقعة في كتاب مَكْنُونٍ تشير :

أولاً : إلى وجود القرآن في النشأ الغيبية .

ثانياً : إلى أن هذا الوجود لا يدركه إلا المطهرون ، دون بقيه الخلق ، والمطهر في اللغة وفي الاستعمال القرآني غير المتطهر ، إذ يُستخدم الثاني فيمن يحصّل الطهاره بالغسل أو الوضوء ونحوها من المطهرات ، بخلاف المطهر ، فهو الذي فطر على الطهاره الذاتية ، بفعل وإرادته من الله تعالى ، كما نصّ عليه قوله تعالى :

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣) .

ومقتضى ألفاظ الآيه ، أنها تختصّ في الخمسه من أصحاب الكساء ، ويعضدها في ذلك روايات الفريقين وهي تشمل الصديقه الطاهره عليها السلام . وكذلك قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٤) وهي دالّه على توريث الكتاب لمن اصطفاهم الله تعالى من عباده ، و ذلك لما سبقها من قوله تعالى : وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٥) .

ص: ٢١٨

١- (١) الطارق : ٢١ - ٢٢ .

٢- (٢) الرعد : ٣٩ .

٣- (٣) الأحزاب : ٣٣ .

٤- (٤) فاطر : ٣٢ .

٥- (٥) فاطر : ٣١ .

ومن الواضح أنّ التورث هنا ليس تورثاً للمصحف الشريف ، وإلّا لما اختصّ بمن يصطفيه الله تعالى من عباده ، إذ هو في تناول كلّ البشر ، الكافر منهم والمسلم ، وحجّه على الناس أجمعين ، بل المراد هو وجود الكتاب في النشآت الغيبية ، المتضمّن لمدارج التأويل ، وحقائق الأشياء ، ولم يشر في القرآن إلى اجتناء واصطفاء أحد من هذه الأمة اختصّ بهذه الخصائص غير العتره من أهل البيت عليهم السلام في آيه التطهير ، والفاء ، والخمس ، والمودّه .

فالمحصل من هذا الإجمال أنّ الوارث لعلم الكتاب شامل للصدّيقه الطاهره عليها السلام .

ومقامها عليها السلام في الحكم والقضاء : قال تعالى : **أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)** إنّ متعلّق طاعه هنا لم يقيد بأمر خاصّ بل كان مطلقاً ولا يخفى أنّ إطلاقه يساوق الولاية على الدين ، على نمط سعه دائره طاعه الله ثمّ سعه طاعه الرسول ، ثمّ في النوبه الثالثه تصل لأولى الأمر ، ومن المعلوم أنّ من شعب تلك الولاية المطلقه الوسيعه هي الولاية على الحكم والقضاء .

وكذلك قوله تعالى : **وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)** ، فإنّ مورد الآيه هو ما يعترى الجانب الأمنى من النظام الاجتماعى ، كما ذكر في شأن نزولها من أنّه كان البعض منهم يُرجف ويُزلزل الوضع الاجتماعى والأمنى في المدينه بإشاعه بعض الأخبار عن هجوم العدو ومداهمته للمدينه ، وهو المراد بكلمه الْخَوْفِ في الآيه الكريمة ، أو يذيعوا أخبار المسلمين وانتصاراتهم على عدوّهم ، وهو المعبر عنه في الآيه الْأَمْنِ ، فإنّ إفشاء وعدم ستر تلك الأخبار من الخطوره بمكان ؛ لأنّ العدو

ص: ٢١٩

١- (١) النساء : ٥٩ .

٢- (٢) النساء : ٨٣ .

سيُدرِك بها مواطن الضعف فيهم ، وهكذا يُوثر انتشارها على الوضع العام ويوجب اضطراب التدبير في النظم العام .

ولذلك أمر تعالى بإنهاء مثل تلك الأخبار إلى الرسول صلى الله عليه وآله وإلى ولائه الأمر ، كي يتخذ الإجراء المناسب لمعالجة الوضع بصورة صحيحة .

فالمحصّل من الاستدلال بهذه الآية هو أنّ الآية في مورد تدبير الحاكم في حكومته السياسيّة وفعاليتها ، تجاه الحالة الأمنيّة .

وقد مرّت الإشارة في الآية السابقة أنّ ولاه الأمر هم أهل البيت عليهم السلام ، الشامل للصديقه الطاهره عليها السلام .

الوراثه ومقام الفىء والخمس :

وأما مقامها عليها السلام في ولاية الفىء والخمس : فقد قال تعالى : وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِأَيِّ الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١) .

قال الشيخ الطوسى في باب الفىء من كتاب « الخلاف » : « ما كان للنبي صلى الله عليه وآله ينتقل إلى ورثته ، وهو موروث . وخالف جميع الفقهاء في ذلك .

دليلنا : إجماع الفرقه .

وأيضاً قوله تعالى : وَ وَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ وَقَوْلُهُ فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا : يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى : يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ عَامٌ ،

ص : ٢٢٠

إلّا من خصّه الدليل .

وكذلك قوله تعالى : لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَكُلٌّ ذَلِكَ عَلَى عَمُومِهِ ، وتخصيصه يحتاج إلى دليل «(١)» .

وقال أيضاً فى كتاب الفىء وقسمه الغنائم من كتاب الخلاف : « مسأله ٢ : الفىء كان لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصه ، وهو لمن قام مقامه من الأئمه عليهم السلام ، وبه قال على عليه السلام ، وابن عباس وعمر . ولم يعرف لهم مخالف «(٢)» .

ولا يخفى أنّ الوراثه فى كلام الشيخ لمقام الرسول صلى الله عليه وآله ، هى وراثه لولايته صلى الله عليه وآله ، كما تراه يصرّح فى المسأله الثانيه ، من أنّ هذا هو من مقام ولايه الرسول صلى الله عليه وآله ، وولايه الأئمه عليهم السلام من قرياه ، لا أنّ لهم مجرد أسهم وحصص ، كما هو الحال فى اليتامى ، و المساكين ، وابن السبيل وغيرهم .

وقال الشيخ المفيد : « وكانت الأنفال لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصه فى حياته ، وهى للإمام القائم مقامه من بعده خالصه ، كما كانت له عليه وآله السلام فى حياته ، قال الله عزّ وجلّ : يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٣) وما كان للرسول عليه السلام من ذلك فهو لخليفته فى الأمه ، القائم مقامه من بعده «(٤)» .

أقول : تعبيره قدس سره بأنّ الأنفال كانت خاصه للرسول صلى الله عليه وآله فى حياته ، أى فى مقابل نفيها عن المسلمين ، وإلّا فذو القربى وهى فاطمه عليها السلام قد استحقت ولايه الفىء

ص: ٢٢١

١- (١) كتاب الخلاف : ٤ : ١٨٤ طبعه مؤسسه النشر الإسلامى .

٢- (٢) كتاب الخلاف : ٤ : ١٨١ طبعه مؤسسه النشر الإسلامى .

٣- (٣) الأنفال : ١ .

٤- (٤) المقنعه : ٢٧٢ .

والأنفال في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ، كما نصّت عليه آية الفىء ، وسوره الإسراء ، والروم .

كما أنّ الصحيح أنّ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله لا تنقطع بموته ، بل هي باقية إلى يوم القيامة ، وتصرفه صلى الله عليه وآله عبر ارتباطه بالإمام القائم مقامه بالعلم اللدنى (١) .

وقال ابن قدامه في « المغنى » : « الفىء هو الراجع إلى المسلمين من مال الكفار بغير قتال ، يقال : فاء الفىء إذا رجع نحو المشرق ، والغنيمه ما أخذ منهم قهراً بالقتال ، واشتقاقها من الغنم وهو الفائده » (٢) .

وقال في « الغنائم » : « ثم كانت في أول الإسلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بدليل قول الله تعالى : يَسْبِئُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ثُمَّ صَارَ أَرْبَعَهُ أَخْمَاسَهَا لِلْغَنَامِينَ ، والخمس لغيرهم ، بدليل قوله تعالى : اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ فَأُضِافَ الْغَنِيمَةُ إِلَيْهِ ، وجعل الخمس لغيره ، فيدل ذلك على أن سائرهما لهم . . . وقال تعالى : فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا فَأَحْلَاهَا لَهُمْ » (٣) .

وقال أيضاً في الفىء : « قول الله تعالى : مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِخْوَتِهِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنْ أَهْلِ الْقُرَى وَاللَّيْمَاتِ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ » (٤) ، فظاهر هذا أنّ جميعه لهؤلاء ، وهم أهل الخمس ، وجاءت الأخبار عن عمر دالّة على اشتراك جميع المسلمين فيه ، فوجب الجمع بينهما كي لا- تتناقض الآيه والأخبار فتعارض ، وفي إيجاب الخمس فيه جمع بينهما وتوفيق ، فإنّ خمسه للذي سمى في الآيه ، وسائرته ينصرف إلى من في الخبر ، كالغنيمه ،

ص: ٢٢٢

١- (١) وقد فضلنا الحديث عن ذلك في الجزء الثاني من كتاب الإمامه الإلهيه ، فراجع .

٢- (٢) المغنى لابن قدامه : ٧ : ٢٩٧ .

٣- (٣) المصدر المتقدم : ٢٩٨ .

٤- (٤) الحشر : ٧ .

ولأنه مالك مشترك مظهر عليه ، فوجب أن يُخمس كالغنيمه والركاز» (١).

أقول : فى كلامه مواقع للنظر :

الأول : دعواه نسخ آيه الخمس لآيه الفىء ، وقد تقدم أنّ الأنفال لا تختص بالغنائم ، بل بكلّ الأموال الزائده على الأموال الشخصيه ، ثروات الأرض وكلّ ما أخذ من دار الحرب بلا قتال ، و الأرض الموات ورؤوس الجبال و بطون الأودية وميراث من لا وارث له . . . الخ ، فلو سلّمنا التنافى بين آيه الخمس والأنفال ، فغايه ما يدلّ ذلك هو أنّ آيه الخمس مخصّصه للأنفال لا ناسخه لها .

مع أنّه لا تنافى بينهما؛ حيث إنّ ولاية تدبير الأنفال بيد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، ولم تخرج الغنائم فى التدبير عن ولاية الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، فإنّ التوزيع بيد رسول الله صلى الله عليه وآله ، غايه الأمر فى خصوص الغنائم والتي هى قسم من الأنفال قد حُدّد مصرفها على الغانمين بعد إخراج الخمس ، وهو فى الحقيقه إبقاؤه على حكم الأنفال من حيث موارد مصرف .

ثمّ كيف يكون كلّ من الناسخ والمنسوخ ينزلان فى واقعه واحده ، ولاسيما أنّ كليهما نزلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، ونزاع المقاتلين فى الغنائم .

الثانى : كيف نوقّ بين آيه الفىء التى تنفى أن يكون الفىء للمسلمين أو للمقاتلين ، بعد أن بيّنت العله من ذلك ، وهى أنّهم لم يبذلوا جهداً ولا عناءً فى الاستيلاء على الفىء ، وإنّما قد سلّط الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله على أموال الفىء ، كما هو الحال فى لسان آيه الأنفال ، فكيف نوقّ بينها وبين الأخبار التى تضمّنت رأى عمر بن الخطاب الدالّ على اشتراك المسلمين جميعاً بالفىء .

و هل يُرفع اليد عن كتاب الله تعالى برأى أحد الصحابه ، لاسيما وأنّ آيه الفىء صريحه فى نفي ملكيتها عن المقاتلين لأنهم لم يأخذوها بقتال .

ص: ٢٢٣

هذا مع تكرار الفىء فى الآيه النافيه لملكيه المسلمين له ، وفى الآيه الثانيه المثبته لملكيتيه لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه و آله ولذى القربى .

والحال أنه قد سلّم دلاله آيه الأنفال على كون مفادها أنّ جميع الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه و آله ، و هذا اللسان بنفسه هو فى آيه الفىء ، لاسيّما وأنّ فى آيه الفىء تصريح بعدم استيلاء المسلمين عليه بقتال ، والذى هو سبب لتملكهم وغنيمتهم .

الثالث : إنّ ما ادّعاه من الروايه عن عمر من أنّ الفىء هو لجميع المسلمين ، فإنّه يرد عليه أنّه قد روى عن عمر إقراره بأنّها كانت لرسول الله صلى الله عليه و آله خاصّه ، فقد روى سفيان بن عيينه ، عن الزهرى ، عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال :

« اختصم علىّ عليه السلام والعتّاس إلى عمر بن الخطّاب فى أموال بنى النضير ، فقال عمر : كانت أموال بنى النضير ممّا أفاء الله على رسوله ، ممّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه و آله خاصّه دون المسلمين ، وكان يُعطى منها لعياله نفقه سنه ، ويجعل ما يفضل فى الكراع والسلاح عدّه للمسلمين ، فولىها رسول الله » .

الحديث(١).

وقال ابن قدامه فى موضع آخر من كلامه فى بيان مصرف الخمس : « فإنّ الله تعالى سمّى لرسوله ولقرايته شيئاً ، و جعل لهما فى الخمس حقّاً ، كما سمّى للثلاثه الأصناف الباقية ، فمن خالف ذلك فقد خالف نصّ الكتاب ، وأمّا حمل أبى بكر وعمر على سهم ذى القربى فى سبيل الله ، فقد ذُكر لأحمد فسكت وحرّك رأسه ، ولم يذهب إليه ، ورأى أنّ قول ابن عباس ومن وافقه أولى ، لموافقته كتاب الله وسنّه رسول الله ، فإنّ ابن عباس لما سُئل عن سهم ذى القربى ، فقال : إنّنا كنا نزع

ص: ٢٢٤

١- (١) صحيح مسلم : ٣ : ١٣٧ ، الحديث ٤٨ . البيهقى فى سننه : ٦ : ٢٩٩ . أبو داود فى سننه : ٢ : ٢٠ ، الحديث ٢٩٦٣ و : ٢٢ ، الحديث ٢٩٦٥ . النسائى : ٧ : ١٣٢ . الترمذى فى سننه : ٣ : ١٣١ ، الحديث ١٧٧٣ .

أنه لنا ، فأبى ذلك علينا قومنا ، ولعله أراد بقوله : « أبى ذلك علينا قومنا » فعل أبى بكر وعمر ، فى حملهما عليه فى سبيل الله ومن تبعهما على ذلك ، ومتى اختلف الصحابه وكان قول بعضهم موافقاً للكتاب والسنة كان أولى ، وقول ابن عباس موافقاً للكتاب والسنة ، فإن جبير بن مطعم روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقسم لبنى عبد شمس ولا لبنى نوفل من الخمس شيئاً ، كما كان يقسم لبنى هاشم وبنى عبدالمطلب ، وإن أبا بكر كان يقسم الخمس نحو قسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، غير أنه لم يكن يعطى قريبي رسول الله كما كان يعطيهم ، وكان عمر يعطيهم وعثمان من بعده ، رواه أحمد فى مسنده . . .

فإن قالوا : فالنبي صلى الله عليه وآله ليس بباق ، فكيف يبقى سهمه ؟

قلنا : جهه صرفه إلى النبي صلى الله عليه وآله مصلحة المسلمين ، والمصالح باقيه . . .

وهذا السهم - الخمس - كان لرسول الله صلى الله عليه وآله من الغنيمه حضر أو لم يحضر ، كما أن بقيه سهم أصحاب الخمس ، لهم حضروا أو لم يحضروا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصنع به ما شاء ، فلمّا توفى وليه أبو بكر ، ولم يسقط بموته ، وقد قيل :

إنما أضافه الله تعالى إلى نفسه وإلى رسوله ليعلم أن جهته جهه المصلحه ، وأنه ليس مختصاً بالنبي فيسقط بموته «(١)» .

أقول : إذا استظهر أن اللام فى (لله وللرسول) للولاية وليس حصه وسهم مصرف ، فما له لم يستظهر ذلك من اللام ، وإسناد الفىء والخمس لذى القربى ، إذ العطف فى سياق واحد ، مع اختلاف الأسناد فى اليتامى ، و المساكين ، وابن السبيل ، حيث لم تتكرر اللام ، لا سيما وأن ذكر عنوان القربى والذى هو سبب الإرث دال على أن مالهم إنما انتقل إليهم ممّا هو للرسول صلى الله عليه وآله ، وما كان للرسول صلى الله عليه وآله هو الولاية ، ومن المعلوم أن الولاية أعظم شأنًا من الملكيه الخاصه .

ص: ٢٢٥

إنّ قوله تعالى : وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ الْآيَةَ ، ينفى ملكية المسلمين للفىء ، معلّله ذلك أنّه لم تحصل السيطرة عليه بجهد عسكريّ منهم (لم يوجفوا عليه بخيل ولا ركاب) ، فهو مالٌ حكمه من جهة الولاية حكم المباحات والأموال والثروات الطبيعیه الأولیة ، والتي إدارتها بيد الله تبارك وتعالى ، ورسوله ، والإمام المنصوب من قبلهما .

وأنّ سيطره الرسول صلى الله عليه وآله على هذه الأموال حصلت بتسبب من الله تعالى ، من دون إعانه ونصر من قبل المسلمين ، وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) .

و هذا المفاد فى آیه الفىء يشابه نفس المفاد فى آیه الأنفال ، قال تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢) .

حيث إنّ الأنفال على القول الصحيح الوارد فى أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام ، والمطابق لمعناه اللغوى ، هى الأموال العامّة التى ليس لها مالك خاص ، وجميع المباحات الأولیة ، لا خصوص غنائم الحرب ، كما هى عند أهل سنّه الجماعه ، فليس آیه الخمس ناسخه لآیه الأنفال كما زعموا .

نعم ، إنّ غنائم الحرب قد عُيّن لها مصرفاً خاصاً ، بعد إخراج ضريبه الخمس منها ، لكنّ ولاية توزيعها وتديرها هى تحت ولاية الله تعالى ورسوله والإمام ، وأما بقيته موارد الأنفال ، التى يصدق عليها عنوان الفىء أيضاً ، فولايه تديرها

ص: ٢٢٤

١- (١) الحشر : ٦ .

٢- (٢) الأنفال : ١ .

كما نُصِّ عليه في آية الفىء ، بيد الله تعالى ورسوله ولذى القربى المطهّرين من آل بيته صلى الله عليه وآله .
حيث يضعها الإمام في شؤون الإمامه ، والحاكمية ، وبسط العدل ، وإغاثة المحرومين والمحاويج .
كما أنّ من شؤونه المهمّة أيضاً كفاله الفقراء من ذريه الرسول صلى الله عليه وآله ، وبنى هاشم .

معنى الفىء والأنفال :

قال الشيخ الطوسى في « التبيان » : « روى عن أبى جعفر وأبى عبد الله عليهما السلام :

إنّ الأنفال كلّ ما أخذ من دار الحرب بغير قتال ، إذا انجلى عنها أهلها - وتسميه الفقهاء فيئاً -

وميراث من لا وارث له ، وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب ،

والآجام ، وبطون الأودية ، والموات ، وغير ذلك . . .

والأنفال جمع نفل ، والنفل هو الزيادة على الشىء ، يقال : نفلتلك كذا إذا زدته . . . ، والنفل هو ما اعطيه المرء على البلاء والعناء
زائداً على الجيش على غير قسمه ، وكل شىء كان زياده على الأصل فهو نفل ونافله ، ومنه قيل لولد الولد :

نافله ، ولما زاد على فرائض الصلاة نافلة «(١)» .

وقال في « الميزان » : « وتطلق الأنفال على ما يُسمى فيئاً أيضاً . . . ، وتطلق على غنائم الحرب كأنّها زياده على ما قُصد منها ، فإنّ
المقصود بالحرب والغزوه ، الظفر على الأعداء ، واستيصالها ، فإذا غلبوا وظُفر بهم فقد حصل المقصود ، والأموال التي غنمها
المقاتلون ، والقوم الذين أسروهم زياده على أصل العَرَض «(٢)» .

وقد تقدّم عموم معنى الأنفال لغنائم الحرب ، وإن لم تختصّ بالغنائم ، كما ورد

ص: ٢٢٧

١- (١) التبيان للطوسى : ٥ : ٧٢ .

٢- (٢) الميزان للطباطبائي : ٩ : ٥ .

بذلك العموم فى كل من هذه الأنماط عدد من الأحاديث الصحيحه .

ففى الصحيح عن زراره قال :

« الإمام يُجرى وينفل ويعطى ما شاء قبل أن تقع السهام ، وقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم لم يجعل لهم فى الفىء نصيباً ، وإن شاء قسّم ذلك بينهم » (١) .

وصحيح البخترى عن أبى عبد الله عليه السلام قال :

« الأنفال ما لم يُوجف عليه بخيل ولا ركاب ، أو قوم صالحوا ، أو قوم أعطوا بأيديهم ، وكلّ أرض خربه ، وبطون الأوديه ، فهو لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء » (٢) .

وأما الفىء ففى « تفسير النعمانى » بإسناده عن على عليه السلام فى حديث :

« قال الله تعالى : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَكَانَتِ الْأَرْضُ بِأَسْرَهَا لآدَمَ ، ثم هى للمصطفين ، الذين اصطفاهم الله وعصمهم ، فكانوا هم الخلفاء فى الأرض ، فلما غضبهم الظلمه على الحقّ الذى جعله الله ورسوله لهم ، وحصل ذلك فى أيدي الكفّار ، وصار فى أيديهم على سبيل الغصب ، حتّى بعث الله رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله فرجع له ولأوصيائه ، فما كانوا غضبوا عليه ، أخذوه منهم بالسيف ، فصار ذلك ممّا أفاء الله به ، أى ممّا أرجعه الله إليهم » (٣) .

فتشير الروايه إلى وجه تسميه موارد الأنفال بالفىء ، وهو الشىء الراجع .

ومن ثمّ ورد فى الأحاديث المستفيضه عنهم عليهم السلام تطابق الفىء والأنفال ، كصحيحه محمّد بن مسلم عن أبى عبد الله عليه السلام ، أنه سمعه يقول :

« إنّ الأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقه دم ، أو قوم صولحوا وأعطوا بأيديهم ، وما كان من أرض خربه ، أو بطون أوديه ، فهذا كلّ من الفىء والأنفال لله وللرسول ، فما كان لله فهو

ص: ٢٢٨

١- (١) الكافى : ١ : ٥٤٤ ، الحديث ٩ .

٢- (٢) الكافى : ١ : ٥٣٩ ، الحديث ٣ .

٣- (٣) نقل عنه فى وسائل الشيعه : ٩ : ٥٣١ ، الباب ١ من أبواب الأنفال ، الحديث ١٩ .

للرسول ، يضعه حيث يحبّ» (١).

ومصحح محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : « سمعته يقول :

الفىء والأنفال ما كان من أرض لم يكن فيها هراقه الدماء ، وقوم صولحوا وأعطوا بأيديهم ، وما كان من أرض خربه ، أو بطون أوديه ، فهو كّله من الفىء ، فهذا لله ولرسوله ، فما كان لله فهو لرسوله ، يضعه حيث يشاء ، وهو للإمام بعد الرسول» (٢).

ويتحصّل ممّا سبق : أنّ آيتى الأنفال والفىء ، أكّدتا على نفى ملكيه الأنفال والفىء - وهما الأموال والثروات العامّة فى الأرض - للمسلمين ، فلا يتقاسمونهما كتقاسم الغنائم .

فهذه الآيات تؤكّد على أنّ ولاية الفىء والأنفال هى لله تعالى ، وللرسول صلى الله عليه وآله ، ولذى القربى ، وأنّ توزيع الفىء والأموال العامّة على الطبقات المحرومة ، من اليتامى ، و المساكين ، و ابن السبيل ، إنّما هو بتدبير ولاية الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله ، وذى القربى ، فإنّ إسناد الفىء والأنفال إلى الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله ، ولذى القربى ، بلفظ اللام ليس كحصاص وملك استثنائى ، ليكون ملك الرسول صلى الله عليه وآله كملك قارون ، وفرعون ، ونمرود ، بل بما هو نبيّ الله تعالى ، ورسول من قبله ، وله ذلك المقام الإلهي ، كما أنّ تخصيص حصّه من الأموال العامّة لله تعالى ليس تقريراً لملكه الله تعالى على شاكلة ملكيه المخلوقين لأموالهم ، وليس بأن تُخصّص ملكيه الله تعالى بحصّه خاصّه دون بقيه مال الفىء والأنفال .

بل ملكيته تعالى ولو بالاعتبار التشريعيّ ، عامّه وشامله لكلّ الفىء والأنفال ، وهى فى المرتبه الأولى ، فهى ولاية ، والولاية أشدّ مراتب السلطنة ، بخلاف الملكيه الفرديّه للأشخاص فى الأموال ، فإنّها سلطنة محدوده ، تحتّمى تحت ظلّ حام لها

ص: ٢٢٩

١- (١) وسائل الشيعة : ٩ : ٥٢٧ ، الحديث ١٠ .

٢- (٢) المصدر المتقدّم : الحديث ١٢ .

أقوى منها ، فملكه تعالى ولايته ، وسلطانه الذى لا يُحدّ ، ومن ثمّ يأتى بعده أو امتداداً لولايته تعالى تأتى ولايه رسوله صلى الله عليه وآله ، لا- أنه هناك محاصصه بين الملكيتين ، كمحاصصه الشركاء ، بل هى ولايات بعضها امتداد لبعض ، فأموال مقام الرساله والنبوه ليس شأنها كشأن الأموال الخاصه ، بل هى من شأن منصب الرساله والنبوه .

فهذا المعنى من الملكيه وهى الولايه أعطيت وأسندت لذى القربى ، وأخذ عنوان القربى فى إسناد هذا المقام لهم ، يُفصح بأن هذا المقام لهم بمقتضى قرابتهم للنبي صلى الله عليه وآله ، فالوصف يُشعر أو يفيد العله فى الحكم ، كما أنّ التأخر فى الرتبه يفيد أنّ هذا المقام انتقل لهم وبمقتضى القرابه ، وهو معنى الإرث حكماً وموضوعاً .

وبذلك تكون آيه الفىء دالّه على وراثه القربى لشؤون منصب الرساله والنبوه واستخلافهم فيها ، وهذه الوراثه اصطفايه ، لا الوراثه المعروفه بين الناس فى الأموال الخاصه .

وبهذا التقريب يتقرّر مفاد آيه الخمس فى قوله تعالى : **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَ لِتِذَى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ ... (١)**

بعد ملاحظه ما تقدّمت الإشارة إليه ، من أنّ آيه الخمس فى الغنائم ليست ناسخه ولا منافيه لآيه الأنفال بعد شمول الأنفال لغير الغنائم ، بل إنّ للغنائم أيضاً ولايه يكون تدبيرها وتوزيعها بيد الله تعالى وبيد رسوله صلى الله عليه وآله ، وإن حُدّد لها مصرف وهم المقاتلون ، إلّا أنّها غير خارجه عن الأنفال تدبيراً ، وتكون ضريبه الخمس بمثابة إبقاء حكم الأنفال من حيث المصارف .

ومن القرائن على المفاد المتقدّم أنّ آيه الأنفال وآيه الخمس كلتاها نزلتا فى واقعه بدر ، ويظهر من آيه الأنفال أنّ نزاعاً كان قد حصل بين المقاتلين ، ويشير إليه

ص: ٢٣٠

قوله تعالى : . . . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١) فجعل الله تعالى أمر الغنائم من الأنفال ، بل عموم الأنفال أمرها بيده تعالى وبيد رسوله ، أى أن ولايه تدبيرها بيد الله تعالى وبيد الرسول صلى الله عليه وآله .

ويشهد لذلك أيضاً التأكيد بقوله تعالى : وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فمع كون نزول الآيتين فى واقعه واحده لا يتصور النسخ بينهما ، وهذا ممّا يدلّ على أنّ مفاد الآية الفىء وآيه الخمس غير متضاربين ، وأنهما مؤتلفان ، حيث إنّهُ مضافاً إلى شمول الأنفال لغير الغنائم أيضاً أنّ مفاد آيه الأنفال ناظر إلى ولايه وتدبير الأنفال ، والتي منها غنائم الحرب ، بينما آيه الخمس فهى ناظره إلى مصرف الأنفال ، وكيفيه توزيعها ، وعليه فلا تضارب بين المفادين .

وفى الحقيقه أنّ مجموع مفاد الآيتين الأنفال والخمس قد جُمعا فى آيه الفىء ، فبيّن فيها أى كلا الأمرين ، من له ولايه التدبير للىء ، ومن هو مصرف لتوزيع الفىء من سائر الأنفال غير الغنائم .

فنزول آيه الأنفال والخمس فى واقعه واحده ، وهى واقعه بدر ، شاهد جمع لصيغه هذا المفاد المتقدّم .

النحله وقوامه القربى :

وإذا تقرّر هذا المفاد فى آيه الفىء والأنفال والخمس ، يتّضح أنّ المراد فى قوله تعالى : وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (٢) ، وفى قوله تعالى : فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (٣) ، هو إشاره إلى ما جعله الله تعالى لذى القربى من حقّ الولايه على الفىء

ص: ٢٣١

١- (١) الأنفال : ١ .

٢- (٢) الإسراء : ٢٦ .

٣- (٣) الروم : ٣٨ .

والأنفال ، كما أنّ المجيء بعنوان القربى إشعار بأنّ استحقاق الفىء إنّما تقرّر لهم من جهة قرابتهم لرسول الله صلى الله عليه و آله وراثته عنه .

وليست هذه الوراثة عادية نَسَبِيَّة ، وإنّما هي وراثته اصطفايية ، والتي يرث فيها الوارث الاصطفائيّ صلاحيات من المورث في حياته ، كما مرّ تفصيل ذلك .

فالنحله في قوله تعالى : وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ (١) ، وفي قوله تعالى : فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ (٢) هي قوامه القربى ، وولايتهم على الفىء .

فقد روى السيوطى في « الدرّ المنثور » ذيل قوله تعالى : وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ : « وأخرج البرّار ، وأبو يعلى ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : لَمَّا نزلت هذه الآية وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ دعا رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمه فأعطاها فدكاً . وأخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال : « لَمَّا نزلت وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ أقطع رسول الله صلى الله عليه و آله فاطمه فدكاً » (٣) .

و أخرج أيضاً : « عن ابن جرير ، عن على بن الحسين عليه السلام أنّه قال لرجل من أهل الشام :

أقرأت القرآن ؟

قال : نعم .

قال :

أفما قرأت في بنى إسرائيل وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ؟

قال : وإنّكم من القرابه الذى أمر الله أن يؤتى حقه ؟

قال عليه السلام :

نعم « (٤) » .

ص: ٢٣٢

١- (١) الإسراء : ٢٦ .

٢- (٢) الروم : ٣٨ .

٣- (٣) الدرّ المنثور للسيوطى : ٤ : ١٧٧ ، ط . دار المعرفه - بيروت .

٤- (٤) وذكر إسناد ابن جرير في جامع البيان : ١٥ : ٩٢ ، عن محمّد بن عماره الأسدى ، « قال : « حدثنا إسماعيل ابن أبان ،

قال : حدثنا الصباح بن يحيى المزنى ، عن السّدى ، عن أبي الديلم ، قال : قال « .

و أخرج أيضاً : « عن ابن أبي حاتم عن السدي في الآيه قال : كان ناس من بنى عبد المطلب يأتون النبي صلى الله عليه وآله يسألونه ، فإذا صادفوا عنده شيئاً أعطاهم ، وإن لم يصادفوا عنده شيئاً سكت ، لم يقل لهم : نعم ، ولا : لا ، والقريبى بنى عبد المطلب » (١).

وقال ابن جرير الطبري في « الجامع » ذيل الآيه بعدما نقل الأقوال في معنى القريبى ، قال : « وقال آخرون : بل عنى به قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى أن قال : - فتأويل الكلام : وأعطى يا محمّد ذا قرابتك حقه ، من صلتك إياه ، وبرّك به ، والعطف عليه ، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبي الله صلى الله عليه وآله ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله » (٢).

وقال القرطبي ذيل قوله تعالى : فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (٣) : « وقيل : المراد بالقريبى أقرباء النبي صلى الله عليه وآله ، والأوّل - أى أنّ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد هو وأمتة - فإنّ حقّهم مبين في كتاب الله عزّ وجلّ في قوله : فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى » (٤).

وحكى العلّامة الكاندهلوى الهندي : « عن الحاكم في تاريخه ، وابن النجار ، عن أبي سعيد قال : « لما نزلت وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ قال النبي صلى الله عليه وآله :

يا فاطمه لك فديك . قال الحاكم : تفرد به إبراهيم بن محمّد بن ميمون عن عليّ بن عباس » (٥).

ص: ٢٣٣

١- (١) الدرّ المنثور للسيوطى : ٤ : ١٧٦ ، ط . دار المعرفة - بيروت .

٢- (٢) جامع البيان : ١٥ : ٩٢ .

٣- (٣) الروم : ٣٨ .

٤- (٤) الجامع لأحكام القرآن : ١٤ : ٣٥ .

٥- (٥) إحقاق الحقّ : ١٩ : ١١٩ .

وقال ابن عربي في « أحكام القرآن » ذيل قوله تعالى : وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ : « ثم ثنى التوصيه بذى القربى عموماً ، وأمر بتوصيل حقه إليه ، من صله رحم ، وأداء حق ، من ميراث وسواه ، فلا يبدل فيه ولا يغير عن جهته بتوليح وصيه ، أو سوى ذلك من الدخل ، ويدخل في ذلك قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله دخولاً متقدماً ، أو من طريق الأولى ، من جهة أن الآيه للقرابه الأذنين المختصين بالرجل ، فأما قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أبان الله على الاختصاص حقههم ، وأخبر أن محبتهم هي أجر النبي صلى الله عليه وآله على هداه لنا «(١) .

فلسفه ولايه الفىء لذى القربى :

ويرشد إلى كون ملكيه ذى القربى هي ملكيه الولايه المجمعوله لذواتهم - وأنهم الولايه لتوزيع الأموال العامه من الفىء على الطبقات المحرومه ، من اليتامى و المساكين و ابن السبيل ، إرساءً للعداله فى البشرىه - قوله تعالى فى ذيل آيه التشريع القرآنى الخالد كئى لا- يَكُونُ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ (٢) ، أى أن توزيع الثروات فى الكره الأرضيه على الطبقات المحرومه ، والحيلوله دون استئثار الطبقات الغنيه لاحتكارها ، لا سبيل له فى أى نظام حاكم إلأفى جهاز الحكم الذى يرأسه المطهرون من أهل البيت ، ذوى قربى النبي صلى الله عليه وآله ، الذين شهد القرآن بطهارتهم ، وأنهم يمسون ويعلمون بالكتاب المكنون ، فهم بما زودوا من علم لدنى وطهاره من الزلل والخطأ ، هم الوحيدون المؤهلون فى البشرىه لرسم نظام عادل ، وقدره فى التنفيذ لا يخالجه انحراف ولا استئثار .

وبعباره اخرى : إنَّ العداله والتى هي انشوده بشرىه قد فشلت المدارس البشرىه

ص: ٢٣٤

١- (١) أحكام القرآن لابن عربي : ٣ : ١٨٩ .

٢- (٢) الحشر : ٧ .

جمعاء فى إقامتها وإرساء قواعدها ، و هذا الفشل والعجز البشرى لىس على صعيد التنفيذ فحسب ، بل على صعيد التنظير أيضاً ، فإنّ المحافل الدوليه ومراكز الدراسات وأصحاب النظريات المختلفه فى العلوم الاقتصاديّه ما زالت عاجزه فى رسم نظام نقدى مالى عادل ، وفى رسم نظام مصرفى يُرسى العداله ، وفى صياغه نظام تجارىّ سوقىّ يفسح الفرص أمام الجميع على السواء ، وفى بناء منظومه ضرائب تفى بإعطاء الحقوق ، وتحمّل مسؤوليه التكافل ، وفى رسم نظام جمركى عادل يساوى بين الفرص ، لا يوجب الاحتكار للطبقات الغنيه على حساب حرمان الطبقات الفقيره ، وفى إقامه نظام زراعىّ هادف ، وتنميه نظام صناعىّ منتج بحسب الحاجيات الحقيقيه ، لا بحسب الإثراء الفاحش والتسابق لزياده القدره والنفوذ ، إلى غير ذلك من محاور وأركان النظام الاقتصادى .

فإنّ المدرسه الشيوعيه ومن بعدها الاشتراكيه دأبت جاهده فى تنظير ذلك ، وها هى البشرىّه رأت فشلها على مستوى التنظير فضلاً عن التطبيق ، وكان ذلك منهما فى مواجهه الرأسماليه ونظام السوق الاقطاعىّ ، الذى أنتج الفارق الطبقيّ الفاحش بين الأغنياء والطبقات المحرومه المسحوقه ، حتّى آلت ثروات الدول الغربيه عند عدد من أفرادها تتراوح نسبتهم ٤ ٪ من بين شعوبها وهى تمتلك الغالبية العظمى من ثرواتها قرابه ال ٩٠ ٪ ، فإذا كان هذا حال البشرىّه على صعيد التنظير ، فدع عنك حديث التطبيق ، فإنّ الدول ووزاراتها آلت إلى عصابات نهب للثروات بنحو مقنّن .

وها نحن نشهد فى وقتنا الراهن كيف أنّ النظام الرأسمالى قد نُكب بأزمه مائيه حادّه متراميه الأطراف ، تكاد تقوّض الاقتصاد البشرىّ ، وقد ظهرت تداعياتها المُجحفه بالأوضاع المالىه والتنميه آخذة لها إلى الهوىّ فى وادى سحيق ، وفى مستنقعات العجز ، والبطاله ، والركود الاقتصادى ، والعلمىّ ، وازدياد خطّ الفقر فى الجماعه البشرىّه ، وما يتلو ذلك من تفاعلات على الصعيد الاجتماعىّ والخلقىّ

والسياسي الأمني، إذ هي حلقات متصلة بعضها ببعض، ولا يسع المجال لاستعراض جملة تلك المحاور.

إقامه العدل تحت رايه أهل البيت عليهم السلام ملحمه ونبوء قرآنيه:

وعلى ضوء ذلك يتضح أنّ التعليل في الآيه الكريمة نبوء قرآنيه، وملحمه كبرى، يتبأ بها القرآن، ويتحدى البشريه، في أنه لم ولن ولا ترسو العداله إلّا إذا استقرّ النظام الاقتصادي والسياسي بيد من يتمتع بعلم لدني، يطلع من خلاله على النظام الأمثل لتحقيق العداله في كافه الأصعد والميادين، مضافاً إلى تمتعه باستقامه دائبه غير قابله للانكسار والتأثر، ولو تجمعت عليه كافه عوامل الضغط والتأثير.

وهذا ما يشهد له القرآن في شأن أهل بيت النبوه عليهم السلام، كما في آيه التطهير، وآيه مس الكتاب من المطهرين لا يمسه إلا المطهرون، ومجموعه آيات وسوره القدر، وما ينزل فيها من مقدرات، وإحصائيات إلهيه هائله حول الأرزاق، والخيرات، والآجال، والحرب، والسلم، وكل ما هو كائن ومقدر على البشر والدول والبيئه، من مجاميع إحصائيات لم تفتن العلوم الحديثه في يومنا هذا إلى استقصائها، وإحصائها، وكيفيه تدخلها في نظام الدوله، فبهذه العلميه الفائقه القدره التي تفوق قدره البشر، وبهذه الأمانه التي يحفظ في كنفها العدل، بما له من عرض عريض وعمق وسيع يفوق استقامه المتقين والموقنين، يتمكن حينئذ من تحقيق العداله المنشوده بحقيقتها العظيمه التي ترسمها يد السماء.

والظريف في الآيه الكريمة أنّها تتحدى بهذه النبوء والملحمه في تعليل إسناد الفيء إلى قربي النبي صلى الله عليه وآله وأنها لن تتحقق على يد غيرهم، وهذا يشمل حتى الأنبياء الباقيين الأحياء، كالنبي عيسى عليه السلام، وإلياس، والذي هو على قيد الحياه، كما في جملة من روايات الفريقين، والنبي إدريس عليه السلام بناء على حياته ورجوعه، كما هو

محتمل قوله تعالى: وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (١)، والخضر عليه السلام على القول بنبوته، حيث إن هؤلاء الأنبياء سيكونون حضوراً في دولة المهديّ عجل الله فرجه الشريف، والتشريع القرآني خالد أبديّ إلى يوم القيامة، فيشمل النفي حتى هؤلاء الأنبياء عليهم السلام.

وحصر الولاية بأهل البيت عليهم السلام دونهم، ممّا يشير إلى أنّ هذا المقام - مقام إرساء العدالة - لا يمكن أن يضطلع به إلا أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، كيف لا وقد شهد القرآن بأنّ علم الكتاب كلّ لم يهبه الله عزّ وجلّ إلا للنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، دون بقية الأنبياء، حتى أولى العزم منهم.

فالقرآن يحدثنا في شأن عيسى عليه السلام في قوله تعالى: قَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِلَّيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ (٢)، فبعث النبيّ عيسى عليه السلام ليزيل بعض الاختلاف، لا كلّ ما يختلفون فيه.

وكذلك في شأن النبيّ موسى عليه السلام، حيث نُعتت التوراه التي بُعث بها، في قوله تعالى: وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ (٣)، فلم تكن التوراه تفصيل كلّ شيء، بل كانت تفصيلاً لكلّ شيء بيان بعض أحكامه، فمن ثمّ كان التعبير في الآية الكريمه من كلّ شيء.

وعلى ضوء ذلك يتّضح أنّ ذكر التعليل - كي لا يكون دوله بين الأغنياء - هو لملكيه قربي النبيّ صلى الله عليه وآله لولايه تدبير الفيء، الذي هو عموم ثروات الأرض، وأنّ هذه الملكيه ليست ملكيه عاديه كملكيه الأشخاص، والتي هي سلطنه متوسّطه متعلّقه بالمال، قابله للزوال، بأن يوصى المورث بأنّ ما تركناه صدقه، فيوجب ذلك الممانعه عن وجودها، أو أن تُزاحم بملكيات عامه اخرى، فتُزال

ص: ٢٣٧

١- (١) مريم: ٥٧.

٢- (٢) الزخرف: ٦٣.

٣- (٣) الأعراف: ١٤٥.

كما لو افترض أنّ الأرض المملوكة بالملكه العاديه الشخصيه اقتضت حاجه أهالى المدينه أن يمرّ طريقهم بتلك الأرض بدرجة اضطرار باتّ ، فيستلزم تسهيل تلك الأرض .

بل ملكيه الولايه للأموال المجمعوله من قبله تعالى لقربى النبيّ صلى الله عليه و آله غير قابله للتصرّف فيها بنحو الوصيه لغيرهم ، لأنّها ليست من التّركه العاديه للأموال ، وإنّما هو مقام ولايه لأحكام الإرث وصلاحيه منصب إلهي ، فليس هو من الأموال التي يجمعها المورث ويكدي في اقتنائها كي يورثها وتنتقل إلى الوارث ، كي تكون مشموله لأحكام الإرث من قبل المورث ، كما هو الشأن في الأموال العاديه .

ومن ثمّ هي خارجه موضوعاً عن البحث في الوصيه في الأموال العاديه ، ويتبيّن بكلّ وضوح أنّ تخيل أبي بكر فيما زعمه من نسبه مقوله « ما تركناه صدقه » للنبيّ صلى الله عليه و آله في مورد فدك ، باطل وزيف ، مع جهالته بحقيقه الحال بملكه رسول الله صلى الله عليه و آله للفيء وملكه قرباه أنّها ليست ملكيه متوسّطه عاديه متعلّقه به ، وإنّما هي ملكيه ولايه وتديير ، خاصّه بالنبيّ صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ، بل هي من الأمانه الإلهيه العظمى ، التي يخاطب بها الحاكم المنصوب من قبل الله تعالى بأن يؤدّيها إلى أهلها الذين نصبهم الله تعالى لذلك ، وهم قرباه صلى الله عليه و آله ، كما في قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١) .

مِمّا يدلّ على أنّه الذي نُصب للحكم من قبله تعالى ، فإنّ هذا المقام أمانه إلهيه منه تعالى يؤدّيها إلى أهله ممّن قد نصبه الله تعالى لذلك من بعده .

ص: ٢٣٨

إنّ هناك ظاهره ملحوظه في سيره المسلمين في بيعتهم للإمام الحسن بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، بعد شهاده أبيه الإمام عليّ عليه السلام ، حيث إنّ هذه البيعه قد قام بها جيّل المهاجرين والأنصار آنذاك والذين كانوا في الكوفه فضلاً عن كبار التابعين .

وقد كانت هذه البيعه بملء إرادتهم واختيارهم ، من دون سطوه ضاغطه عليهم ، ولا سيف مسلّط على رؤوسهم ، ولا تهديد يفتك بهم ، ولا إغراء ولا طمع ، مع أنّ بيعتهم للإمام الحسن عليه السلام تعنى انتقال الخلافه من أبيه الإمام عليّ عليه السلام إلى الولد وهو الإمام الحسن عليه السلام ، فلم ينكروا من ذلك أمراً ، ولم يجدوا في وراثته للخلافه أمراً نكراً ، بل بادروا من عند أنفسهم ، ووجدوا فيه الشرعيه الأصيله .

ولم يتماد الزمن ، بل بعد مدّه يسيره تقرب من اثني عشر عاماً استشهد الإمام الحسن عليه السلام ، وقام معاويه بعده بعقد البيعه لابنه يزيد ، فما كان من المهاجرين والأنصار وكبار التابعين إلّا الإنكار بشدّه ، ووصموا تصرّف معاويه هذا بأنّه خلاف الشرعيه وقد حوّل الخلافه إلى ملك عضوض ، وإلى سيّئه هرقله ، وملك كسرويّ ، وحكم قيصرّيّ ، فهذه المفارقة منهم في الموقف تستدعي الانتباه ، والتساؤل بقوّه ، عن سرّ التباين في الموقفين ، وما هي المنطلقات ومناشئ اختلاف الرؤيه والمركزات الدينيه الداعيه لذلك ، لاسيّما من الجيل الأوّل الذي أدرك عصر النبوه .

بل نجد هذه الظاهره قد تكرّرت قبل ذلك ، أي في عهد أمير المؤمنين عليه السلام ، وبعد ذلك أي في عهد بقيه الأئمّه عليهم السلام ، أمّا قبل ذلك فنلاحظ البيعه الجماهيريّه والتي قام بها جموع الناس انهيلاً على مصافقه يد أمير المؤمنين عليّ بن أبي

طالب عليه السلام ، ببعه لم يشهد المسلمون في عهد الخلفاء الثلاثة من قبل مثلها ، بل كانت بإصرار من عموم الأُمَّه بلا ابتدار منه عليه السلام ، وهذا كان بعكس ما حصل للخلفاء الثلاثة تماماً .

وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام إلى ذلك بقوله في الخطبه الشقشقيّه :

« فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُزْفِ الصَّبِيحِ ، يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، حَتَّى لَقَدْ وُطِيَءَ الْحَسَنَانِ ، وَشَقَّ عِطْفَايَ ، مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ » .

ولم يتم هذا الأمر بالجماع وإرغام ، وإنما زالت قوه الجماعات المتعاضده يوم السقيفه على الحيلولة دون إقبال الناس على عليّ عليه السلام .

وكذلك نشهد هذه الظاهره في إقبال الناس على ببعه الإمام الحسين عليه السلام في عهد يزيد ، حيث تكاثرت كتب أهل العراق ، الكوفه والبصره ، مع توافد جموع الحجيج في مكّه المكرّمه على سيّد الشهداء عليه السلام ، بل نجد في بعض المصادر توافد حتّى كتب من أهل الشام أيضاً ، وهذا ما اضطرّ عبيد الله بن زياد أن يُقيم حصاراً عسكرياً من الكوفه إلى كربلاء ، ويطوّق كربلاء بأحزمه دوائر أمّتيه متعدّده ، كي لا يصل المدد من القبائل للحسين عليه السلام في أرض المعركه .

هذا مضافاً إلى ما يُشاهد من إقبال عموم المسلمين ورواج صيت الإمام زين العابدين ، والإمام الباقر ، والصادق عليهم السلام ، حتّى وصل أوج ذلك في عهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وقد بلغ الذروه في ذلك ، حتّى خشى هارون العبّاسيّ على نظامه السياسي من الإطاحه به .

فقد نقل التاريخ عبارته هارون مخاطباً ومعاتباً ومعنّفاً الإمام موسى بن جعفر عليه السلام :

« يا موسى بن جعفر ، خليفتيين يجبي إليهما الخراج ... » (١) .

ص: ٢٤٠

١- (١) عيون أخبار الرضا للصدوق : ٢ : ٧٨ . المناقب لابن شهر آشوب : ٣ : ٤٤٠ . سرّ السلسله العلويّه لابن نصر البخارى : ٣٥ ، وغيرها .

فمن ثمّ قد ورد أنّه كان قد قُدّر أن تبدأ دوله الأئمّه من عهد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، وهكذا ورد في عصر الإمام الصادق عليه السلام ، حيث عرض أبو مسلم الخراساني البيعه عليه قبل أن يعرضها على العباسيين ، إذ لم تستطع رايات خراسان أن تزيل حكم الأمويين إلا باستنهاض المسلمين بشعار محفّز جذّاب لعموم المسلمين وهو « الرضا من آل محمّد عليهم السلام » .

وكذلك نجد الحال في عهد الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ، حيث تكاثرت ثورات العلويين في أطراف العالم الإسلامي ، ولم يستطع الجهاز العباسي الحاكم من السيطرة على زمام الأمور ، حتّى لجأ إلى حيله سياسيّه واضحه المقاصد ، وهي فرض منصب ولايه العهد على الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام .

وكذلك الحال نفسه نجده صنعه المأمون العباسي مع الإمام محمّد الجواد عليه السلام ، وبنفس الحيله .

وأما الإمامين العسكريين عليهما السلام فقد تصاعد الأمر إلى استنفار عبويّ عسكريّ ، حيث سجن الإمامين في أكبر قاعده عسكريه آنذاك وهي مدينه سامراء .

ولا يخفى الفارق بين السجين العسكري وبين السجين السياسي ، والذي هو أخطر على الدوله من سابقه .

وعندما نفّث عن مناشئ هذه الظاهره و هذا الارتكاز لدى الجيل الأوّل ، نرى أنّه يُعزى إلى التعاليم القرآنيّه ونصوص الآيات التي مرّت بالإشارة إلى نبذه منها في بحوث الوراثه ، والأوسمه والمناصب الوارده فيه للإمامين السبطين الحسن والحسين عليهما السلام ، وإلى النصوص النبويّه المترسيّخه في أذهانهم ومعرفتهم والتي مرّ نبذ منها في البحوث السابقه ، والناس قد جبلوا على اتّباع أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم ، وأنّه إذا لم يحل حائل يمانعهم عن ذلك ، فإنّهم سرعان ما يظهرون ودادهم وتعلّقهم واقتدائهم بأهل البيت ، وتمسّكهم بهم .

ولم تكن هذه الظاهره كما مرّ مقتصره على الإمام الحسن عليه السلام ، بل يجدها الناظر بعينها تجاه السبط الثانى ، وريحانه النبى صلى الله عليه و آله سيّد الشهداء عليه السلام ، حيث توالى البيعه له من العراقيين وغيرهم من سائر الأقطار ، قبل أن تشتد قبضه يزيد على مقدّرات الأُمّه .

وقد سرت هذه الظاهره وبألوان اخرى للتابعين ، وتابعى التابعين ، وبقية أجيال الأُمّه تجاه أئمه أهل البيت عليهم السلام ، فعكف الناس على الأخذ والنهل من علومهم ، وإظهار التبجيل والتوقير والإجلال والتعظيم والمحيّيه لهم ، وإبراز محبتهم ، إلما أنّ السلطات الحاكمه آنذاك ما فتئت تقيم جدار الإرعاب والتهديد ، ونشر سياسه نصب العداة لهم بين صفوف الأُمّه ، والحيلولة دون انعطافها وميلانها نحو أهل البيت عليهم السلام .

وقد حفل التاريخ الإسلامى منذ الصدر الأوّل إلى يومنا هذا بأحداث مذهله فى هذا الصدد ، لا يستعصى على الباحث الوقوف عليها بمجرد تصفّحه لأى كتاب من كتب التاريخ يتحدّث عن ماضى الأُمّه ، بل وحاضرها .

فالتنقيب عن أسباب هذه الظاهره فى نفوس الأُمّه يوصلنا إلى منشأ ذلك وهو ورود جملة من النصوص القرآنيّه مثل قوله تعالى :
فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (١) حيث انتدب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و آله الحسنين عليهما السلام رغم صغر سنّهما دون سائر الصحابه ، وحملهما مسؤوليه الدفاع عن الدين ، وإقامه الحجّه الإلهيّه عليهم .

و مثل قوله تعالى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٢) فخصّهم بالطهاره والاصطفاء بها دون بقية الأُمّه ، و مثل قوله تعالى :

ص: ٢٤٢

١- (١) آل عمران: ٦١ .

٢- (٢) الأحزاب : ٣٣ .

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (١) فقرن مودتهم بالرسالة والدين .

و مثل قوله تعالى : ما أفاء الله على رُسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِإِتْمَانِي وَالْإِيْتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَخَصَّهُمْ بولايه الأموال العامه ، وكذا آيه الخمس وغيرها من عشرات الآيات ، الناصه على اختصاصهم بالمناصب الإلهيه لهم .

وهكذا الحال في هذه الظاهره من السنه النبويه ، كمثل قوله صلى الله عليه وآله :

« إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبداً » (٢).

أو قوله صلى الله عليه وآله :

« مثل أهل بيتي كسفينه نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى » (٣).

أو قوله صلى الله عليه وآله :

« الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّه » (٤).

مضافاً إلى ما رأوه من سيرته صلى الله عليه وآله مع أهل الكساء من أهل البيت من إجلال وتعظيم وحفاوه ، وإنزالهم منزله عظيمه منه ، وأمام أعين المسلمين .

ص: ٢٤٣

١- (١) الشورى : ٢٣ .

٢- (٢) مختصر البصائر : ٩٠ .

٣- (٣) إعلام الورى : ١ : ٣٤ . الأحكام : ٢ : ٥٥٥ .

٤- (٤) الأموال للصدوق : ١١٢ ، الحديث ٩٠ . روضه الواعظين : ١٥٧ . ذخائر العقبى : ١٢٩ .

إِشَارَةٌ

قد أقرَّ وروى الخليفة الأوَّل جملته من مقامات فاطمه عليها السلام و ذلك عند احتجاجها عليه ، وقد رواه الفريقان .

قوله لها :

أولاً : « فأنتم عتره رسول الله الطيبون ، الخيره المنتجبون ، على الخير أدلتنا ، وإلى الجنَّة مسالكنا »(١) .

وخطاب الخليفة هذا كان بعد أن ذكر جملته من مقامات عليّ عليه السلام كما سيأتي بيان ذلك ، فخطابه بلفظ « أنتم » هو خطاب لكلّ من فاطمه وعليّ عليهما السلام ، والإقرار باصطفائهم وانتجابهم على الأُمَّة ، وأنَّهم الأدلَّة المنصوبه من قبله تعالى على الخير والهدايه لجميع الأُمَّة بما فيهم هو وبقية الرعيّل الأوّل من الصحابه ، وأنّ السبيل والمسلك للصحابه وللأُمَّة إلى الجنَّة هم عتره الرسول صلى الله عليه وآله ، وهم فاطمه وأبوها وبعلاها وبنوها .

وجمع الخليفة الأوّل بكلامه لقوله : « ولا يحبّكم إلّاسعيد ، ولا يبغضكم إلّاشقيّ بعيد » وقوله في وصف عتره الرسول صلى الله عليه وآله : « وإلى الجنَّة مسالكنا » هو مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وآله :

« لا يحبنا أهل البيت إلّامؤمن تقىّ ، ولا يبغضنا إلّامنافق شقيّ »(٢) .

ص: ٢٤٤

١- (١) الاحتجاج للطبرسى : ١ : ١٤١ ، وراجع مصادر خطبه الزهراء عليها السلام .

٢- (٢) رواه الطبرى في ذخائر العقبي : ١٨ ، أخرجه الملاء .

ومقتبس أيضاً من قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (١).

وقوله تعالى: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ (٢).

وقوله تعالى: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٣).

حيث يتبين من هذه الآيات أن مودّه ذوى القربى وحبهم وهم عتره الرسول صلى الله عليه وآله هو السبيل إلى الله تعالى والمسالك إلى الجنّة .

والمهم في هذا المقام الذى رواه وأقرّ به الخليفة الأوّل فى شأن عليّ وفاطمه عليهما السلام هو بيان ولايه حجّيه كلّ من عليّ وفاطمه عليهما السلام من قبل الله تعالى ، وأنّ فاطمه عليها السلام قدوة إلهيه على شاكله إمامه عليّ عليه السلام للأئمّه .

ثانياً : قوله :

« وأنتك أنت سيّده أمة أبيك » .

فهذا القول بمثابة الإقرار لفاطمه عليها السلام وبهذه المنقبه والفضيله ، وقد بين أنّ سؤدها على جميع الأئمّه رجالاً ونساءً ، وهذا مقام مروى عن النّبى صلى الله عليه وآله هو غير ما روى عنه صلى الله عليه وآله فى كونها

« سيّده نساء العالمين » أو

« سيّده نساء أهل الجنّة » (٤).

مع أنه قد قال الخليفة قبل ذلك فى كلامه لها فى وصفها بقوله : « وأنت يا خيرهن النساء وابنه خير الأنبياء » ، حيث إنّ سؤدها وسيادتها على نساء أهل الجنّة وإن استنتج منه جمهوره علماء الفريقين أفضليتها على مريم بنت عمران ، وبالتالي فإنّ اصطفاها وحجّيتها على نساء العالمين ، واضح دون أدنى شكّ إلّا أنّ سؤدها

ص: ٢٤٥

١- (١) الشورى : ٢٣ .

٢- (٢) سبأ : ٤٧ .

٣- (٣) الفرقان : ٥٧ .

٤- (٤) تقدّمت تخريجاته فى الصفحه ٢٨ .

على جميع الأمّة رجالاً- ونساءً هو نصّ على حجّيتها على كلّ من الرجال والنساء ، ولزوم طاعتها وولايتها في رقاب جميع الأمّة ،
فبين سيّده أمّه محمّد صلى الله عليه وآله وسيّده نساء العالمين ، هذه المغايره اللطيفه .

و هذا المقام يتطابق مع المقام السابق الذى أقرّ به الخليفه الأوّل ، من كونها قدوه إلهيّة لجميع الأمم .

ثمّ إنّ قوله بعد ذلك : « والشجره الطيبه لبنيك لا ندفع مالك من فضلك ، ولا يوضع فى فرعك وأصلك » هو إقرار وبيان
لثبوت هذا المقام لها ولأصحاب الكساء من عتره الرسول صلى الله عليه وآله .

وفيه إقرار أيضاً بالوراثه الاصفائيّه .

ثالثاً : قوله : « صدق الله ورسوله وصدقت ابنته » ، فتراه قد جعل صدق كلامها يتلو فى المرتبه الثالثه بعد صدق الله تعالى
وصدق رسوله ، والصدق فى هذا المقام يُراد به الحجّيه وولايه الطاعه ، على حدّ قوله تعالى : أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ
أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ .

وكلّ هذا يُغزّز كون الرعيل الأوّل من الصحابه قد تبين لهم من النصوص القرآنيه الوارده فى شأن فاطمه عليها السلام من
شراكتها مع أصحاب الكساء فى جملة من المقامات ، كالطهاره فى آيه التطهير ، والحجّيه فى آيه المباهله ، والعلم بالكتاب
المكنون فى قوله تعالى : لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، وغيرها من المقامات المنصوصه فى القرآن .

فضلاً عن النصوص النبويه الوارده فى شأنها ، ككونها سيّده الأمّة ، وسيّده نساء العالمين ، وسيّده نساء أهل الجنّه ، وأنّ الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وآله يغضبان لغضبها ويرضيان لرضاها ، وغير ذلك من النصوص التى تؤكّد وتبين هذا المقام من الحجّيه
والولايه لها الذى يتلو مقام النبى صلى الله عليه وآله .

ومِمَّا يَشِيرُ إِلَى ارْتِكَازِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ عِنْدَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ بِسَبَبِ بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ النَّازِلَةِ فِي حَقِّهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ وَبَيَانَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْدُويَه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَبُرَيْدِهِ قَالَ: « قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذِهِ الْآيَةَ: فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ فِقَامٌ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّ بُيُوتِ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

بُيُوتِ الْأَنْبِيَاءِ .

فِقَامٌ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا؟ لَبِيتُ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ؟

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

نَعَمْ مِنْ أَفْضَلِهَا» (١).

فَإِنَّ تَسْأُولَ أَبِي بَكْرٍ عَنِ بَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هَلْ هِيَ مِنْ بُيُوتِ الْأَنْبِيَاءِ؟ مَعَ أَنَّهُ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ لَيْسَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَلَكِنَّ الْمُرْتَكِزَ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ مِنْ أَنَّ حُجِّيَةَ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَوَلَايَتَهُمَا فِي مَصَافٍ حُجِّيَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

وَهَذَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ هُوَ أَحَدُ الْمَوَارِدِ الَّتِي تَبَيَّنَ وَتَوَضَّحَ بَيَانُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْوَارِدِ فِي إِعْظَامِ شَأْنِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَتَبْيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِهَذَا الْمَقَامِ .

رَابِعاً: قَوْلُهُ: « أَنْتَ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ وَمَوْطِنُ الْهَدْيِ وَالرَّحْمَةِ » .

فَإِنَّ هَذِهِ الْمَقُولَةَ تَبَيَّنَ مَا حَفِظَهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَرَفَهُ الصَّحَابَةُ مِنْ بَيَانَاتِ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِهَا، مِنْ أَنَّ عِلْمَهَا كَعِلْمِ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ لَدُنِّيًّا، يَفِيضُ مِنْ مَكْنُونِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، حَيْثُ يَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا- يَمْسُهُ إِلَّا- الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)، وَهُوَ مَا يَشِيرُ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ أَيْضاً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: بَيْلٌ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٣)، مَضَافاً إِلَى آيَةِ التَّطْهِيرِ .

خَامِساً: قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي وَصْفِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ: « أَنْتَ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ . . . وَرُكْنُ الدِّينِ

ص: ٢٤٧

١- (١) الدرّ المنثور للسيوطي: ٥: ٥٠، ذيل الآية ٣٦ من سورة النور .

٢- (٢) الواقعة: ٧٧ - ٨٠ .

وعين الحجّه لا أبعد صوابك ولا أنكر خطابك » .

إناره : التوفيق بين خاتميّه النبوه وبقاء الارتباط الغيبي :

ربّما يثار اعتراض وتساؤل ، بل وقد أثير قديماً أيضاً وحاصله : تسجيل التقاطع والتصادم بين الاعتقاد بخاتميّه النبوه وانقطاع الوحي النبويّ وبين الاعتقاد ببقاء الارتباط بالغيب ، والذي هو مفاد الوراثة اللدنيّه لمقامات النبيّ صلى الله عليه وآله الغيبيّه من قبل أهل بيته عليهم السلام ، وهل الارتباط بالغيب مفاده غير الوحي النبويّ .

و هل التحدّث بأحكام فى الحلال والحرام بيّنها أهل البيت عليهم السلام سواء أخذوه من مصحف فاطمه عليها السلام ، أو من كتاب عليّ عليه السلام ، أو أن الأئمّه من أهل البيت عليهم السلام أخذوه من الصحيفه والجامعه ، والتي لم يُبرزها رسول الله صلى الله عليه وآله ، و هل هي إلّانيّات جديده أم ماذا ، أهى علم من ذى علم ؟

ثمّ ما هي الآثار المحسوسه للوراثة اللدنيّه من أهل البيت عليهم السلام ومن منهاجهم ، التي يتميّزون بها عن بقيّه المسلمين ؟

نماذج من الارتباط الغيبيّ فى غير النبوه :

إنّ المستفاد من حقائق القرآن الكريم جملة من الأمور تدفع التساؤل الأوّل :

الأوّل : أنّه ليس كلّ ارتباط بالغيب هو من سنخ الوحي النبويّ ، بل هناك أنواع من الارتباط بالغيب لا يصفها القرآن بأنّها نبوه ، مع أنّه أثبت لها حصانه وقداسه فى الاعتبار الإلهيّ والتكوينيّ :

منها : ما ورد فى طالوت فى قوله تعالى : وَ زَاذَهُ بِشَيْطَانٍ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ . . . قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي (١) فأخبر عن الله تعالى

ص: ٢٤٨

بلا واسطه ، بتدبير معين خاص ، لا بتشريع عام نبوى .

ومنها : ما ورد فى مريم عليه السلام فى قوله تعالى : **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ... إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١)** .

أو فى قوله تعالى : **فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّى أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْجِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ وَنَجَعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢)** .

ففرى أن مريم عليه السلام قد أوحى إليها بمجىء ناسخ لشريعته نبى الله موسى عليه السلام ، وكانت هى أول من بلغ ذلك للبشر عن السماء .

ومنها : صاحب موسى ، قال تعالى : **فَوَحَّيْنَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا... سَأُتَّبِعُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا... فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ**

ص: ٢٤٩

١- (١) آل عمران : ٤٢ - ٤٧ .

٢- (٢) مريم : ٢١ .

فمع أنّ القرآن لم يصفه بالنبوّه فهو يخبر غيبياً عن إرادة الله تعالى التفصيلية في تدبير الأمور ، والتدبير الإلهي في الأرض .

ومنها : ذو القرنين في قوله تعالى : إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا... قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تَتَّخِذُ فِيهِمْ حُسَيْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا (٢) ، فلم يصفه القرآن بالنبوّه ولا بالرسالة ، ولكن أثبت له القرآن أوصافاً لدنيّه اخرى ، وأثبت له ولايه ممنوحه منه تعالى ، وارتباطاً بالغيب علماً وقدره .

ومنها : أم موسى ، في قوله تعالى : وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ... فَوَدَدْنَا إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَا تَعْلَمَ أَنَّ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا (٣) .

وقد اشتمل هذا الوحي والارتباط بالغيب رغم أنّ أم موسى لم تكن من الأنبياء ولا من الأوصياء وليست بإمام ، ومع ذلك أثبت القرآن لها ذلك الارتباط بالغيب ، بعد اصطفاؤها لأمومه نبى الله موسى عليه السلام .

ومنها : العده الذين أخبر عنهم تعالى في هذه الآمه ، كما في قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ... وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٤) ، وهكذا في قوله تعالى : إِنَّهُ

١- (١) الكهف : ٦٥ - ٨٢ .

٢- (٢) الكهف : ٨٤ - ٨٧ .

٣- (٣) القصص : ٧ - ١٨ .

٤- (٤) آل عمران : ٧ .

لَقُرْآنٍ كَرِيمٍ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١).

أو في قوله تعالى : بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٢).

وقد أشار إلى تلك العده في قوله تعالى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣) ، وهم الذين أشار إليهم في قوله تعالى : وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (٤).

ومن ثم كانت فاطمه عليها السلام شاهد لأعمال العباد كأئمة أهل البيت عليهم السلام كما سيأتى بيانه ، ولذلك تكون فاطمه عليها السلام معيته ومراده على مثل أئمة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (٥).

وكذلك في قوله تعالى : هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٦).

وسيأتى لاحقاً بيان أنها عليها السلام معيته ومراده وأنها من أولى الأمر في قوله تعالى :

أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٧) ، فهي شاهده على أعمال العباد ووليته الأمر مفترضه الطاعه على العباد .

ص: ٢٥١

١- (١) الواقعة : ٧٩ .

٢- (٢) العنكبوت : ٤٩ .

٣- (٣) الأحزاب : ٣٣ .

٤- (٤) فاطر : ٣١ - ٣٢ .

٥- (٥) البقره : ١٤٣ .

٦- (٦) الحج : ٧٨ .

٧- (٧) النساء : ٥٩ .

والمحصّل من هذه الطوائف من الآيات وغيرها ، سواء من الأمم السابقة أو في هذه الأمّة ، هو إثبات ووجود جماعه مصطفىاه ليست بأنبياء ولا رُسل يثبت لهم القرآن ارتباطاً بالغيب ، وليس من سنخ النبوه .

ورائه المقام النبويّ في التشريع :

ويدفع التساؤل الثاني أنّ هناك حقيقه قرآنيه اخرى تلمسنا إياها الآيات القرآنيه ، وهي أنّ تفاصيل الشريعة والأحكام لا يبلغ غورها في القرآن الكريم إلاّ طائفه من هذه الأمّة ، انتجهم الله تعالى وأورثهم الكتاب ، كما أشارت الآيات السابقه التي بينت أنّ تأويل الكتاب حُصّ به الراسخون في العلم ، الذين يحملون الكتاب كلّه بين جوانحهم .

فالكتاب الكريم كلّ آيات بينات لا-متشابهه فيه ، محفوظ في صدور هؤلاء ، فالمكنون الغيبيّ من الكتاب والمحفوظ لا يمسه غيرهم إنّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١) .

وأنّ هؤلاء هم الذين اصطفاهم الباري لورائه علم الكتاب ، حيث قال تعالى :

وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢) .

فالعباد الذين اصطفى الله بعضاً منهم لا كلّهم على ثلاثه أصناف : فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ، و : وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ متوسّط في سبيل الخير ، وثالث وهو الذي اصطفى وهو سابق بالخيرات ، قد أورثه الله الكتاب ، وهذه الوراثة هي

ص: ٢٥٢

١- (١) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ .

٢- (٢) فاطر : ٣١ - ٣٢ .

ومنه يعرف أنّ الوراثه لعلم الكتاب والذى ينبسط منه مقامات النبى صلى الله عليه وآله ، قد أثبتته القرآن الكريم لثله من هذه الأمة ، فلا ينحصر علم الكتاب بظاهر ألفاظ التنزيل ، ولا يقتصر عليه ، بل إنّ للكتاب منازل ومواطن متعدده ، قد وصف بعضها بقوله تعالى : قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى (١) . وقال تعالى : وَ لَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرِهِ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢) .

فهذا النعت يُظهر أنّ علم الشريعة لا ينفد ، ويتراعى ويتشعب من أصله ، وهى أم الكتاب .

وقد أفصح القرآن عن هذه الطائفة التى اصطفت لعلم الكتاب ، وأنهم هم المطهرون من أهل البيت ، وأنّ لهم هذا الدور لتبيان علم الشريعة ، غير المتناهى تشعباً وإحاطه ، والأحكام التى يدلون بها متشعبه ، من اصول فرائض وسنن النبى صلى الله عليه وآله ، كانشعاب التأويل من محكمات التنزيل ، وكإحصاء الكتاب المبين لما نزل من أم الكتاب .

ولو أردنا أن نمثّل لذلك بمثال قانونى فإنّ التشريعات القانونيّة ليست كلّها على مدرج واحد ومرحلة فارده ، بل هى على مدارج تتبع بعضها البعض ، فمثلاً- التشريع النيابى يتبع التشريع الدستورى ، وليس فى عرضه ، ولا- من نوعه ونمطه ، ولا يعترض على التشريع النيابى أنّه احتلّ مكانه التشريع الدستورى ، أو أنّه تَقَمَّصَ مقامه ، بل هو تابع له ومنقاد ، مفعّل ومقيم للقوانين الدستوريه ، والتشريعات الدستوريه حاكمه على التشريعات النيابيه ، ودور الثانيه كالمفسر للتشريعات

ص: ٢٥٣

١- (١) الكهف : ١٠٩ .

٢- (٢) لقمان : ٢٧ .

الأولى ، فكون المشرع النبوي يقوم بالتشريع وسن القانون وله صلاحية ذلك ، لا يعني أنه مشرع دستوري ، كما أن نفي كونه مشرعاً دستورياً لا يعني نفي كونه مشرعاً للقوانين النيابية .

فالخلط حاصل نتيجة اعتقاد أن تشريع الأحكام هو على نمط واحد ، والحال أنه ليس كذلك ، حيث إن تشريعات الله تعالى من الفرائض تعدّ بمثابه الأسس التشريعية لتشريعات النبي صلى الله عليه وآله من السنن ، فالسنن النبوية تعدّ مرحله ثانية للتشريع ، كما أن فرائض الله تعالى وسنن نبيه تعدّ أساساً تشريعية لسنن الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وهديهم ومنهاجهم .

فهذه ثلاث مراحل تشريعية ، فكما أن ضروره المسلمين قائمه على وجود تشريعات نبوية نظير كون الصلاة ركعتين في الفرائض الخمس ، ثم شرع النبي صلى الله عليه وآله ركعتين في الرباعية ، وركعه في المغرب ، ولم يتوهم أحد أن تشريعات النبي صلى الله عليه وآله والتي هي امتداد وتبع لتشريعات الله تبارك وتعالى ، أن تلك التشريعات تستدعي مقام الألوهية للنبي صلى الله عليه وآله ، وليس ذلك إلا لأن نمط التشريعات النبوية هي في مرحله ثانية ، منحدره ومنتزله تابعه للتشريعات الإلهية .

كذلك الحال في التشريعات والدور التشريعي الذي يضطلع به الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ، فإنه لا يستدعي لهم مقام النبوة؛ لأن سننهم وأحكامهم تابعه ومنحدره ومشتقه من سنن النبي صلى الله عليه وآله ، وفي مرحله لاحقه تأتي في البعد طولياً ، لا بعداً عرضياً موازياً له .

فتبين من ذلك كله أن الاعتراض الثاني متولد من عدم الإحاطه بعلم التشريع القانوني والتقنين .

أمّا بالنسبه إلى التساؤل الثالث عن أثر الوراثة اللدنية وما قدمه أهل البيت عليهم السلام ، فهي امور عظيمه كثيره .

فإنَّ الرُّوى الاعتقادِيَّه الصحيحه التى قام بنشرها أهل البيت عليهم السلام هى إلى اليوم شامخه لا يضاهاها فى العقلانيَّه ، وسعه أفق الحقيقه والغور ، أى روى لأىَّ نحلّه ومَلَّه ، وهما هى تخوض معترك الأنديّه العلمِيَّه المختلفه ، مُجلِّيه لأنصع البنود المعرفِيَّه توازناً ، ورحابه ، وسعه ، وغوراً .

وأما نشأه العلوم الإسلاميه من مدرسه أهل البيت عليهم السلام فقد خُصِّصت جملّه من الكتب لبيان ذلك(1) .

كما أنّ المشاهد أنّ جملّه الفرق الإسلاميه سواء الفرق الكلاميه منها ، أو الفقهيَّه ، أو السياسِيَّه ، أو الصوفيَّه ، وهكذا مذاهب التفسير وغيرها من الفرق قد نشأت ببركه أهل البيت عليهم السلام وعلومهم .

وربّما يظنّ المتوهّم أنّ هذا شاهد سلبيّ فى تأثير أهل البيت عليهم السلام ، لكنّه شاهد على رياتهم فى مسارات الدين .

وبيان ذلك :

الخلط بين أقسام الإلهام :

إنّ من أزمات المعارف القديمه والحديثه ، والمشاكل المفصّله فى المعرفه الدينيَّه هو عدم التمييز بين أنماط المقامات الغيبيه ، فالأنظار كانت فى تضارب بين إفراط وتفريط ، وذلك لعدم الإحاطه بتلك المعارف الدينيَّه والقرآنيَّه .

فبين نظره تفسّر كلّ ارتباط بالغيب بأنّها نبوّه ، فتنفى الارتباط بالغيب ، مستنده إلى انتهاء النبوات وانقطاع الوحي بعد وفاه النبيّ صلى الله عليه وآله .

وبين من يثبت الارتباط بالغيب ويحسبها نبوّه أيضاً ، فيشطّ به القول إلى ادّعاء

ص: ٢٥٥

١- (١) كما فى كتاب تأسيس الشيعه لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر ، أو المقدمه التى كتبها السيد محسن الأمين لكتابه أعيان الشيعه ، وكتاب الذريعه فى تصانيف الشيعه .

النبوه لمن يثبت له الارتباط بالغيب .

وبين نظره ثالثه تنفى الارتباط بالغيب ، فى حين تثبت الاصطفاء الإلهي مع النص . وغيرها من النظرات المختلفه المتباينه .

وكل هذه النظرات ناشئه من عدم تأصيل الرؤيه الصحيحه المستمدّه من القرآن الكريم والسنه القطعيه فى معرفه انواع الارتباط بالغيب ، وتعدّد وتنوّع المقامات اللدنيه فى الدين ، وأنّ الوحي لا ينحصر بالوحي النبويّ ، ووحي الشريعة والتشريع ، كما مرّت الإشاره إلى جملة من الدلالات القرآنيه على ذلك .

ومن نماذج هذا الخلط ما وقعت فيه الفرقة الخطايبه(1) من انحراف ، فقد زعموا أنّ الأئمه عليهم السلام أنبياء ، كما يشير إلى ذلك ما فى صحيحه زياد بن سوجه ، عن الحكم ابن عتيبه - من فقهاء العامه - ، قال : « دخلت على عليّ بن الحسين عليهما السلام يوماً فقال :

يا

حكم ، هل تدري الآيه التى كان عليّ بن أبى طالب عليه السلام يعرف قاتله بها ، ويعرف بها الأمور العظام التى كان يحدث بها الناس ؟

قال الحكم : فقلت فى نفسى : قد وقعت على علم من علم عليّ بن الحسين ، أعلم بذلك تلك الأمور العظام قال : فقلت : لا والله لا أعلم .

قال : ثم قلت : الآيه تخبرنى بها يا بن رسول الله ؟

قال :

هو والله قول الله عزّ وجلّ : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى (ولا محدث) ، وكان عليّ بن أبى طالب محدثاً .

فقال له رجل يقال له : عبد الله بن زيد ، كان أخا على لأمه : سبحان الله محدثاً ؟ ! كأنه ينكر ذلك .

فأقبل علينا أبو جعفر فقال : أما والله إنّ ابن امّك بعد قد كان يعرف ذلك .

ص: ٢٥٦

١- (١) الخطايبه : وهم أصحاب أبى الخطاب محمّد بن أبى زينب الأسدى الأجدع .

قال : فلما قال ذلك سكت الرجل ، فقال : هي التي هلك فيها أبو الخطاب ، فلم يدر ما تأويل المحدث والنبي «(١)» .

وفى موثقه حمران قال : قال أبو جعفر عليه السلام :

« إن علياً عليه السلام كان محدثاً ، فخرجت إلى أصحابي فقلت : جئكم بعجيبه .

فقالوا : ما هي ؟

فقلت : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :

كان علياً محدثاً .

فقالوا : ما صنعت شيئاً ، ألا سألته من كان يحدثه ؟

فرجعت إليه فقلت : إنني حدثت أصحابي بما حدثتني فقالوا : ما صنعت شيئاً إلا سألته من كان يحدثه ؟

فقال لي :

يحدثه ملك .

قلت : نقول إنه نبي ؟

قال : فحرك يده - هكذا - :

أو كصاحب سليمان ، أو كصاحب موسى ، أو كذي القرنين ، أو ما بلغكم أنه قال : وفيكم مثله «(٢)» .

والحديث يشير إلى أن القصور في التمييز بين أنواع الارتباط بالغيب هو الذي يوقع الكثير في هذا الاضطراب ، والإمام الباقر عليه السلام يشير في ذيل الحديث إلى الرؤيه والبصيره القرآنيه الدالاه على تنوع وتعدد الارتباط بالغيب ، ففي سورة الكهف يشير القرآن إلى العلم اللدني للخضر عليه السلام ، الذي يؤهله إلى الارتباط بالغيب ، من دون أن يصفه بالنبوه ، وهكذا الحال في ذى القرنين ، وقد تحدثت سورة النمل عن صاحب سليمان (آصف بن برخيا) ، حيث لم تصفه بالنبوه ، وإن وصفت له الارتباط اللدني ، والعلم بجمله من الكتاب .

ص: ٢٥٧

١- (١) الكافي : ١ : ٢٧٠ ، الحديث ٢ .

٢- (٢) الكافي : ١ : ٢٧١ ، الحديث ٥ .

تمهيد :

إنّ من الأخطاء الشائعه فى فهم النزاع والمواجهه التى كانت بين سيده النساء عليها السلام وأبى بكر ، أنّ صورته النزاع هو اختلاف قائم على الاستحقاقات فى الشأن الشخصى والبعد الفردى ، لكنّه كان بداعى النزاع فى الشأن العامّ من الخلافه والولايه .

فصوره النزاع تختلف عن دواعيه وغاياته ، وأنّ احتجاجاتها منصبه على الحقّ الشخصى ، وإن كان دواعى النزاع والقطيعه هو إنكارها لعقد البيعه لأبى بكر ، واغتصاب الخلافه والولايه من علىّ وأهل البيت عليهم السلام .

إلّا أنّ الصحيح أنّ هذا التحليل هو فهم خاطيء لصوره النزاع ، وإن كان صحيحاً بلحاظ الدواعى والغايات .

فإنّ الصحيح والحقيقه فى صورته النزاع ومواد احتجاجاتها ليست بحال من الأحوال شأنًا شخصيًا ، بل قوالب تلك الاحتجاجات فى عمق الشأن العامّ ، وفى موقعيتها وموقعيه أهل البيت عليهم السلام فى الولايه العامه .

نعم ، الذى أوقعهم فى هذا الوهم هو أنّ موادّ احتجاجاتها كالأيرث والوصيه والنحلّه و . . . هى مستندات ووثائق صالحه للاحتجاج على الاستحقاقات الشخصيه فى الحقوق الفرديه ، كما تصلح مستندات ومصادر للإلزام والالتزام على الاستحقاقات فى الشأن العامّ ، فصلاحيّتها لكلا الجانبين هو الذى أوهم الانطباع

لدى الفهم السائد ، من كون قالب وصوره النزاع فى الحق الشخصى الجزئى .

بل إن الذى زاد من ترسيخ هذا الوهم فى الفهم هو خفاء صلاحية هذه المواد الاحتجاجية لإثبات وتقرير الاستحقاقات فى الشأن العام والخلافه والولاية .

ولأجل رفع هذا الخطأ فى الفهم ودفع هذا الوهم ، وبيان أن قوالب هذا الاحتجاج منصبه على استحقاقها عليها السلام وأهل البيت فى الشأن العام ، وحقوقهم فى الولاية العامه والخلافه ، فلا بد من الخوض فى بيان كفته تعدد مصادر ومستندات الشىء الواحد ، وأنه رغم وحدانيته فإن له وجوهاً متعدده للإثبات ، كما لا بد من بيان أن المستند الواحد والوثيقه القانونيه الواحده كما يتولد منها حق واستحقاق فى الشأن الشخصى ، كذلك يتولد منها حق واستحقاق فى دوائر عامه ، تترامى وتتعدد فى دائره سعتها ، رغم وحدانيته طبيعه هذا المستند والمصدر .

حيث إن جملة من قواعد المعرفه فى شتى المدارس المعرفيه ، وكذا قواعد القانون فى مختلف مدارسها ، لا يقتصر تأصيلها النظرى على مصدر واحد ، ولا يعتمد فى توثيقها على مستند واحد ، ولا يقتصر تخريج شرعيتها على وجه واحد ، بل يكون المنبع والمستند متعدداً .

والوجه فى ذلك هو الارتباط العضوى والنظمى بين القواعد المعرفيه المتعدده ، وكذلك فيما بين القواعد القانونيه .

فمثلاً القاعده الرياضيه الواحده من الهندسه ، أو الجبر ، أو الحساب ، قد تتولد من قواعد متعدده ، وذلك للارتباط البنىوى بين هذه القاعده وكل تلك القواعد على حدّه .

وعلى هذه الشاكلة القواعد العامه فى باب الحكمه ، فإنه تقام على كل قاعده جملة من البراهين والقواعد المولده لتلك القاعده .

وهذه الحقيقه المعرفيه ظاهره موجوده فى معارف الدين وقوانين الشريعه ،

فترى براهين التوحيد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفه قد بُيّنَت بدلائل ومناهج متعدده ، كبرهان النظم ، والفطره ، وبرهان الصّديقين ، والحدوث وغيرها .

كما هو الحال في مؤدّى المعاجز المختلفه على نبوّه الرسول صلى الله عليه و آله ، فإنّها أبواب ودلالات معرفيه متعدده ، تطلّ على هذه العقيدته .

ومن ذلك أيضاً سياده العليا المفوضه لأهل البيت عليهم السلام في الدين والشريعه ، سواء السياده القانونيه منها ، أو السياده السياسيه ، فإنّ الأدلّه عليها في القرآن والسّنّه النبويه قد تعدّدت وجوهها ، وتكثّرت القواعد الدينيه المعرفيه المقتضيه لذلك ، وأنّ موقعهم هو في ذروه السلطات العليا ، والنظاره والإشراف في نظام الدين ، وأشكال الدوله والحكومات ، ورأس الهرم في أنواع السلطات ، وقد تنوّعت الوجوه القرآنيه والبيانات في الحديث النبويّ ، لتأصيل هذه الحقيقه المعرفيه في الدين ، ومن ثمّ تكثّرت المناهج وطوائف النصوص الشريفه في ذلك .

وعلى ضوء ذلك ، فإنّ من الملاحم الكبرى المعرفيه في فقه هذه العقيدته ، والتي قامت سيده النّساء عليها السلام بهدايه الأُمّه إليها ، في معرفه حجّيتها وولايتها وحجّيه أهل البيت وولايتهم ، وهو عمده المستندات على ذلك ، وعلى استحقاقهم لمقامات النبيّ صلى الله عليه و آله وصلاحيّاته ، فإنّها عليها السلام قد احتجّت في اعتراضها ونكيرها على أبي بكر ، وعلى تقمّصه للخلافه ، ومواجهتها لتحالف السقيفه بستّ حُجج ومصادر لمرجعيتهم العُليا :

الأولى : احتجاجها بالنُّحلّه ، والمراد بها التنصيب والتفويض العمليّ في إداره الأموال العامّه في حياته صلى الله عليه و آله .

الثانيه : احتجاجها بالميراث الشامل للمقامات المعنويه ، فضلاً عن المادّيه .

الثالثه : احتجاجها بقوامه ذوى القُربى وقيمومتهم على الناس .

الرابعه : احتجاجها بعموم وصيّته رسول الله صلى الله عليه و آله لأهل بيته عليهم السلام ، الشامله للخلافه

الخامسه: احتجاجها بقاعده الخراج بالضمان ، أو من عليه العُرم فله العُرم .

السادسه: احتجاجها ببيعه الأنصار فى العقبه ، ونُصره رسول الله صلى الله عليه و آله وذريته لإقامه الدين .

عموم مصادر الالتزام والإلزام فى احتجاجها عليها السلام السياسى والدينى والتكوينى

إشاره

وللوقوف على عموميه ما احتجّت عليها السلام من الإرث ، والوصيه ، والنحلّه ، وقوه تماميه قابله لإثبات الاستحقاق فى الولايه العامه ، وأنّ الشأن العامّ هو قالب وصوره نزاعها مع أبى بكر ؛ فلا بدّ من بيان قاعده كبرى تتفقّ وتتولّد منها عدّه قواعد ، وهى عموم مصادر الالتزام القانونى ، وموجبات الاستحقاق للشؤون العامه ، على حدّو شمولها للشؤون الخاصه ، فإنّ هذه المصادر تنطبق على الشخصيه المعنويه الحقوقيه والتزاماتها فى البعد العامّ كما تنطبق على الشخصيه الحقيقيه والتزاماتها الخاصه .

بل إنّ تلك المصادر تعمّ الشؤون التكوينيّه ، فضلاً عن شمولها للشؤون والأمر الاعتباريه الأدييه .

ومصادر الالتزام هذه هى كلّ التزام من عقد أو إيقاع ، فجميع العقود كمصدر للالتزام والإلزام ولتولّد الاستحقاق ؛ لا تختصّ بالعقود المائيه ، بل هى تشمل العقود السياسيه أيضاً ، كما تشمل كلّ عقد بين الحاكم والمحكوم فى المسؤوليات العامه ، بل تشمل كلّ عقد بين الخالق والمخلوق فى المسؤوليات الدينيه .

إذن فالالتزام العقدىّ شامل للعقد المالى ، والعقد السياسى ، والعقد الدينى ، وكذلك الحال فى الالتزام فى الإيقاعات ، فهو لا يختصّ بالعقد أو الإيقاع فى الشؤون

الشخصيّه ، بل يشمل الشؤون العامه ، والشؤون الدينيه ، والأمور التكوينيّه .

وعلى ضوء هذه القاعده من عموميّه وشموليّه مصدرية الالتزام فى العقود والإيقاعات للمجالات الأربعة ، تظهر وتنظم القراءه لحقيقه احتجاجاتها ، الذى نظمناها فى ستّ قواعد ، وأنّ كلّ واحد من هذه الأمور السّته قاعده معرفيه اعتقاديّه ، وهى مستندات لسيادتهم العُليا :

الأولى : قاعده النّخله :

والمراد بها التفويض العملى (فى إداره الأموال العامه) من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله فى حياته لفاطمه وعليّ ولأئمه أهل البيت عليهم السلام من بعدهم ، وهو من شؤون السيادة والسلطه العُليا فى الأئمه ، كالولاية فى إداره وتدبير أموال الفىء والأنفال ، كما هو مفاد قوله تعالى : **وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (١)** ، وقوله تعالى : **فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ (٢)** .

حيث إنّ هاتين الآيتين نزلتا بعدما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بتفويض هذه الولاية تحت ظلّ إشرافه صلى الله عليه وآله فى سورة الحشر : **مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى (٣)** .

ومثله قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى (٤)** .

و هذا النّخل والنّخله لذى القربى لا يختصّ بالشؤون الشخصيّه والأموال والحقوق الخاصه ، بل إنّ مورده الولاية السياسيّه على الأموال والثروات العامه ،

ص: ٢٤٣

١- (١) الإسراء : ٢٦ .

٢- (٢) الروم : ٣٨ .

٣- (٣) الحشر : ٧ .

٤- (٤) النحل : ٩٠ .

بل يعمّ الولاية الدينيّة ، كولاية التشريع فى الأموال ، ونظام التعاطى القائم فيها بعد عموم وسعه وشمول الدين لسبيل المعيشه وأبوابها .

ومِمّا يقَرّر شمول النّحله للعطيّه التكوينيّه قوله تعالى : وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ (١) ، وقوله تعالى : أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٢) .

وعليه فالعطيّه والعطاء والنّحله تختلف مواردّها بحسب موقعيه المعطى والنّاحل ، فإنّ ذا الرئاسه والزعامه إذا نحل شخصاً بحسب ما له من الصلاحيات والموقعيه ، كما هو الحال فى مورد فذك ، فإنّها من الفىء الخالص لرسول الله صلى الله عليه وآله فى إدارته وولايته ، فالتفويض منه صلى الله عليه وآله فى الفىء هو عباره عن نحلّه فى الولاية فى شعبه من شعبها .

وقد أشارت الصّدّيقه الكبرى عليها السلام إلى هذه القاعده بقولها لأبى بكر فى احتجاجها :

« إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْطَانِي فَدَكًّا . . . » (٣) ، وفى بعض المصادر أنها عليها السلام قالت :

« إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَحَلْنِيهَا » (٤) .

الثانيه : قاعده شموليّة الميراث للولاية :

فإنّ الإرث والوراثه شامل للميراث فى المقامات المعنويه كما يعمّ الميراث المادى ، فالوارث يرث من المورث شؤونه وصلاحياته الشخصيه الحقيقيه ،

ص: ٢٤٤

١- (١) البقره : ٢٥١ .

٢- (٢) النساء : ٥٤ .

٣- (٣) تاريخ المدينه المنوره لابن شُبّه : ١ : ١٩٩ . وفاء الوفا للسمهودى : ٣ : ١٠٠٠ . السقيفه وفدك للجوهري : ٧ . شرح نهج

البلاغه لابن أبى الحديد : ١٦ : ٢١٩ . الصواعق المحرقة : ٧٩ . السيره الحلبيه للحلبى : ٣ : ٤٨٧ . فتوح البلدان للبلاذرى : ٤٤ .

٤- (٤) وفاء الوفا للسمهودى : ٣ : ٩٩٩ .

كما يرث شؤونه وصلاحياته الشخصيّه الحقيقيه ، والاعتباريه القانونيه ، بل يرث جمله من مكوّناته التكوينيّه ، وهذا مجال ثالث ، وقد بسطنا القول فى عموميه قاعده الإرث فى المقالات السابقه ، وبينّا أنّ الصحيح هو عموميه الإرث لكلّ ذلك ، ولا اختصاص له بالإرث المادّي ، كما يوهمه ظاهر كلمات متكلّموا الإماميه ومفسّروهم ، ولا اختصاص له بالإرث المعنويّ ، أو التكوينيّ ، كما يصرّ على ذلك متكلّموا أهل السنّه ومفسّروهم ، بل إنّ مفادها العموم والشمول كما هو مفاد قوله تعالى : النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ (١) . وكذا قوله تعالى : وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٢) .

وقوله تعالى على لسان زكريّا عليه السلام : فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٣) . وقد تعرّضنا لبيان مفاد هذه الآيات فيما مضى .

وقد أشارت الزهراء عليها السلام إلى هذه القاعدة بقولها :

« وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَنْ لَأِثْرَ لَنَا ، أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْعُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤

. أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنْتِي ابْنَتُهُ . أَأَغْلَبَ عَلَى إِرْثِي ؟

يَابْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ،

ص: ٢٤٥

١- (١) الأحزاب : ٦ .

٢- (٢) النمل : ١٦ .

٣- (٣) مريم : ٥ - ٦ .

أَفْعَلَى عَمَدٍ تَرْكُتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ : وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (١).

وَقَالَ فِيمَا افْتَضَّ مِنْ خَبْرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِذْ قَالَ : فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٢).

وَقَالَ : وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ (٣).

وَقَالَ : يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ (٤).

وَقَالَ : إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٥).

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَاحِظُوهُ لِي ، وَلَا إِرْثَ مِنْ أَبِي ، وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا .

أَفَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيِهِ أَخْرَجَ أَبِي مِنْهَا ؟ أَمْ تَقُولُونَ : إِنَّا أَهْلَ مِلَّتَيْنِ لَأَيْتَوَارْتَانِ ؟ أَوْلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ؟ أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي ؟ «(٦).

الثالثة : قاعده قوامه ذوى القربى على الأئمه :

أى المنصب المجعول لهم من قبل الله تعالى لقيمومتهم على الناس ، حيث جعل الفىء وهو كل ثروات الأرض تحت ولايتهم وتديبرهم ، كامتداد لولايه الله تعالى

ص: ٢٦٦

١- (١) النمل : ١٦ .

٢- (٢) مريم : ٥ و ٦ .

٣- (٣) الأنفال : ٧٥ . الأحزاب : ٦ .

٤- (٤) النساء : ١١ .

٥- (٥) البقره : ١٨٠ .

٦- (٦) بلاغات النساء للبغدادى . السقيفه وفدك للجوهري : ١٤٢ . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد : ١٦ : ٢٥٠ .

ورسوله صلى الله عليه وآله ، كما مرّ ذلك في الآيه السابعه من سوره الحشر ، وعُلِّل ذلك ببسط العدل بين الناس ، بعد أن ذكر تعالى أنّ الطبقات المحرومه مصرف للثروات ، ففي ذيل الآيه : ...وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ أَي أَنَّ العداله بين أهل الأرض لا ينهض بإقامتها إلّاذوى القربى ، لتوفّر الكفاءه والمؤهلات فيهم ، سواء من جهه المؤهلات العلميه من الكفاءه ، أو من جهه المؤهلات العمليه من الأمانه والاستقامه .

وهذه في الحقيقه إحدى الملاحم التي تتبأ بها القرآن منذ أربعه عشر قرناً ، ويشير إليها بعينها قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ (١) ، حيث ربط الله تعالى بين العدل وإيتاء ذى القربى .

والتعبير هنا بإيتاء ذى القربى فعلاً ومتعلّقاً هو الذى مرّ في سورتي الإسراء والروم (٢) ، حيث أريد بهما قُربى الرسول صلى الله عليه وآله ، لاسيّما بعد بيان القرآن أنّ أعظم من أمر بوصله كفريضه عظمى على كافه المسلمين هم قُربى الرسول صلى الله عليه وآله ، وذلك في قوله تعالى : قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ (٣) .

وكذا يشير إلى ولايتهم قوله تعالى : وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ (٤) .

ومن المعلوم أنّ الخمس ضريبه ماليه عامّه خطيره .

ولا يخفى الإيعاز والإشاره الواضحه في الترتيب المذكور (لله ، وللرسول ، ولذى القربى) ، وفي الخمس (لله ، وللرسول ، ولذى القربى) ، أى أنّ هذا الاقتران مع

ص: ٢٤٧

١- (١) النحل : ٩٠ .

٢- (٢) أى قوله تعالى : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) و (فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) .

٣- (٣) الشورى : ٢٣ .

٤- (٤) الأنفال : ٤١ .

اللَّهُ ورسوله لبيان أن ولايتهم هي خلافه واستخلاف لولايه الله تعالى ولولايه رسوله صلى الله عليه وآله ، على نسق ما في قوله تعالى : أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فهذا القرن والاقتران فيه إشاره واضحه إلى سلسله مراتب الولاية ، مبدأ ومراتباً .

وقد أشارت الزهراء عليها السلام إلى ذلك في خطبتها بقولها :

« وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَاحِظَوَهُ لِي ، . . . وَلَا رَحِمَ بَيْنَنَا . »

وقولها :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، اَعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ ، . . . »

فَإِنْ تَعَزَّوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ ، وَلِنِعْمِ الْمَعْرِزِيُّ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . . . » .

وقولها :

« وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . »

وقولها :

« أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ » (١) .

الرابعة : قاعده شمولية الوصية لكل صلاحيات الموصى ، واستقلال الوصية فيها

حيث إنَّها عليها السلام احتجَّت بعموم وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لأهل بيته عليهم السلام ، الشاملة والمتعلِّقه بما يمتلكه صلى الله عليه وآله من ملكيه تدبير أمور الأمة ، وإقامه الدين الحنيف ورعايته ، أى للخلافه والإمامه ، فوصيته توليه لأهل بيته على مقاليد الدين والأئمة .

ولنقدّم نماذج من استعمال الوصية فى الأمور العامه ، ثم نشير إلى ألفاظ خطبه احتجاجها :

ص: ٢٤٨

١- (١) السقيفه وفدك للجوهري : ١٤٢ . شرح النهج لابن أبى الحديد : ١٦ : ٢٥٠ . بلاغات النساء لابن طيفور ، وغيرهم .

أما نماذج شمول الوصية للأمور العامه فكقوله تعالى : شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (١) ، فجعل متعلق الوصية هنا عموم ولاية الدين وإقامته ، فالموصى هنا الله عز وجل ، والوصى هم الأنبياء ، ومتعلق الوصية هو كل أبواب الدين ، وما يطبع به العبيد ربهم .

وقد أشار الفقهاء فى باب الوصية إلى أن الوصية تنقسم إلى تمليكيه وعهديه ، فالتمليكيه هى ما تتعلق بالأموال التى تقبل ملكيتها الانتقال ، وعهديه وهى التى تتعلق بما للموصى من ولايه وقيمومه على بعض أموره ، كأولاده وغير ذلك من الموارد التى له نظاره وولايه تدبير وإشراف .

ومن ثم فإن ماهية الوصية والإيصاء بلحاظ متعلقها قد تأخذ طابع العهد ، أو طابع التولية ، أو الاستخلاف ، فيما إذا كان موضوعها فى الولاية السياسيه العامه ، أو الدينيه .

ونظير ذلك قوله تعالى : وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (٢) .

وغيرها من الموارد التى جعل فيها متعلق الوصية هو الدين ، لا خصوص الشؤون الشخصيه الفرديه ، وذلك لكون حفظ الدين الحنيف من مهام ومسؤوليات الرسل وصلاحياتهم ، فيعهدون بهذه المسؤوليه والولايه لمن يخلفهم من بعدهم من الأوصياء ، أنبياءاً كانوا أو أسباطاً .

وقد أشارت الصديقه الكبرى عليها السلام إلى هذه القاعده والاحتجاج بها فى قولها :

« فوسمتم غير إبلکم ووردتم غير مشربکم هذا والعهد قريب » .

ص: ٢٦٩

١- (١) الشورى : ١٣ .

٢- (٢) البقره : ١٣٢ .

وقولها عليها السلام للأَنْصار :

« ما هذه الغميزه فى حَقِّى والسَّنَه عن ظلامتى ؟

أما كان رسول الله يقول : المرء يحفظ فى ولده . »

الخامسه : قاعده الخراج بالضمان ، أو من عليه الغرم فله الغنم

وهو مطابق لقاعده أن مالك العمل يملك نتاجه ، ويملك عوضه ، سواء على صعيد المال الفردى ، كما فى الأجاره فى الأمور الخاصه ، أو نتائج الصنائع والحرف ، والتي تكون ذات قيم باهضه وأثمان عاليه ، أو على صعيد الأمور السياسيه العامه ، كما فى مؤسسى الدول والأنظمه ، أو على صعيد الأمور الدينيه ، كالرؤاد فى بناء صيرح الدين ، كالأنبياء ، والرسل ، وذرياتهم الوارثين لمقاماتهم .

ويشير إلى مفاد هذه القاعده قوله تعالى : قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبى ، فجعل تعالى أجر وعوض جهود النبى صلى الله عليه وآله فى إبلاغ دين الله تعالى مودّه أهل بيته عليهم السلام ، بل حُصرت المودّه والولايه بهم ، مع أن نفع هذا الأجر عائد للمسلمين أنفسهم ، حيث قال : قُلْ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ (١) ، ويبيّن أن هذا الأجر الذى نفعه لهم كعوض لجهود وزحمات النبى صلى الله عليه وآله ، من مودّتهم ، وولايّتهم ، هى سبيل إليه تعالى ، حيث قال : قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢) ، فهم الولاه والهداه إلى سبيله تعالى ، فضيله ، ومنقبه ، ومنصباً ، جعله الله تعالى لهم عوضاً عمّا أبلوا من جهد وجهاد فى إقامه الدين .

ويشير إلى هذه المودّه والولايه لأهل البيت عليهم السلام - الذين هم من ذريه النبى إبراهيم الذى أسكنها بوادى مكّه - قول إبراهيم عليه السلام : رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتى

ص : ٢٧٠

١- (١) سبأ : ٤٧ .

٢- (٢) الفرقان : ٥٧ .

بِعَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مَنِ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١) ، فتفريع المودّة والولاية في ذريته مترتب على ما كابدته تلك الذرية من جهود في إقامة الدين عند البيت الحرام ، كإشعاع منه إلى سائر أرجاء الأرض ، وهو الذي يشير إليه تعالى في قوله : وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ (٢) .

وإلى ذلك أشارت الصديقه الكبرى في خطبتها عليها السلام :

« فَأَنَارَ اللَّهُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلْمَهَا ، وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا ، وَجَلَى عَنِ الْأَبْصَارِ غَمَمَهَا ، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ ، فَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الْغَوَايَةِ ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ الْعَمَايَةِ ، ... »

فَأَنْقَذَكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعِيدَ اللَّتِي وَالَّتِي ، وَبَعِيدَ أَنْ مَنِي بِهِمُ الرِّجَالِ ، وَذُؤْبَانَ الْعَرَبِ ، وَمَرَدَهُ أَهْلَ الْكِتَابِ . كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ، أَوْ نَجَّمَ قَوْلَ الشَّيْطَانِ ، أَوْ فَعَرَتْ فَاغْرَهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهْوَاتِهَا ، فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاخَهَا بِأَحْمَصِهِ ، وَيُخِمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، مُشْمَرًا نَاصِحًا ، مُجِدًّا كَادِحًا ، وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيهِ مِنَ الْعَيْشِ ، وَادْعُونَ فَاكِهِونَ آمِنُونَ ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرِ ، وَتَتَوَكَّفُونَ الْأَخْبَارَ ،

وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النَّزَالِ ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ الْقِتَالِ .

فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسِيكَةُ النَّفَاقِ ، ... »

وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرُ ، ابْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ... » .

وبعبارة اخرى : إنّ مضمون احتجاجها هو قاعده الخراج بالضممان ، أو من عليه الغرم فله الغنم .

ص: ٢٧١

١- (١) إبراهيم : ٣٧ .

٢- (٢) العنكبوت : ٢٧ .

و هذا نفسه مضمون قوله تعالى : قُلْ لَا أُشْرِكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ حَيْثُ إِنَّ مَفَادَهَا مَبْنَىٰ عَلَىٰ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ أَيْضًا ، فَإِنَّهُ فِي قِبَالِ جِهودِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي نَشْرِ الدِّينِ كَانَ أَجْرُ تِلْكَ الْجِهودِ مَوَدَّةَ أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هَذَا الْأَجْرَ رَاجِعٌ لِلْأُمَّةِ نَفْسِهَا .

أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى : وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ (١) حَيْثُ تَأَهَّلَ دَاوُدُ لِلْإِمَامَةِ وَالْعِلْمَ اللَّدُنِّيَّ خَلْفًا عَنِ طَالُوتَ حِينَما فَدَىٰ نَفْسَهُ فِي مَبَارَزِهِ رَأْسَ مَعْسَكَرِ الشَّرِّ وَهُوَ جَالُوتَ وَقَتْلَهُ .

وَلَا يَخْفَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ لَا يَخْتَصُّ إِجْرَاؤُهَا بِالْأُمُورِ الْمَالِيَةِ وَفِي الشُّؤُنِ الْفَرْدِيَّةِ ، بَلْ هِيَ مُطْلَقٌ مِلْكُ النَّتِيجَةِ فِي قِبَالِ الْعَمَلِ الَّذِي وَوَلَّمَدَ تِلْكَ النَّتِيجَةَ ، سِوَاءَ كَانَتْ بَيْتُهُ ذَلِكَ الْعَمَلُ فِي الشُّؤُنِ الْفَرْدِيَّةِ كَمَا فِي الْأَجِيرِ الْخَاصِّ فِي مِرَاقِقِ الْمَعِيشَةِ أَوْ الصَّنَاعَةِ وَالْحِرْفِ ، أَوْ كَانَتْ بَيْتُهُ فِي الشُّؤُنِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَامَّةِ ، كَالدُّورِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ فِي بِنَاءِ النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ ، فَإِنَّ الْمُؤَسَّسِينَ لِذَلِكَ النِّظَامِ يَشْغَلُونَ صِلَاحِيَّاتٍ وَنِفُودًا خَاصًّا فِي السُّلْطَةِ ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي أَعْرَافِ الْعُقُلَاءِ فِي تَغْيِيرَاتِ الْأَنْظُمَةِ ، أَوْ فِي بَيْتِهِ الدِّيْنِيَّةِ وَبِنَاءِ صِرْحِ الدِّينِ ، كَمَا يَشِيرُ إِلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَبَّنَا إِنِّي أَشِيكُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ (٢) حَيْثُ بَيَّنَّتِ الْآيَةُ أَنَّ تَحْمِلَ إِبْرَاهِيمَ وَذُرِّيَّتِهِ لِتَأْسِيسِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي الْأَرْضِ الْقَفْرَاءِ غَيْرِ الْمَأْهُولَةِ لِأَحْيَاءِ وَعِمَارِهِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِقَامِهِ الدِّينَ عِنْدَهُ ، هُوَ الَّذِي أَهْلَهُمْ لِاسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ الْمَوْقِعِ الدِّيْنِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي يَسْتَحَقُّوهُ ، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالرِّيَاذَةُ فِي إِقَامِهِ أَرْكَانِ الدِّينِ وَتَشْيِيدِهِ .

ص: ٢٧٢

١- (١) البقره : ٢٥١ .

٢- (٢) إبراهيم : ٣٧ .

السادسه : البيعه على نصره رسول الله وذريته لإقامه الدين

احتجّت الزهراء عليها السلام فى خطبتها ببيعتى الأنصار فى العقبة لنصره رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته فى إقامه الدين ، حيث ورد فى متن البيعه وشرط رسول الله صلى الله عليه وآله فيها : « على أن يمنعوا رسول الله وأهل بيته وذريته ما يمنعون منه أنفسهم وذرايهم »(١).

وقد أشار إلى مفاد هذه البيعه أيضاً الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى حادثه بنى الحسن ، بعد اعتقالهم فى المدينه المنوره أيام الحكم العباسي ، حيث روى الحسين ابن زيد ، قال : « إننى لواقف بين القبر والمنبر ، إذ رأيت بنى الحسن يُخرج بهم من دار مروان مع أبى الأزهر ، يُراد بهم الربذه ، فأرسل إليّ جعفر بن محمد ، فقال :

ما وراءك ؟

قلت : رأيت بنى الحسن يُخرج بهم فى محامل .

فقال : إجلس ، فجلست .

قال : فدعا غلاماً له ، ثم دعا ربّه كثيراً ، ثم قال لغلامه :

إذهب فإذا حُمِلوا فَاتِ فأخبرنى .

قال : فأتاه الرسول ، فقال : قد أقبل بهم .

فقام جعفر عليه السلام فوقف وراء ستر شعر أبيض من ورائه ، فطلع بعبد الله بن الحسن ، وإبراهيم بن الحسن ، وجميع أهله ، كل واحد منهم معاد لهم مسود ، فلما نظر إليهم جعفر بن محمد عليه السلام ؛ هملت عيناه ، حتّى جرت دموعه على لحيته ، فقال :

يا أبا عبد الله ، و الله ، لا تحفظ لله حرمه بعد هذا ، و الله ما وفّت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله صلى الله عليه وآله بما أعطوه من البيعه على العقبة .

ص: ٢٧٣

١- (١) مقاتل الطالبيين : ١٤٩ . السقيفه وفدك للجوهري : ٧١ . مجمع الزوائد للهيثمي : ٦ : ٤٩ . المعجم الأوسط للطبراني : ٢ :

ثم قال جعفر :

حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ بن أبي طالب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال له : خذ عليهم البيعه بالعقبه .

فقال : كيف آخذ عليهم ؟

قال :

خذ عليهم يبايعون الله ورسوله . . . عليّ أن تمنعوا رسول الله وذريته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذرايكم .

قال : فو الله ما وفوا له حتّى خرج من بين أظهرهم ، ثمّ لا أحد يمنع يد لامس ، اللهمّ فاشدد وطأتك على الأنصار [\(١\)](#) .

وفى مسند زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام قال :

« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله ،

وكنّا نبايعه على السمع والطاعة فى المكره ، والمنشر ، وفى اليسر والعسر ،

وفى الإثره علينا ، و أن نقيم ألسنتنا بالعدل ، ولا تأخذنا فى الله لومه لائم ، فلمّا كثر الإسلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله

لعليّ عليه السلام : ألحق فيها : و أن تمنعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته ممّا تمنعون منه أنفسكم وذرايكم .

قال : فوضعتها و الله على رقاب القوم ، فوفى بها من وفى ، وهلك بها من هلك [\(٢\)](#) .

أقول : ما رواه فى « مقاتل الطالبين » عن ابن شبة ولعله عن كتابه « تاريخ المدينة » ، عن ابن زباله ، بطريقه عن الصادق عليه

السلام ، مفاده أنّ هذا العهد قد أخذ فى بيعه العقبه .

وذكر الهيثمى [\(٣\)](#) أنّ الطبرانى فى « المعجم الأوسط » [\(٤\)](#) روى من طريق عبد الله

ص: ٢٧٤

١- (١) مقاتل الطالبين : ١٤٩ ، نقلًا عن تاريخ المدينة لابن شبة ، عن ابن زباله .

٢- (٢) مسند زيد بن عليّ : ٤٣٠ ، ورواه الجوهريّ فى السقيفة وفدك : ٧١ بسنده إلى زيد بن عليّ ز عن آبائه ، أيضاً .

٣- (٣) مجمع الزوائد : ٦ : ٤٩ .

٤- (٤) المعجم الأوسط : ٢ : ٢٠٧ .

ابن مروان وهو ضعيف وقد وثق ، بطريقه عن الحسين بن علي ، قال : « جاءت الأنصار تباع رسول الله صلى الله عليه وآله علي العقبة ، فقال :

قم يا علي فبايعهم .

فقال :

علي ما أبايعهم يا رسول الله ؟

قال :

علي أن يطاع الله ولا يُعصى ، وعلي أن تمنعوا رسول الله صلى الله عليه وآله ،

وأهل بيته ،

وذريته ، مما تمنعون منه أنفسكم وذرايكم . » .

وهذه الرواية صريحة في أن هذا العهد قد أخذ علي الأنصار في بيعه العقبة .

إذن فبيعه الرسول صلى الله عليه وآله مع الأنصار في بيعه العقبة ، وكذا بيعته صلى الله عليه وآله مع سائر المسلمين ، كان قد أخذ فيها جملة من البنود ، من الشهادتين ، ونصره رسول الله صلى الله عليه وآله وذريته ، وغيرها .

وهذا بنفسه مفاد ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، فهو التزام سياسى وعسكرى ، وهو من المظاهر الخطيرة الهامة للولاية .

وقد أشارت الصديقه الكبرى عليها السلام في خطبتها إلى هذه القاعده ، حيث استنهضت الأنصار عسكرياً للوقوف أمام تواطؤ السقيفه ، و أخذت تعبئهم بقولها :

« يَا مَعْشَرَ النَّقِيبِ ، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ ، وَأَنْصَارَ الْإِسْلَامِ ، مَا هَذِهِ الْعَمِيزَةُ فِي حَقِّي ، وَالسُّنَّةُ عَنْ ظُلَامَتِي ؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَبِي يَقُولُ : « الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ ؟ » .

فهى تشير فى هذا الكلام إلى مضمون بيعه العقبة .

ونظير هذا قولها عليها السلام :

« أَيُّهَا بَنِي قَيْلِهِ ، أَهْضَمُ تُرَاثِ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ ،

وَمُنْتَدَى وَمَجْمَعٍ » .

وأما كلامها في حثهم على المواجهه المسلحه مع جماعه السقيفه فقولها عليها السلام للأنصار أيضاً :

« سُرِعَانَ مَيَا أَخِيدْتُمْ ، وَعَجَلَمَانَ ذَا إِهْرَائِلَ ، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أَحَاوِلُ ، وَقُوَّةٌ عَلَيَّ مَا أَطْلُبُ وَأَزَاوِلُ ؟ أَتَقُولُونَ : مَاتَ مُحَمَّدٌ ؟ فَخَطَبْتُ جَلِيلٌ . . . وَ مَا مُحَمَّدٌ »

ص: ٢٧٥

إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ

... تَلْبَسِيكُمُ الدَّعْوَةَ، وَتَسْمَلِكُمُ الْخُبْرَةَ، وَأَنْتُمْ ذُوو الْعِيدِ وَالْعِيدُ، وَالْأَذَاهُ وَالْقُوَّةُ، وَعِنْدَكُمُ السَّلَاحُ وَالْجَنَّةُ، تُوَفِّيَكُمُ الدَّعْوَةَ فَلَا تُجِيبُونَ، وَتَأْتِيَكُمُ الصَّرْحَةُ فَلَا تُعِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ» .

وهذه الألفاظ في خطبتها صريحة في دعوتها لاستنهاض الأنصار عسكرياً .

وقد ذكر ابن أبي الحديد: « أنه سأل أستاذه النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى ابن أبي زيد البصرى « قلت : فما مقاله الأنصار ؟

قال : هتفوا بذكر على فخاف - أي أبا بكر - من اضطراب الأمر عليهم فنهاهم »(1) .

وعادت الزهراء عليها السلام تذكر الأنصار بالعهد وبيعه العقبة :

« وَأَنْتُمْ ... »

وَالنُّجْبَةُ الَّتِي انْتَجَبْتَ، وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . فَاتَلَّمْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ،

وَنَاطَحْتُمُ الْمَمَمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلَمَّا نَبْرُحْ أَوْ تَبْرُحُونَ، نَأْمُرْكُمْ فَتَأْتِمُونَ، حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ حَلْبُ الْأَيَّامِ، وَخَضَعَتْ ثَعْرَةُ الشُّرُوكِ، وَسَكَنْتْ فَوْرَةُ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةَ الْهَرَجِ، وَاسْتَوَسَقَ نِظَامُ الدِّينِ، فَأَنَّى حِرْزْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيْمَانِ؟ بُوْسًا لِقَوْمٍ نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ» .

فترى الإشارة الصريحة إلى العهد والأيمان الذى كانوا قد أعطوه لرسول الله صلى الله عليه و آله .

ثم حثتهم على الإقدام ومكافحه ومقاتله أصحاب السقيفة، بقولها في خطبتها نفسها مع الأنصار :

« ... أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أَلَا وَقَدْ

ص: ٢٧٦

أرى أن قد أخذتكم إلى الخفض، وأبعدتكم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتكم بالدعة، ونجوتكم من الضيق بالسعة، فمَجَّتُم ما وعيتم، ودسَعْتُم الذي تسوَعْتُم، فإن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد) .

المقاله الخامسة : مقام ولايتها وافتراض طاعتها على جميع الخلائق حتى الأنبياء

اشاره

قد روى ابن جرير الطبرى فى « دلائل الإمامه » بسند معتبر إلى أبى بصير ، قال :

سألت أبا جعفر محمّد بن علىّ عن مصحف فاطمه فقال عليه السلام :

« أنزل عليها بعد موت أبيها . . . »

ولقد كانت عليها السلام مفروضه الطاعه على جميع من خلق الله من الجنّ والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكه . . . »
الحديث (١).

وبيان هذا المقام يمكن تصويره وبيانه بعده وجوه قرآنيه وروائيه :

الوجه الأول : بمعرفه الأنوار الخمسه استخلف آدم

اشاره

من سوره البقره الآيات التى أشارت إلى استخلاف آدم ، بعد أن علّم علم الأسماء الجامع ، وتأهّل بذلك لمنصب الخلافة ، وصار علمه بها شاهداً على أهليته فى قبال تساؤل الملائكه عن عدم أهليته ، وتبيان الآيات أنّ تلك الأسماء أو المسميات حيه شاعره عاقله ، وموجوده فى غيب السماوات و الأرض وملكوتهما ، أى فى ملكوت غائب عن إدراك أهل السماوات و الأرض .

ومن ذلك يظهر أنّ استحقاق آدم للخلافة كان بشرف تلك الأسماء ، حيث قال تعالى : **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا**

ص: ٢٧٩

مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا وَيَسْفِكِ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نَسَبِحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ* وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١) ، حيث إن الضمير الراجع إلى الأسماء أو المسميات قد عبّر عنه بضمير الحيّ الشاعر العاقل ، لا الجامد غير العاقل ، في ثلاث مرات في هذه الآيات .

وكذلك اسم الإشارة حيث اشير إليها ب « هؤلاء » وهو للجمع الحيّ الشاعر العاقل .

فبيّن تعالى أهليته آدم واستحقاقه للخلافة ، بفضل وشرف علمه بهذه الأسماء والموجودات الحيّة الشعرة ، التي في غيب السماوات و الأرض .

فمن الواضح أنّ هذه الموجودات هي أعلى مقاماً من آدم نفسه ، وبشرفها قد شرف آدم وبفضلها قد فضل على الملائكة ، ومن ثمّ استحقّ طاعه وانقياد الملائكة له .

من هنا فهذه الأسماء تستحقّ على آدم طاعته لها ، وقد روى من نصوص الفريقين أنّ من تلك الأسماء سيّد الأنبياء

فقد روى الحاكم في « المستدرک » عن عمر قال : « . . . قال رسول الله صلى الله عليه و آله :

لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ : يَا رَبِّ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي .

فقال الله : يا آدم ، وكيف عرفت محمد ولم أخلقه .

ص: ٢٨٠

قال : يا ربّ ، لأنّك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ،

فرايت على قوائم العرش مكتوباً : لا- إله إلّا الله محمّد رسول الله ، فعلمت أنّك لم تضيف إليّ اسمك إلّا أحبّ الخلق إليك .
فقال : صدقت يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ ادعني بحقه فقد غفرتُ لك ، ولولا محمّد ما خلقتك «(١)» .

و أخرج الحاكم الحسكاني في « شواهد التنزيل » عن ابن عباس قال : « سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه .

قال :

سأل بحقّ محمّد وعلى وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبّت عليّ ، فتاب عليه «(٢)» .

و أخرج السيوطي في « الدرّ المنثور » عن عليّ عليه السلام أنّه ذكر أنّ الله عزّ وجلّ علّم آدم الكلمات التي تاب بها عليه وهي :

« اللهمّ إنّني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد سبحانك لا إله إلّا أنت عملت سوءاً ، وظلمت نفسي ، فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرحيم .

اللهمّ إنّني أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد سبحانك يا لا- إله إلّا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي وتب عليّ إنّك أنت التّوّاب الرحيم ، فهؤلاء الكلمات التي تلقّى آدم «(٣)» .

لا سيّما وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو سيّد الخلائق من الجنّ والإنس والملائكة والأرواح والأنوار ، وكلّ ما خلق الله ، كما تدلّ على ذلك الآيات الكثيرة ، ولا ريب أن يكون هو صلى الله عليه وآله أبرز هذه الأسماء والمسمّيات ، لا بيدنه الشريف وروحه ونفسه الجزئية المتعلّقه ببدنه ، بل بنوره الذي هو أوّل ما خلق الله ، كما ورد عنه صلى الله عليه وآله

: « أوّل ما خلق

ص: ٢٨١

١- (١) المستدرک للحاکم النيسابوری : ٢ : ٦١٥ .

٢- (٢) شواهد التنزيل للحاکم الحسکاني : ١ : ١٠١ .

٣- (٣) الدرّ المنثور للسيوطي : ١ : ٦٠ .

اللَّهُ نور نبيك يا جابر» (١).

وورد عنه صلى الله عليه وآله :

« كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» (٢).

ومن ثمّ تبين أنّ هذه الموجودات الحيّة الشاعره العاقله هي من عالم الأنوار ، والذي هو غيب وملكوت باطن خفيّ عن عالم السماوات السبع كلّها ، ولأجل ذلك لم تكن الملائكه التي هي أهل السماوات على علم ومعرفه بها .

وصريح هذه الآيات أنّ هذه الأنوار هي أنوار جماعه وليست مقتصره على نور سيّد الأنبياء .

سوره النور وأنوار أصحاب الكساء :

وقد أفصح في سوره النور عن كون تعداد هذه الأنوار وأركانها خمسه ، يتعاقب من بعدها أنوار متتابعه ، و ذلك في قوله تعالى :
اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ

ص: ٢٨٢

١- (١) فقد ذكر صاحب العباقت في الجزء ٤ و ٥ أنّهم رووا أنّه صلى الله عليه وآله قال : « كنت أنا وعليّ بن أبي طالب نوراً بين يدي الله قبل أن يُخلق آدم بأربعة آلاف سنه ، ولما خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء عليّ بن أبي طالب . . . » ، وذكر أسماء رواه هذا الحديث من الصحابه وعدّتهم ثمانيه ، ومن التابعين وعدّتهم ثمانيه ، ومن العلماء والمحدّثين والحفاظ الذين رووا هذا الحديث في مجاميعهم وعدّتهم واحد وأربعون بطرقهم المختلفه ، ومنهم أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابه » ، وابنه عبد الله ، وابن مردويه ، وأبو نعيم الأصبهاني ، وابن عبد البرّ القرطبي ، وابن المغازلي ، والخطيب الخوارزمي المكي ، وابن عساكر الدمشقي ، والمحبّ الطبري ، وابن حجر العسقلاني ، وغيرهم .

٢- (٢) كشف الخفاء لإسماعيل بن محمّد العجلوني الجرحي : ١ : ٣١١ ، وقريب منه ما رواه ابن الجوزي في تذكره الخواص :

نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ تَرْفَعُوا وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١).

حيث إن هذه الآيات تشير إلى الخلقه النوريه ، وأن بدء خلقته تعالى النوريه للأشياء هي في خمسه أنوار ، حيث إن التشبيه في الآيات قد وقع بخمس أمور :

المشكاة ، والمصباح ، والزجاجه ، والشجره ، والزيت ، ثم تتابع الآيات نُورٌ عَلَى نُورٍ أي نور على إثر نور ، أي هناك أنوار متعاقبه على إثر بعضها البعض .

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل : « اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاهِ فَاطِمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهَا مِصْبَاحُ الْحَسَنِ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ الْحَسَنِ ، الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، زَيْتُونَهُ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ لَا يَهُودِيَّةٍ ، وَلَا نَصْرَانِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ يَكَادُ الْعِلْمُ يَتَفَجَّرُ مِنْهَا ، وَكَوْنَهُ تَمَسَّسَهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ إِمَامٌ مِنْ بَعْدِ إِمَامٍ ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ يَهْدِي اللَّهُ لِلْأئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ... » الحديث (٢).

وروى قريب منه ابن المغازلي في كتابه « مناقب علي بن أبي طالب » (٣).

ثم قوله تعالى في الآية الثانية : فِي بُيُوتِ... الآية متعلق بالنور ، أي أن

ص: ٢٨٣

١- (١) النور ٣٥ - ٣٨ .

٢- (٢) البرهان في تفسير القرآن للبحراني : ٥ : ٣٨٦ ، ذيل الآية .

٣- (٣) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي : ٣١٦ و ٣١٧ .

هذا النور في بيوت .

وقد ورد في روايات الفريقين أنّها بيوت الأنبياء ، وأنّ من أفاضلها هو بيت عليّ وفاطمه (1) . ولا يخفى ما فيها من الدلالة على أفضليتهم عليهم السلام .

وكذلك قوله تعالى : رجالٌ... مرتبطه بلفظه في بيوتٍ ، فكلّ من لفظه مثلاً نُورِه ولفظه في بيوتٍ ولفظه رجالٌ مرتبط بعضها بالبعض الآخر .

وهذه البيوت لا تخلو إمّا أن يكون المراد منها الطين والمدر ، أو أبدان أولئك الرجال ، وعلى كلا التقديرين فتعظيم البيوت إنّما هو تعظيم لأولئك الرجال ، فهم الذين أذن الله تعالى أن يُرفعوا ويعظّموا ، وهم الذاكرون لإسمه ، والدائبون لذكره بالغدوّ والآصال ، وهم الذين لا تلهيهم قطّ تجاره ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والخوف والوجل من الله ، فهم في خواطرهم وميول أنفسهم عُصموا عن اللهو المباح ، واستغرقوا في ذكر الله ، والتوجّه إلى حضرته ، فضلاً عن الذنوب والمعاصي .

ولا ريب أنّ سيّد الأنوار الخمسه هو نور سيّد الأنبياء ، وقد أفصح في الروايات أنّهم عليّ وفاطمه أيضاً ، كما أنّ العدد الخمسه قد عُثِر في روايات متواتره بين الفريقين أنّهم أصحاب الكساء ، وهم أهل آية المباهله ، وأهل آية التطهير .

وقد وُصف في هذه الآيات أنّ نور هذه الأنوار الخمسه الذي هو نور مخلوق لله تعالى ، أنّه نور لا تحويه السماوات والأرض ، إذ هو مخرج للسماوات والأرض من الظلمه إلى النور ، فهو غيب عن السماوات والأرض ، فيتطابق هذا المفاد مع ما مرّ في سوره البقره من أنّ الأسماء مستقرّه في ملكوت الغيب عن السماوات والأرض ، ويتمّ الإفصاح عن تلك الأسماء أنّها الأنوار الخمسه الحيه الشاعره

ص: ٢٨٤

١- (١) الدرّ المنثور للسيوطي ، ذيل سوره النور (في بيوتٍ أذن الله أن ترفعَ) .

العاقلة ، والتي تسبح وتقدس الله تعالى قبل الملائكة ، وقبل أهل السماوات و الأرض .

نبؤه الأنبياء بإقرارهم بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام :

وهناك طائفة ثالثة من الآيات تعزز ذلك المعنى ، وهي قوله تعالى : **وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (١)** .

حيث تُبين الآيه الكريمه أنّ الله تعالى قد أخذ على النبيين عند إيتائهم الكتاب والحكمه ميثاقاً وشرطاً ، وهو التعهّد بالإيمان بخاتم الرسل صلى الله عليه وآله ، والنصره له ، أى أنّ الأنبياء إنّما أوتوا النبؤه والكتاب والحكمه لإيمانهم والتزامهم بنبؤه وولايه سيّد الرسل ، و هذا الالتزام هو الذى أهلهم وأوصلهم واستحقّوا به إعطاءهم وإيتاءهم الكتاب والحكمه . وقد أخذ عليهم نصره سيّد الأنبياء ، وهو يتمثّل نموذجاً فيما ورد من طرق الفريقين من صلاه النبي عيسى عليه السلام خلف الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ونصرته له ، ويكون وزيراً له ، إذ نصره خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله هي نصره له (٢) .

و هذا المفاد كما ترى متطابق مع ما فى آيات استخلاف آدم ، من استحقاقه للخلافه وطاعه جميع الملائكه ، حيث إنّ استحقّ الخلافه بمعرفه تلك الأسماء ، وشرف بها ، وقد اتّضح أنّ أبرزها نور سيّد الأنبياء ، ومعه أنوار أصحاب الكساء .

ص: ٢٨٥

١- (١) آل عمران : ٨١ .

٢- (٢) الخصال - باب السنّه : ٣٢٠ . كمال الدين : ٢٥١ ، وذكر تواتر الأخبار بذلك فى فتح البارى : ٦ : ٣٥٨ ، باب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : (وَ اذْكُرْهُ فِي الْكِتَابِ) . عون المعبود للعظيم آبادى : ١١ : ٣٠٨ ، باب خروج الدجال . السيوطى فى الحاوى : ٢ : ١٥٨ . الفصول المهمّه ابن الصباغ المالكي : ٢٧٧ ، وقال : « أخرجه الدارقطنى » .

إمامه الأنبياء بإقرارهم بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام :

وهناك طائفه رابعه أيضاً تشير إلى نفس هذه الحقيقه ، وهى الكلمات التى تاب الله تعالى بها على آدم ، وهى التى ابتلى وامتنحن بها إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى :

فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١).

وقوله تعالى : وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا الْآيَةَ (٢).

والكلمه قد أطلقت على حُجج الله تعالى على البشر كالنبي عيسى فى قوله تعالى لمريم عليها السلام على لسان الملائكه : إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (٣). وقوله تعالى : إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ (٤).

وقد نُعت النبي يحيى عليه السلام فى ضمن صفاته النبويه أنه مُصَدِّقًا بكلمه من الله أى بالنبي عيسى ، فى قوله تعالى : أَنْ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ . . . (٥).

فكما يُنعت الأنبياء بالإيمان فإنه نُعت النبي يحيى بالتصديق بالكلمه ، التى هى من الله تعالى ، ممَّا يُعزِّز أنَّ الأنبياء يُؤخذ عليهم ويمتنحون بالتصديق لبعضهم البعض ، كما جاء فى شأن مريم عليها السلام أيضاً فى قوله تعالى : وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (٦) أى برسل الله تعالى وحججه وخلفائه .

ص: ٢٨٦

١- (١) البقره : ٣٥ .

٢- (٢) البقره : ١٢٤ .

٣- (٣) آل عمران : ٤٥ .

٤- (٤) النساء : ١٧١ .

٥- (٥) آل عمران : ٣٩ .

٦- (٦) التحريم : ١٢ .

والكلمه التي تصدَّق هي الحجَّه الناطقه عن الله تعالى ، في قبال تكذيبها ، فالتصديق والتكذيب إنّما هما وصفان للشئ الذي ينطق ويُخبر ، وذو مفاد خبري ، ومدعى وادعاء ، فيُصدَّق تاره ويكذَّب اخرى ، فمن ثمَّ فهو وَصْفٌ من ينطق عن الله تعالى ، أى حُجج الله وخلفائه في أرضه .

كما مرّ في سوره آل عمران في قولهم عند الميثاق الذي أخذَه الله على النبيّ :

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (١) .

فبيّنت الآيه الامتحانات والعهود التي يُكلّف بها الأنبياء ويوثقون بها الإيمان بسيد وخاتم الرسل ، وهذا ما يُفصح عن الكلمات التي امتحن بها إبراهيم عليه السلام ، ومن ثمَّ تأهيل لمنصب الإمامه ، أنّ تلك الكلمات أوّلها سيد الأنبياء ثم أصحاب الكساء وأهل البيت عليهم السلام .

وهي التي تلقّاها آدم فتشفع بها لتوبته عند الله تبارك وتعالى ، كيف لا وهي الأسماء التي تشرف بها ، واستحقّ بمعرفتها مقام الخلافه الإلهيه ، فترى أنّ المفاد متطابق في هذه الآيات والمقامات ، من استخلاف آدم ، وجعل إبراهيم إماماً ، وأخذ الميثاق على النبيين في إعطائهم النبوه .

فقد ورد في التفسير المروى عن الإمام العسكري عليه السلام في ذيل الآيه :

« قال الله ... »

لآدم - فتوسّل بمحمّد ، وعليّ ، وفاطمه ، والحسن ، والحسين خصوصاً ، وادعني أُجيبك إلى ملتمسك ، وأزدك فوق مرادك .

فقال آدم : يا ربّ ، يا إلهي ، وقد بلغ عندك من محلّهم أنك بالتوسّل بهم تقبل توبتي ، وتغفر خطيئتي ، و أنا الذي أسجدت له ملائكتك ، وأسكنته جنتك ،

ص: ٢٨٧

حوّاء أمتك ، وأخدمته كرام ملائكتك .

قال الله تعالى : يا آدم ، إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود لك إذ كنت وعاءاً لهذه الأنوار ، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها ، و أن أفطنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منها لكنت قد فعلت ذلك ، ولكنّ المعلوم في سابق علمي يجرى موافقاً لعلمي ، والآن فيهم فادعني لأجيئك «(١)» .

وقد روى الطبراني في « المعجم الصغير » بسنده عن عمر بن الخطاب قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه و آله :

لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه ، رفع رأسه إلى العرش فقال :

أسألك بحقّ محمّد إلّا غفرت لي .

فأوحى الله إليه : وما محمّد ، ومَن محمّد ؟

فقال : تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ، فعلمت أنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممّن جعلت اسمه مع اسمك .

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه : يا آدم ، إنّ آخر النبيين من ذريّتك ، وأنّ أمته آخر الأمم من ذريّتك ، ولولاه يا آدم ما خلقتك «(٢)» .

وقد روى الحاكم النيسابوري نظير ألفاظ هذه الرواية ، وفي ذيله :

« فقال الله :

صدقت يا آدم إنّه لأحبّ الخلق إليّ ، أدعني به بحقّه فقد غفرت لك ، ولولا محمّد ما خلقتك « ووصفه الحاكم بأنّه صحيح الأسناد(٣) .

وغيرها من مصادر الفريقين .

فمن الواضح أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله هو أعظم وأتمّ تلك الكلمات ، مع أنّ الآية تشير إلى

- ٢- (٢) المعجم الصغير : ٢ : ٨٢ .
- ٣- (٣) المستدرک للحاکم : ٢ : ٦١٥ .

أن الذى تلقاه آدم هى كلمات - بصيغته الجمع - وليست كلمه واحده ، ممّا يعزّز أن توسّل آدم وتشفّعه كان بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين أشركوا معه فى آيه التطهير ، وآيه المباهله ، والعلم بالكتاب المبين ، الذى هو منزله غيبه للقرآن ، كما يشير إليه قوله تعالى : لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١) .

ووجه إطلاق الكلمه على حُجج الله وخلفائه أنّ معنى لفظ « الكلمه » هو الشىء الدالّ على أمر ، وقد أصدره فاعل مختار لتلك الكلمه الدالّه .

وبعبارة اخرى : إنّ معانى الألفاظ إذا جُرّدت عن مصاديقها الحسيّه والماديّه أى بأخذ الغايات وترك المبادئ فتتجرّد حينئذٍ الغايات عن المبادئ الحسيّه ، ويُستخلص معنى كلّى عامّ ، يتّسع إلى دوائر أوسع ، وهذا على نظريه فى وضع الألفاظ فى علم الأدب واللغه « حُذِّ الغايات واترك المبادئ » ، كمنهج فى تحديد معانى الألفاظ؛ لأنّ حقيقه المعانى وذاتياتها هو من شأن العلوم الباحثه عن الحقائق ، لا من شأن علوم اللغه الباحثه عن مجرّد الاستعمال ، وعن مجرّد الرابطه الإجماليّه بين اللفظ وإجمال المعنى .

فما يقال عنه كلمه عند أهل اللغه من « اللفظ الدالّ على معنى » ليس مصداقاً حقيقياً لمعنى الكلمه ، لأنّ دلاله ذلك الصوت على المعنى ليست دلاله تكوينيّة ذاتيه ، بل هى دلاله اعتباريه ناشئه من رابطه اعتباريه من علقه الوضع .

فليس اللفظ المصوّت مصداقاً حقيقياً لمعنى الكلمه ، إذ لولا الاعتبار لما كانت له دلاله .

وعلى ضوء ذلك فلا بدّ من البحث عن المصاديق الحقيقيه لمعنى الكلمه .

كما أنّه يتبيّن أنّ ما جعلوه تفسيراً لمعنى الكلمه إنّما هو تفسير بمصداق مجازى .

ومنه يتّضح أنّ صدق معنى الكلمه على النبيّ عيسى عليه السلام واستعماله فيه هو

ص: ٢٨٩

استعمال للمعنى فى المصداق الحقيقى .

كما أنّ إسناد التكلّم والنطق إلى الله تعالى ليس على حذو المصدايق المجازيه ، من تكلمنا بألفاظ مصوّته ، بل هو عبارته عن إبداع الله وإبداعه ، ومن ثمّ ورد عن الإمام الرضا عليه السلام :

« . . . وكان أوّل إبداعه وإرادته ومشيتته الحروف التى جعلها أصلاً لكل شىء ، ودليلاً على كلّ مدرّك ، وفاصلاً لكلّ مشكل »
الحديث (١) .

ووجه صدق معنى الكلمه على إيجاده تعالى والمبدعات ، أنّ أوائل المخلوقات العظيمه ذات دلالة على الصفات الإلهيه ، حيث إنّها تُنبىء عن معانٍ خفيه مضمرة عن الخلق ، فنطق الله تعالى بإبداعه ، وإيجاده ، وخلق الخلق .

فتحصّل : أنّ الكلمات التى تلقّاها آدم عليه السلام وامتنحن وابتلى بها إبراهيم عليه السلام ، هى :

النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، كما روى ذلك الصدوق بسنده عن المفضّل بن عمر ، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال : « سألته عن قول الله عزّ وجلّ : وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ مَا هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ؟

قال عليه السلام :

هى الكلمات التى تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه ، وهو أنّه قال : يا ربّ ،

أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ ، فتاب الله عليه ،

إنّه هو التوّاب الرحيم .

فقلت : يابن رسول الله ، ما يعنى عزّ وجلّ بقوله : فَأَتَمَّهُنَّ ؟

قال :

يعنى فَأَتَمَّهُنَّ إلى القائم عليه السلام اثنى عشر إماماً ، تسعه من ولد الحسين . . . » الحديث (٢) .

وعلى ضوء ذلك فالمعنى العامّ للكلمه هو الشىء الدالّ على مقصود المتكلّم ،

ص : ٢٩٠

١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق : ٢ : ١٥٤ .

٢- (٢) الخصال : ٣٠٤ ، الحديث ٤٨ ، ونظيره ما رواه العياشى فى ذيل الآيتين عن الإمام عليّ عليه السلام .

والصادر منه ، وحيث إنّ دلالة الأصوات على المعاني بالاعتبار والمواضع فيما بين البشر فدلالته على المعنى وليده الاعتبار والافتراض .

فصدق المعنى العام للكلمة على الأصوات هو بتوسط الاعتبار ، لا بالحقيقه والتكوين ، بخلاف إطلاق الكلمه على نبيّ الله عيسى عليه السلام ، فإنّ دلالة تولّد النبيّ عيسى عليه السلام من غير أب ، وإحياءه للموتى بإذن الله تبارك وتعالى ، وخلقه من الطين كهينه الطير ، دالّ على قدره الله تعالى ، ودلالته تكويته وليست بتوسط الاعتبار والافتراض .

ومنه يتّضح أنّ إطلاق الكلمات التامّيات على سيّد الأنبياء وأهل بيته بلحاظ ذوات مراتبهم العلميّه من الإطلاق الحقيقي ، والمصاديق الحقيقيه .

ومن ذلك يظهر أنّ أعظم كلمات الله تعالى هم النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ، وأنّه هو وجه إطلاق الكلمات عليهم فى الآيات والروايات .

فأهل البيت عليهم السلام هم الكلمات التى يتشّفّع ويتوسّل وينال بهم سائر الأنبياء نبوتهم ومقاماتهم الإلهيه من الإمامه وغيرها ، فلا محاله يوجب ذلك أشرطيّه وأعظميه أصحاب الكساء ومنهم فاطمه عليها السلام على سائر الأنبياء ، وأن لأصحاب الكساء ولايه ، وافتراض طاعه على سائر الأنبياء ، فضلاً عن الملائكه وبقية الخلائق .

الوجه الثانى: علم فاطمه عليها السلام بالكتاب كله :

وقد بسطنا الكلام حول هذا الموضوع فى بحث الوراثه الاصطفائيّه وحاصله بما يرتبط بالمقام : أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى مشاركه فاطمه عليها السلام وأصحاب الكساء للنبيّ صلى الله عليه وآله فى جملة من المقامات ، تبعاً للنبيّ صلى الله عليه وآله .

منها : الطهاره والعصمه ، كما فى آيه التطهير ، والتى هى خاصّه بأصحاب الكساء.

ومنها : الحجّيه كما فى آيه المباهله ، حيث احتجّ الله تعالى بأصحاب الكساء دون بقية الأممه .

ومنها : علمها بالكتاب المهيم على بقيه الكتب السماويه ، كما فى قوله تعالى :

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (١) ، فأثبت فى هذه الآيه علمهم بالكتاب المكنون المحض ، واللوح المحفوظ ، والقرآن فى منزله الغيبى العلمى ، والمطهرون هم أهل آيه التطهير من أصحاب الكساء ، وهو عنوان يغير عنوان المتطهرين ، بالتوبه والطهاره بالماء ، أى الذين تعلقت الإراده الإلهيه بطهارتهم .

ويشير إلى علمهم بالكتاب كله آيات اخرى أيضاً : وَمَا كُنْتُمْ تُثَلُّوْنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (٢) .

فبيئت الآيه أن هناك ثله من هذه الأمه يعلمون بجميع الكتاب ، وجميع الكتاب آيات بينات فى صدورهم ، فليس بعضه محكم وبعضه متشابه عندهم ، بل كله بين .

وقد أشار قوله تعالى فى سوره النحل : وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٣) إلى ذلك .

فبيئت الآيه أن الكتاب تبيناً لكل شىء ، كما بيئت الآيه السابقه أن الكتاب كله بين واضح فى صدور تلك الثله .

و هذا اللسان فى مفاد الآيات هو مفاد حديث الثقلين ، بل إن كل آيه بمفردها متضمنه لمفاد حديث الثقلين ، حيث إنها من جهه تبين إحاطه القرآن والكتاب بكل شىء ، ومرجعيته لكل شىء ، ومن جهه اخرى فهى تبين أيضاً مرجعيه هذه

ص: ٢٩٢

١- (١) الواقعة : ٧٧ - ٨٠ .

٢- (٢) العنكبوت : ٤٨ و ٤٩ .

٣- (٣) النحل : ٨٩ .

الثَّله المطَّهره من الأُمَّه من أصحاب الكساء ، التي تحيط بالقرآن كله .

وكذلك قوله تعالى : هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (١) .

فإذا تقرّر أنّ أصحاب الكساء وأهل البيت عليهم السلام يحيطون علماً بالكتاب كله ، والقرآن أعظم من جميع كتب بقيه الأنبياء ، ومهيمن عليها ، فلا محاله يتحصّل أنّ أصحاب هذا الكتاب المهيمن أعظم منزله وهم مهيمنون على سائر الأنبياء ، فالهيمنه والعظمه لكلّ من القرآن وأصحابه على كلّ من الكتب السابقه وأصحابها الأنبياء السابقين .

وأما هيمنه القرآن ، فالقرآن هو الكتاب الذي وصف بكونه مُهيماً في قوله تعالى :

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ (٢) .

بينما وُصف التوراه بأنّ فيه تفصيل جملة من الأمور لا كلّها ، كما في قوله تعالى :

وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ (٣) .

وكما وُصف الإنجيل أيضاً في قوله تعالى على لسان النبي عيسى عليه السلام : وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ إِبْرَاهِيمَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ الْآيَةَ (٤) فوُصف أنّه بيان لبعض ما يُختلف فيه ، لا تبيان لكلّ ما يُختلف فيه ، فضلاً عن كونه تبياناً لكلّ شيء .

ومن ثمّ كان القرآن مهيمناً على كلّ الكتب السماويه السابقه نزولاً . فَمَنْ يحيط

ص: ٢٩٣

١- (١) آل عمران : ٧ .

٢- (٢) المائدة : ٤٨ .

٣- (٣) الأعراف : ١٤٥ .

٤- (٤) الزخرف : ٦٣ .

علماً بالقرآن كله أعلى مقاماً وصلاحيه وحجّيه ، ممّن هو دون ذلك في العلم ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى حكاية عن صاحب موسى عليه السلام : قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسِيَطِعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (١) .

فالنبى موسى عليه السلام رغم كونه من أولى العزم إلا أنه كان قد أوحى إليه أن يتبع الخضر عليه السلام فيما اختص به من علم التأويل والولاية ، رغم أنّ النبى موسى عليه السلام كان قد اختصّ دون مستوى العلم الذى اختصّ به الخضر ، وهو علم الشريعة . وهذه الآيه تبين لنا أصلاً قرآنياً واعتقادياً معرفياً ، وهو أنّ صاحب العلم الأكبر والأشرف والأعلى ، مفترض الطاعه ، وإمام متبوع وإن لم يكن نبياً ، على من دونه فى العلم ، وإن كان نبياً مرسلًا من أولى العزم .

وهذا المفاد تُعزّزه آيات استخلاف آدم لعلمه الفائق على علم الملائكه ، ومن ثمّ فرض الله تعالى طاعه جميع الملائكه لخليفته ، بعد أن كان هو المعلم ، وقد مرّ أنّ هذه الواقعة قد أشار إليها القرآن فى سبع سور ، فكلّ هذه الآيات تبين وتكشف عن هذا الأصل المهمّ الخطير .

فكذلك علم فاطمه عليها السلام ، فقد فاق بنصّ الآيات علم سائر الأنبياء وجميع الملائكه وسائر الخلق ، فلا محاله أن تكون طاعتها وولايتها مفروضه عليهم ، كما افترض طاعه آدم على جميع الملائكه لتفوق علمه عليهم .

الوجه الثالث : مشاركتها عليها السلام لجميع مقامات النبى صلى الله عليه وآله عدا النبوه

وقد بسطنا الكلام حول هذا الموضوع فى المقالات السابقه .

وحاصله بما يرتبط بالمقام أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى مشاركه فاطمه عليها السلام

ص: ٢٩٤

وأصحاب الكساء للنبي صلى الله عليه وآله في جملة المقامات التي يختص بها تبعاً له ، عدا النبوه .

ومن هذه المقامات :

منها : الطهاره والعصمه ، كما في آيه التطهير ، والتي هي خاصه بأصحاب الكساء .

ومنها : الحجية ، كما في آيه المباهله ، حيث احتج الله تعالى بأصحاب الكساء دون بقيه الأمه .

ومنها : العلم بالكتاب المبين والقرآن المجيد ، كما في سوره الواقعه في قوله تعالى : لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١) .

ومقتضى هذه المشاركه والاقتران أفضلية أصحاب الكساء وأهل البيت عليهم السلام بتبع أفضلية النبي صلى الله عليه وآله على سائر الأنبياء والمرسلين والأوصياء والحجج ، إذ عصمه النبي صلى الله عليه وآله وطهارته وحجتيه وعلمه وفضائله لم يشاركه أحد من الأنبياء بحسب نصوص القرآن الكريم .

الوجه الرابع :

ما تقدم من وراثه فاطمه عليها السلام لمقامات النبي صلى الله عليه وآله ، وقد تقدم ذكر الآيات والروايات التي دلت على هذه الوراثة ، ومقتضى هذه الوراثة ثبوت الصلاحيات الاصطفائية التكوينية والاعتبارية التي ثبتت لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وانتقلت لفاطمه عليها السلام ، إلا ما هو مرتبط بخصائص النبوه .

ومن هنا قد احتجت عليها السلام في مطالبتها لحقها في ولايه الفىء بورايتها لذلك عن أبيها ، والتي هي وراثه اصطفائية ووراثة عامه ، فلاحظ ما تقدم من ذلك .

وهذه الوراثة انتقلت منها إلى بنيتها ، ومن ثم فضلت هي على بنيتها المعصومين ،

ص: ٢٩٥

ولا تنتقل هذه الوراثة للنبي عيسى عليه السلام عند نزوله ، ولا للأنبياء الذين يكون حضورهم وظهورهم عند ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف من ذريه فاطمه عليها السلام ، كإدريس وإلياس والخضر ، بل هذه الوراثة خاصه بولدها المهدي عجل الله فرجه الشريف.

فوراثه الأئمه من ذريتها لرسول الله صلى الله عليه وآله لم تكن تتم لولا- فاطمه عليها السلام ، ولعل ذلك هو معنى كونها الحجاب بين النبوه والولاية ، لا سيما وأن هذه الوراثة ليست وراثه اعتباريه فحسب ، بل وراثه تكوينيه غيبه ملكوتيه فهي واسطه في الفيض ، أى فيض جميع كمالات المقامات المحمديه للأئمه المطهرون عليهم السلام .

ولعل هذا هو تفسير مصحف فاطمه ، أى أنها عليها السلام فى لوائح الغيب الملكوتيه روحها ونورها مصحف يفيض العلم والكمالات على صحائف وكتب الأئمه عن أرواحهم وأنوارهم ، هذا بحسب ما للمصحف من موقع غيبى ، لا بحسب تنزله فى أوراق مرموقه .

كما أن هذا المعنى لعله تفسير ما ورد من

« أنها ارحيت دونها حجاب النبوه »(١) .

وهو مفاد ما رواه الشيخ الطوسى فى غيبته من قول الحجة عجل الله فرجه الشريف :

« وفى ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله لى اسوه حسنه »(٢) .

كما هو مفاد ما اشتهر فى الألسن أخيراً نسبته إلى الإمام العسكري قوله :

« نحن حجج الله ، وفاطمه حجه الله علينا »(٣) .

ويشير إلى هذا المعنى موثقه عبد الله بن سنان ، عن أبى عبد الله عليه السلام ، قال : « قال أبو عبد الله عليه السلام :

على كل امرئ غنم أو اكتسب الخمس مما أصاب لفاطمه عليها السلام ، ولمن

ص: ٢٩٦

١- (١) إقبال الأعمال لابن طاووس فى زياره الصديقه الكبرى عليها السلام : ٣ : ١٦٦ ، باب أعمال جمادى الآخرة .

٢- (٢) الغيبه للشيخ الطوسى : ٢٨٦ .

٣- (٣) تفسير أطيب البيان : ٣ : ٢٢٦ .

يلي أمرها من بعدها من ذريتها (أو ورثتها) الحُجج على النَّاس فذاك لهم خاصه يضعونه حيث شاؤوا» (١).

ومفاد الروايه يتبه على أنّ ولايه الفيء والأنفال إتما ثبتت للأئمه عليهم السلام وراثه من ولايه امهم فاطمه عليها السلام لذلك ، وهو يقتضى تقدّمها عليهم فى الولايه .

الوجه الخامس : آيه (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى

آيه (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى... (٢)

حيث إنّ إيراد الآيه الكريمة عنوان لأولى الأمر و ولايه الأمر كمنشأ للطاعه ولم تورد وصفاً آخر يفيد أنّ المناط والمدار فى الطاعه ذلك ، والمراد بالأمر ليس الشأن السياسى العام كما توهم ، بل عالم الأمر والروح الأمري الذى أشير إليه فى آيات ليله القدر تنزل الملائكه و الروح فيها بإذن ربهم من كل أمر (٣).

و حم * و الكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليله مباركه إنا كنا مندرين * فيها يفرق كل أمر حكيم (٤).

وقوله تعالى : يُنزل الملائكه بالروح من أمره على من يشاء من عباده (٥).

وفى قوله تعالى : وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (٦).

ص: ٢٩٧

- ١- (١) وسائل الشيعة : ٩ : ٥٠٣ ، الباب ٨ من أبواب ما يجب فيه الخمس ، باب أنّ الأئمه يلون ولايتها فى الخمس ، الحديث ٨ .
- ٢- (٢) النساء : ٥٩ .
- ٣- (٣) القدر : ٤ .
- ٤- (٤) الدخان : ١ .
- ٥- (٥) الشورى : ٥٢ .
- ٦- (٦) غافر : ١٥ .

وقوله تعالى : يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (١) .

كما فى قوله أيضاً : إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٢) .

وقوله تعالى : أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ (٣) .

والروح الأمرى هذا هو حقيقه القرآن الكريم كما قد فصلنا ذلك فى الجزء الثانى من كتاب الإمامه الإلهيه .

وقد أفصح القرآن عمّن هم أصحاب وأولياء هذا الروح الذى هو الحقيقه الغيبيه للقرآن ، كما يشير إليه قوله : حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ (٤) فربط بين الكتاب المبين الذى هو حقيقه غيبيه للقرآن بما يتنزل فى ليله القدر من الروح الأمرى .

كذلك الحال فى مفاد سوره القدر حيث ربط بين نزول القرآن والروح الأمرى .

وفى قوله تعالى : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٥) قد أفصح عن أنّ أهل آيه التطهير المطهرون لا المتطهرون هم الذين ينالون الكتاب الغيبى ، وبذلك يتم أنّ فاطمه عليها السلام صاحبه ذلك الأمر ، فهى وليه الأمر مفترضه الطاعه ، و هذا معنى أنّها ليله القدر .

ثم إنّ طاعه أولى الأمر وهم أهل البيت عليهم السلام وهم قربى النبى ، وقد أفصح عن ولايتهم فى آيه الفىء ، فولايتهم على الفىء هى تبع لولايه الله وولايه الرسول صلى الله عليه و آله على الفىء .

ص: ٢٩٨

١- (١) يس : ٨٢ .

٢- (٢) الأعراف : ٥٤ .

٣- (٣) الدخان : ١ - ٣ .

٤- (٤) النحل : ٢ .

٥- (٥) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ .

وكذلك فى آيه ولايه الخمس ، وفى آيه حصر الولايه فى قوله تعالى : إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ النازله فى على عليه السلام .

مع أنّ مفاد هذا الخطاب فى الآيات لا يتعرّض لحكم فرعى فى الشريعة ، بل يتعرّض إلى أصل أصيل فى دين الإسلام الذى بعثت به كافه أنبياء الله تعالى ورسله ، وهو غير ما اختلفت فيه شرائعهم ، مع أنّ هذا الخطاب شامل للنبي عيسى وإلياس وغيرهما ، الذين يظهرون عند ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ، فتكون الولايه لذى القربى وأبرزهم فاطمه ، ومن ثمّ يصلى عيسى عليه السلام خلف الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ، ويأتّم به .

من هنا كانت عليها السلام شريكه رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسؤوليه والعناء والابتلاء فى مرحله مكّه ، كما يشير إلى ذلك تسميته صلى الله عليه وآله بأّم أبيها ، ولم تكن فى زوجاته صلى الله عليه وآله من تشاطره همومه وابتلاءاته غير خديجه عليها السلام ، وهكذا كانت ابنتها .

ونظير ذلك شراكتها فى الموقف مع زوجها أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّ التشريك فى المسؤوليه كما فى واقعه المباهله و نساءنا و نساءكم لا يتم إلّامع خصوصيه فى القابليه والشراكه فى الهموم لا تتحقق إلّامع علو المقام العقلى والروحى ، والمشاركه فى إدراك حقيقه الأهداف ، فترتبط المسانخه بالمقام العلمى وأهليه الصفات الروحى .

الوجه السادس :

ماورد من طريق الفريقين أنّ الله تعالى قد جعل صداق ومهر فاطمه عليها السلام فى زواجها بعلى عليه السلام الأرض ، أو خمس الأرض ، أو خمسه أنهر فى الأرض وما سقت من أراضى ، وهو كناية عن ولايتها على الأرض ، وهو يتطابق مع آيه الفىء ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليللرسول ولذى القربى حيث إنّ

الفىء هو ثروات الأرض (١).

ولا يخفى أنّ هذا المقام لم يُعط لكثير من الأنبياء والرسل ، بل ظاهر سورة الكهف أنّه لم يعط لمثل النبى موسى وعيسى عليهما السلام ، كما أنّ هذا المقام لم يرثه عن خاتم النبيين أحد من الأنبياء بعده ممّن هم على قيد الحياه ، وهذا يقضى بولايتها عليها السلام عليهم .

الوجه السابع :

ما ورد من اشتراط محبتها فى عرض اشتراط محبته علىّ والحسنين عليهم السلام لكونهم جميعاً فى درجه واحده مع النبى صلى الله عليه وآله فى الجنّه ، وقد روى ذلك الفريقان :

فقد روى أحمد بن حنبل فى « مسنده » وفى « فضائل الصحابه » ، والترمذى فى « صحيحه » ، والطبرانى فى « المعجم الكبير والصغير » ، وغيرهم من الحفاظ بأسانيدهم عن علىّ عليه السلام أنّ النبى صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين قائلاً : « من أحبّ هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة » (٢).

ولا يخفى أنّ هذه الروايات تشير إلى مفاد آيه موده ذوى القربى ، وأقرب القربى إلى النبى صلى الله عليه وآله هى فاطمه عليها السلام ، بل إنّ سائر قربى النبى يتقربون إلى النبى بفاطمه « لكلّ بنى امّ عصبه ينتمون إليه ، وإنّ بنى فاطمه عصبتي » أو « لكلّ بنى امّ عصبه إلّا ابنى فاطمه فأنا وليهما وعصبتهما » (٣).

ص: ٣٠٠

١- (١) فعن ابن عباس أنّه صلى الله عليه وآله قال : « يا علىّ ، إنّ الله عزّ وجلّ زوجك فاطمه ، وجعل صداقها الأرض ، فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى حراماً » . بحار الأنوار : ٤٠ : ٧٨ ، الحديث ١١٣ عن فردوس الأخبار للديلمى ، وقريب منه القندوزى الحنفى فى ينابيع الموده : ٢ : ٢٤١ ، الحديث ٦٧٧ .

٢- (٢) انظر إحقاق الحقّ : ٩ : ١٧٤ - ١٨٠ ، فقد ذكر عشرات المصادر فى ذلك .

٣- (٣) ابن حجر العسقلانى فى المطالب العالیه : ٤ : ٧٢ ط . الكويت . الحاكم النيشابورى « فى المستدرک : ٣ : ١٦٤ . الهيثمى فى مجمع الزوائد : ٤ : ٢٢٤ . الطبرانى فى المعجم الكبير : ٢٢ : ٤٢٢ . والمتقى الهندى فى كنز العمّال : ١٢ : ١١٤ ، الحديث ٣٤٢٥٤ ، وغيرهم .

وقد حرّرتنا فى مواضع عديده دلالة آيه المودّه على الولاية لا- المحبّه الدانيه كما قد يُتوهم ، كيف وقد جُعلت أجراً للدين والرساله بأجمعها ، أى عدلاً للدين بما له من توحيد ونبوّه ومعاد ، فلا يمكن أن يكون ذلك حكماً فرعياً فى تفاصيل الشريعه ، بل أصلاً اعتقادياً يُقرن بالأصول الاعتقاديّه المأخوذه فى دين الإسلام ، والذى قد عرفت أنّه دين موحّد بُعث به جميع الأنبياء والرسول ، غير ما افترت فيه فيما بينهم من الشرائع ، كما فى قوله تعالى : **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (١)** وقوله تعالى : **لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً (٢)** .

وهذه الآيه الشريفه تبيّن أنّ ولايه ومحبه ذوى قُربى النبىّ وهم : فاطمه وعلّى والحسين وذريّتهم المطهّرين عليهم السلام قد أخذت على جميع الأنبياء والرسول بعد ولايه الله وولايه الرسول ، لأنّ هذه الفريضة العظيمه - المودّه - من الدين لا من الشريعه .

وبذلك يتبيّن ولايه فاطمه عليها السلام على جميع الأمم ومنهم سائر الأنبياء والرسول الذين بعثوا بدين الإسلام ، بل محبه فاطمه وولايتها أخذت على جميع الملائكه وسائر الخلق ، لأنّ دين الإسلام لا يختصّ بالجنّ والإنس بل يعمّ جميع الملائكه وجميع المخلوقات الأخرى ، كما يشير إليه قوله تعالى : **وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٣)** .

وبنفس هذا التقريب يُستدلّ بحديث الكساء الذى تكرّر فى عدّه مشاهد للنبيّ صلى الله عليه وآله عند المباهله ، وعند نزول آيه التطهير ، وفى بيت امّ سلمه ، وعند الخروج

ص: ٣٠١

١- (١) آل عمران: ١٩ .

٢- (٢) المائده : ٤٨ .

٣- (٣) آل عمران : ٨٣ .

إلى خبير ، أو وقعه الأحزاب ، وغيرها من المشاهد ، حيث فى ذيله قال صلى الله عليه و آله مشيراً إلى فاطمه وعلّى والحسين

« هؤلاء أهل بيتى وحمّتى وخاصّتى أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم ، ألا من آذى قرابتى فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله»(١).

وقد روى هذا الحديث بألفاظ عديده جدّاً عند الفريقين .

وهذه الحصانه الإلهية الخاصّة التى طوّق بها النبى صلى الله عليه و آله أصحاب الكساء ، والقدسيه الربّانية الممتازة التى لم تدخل فيها أم سلمه ، ودخل فيها خصوص جبرئيل ، دالّه هى الأخرى على شراكه أصحاب الكساء مع النبى صلى الله عليه و آله تبعاً له فى الولايه والحجّيه على سائر الخلق ، حتّى سائر بقيّة الأنبياء والرسل .

فشراكتهم للنبى صلى الله عليه و آله دالّه على فوقيتهم على الأنبياء والرسل .

ونظير هذا الاستدلال لولايته وفرض طاعتها على الأنبياء ما يمكن أن يقرّر من كونها كفؤاً لعلّى عليه السلام ، وما ورد عن النبى صلى الله عليه و آله ما ساوى الله قطّ امرأه برجل إلّما كان من تسويه الله فاطمه بعلّى عليه السلام وإلحاقها ، وهى امرأه بأفضل رجال العالمين(٢) .

فبيّن الحديث النبوى أنّه كما أنّ عليّاً بمنزله رسول الله صلى الله عليه و آله وفاق بهذه الفضيله الأنبياء وأولى العزم ، بل افترضت طاعته عليهم ، كما حرّراه فى كتاب «الإمامه الإلهية» بحسب نصوص روايات الفريقين ، فكذلك الحال فى فاطمه التى هى كفؤ له .

بل إنّ نفس حديث النبى صلى الله عليه و آله الذى رواه الفريقان

« لولا عليّ لما كان لفاطمه كفؤ ،

آدم فمن دون»(٣) دالّ على تفضيل عليّ و فاطمه عليهما السلام على بقيّة الأنبياء من أولى

ص: ٣٠٢

١- (١) لاحظ ما جمعه السيد المرعشى فى ملحقات إحقاق الحقّ : ٩ : ١٦٠ - ١٧٤ ، فقد أخرجّه عن العديد من مصادر الصحاح من أهل السنّه . وكذا لاحظ من : ١٤٥ - ١٥٩ من نفس المجلّد .

٢- (٢) بحار الأنوار للمجلسي : ٣٧ : ٤٩ ، عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام .

٣- (٣) ينابيع المودّه : ٢ ، الحديث ٨١٩ باختلاف يسير . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٠٣ ، الباب ٢١ ، الحديث ٣ . الخطيب الخوارزمي فى مقتل الحسين : ٦٦ ، ط . الغرى . العلّامة المناوى فى كنوز الدقائق : ١٣٣ ، ط . بولاق بمصر .

العزم ، فضلاً عن سائر المرسلين ، ويشير إلى تفضيلها وعلّي على اولى العزم أيضاً ما رواه السيوطى وأخرجه عن جملة من الحفاظ فى ذيل قوله تعالى : **فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُزْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** الآية ، أنه قام رجل وسأل النبى صلى الله عليه وآله عن هذه البيوت ، أهى بيوت الأنبياء ؟

فقال صلى الله عليه وآله :

نعم .

فقام أبو بكر وقال : يا رسول الله ، هذا البيت منها ؟ لبيت علي وفاطمة .

قال صلى الله عليه وآله :

نعم من أفاضلها (١).

ومما يشير إلى تساوى مقامها مع علي عليه السلام ، ما ورد فى مفاخرتها لعلّي :

« أنا البحر المسجور » ، وورد بعينه فى أمير المؤمنين علي عليه السلام وصفه أنه البحر المسجور (٢).

وكذلك فى ليله القدر ورد عن علي عليه السلام :

« أنا ليله القدر » (٣) ، كما ورد عن الصادق عليه السلام فى فاطمه عليها السلام أنها :

« ليله القدر » (٤).

ولكن لا يخفى أن هذا التساوى والكفئيه لا ينفى أن هناك جهات امتياز لأمير المؤمنين عليه السلام ، تشير إليها روايات اشتقاق النور ، من تقدّم نوره على نورها عليها السلام .

ص: ٣٠٣

١- (١) الدرّ المنتور : ذيل الآية ٣٦ سورة النور .

٢- (٢) مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسى : ٢٦١ . فضائل ابن شاذان : ٨٢ .

٣- (٣) مشارق أنوار اليقين للحافظ البرسى : ٢٦١ .

٤- (٤) تفسير فرات : ٥٨١ . بحار الأنوار : ٤٣ : ٦٥ ، الحديث ٥٨ .

القسم الثاني : موقعه فاطمه الزهراء عليها السلام في اصول الدين

اشاره

وفيه مقالات :

الأولى : موقع فاطمه عليها السلام في سلسله الأنبياء والأوصياء

والحجج الإلهيه

الثانيه : الزهراء عليها السلام وصيانته الإسلام عن التحريف

الثالثه : دور الزهراء عليها السلام في العقيدة والتبنيه الأولى للإسلام

الرابعه : فاطمه عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار

الخامسه : فاطمه عليها السلام حوراء إنسيه

السادسه : ولايتها عليها السلام العامه

ص: ٣٠٥

موقعه فاطمه الزهراء عليها السلام فى اصول الدين

إن من يستقرىء كتب علم الكلام لعلماء الإماميه يشاهد بوضوح التركيز فيها على أن إمامه أئمه أهل البيت عليهم السلام هى من صميم اصول الدين الإيمانيه ، لكنهم أجملوا الحديث عن ولايه سيده النساء فاطمه الزهراء عليها السلام ، واصطفائها فى طيات حديثهم عن أهل البيت عليهم السلام . مع أن الاعتقاد بإمامه الأئمه الإثنى عشر وولايتهم مجرداً عن الاعتقاد بولايه واصطفاء فاطمه عليها السلام غير كاف فى أصل الإيمان .

فكما أن ولايه الأئمه الإثنى عشر تأتى بعد ولايه الله ورسوله ولها دخل مشهود فى النجاه ، وفى صحه العقيده ، وقبول الأعمال ، فكذلك الحال فى ولايتها عليها السلام .

وليس هذا الأمر بدعاً فى الشرائع السماويه ، بل عقيده قد سنّها الله عزّ وجلّ فى الشرائع السابقه ، كما هو الحال فى شريعه عيسى عليه السلام ، حيث إن اصطفاء مريم عليها السلام وحجّيتها قد جعله الله تعالى وقّره فى شريعته ، حيث قال الله تعالى على لسان ملائكته : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (١) .

وقال تعالى : وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً (٢) .

ص: ٣٠٧

١- (١) آل عمران : ٤٢ .

٢- (٢) المؤمنون : ٥٠ .

وقال تعالى : وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١).

بل التصديق والإيمان باصطفائها ليس ممّا يختصّ به أتباع شريعته عيسى عليه السلام ، بل تشمل حتّى كلّ من يعتنق الإسلام ، كما لاحظت فيما تقدّم من الآيات القرآنيّة .

موقعيّة عصمتها بين المعصومين عليهم السلام :

شرح حديث :

« لولا عليّ لم يكن لفاطمه كفؤ ، آدم فما دونه » (٢).

قد يقال : إنّ حديث الكفاءة بين عليّ والزهراء يفيد عدم جواز أو إمكان قيمومه غير المعصوم على المعصومه ، بل وعدم جواز قيمومه من هو في الدرجات الدنيا من العصمه على من هو في الدرجات العليا من العصمه .

كما أنّه لا يخفى إشاره قوله تعالى : وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا (٣) على المطلوب في المقام .

وسيكون البحث من عدّه جهات :

الجهة الأولى : في أصل حجّيتها وولايتها .

الجهة الثانيه : أن مقام حجّيتها وولايتها من الشروط الأولىه لصحّه تحقّق كمال الإيمان وتمامه .

الجهة الثالثه : أنّ لفاطمه عليها السلام جميع مقامات الإمامه الملكوتيّه عدا بعض

ص: ٣٠٨

١- (١) الأنبياء : ٩١ .

٢- (٢) بحار الأنوار : ١٠٠ : ٢٥٩ ، باب ٥ من أبواب النكاح ، الحديث ١ و ١٠١ : ٢٠٦ ، أبواب الشهادات . تفسير العسكري : ٦٥٩ . الخصال : ٤١٤ ، باب التسعه ، الحديث ٣ . علل الشرائع : ١٧٨ . عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ : ٢٠٣ . من لا يحضره الفقيه : ٣ : ٣٩٣ ، الحديث ٤٣٨٢ .

٣- (٣) آل عمران : ٣٧ .

الشؤون الاعتبارية في الرئاسة الدينوية .

الجهة الرابعة : كفويتها ومساواتها لعلی عليه السلام .

مقامات الأنبياء والحجج السابقين ضربه القرآن لأهل البيت عليهم السلام

إن ما استعرضه القرآن الكريم من أبعاد مختلفه ومتعدده لمقامات الأنبياء والمصطفين من الحجج تحمل في طياتها أبعاداً وحقائق متنوعه .

منها : لزوم الاعتقاد بهم ، وإثبات تلك المقامات لهم ، والتصديق بها ، لقوله تعالى : **وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ (١)** .

ومنها : أنهم عبره لما لا بد من الالتزام به من العقائد الحقه لمقامات الحجج في هذه الأمة . وهذه العبره تمهد الطريق للاعتقاد الحق على مرحلتين ومقامين :

المقام الأول : إمكانية هذه المقامات للمقرين من الخلق ، وعدم كون القول بها لهم هو من خرق القول ، ولا من الغلو ولا هو من التأليه بمكان ، بل هو من الإذعان لأهل الفضل بفضلهم .

وهذا المقام في غايه الأهميه والخطوره ، لأننا نجد أن هناك مقامات ذكرت للأولياء المصطفين في الأمم السابقيه ليس لها تفسير عقائدي عند المذاهب الإسلاميه ، فهما من مختصات مدرسه أهل البيت عليهم السلام ، كما في مقام مريم عليها السلام وأم موسى ، وطالوت ، وذی القرنين ، والخضر ، ولقمان ، وآصف بن برخيا صاحب سليمان ، وغيرهم .

فالاعتقاد بهذه المنازل والمقامات للحجج السابقين أمر لا بد منه بغض النظر عن كونهم عبره ومثلاً للاعتقاد بهذه المقامات في شأن أهل البيت عليهم السلام ، وتفسير تلك

ص: ٣٠٩

المقامات وتقريرها بأن هناك مراتب ومواقع في سلسله المنظومه العقائديه لا تنحصر في النبوه والرساله ، وأن تلك المقامات ليست مجرد هبات لدينه وكرامات ، بل لها مؤدى وموقعه في دائره الحجج والاصطفاء والمناصب الإلهيه ، المجعوله منه تعالى ، وأن تلك المقامات سُنن إلهيه في الدين الحنيف ومناهج وطرائق في التشريع الإلهي .

المقام الثاني : كون هذه المقامات الثابته للحجج السابقين بيان لتقرّر ثبوتها لأهل البيت عليهم السلام ، وأن ذكرها فيما مضى مَثَل ضربه الله تعالى لشؤون وأحوال أهل البيت عليهم السلام .

ص: ٣١٠

تمهيد : إن لفاطمه كل المقامات الملكوتيه للإمامه عدا بعض الشؤون الاعتباريه فى الرئاسه الدنيويه

مما لا يخفى وجود مجموعه من المقامات الملكوتيه لمنصب الإمامه ، والتي أشار إليها القرآن الكريم فى مواضع عديده ، وأن هذه المقامات هى من شؤون الحجّيه والولايه لمنصب الإمامه .

ونلاحظ أن القرآن الكريم والأحاديث النبويه المتواتره أو المستفيضه قد أثبتت جُلّها لسَيِّده النساء فاطمه الزهراء عليها السلام مجموعه من هذه المقامات ، مما يستلزم ثبوت الولايه والحجّيه لها عليها السلام بنفس المناط والسبب .

وإليك جملة من تلك المقامات الملكوتيه :

منها : مقام الشهاده على الأعمال :

ولا يخفى أن هذا المقام من المقامات المقومه لماهيه الإمامه الإلهيه فى أبعادها التكوينيّه ، وقد ورد فى جملة من الآيات القرآنيه بيان مقام هذه الشهاده لأهل البيت عليهم السلام كأّمه مصطفىاه من هذه الأّمه كما فى قوله تعالى : **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ (١)** وكما فى قوله تعالى :

ص: ٣١١

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (١).

فبين تعالى أنّ الشهداء الذين يكون الرسول صلى الله عليه وآله شهيداً عليهم هم من ذريه إبراهيم ، ومن ذريه إسماعيل أيضاً المسماة بالمسلمين في دعاء النبي إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى : رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ . . . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢).

وهو من رَحِمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقُرْبَاهُ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لِفِظِ « مِنْهُمْ » كَمَا يُشِيرُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدًا مِنْهُ (٣) فَتَرَى أَنَّ (الشاهد) قد قيّد بلفظ (منه) ، أي أنه من رحم الرسول وقرباه ، كما ورد في قوله صلى الله عليه وآله :

« عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ » (٤).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ كتاب الأبرار وصحائف أعمالهم يشهده المقربون ، في قوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيٍّ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٥).

وقد أفصح عن هؤلاء (المقربون) في سورة الدهر (الإنسان) حيث قال تعالى :

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ

ص: ٣١٢

١- (١) الحجج : ٧٨ .

٢- (٢) البقره : ١٢٨ و ١٢٩ .

٣- (٣) هود : ١٧ .

٤- (٤) الأملی للصدوق : ٥٨ ، الحديث ١٤ . الخصال : ٤٩٦ ، الحديث ٥ . الأملی للطوسی : ٥٠ ، ٢٧١ . مناقب ابن شهر آشوب : ١ : ٢٩٦ و ٢ : ٥٨ .

٥- (٥) المطففين : ١٨ - ٢١ .

مَشِيكِينًا وَتَيْمِيمًا وَ أَسِيرًا فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْأَبْرَارَ يَتَلَقَّوْنَ مَا يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ مَمزُوجٍ بِمَا يَأْتِي مِنْ عَيْنِ الْكَافُورِ ، وَأَنَّ عَيْنَ الْكَافُورِ مَصْدَرُهَا عِبَادُ اللَّهِ حَيْثُ يَفْجَرُونَهَا وَيَجْرُونَهَا حَيْثُ شَاؤُوا مِنْ عِنْدِهِمْ ، فَهَمَّ يَشْرَفُونَ فِي عِلْوٍ رَتَبْتَهُمْ عَلَى الْأَبْرَارِ وَهَمَّ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِالذَّرِّ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ ، وَهَمَّ : (عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) الَّذِينَ نَزَلَتْ فِيهِمُ السُّورَةُ .

فهذا تبيان من القرآن عن طاقم ومجموعه الشهداء الذين يؤازرون النبي صلى الله عليه وآله في هذا المقام ، والنبي صلى الله عليه وآله هو سيدهم في هذا المقام .

ومن حساسيته وعظمه مقام الشهادة ما اشير إليه في قوله تعالى : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١) فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ مَقَامَ الشَّهَادَةِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَقْدَمٌ عَلَى مَقَامِ كَوْنِهِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، أَيْ أَنَّ إِرْسَالَ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ لِإِبْلَاحِ كَافَّةِ النَّاسِ بِالذِّينِ وَالرِّسَالَةِ وَأَنَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَهُ لِمَقَامِ الْوَلَايَةِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى النَّفُوسِ ، وَرَعَايَةِ سِيرِ تَكَامُلِهَا .

ومما يشير أيضاً إلى ثبوت هذا المقام لفاطمه عليها السلام هو ثبوت أمرين دلّت عليهما الآيات العديده في السور القرآنيه :

الأول : هو تدوين وكتابه كلّ شيء في الكتاب المبين ، وأنه يُسْتَطَرُّ فِيهِ كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَالْأَشْيَاءِ التَّكْوِينِيَّةِ ، وَالتّي منها أعمال العباد ، كما يشير إليه قوله تعالى : اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (٢) .

وقوله تعالى : وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا (٣) .

ص: ٣١٣

١- (١) الأحزاب : ٤٥ .

٢- (٢) الإسراء : ١٤ .

٣- (٣) الكهف : ٤٩ .

وقوله تعالى : وَ كُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ* وَ كُلَّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرِّ (١).

وقوله تعالى : عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ لَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٢).

الثاني : أن هذا الكتاب المبين ذو النشأة الغيبية يُحيط المطهرون به علماً ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٣).

فبيّنت الآيه أن الْمُطَهَّرُونَ لَا يَغِيبُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِمَّا فِي الْكِتَابِ ، وَالْمُطَهَّرُونَ هُمُ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٤) ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمُ أَصْحَابُ الْكِسَاءِ الَّذِينَ مِنْهُمْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ .

ولا يخفى الفرق بين (المطهّرين) و (المتطهّرين) من عموم الأئمة .

فيتبين من ذلك كلّ أنّها من الشاهدين على الأعمال ، وقد مرّ أن ثبوت هذا المقام المنسوب للنبيّ صلى الله عليه وآله مقدّم شأنًا وخطوره بنصّ القرآن على مقام البشاره والنداره في النبوه ، وهو من شؤون الإمامه على الخلق حيث يُشرف صاحب مقام الشهاده على سير النفوس وتكاملها إلى الدرجات العالیه .

ويتفرّع على مقام الشهاده مقام الشفاعه والحاكميه في يوم الدين ، فكما تفرّع على مقام الشهاده للنبيّ صلى الله عليه وآله ثبوت المقام المحمود له وهو من أعظم المقامات ، إذ هو من ملك الآخره ، والذي هو أعظم شأنًا وخطبًا من الملك الزائل القليل في

ص: ٣١٤

١- (١) القمر : ٥٢ .

٢- (٢) سبأ : ٣ .

٣- (٣) الواقعه : ٧٧ - ٨١ .

٤- (٤) الأحزاب : ٣٣ .

الدنيا ، وهو مقام الشفاعة أيضاً ، فإنّ من يكون حاكماً عن الله تعالى في يوم الدين ، ومتصرفاً بأمر الله ، فإنّ الشفاعة هي أحد شُعبِ صلاحياته .

إذن : فالشفاعة الكبرى عبارته اخرى عن الحاكمية العظيمة في ذلك اليوم ، فعنوان الشفاعة من خواصّ الشؤون الذاتية للحاكمية .
فقد روى أنّ صداق فاطمه عليها السلام جعل شفاعتها لأمه أبيها .

قال النسفي : « سألت فاطمه رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وآله أن يكون صداقها شفاعته لأمته يوم القيامة ، فإذا صارت على الصراط طلبت صداقها » (١) .

وفي « تفسير فرات الكوفي » بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في حديث :

« أنّها عليها السلام إذا صارت إلى باب الجنّة تلتفت فيقول الله : يا بنت حبيبي ،

ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنّتي ؟

فتقول : يا ربّ ، أحببت أن يُعرف قدرى في مثل هذا اليوم .

فيقول الله : يا بنت حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حبّ لك أو لأحد من ذريّتك خذى بيده فادخله الجنّة » .

قال أبو جعفر عليه السلام :

« و الله ، يا جابر ، إنّها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحبّ الجيد من الحبّ الرديء ، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنّة يلقى الله في قلوبهم أن يلتفتوا ، فإذا التفتوا فيقول الله عزّ وجلّ : يا أحبائي ، ما التفاتكم وقد شفّعت فيكم فاطمه بنت حبيبي عليه السلام ؟

فيقولون : يا ربّ ، أحببنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم .

فيقول الله : يا أحبائي ، ارجعوا وانظروا من أحبكم لحبّ فاطمه . انظروا من كساكم

ص: ٣١٥

١- (١) أخبار الدول وآثار الأول : ٨٨ على ما في إحقاق الحقّ . تجهيز الجيش : ١٠٢ على ما في الإحقاق نقلاً عن معارج النبوه السبعيات لأبي نصر : ٨٧ على ما في الإحقاق .

لحبّ فاطمه عليها السلام . انظروا مَين سقاكم شربه في حبّ فاطمه . انظروا مَن ردّ عنكم غيبه في حبّ فاطمه ، خذوا بيده وأدخلوه الجنّه» (١).

ونظير دلالة مرتبه الشفاعه على مرتبه الولاية في الآخرة والذي هو باطن الولاية في الدنيا ما ورد من فطمها لمحبيها عن النار .

قال النبي صلى الله عليه و آله :

« ابنتي فاطمه حوراء آدميه لم تحض ولم تطمّث ، وإنّما سمّاها فاطمه لأنّ الله فطمها ومحبيها عن النار» (٢).

ص: ٣١٦

١- (١) تفسير فرات الكوفى : ٢٩٨ ، الحديث ٤٠٣ .

٢- (٢) وقد روى هذا الحديث محبّ الدين الطبرى فى ذخائر العقبى : ٢٦ ، وأخرجه الخطيب البغدادي فى تاريخ بغداد : ١٢ :

٣٢٨ . كنز العمال : ١٢ : ١٠٩ ، الحديث ٣٤٢٢٦ . فيض القدير : ٤ : ٥٥٥ . ينابيع المودّه : ٢ : ١٢١ .

إنّ الحديث حول موقعه فاطمه عليها السلام ضمن سلسله الحجج الإلهيه هو عبارته اخرى عن الدور الإلهي الذي أنيط بسيدته النساء عليها السلام فى ضمن هذه السلسله الشريفه .

فهل كان دورها مجرد دور فيزيولوجى ووساطه طبيعيه ، أى كواسطه للنبوّه وللنبيّ صلى الله عليه وآله أو كالأُمومه للأئمّه الأطهار عليهم السلام ، مثل دور آمنه بنت وهب رضى الله عنها مثلاً كوالده لرسول الله صلى الله عليه وآله ، أو أىّ أمّ من أمّهات الأنبياء والأوصياء ، كما قد يتصوّر البعض ؟

إنّ الذى يلحظ الآيات التى تتحدّث عنها وعن منزلتها ، والأحاديث المتواتره المرويّه فى اصول علماء الإماميه أو أصحاب السنّه والجماعه ، والتى تشير إلى منزلتها ومقامها وتقديس النبيّ صلى الله عليه وآله لها ، وتفضيلها على مريم عليها السلام بقوله صلى الله عليه وآله :

« أنت مريم الكبرى » ، وجعلها ضمن النساء الأربع الكاملات ، وكلّ ذلك يوحى بوجود عنايه ومنزله تفوق كثيراً تصوّر هذا البعض .

إذن : ما هو هذا الموقع المهمّ لها ضمن هذه السلسله الشريفه ؟

وفى مقام الجواب نقول : إنّ الحديث تاره يدور حول موقعها ضمن سلسله الأوصياء عليهم السلام وأخرى يدور حول موقعها ضمن سلسله الأنبياء .

مقدمه : وقبل الخوض فى الأدله لا بد من تقديم مقدمه وهى : ما هو أصل دور الأوصياء عليهم السلام فى دائره الحجج الإلهيه ؟

الأوصياء هم حجج إلهيه :

إشاره

مما لا شك فيه أنّ الهدف من الخلقه هو العباده ، حيث كانت العباده هى الغايه من الخلقه ، و هذا صريح القرآن يشهد بذلك حيث يقول تعالى : **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (١)** .

ولكن حيث إنّ عباده الله تعالى لا- تتمّ إلّا بعد معرفته ، وحيث إنّ الخلق عاجز عن معرفته تعالى إلّا بما عرّف به نفسه عن طريق رسله وأوصيائهم ، فكانوا هم الأدلاء على الله تعالى ، والمسلك إلى رضوانه ، فالرسول أو النبىّ أو الوصىّ هو الدليل إلى معرفته سبحانه وتعالى لأصل عبادته و كفيّتها ، حيث لا يطاع الله تعالى إلّا من حيث أمر .

وعليه فتكون منزله الرسول أو النبىّ أو الوصىّ هى منزله الحجّه الإلهيه على الخلق .

فالحجّه إذن : هو الدليل إلى الله تعالى يُحذّر العباد وينذرهم ويهديهم ويبشّرهم .

وهو المنصوص عليه من قبله تعالى بالخصوص .

و هذا الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يوضّح موضع الحجّه الإلهيه ويشرح دوره فى الخلق .

روى الكلينى عن على بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن العباس بن عمر الفقيميّ ،

ص: ٣١٨

عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله : من أين أثبت الأنبياء والرسول ؟

قال عليه السلام :

إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ ،

وكان ذلك الصانع حكيمًا متعالياً لم يُجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويبشروه ويحاجهم ويحاجوه ، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبين بالحكمه ، مبعوثين بها ، غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب في شيء من أحوالهم ، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمه ، ثم ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين ، لكيلا تخلو أرض الله من حجّه يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته «(١)» .

وفي مقام تفصيل الجواب نقول : إنه يواجهنا صنفان أو أكثر من النصوص التي تتحدّث عن منزلتها ومقامها عليها السلام :

الصنف الأوّل : النصوص التي تتحدّث عن نوع من الوساطه العلميه لها بين الله تعالى وبين الأنبياء والأوصياء .

الصنف الثاني : النصوص التي تتحدّث عن اشتقاق أنوار هذه السلسله بل أنوار الخلق جميعاً من نورها .

وعليه فلا بدّ أن نتحدّث عن عدّه نقاط مهمه :

النقطه الأولى : الروايات التي تتحدّث عن هذه الوساطه ، وما هي حقيقه هذه الوساطه العلميه وما الحاجه إليها ؟

ص: ٣١٩

١- (١) الكافي : ١ : ١٦٨ ، من باب الاضطرار إلى الحججه ، الحديث ١ .

النقطة الثانية : الروايات التي تتحدّث عن اشتقاق الأنوار منها ، وما هي حقيقه عالم الأنوار ، وأين موقعه ضمن عالمناء الدينوى هذا

أمّا النقطة الأولى : يدور الحديث حول الوساطه العلميه بينها وبين الأئمه الأطهار عليهم السلام فهو يسوقنا بطبيعته الحال إلى الحديث عن علم الإمام المعصوم عليه السلام ، وهو : ما هو مصدر هذا العلم هل هو القرآن الكريم والسنة النبويه ، فحسب أم شىء آخر ؟

الحقيقه أنّ هناك منابع ومصادر اخرى لعلومهم بالإضافة إلى القرآن والسنة النبويه الشريفه أشار إليها الأئمه عليهم السلام أنفسهم ، ومن هذه المنابع ما يلي :

١ - مصحف فاطمه :

حيث إنّ المتتبع لأحاديث أهل البيت عليهم السلام يجد فى حديثهم تصريحاً أنّ هناك أكثر من مصدر لعلومهم ، وأنّ جملة غيره من الأحكام التى بينوها والمعارف التى نشرها مصدرها هو مصحف فاطمه عليها السلام ، وهذا يعطى دورها فى بيان المعارف والأحكام .

كما تشير إليه صحيحه أبى بصير ، قال : « دخلت على أبى عبد الله عليه السلام فقلت له :

جُعلت فداك ، إنى أسألك عن مسأله ، ههنا أحد يسمع كلامى ؟

قال : فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال :

يا أبا محمّد ، سل عمّا بدا لك .

قال : قلت : جعلت فداك ، إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علم علياً عليه السلام باباً يُفتح له منه ألف

باب ؟

قال : فقال :

يا أبا محمّد ، علم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألف باب يُفتح من كلّ باب ألف باب .

قال : قلت : هذا والله العلم .

قال : فنكت ساعه فى الأرض ثم قال :

إنه لعلم وما هو بذاك .

قال : ثم قال :

يا أبا محمد ، وإن عندنا الجامعه وما يدريهم ما الجامعه ؟

قال : قلت : جعلت فداك ، وما الجامعه ؟

قال :

صحيفه طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من فلق فيه وخط على يمينه ، فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض فى الخدش ، وضرب بيده إلى وقال :

تأذن لى يا أبا محمد ؟

قال : قلت : جعلت فداك ، إنما أنا لك فاصنع ما شئت .

قال : فغمزنى بيده وقال :

حتى أرس هذا كأنه مغضب .

قال : قلت : هذا والله العلم .

قال :

إنه لعلم ، وليس بذاك .

ثم سكت ساعه ، ثم قال :

وإن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر ؟

قال : قلت : وما الجفر ؟

قال :

وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل .

قال : قلت : إنّ هذا هو العلم .

قال :

إنّه لعلمٌ ، وليس بذاك .

ثمّ سكت ساعه ثمّ قال :

وإنّ عندنا لمصحف فاطمه عليها السلام وما يدرّ بهم ما مصحف فاطمه عليها السلام ؟

قال : قلت : وما مصحف فاطمه عليها السلام ؟

قال :

مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد .

ص: ٣٢١

قال : قلتُ : هذا و الله العَلمُ .

قال :

إنَّه لعَلمٌ ، وما هو بذاك .

ثمَّ سكت ساعه ثمَّ قال :

إنَّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعه .

قال : قلت : جعلت فداك ، هذا و الله هو العَلمُ .

قال :

إنَّه لعَلمٌ ، وليس بذاك .

قال : قلت : جعلت فداك ، فأىَّ شىء العَلم ؟

قال :

ما يحدث بالليل و النهار ، الأمر بعد الأمر ، والشىء بعد الشىء إلى يوم القيامة «(١)» .

ومقتضى هذه الصحيفة فإنَّ مصحف فاطمه يفوق علماً للألف باب التى علّمها رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام ، والتى يفتح من كلّ باب ألف باب ، ويفوق فى العلم أيضاً الجامعه ، وهى الصحيفة التى طولها سبعون ذراعاً يأملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام ، حيث فيها كلّ حلال وحرام ، وكلّ شىء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش فى الخدش ، ويفوق علم الجفر الذى هو وعاء من أدم الذى فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بنى إسرائيل .

وإن كان المصحف حسب الصحيحه دون الروح الأمرى الذى يتنزّل عليهم ليله القدر وفى كلّ يوم وفى كلّ ساعه ، و ذلك كلّه لأجل الترتيب الذى فى قوله عليه السلام فى كلّ مرتبه « ليس بذاك » ، أى ليس بتلك العظمه بالقياس إلى ما سيذكره تالياً ، ممّا يدلّ على التفاضل فى المقيس إليه ترتيباً ، لأنّه لم يكن فى صدد نفى الحصر كى يُستظهر بأن الترتيب للاستيعاب لا للتفاضل .

ص: ٣٢٢

١- (١) الكافى : ١ : ١٨٦ ، باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعه ومصحف فاطمه عليها السلام ، الحديث ١ .

ومما يشير إلى حجّيه فاطمه عليها السلام وولايتها ، الكُنيه التي أطلقها الرسول صلى الله عليه وآله ، من أنّ فاطمه أمّ أبيها (١) ، حيث إنّ هذه الكنيه يمكن أن تُفسّر بأن حقيقتها حقيقه ليله القدر ، كما مرّ الإشاره إليه ، وما مرّ من أنّ على معرفتها دارت القرون الأولى ، فإن الأمّ والأمومه يُستعمل بمعنى الأصل ، فأَمّ الشيء أصله .

وقد ذكر بعض الأعلام من المحقّقين أنّ المراد من كونها ليله القدر هو أنّها النفس الكلّيه ، وهذا المعنى وإن لم ينسجم مع الروح الأمرى الذى هو من عالم الملكوت وعالم الأمر ، والذى هو عماد المصدر الذى يتنزّل منه التقدير ليله القدر من القضاء ،

ص: ٣٢٣

١- (١) الكافى : ١ : ٢٧٢ ، باب فيه ذكر الأرواح التى فى الأئمه عليهم السلام ، الحديث ٣ .

إلا أنه على أىّ تقدير مقتضاه ارتباط النفس الجزئية والنفوس الجزئية فى الأنبياء بتلك النفس الكلية ، واستمدادها الفيض من الله تبارك وتعالى عبّر بها .

فمن ثمّ يكون للنفس الكلية أمومه للنفس الجزئية .

هذا فضلاً عمّا لو فسّرت بروح القدس الذى هو من عالم الأمر ، والذى هو الكتاب الذى على معرفته دارت معارف الأنبياء ، وانبعثت معارفهم ، فإنّ أمومه الكتاب حينئذٍ أوضح وأظهر أيضاً .

وهذا لا- يتنافى مع كون سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله له مقام الأبوه بلحاظ مقامه النورى حيث اشتقّ منه نور فاطمه عليها السلام .

نظير ما ورد التعبير من أنّ جبرئيل علّم النبىّ صلى الله عليه وآله ، أو أشار عليه ، أو أبلغه ، ونحو ذلك ما ورد فى ألفاظ الآيات والروايات من بيان ذلك ، مع أنّ مقام سيّد الأنبياء أفضل وأعظم من مقام جبرئيل ، فإنّ المقام النورى لرسول الله صلى الله عليه وآله أعلى شأنًا من مقام جبرئيل ، بل كما ورد فى الروايات أنّ جبرئيل منهم أهل البيت عليهم السلام ، ولكن ذلك لا يمنع استفاضه النفس الجزئية لسيّد الأنبياء من مقام جبرئيل .

وبعبارة اخرى : أنّ الذات النبويّه ذات مراتب ودرجات تبدأ من البدن الشريف ثمّ القوى النفسانيّه للنفس الجزئية ، ثمّ طبقات الروح من المراتب النازله ، فتأخذ فى التصاعد إلى النفوس الكليه والأرواح المرسله ، ثمّ عالم الأنوار ، وأحكام كلّ مرتبه تختلف عن المرتبه الأخرى .

وهذه القاعده المعرفيه يُفكّك بها غوامض كثيره من المسائل فى باب المعارف ، ويُحلّ بها عُقد مستعصيه فى كثير من أحوالهم وشؤونهم .

ويشير إلى ذلك ما رواه الكلينى فى الصحيح عن جابر الجعفى عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث :

« . . . فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصّه الله من خلقه جعل فيهم خمسة أرواح أيدهم بروح القدس؛ فيه عرفوا الأشياء و أيدهم بروح الإيمان؛ فيه خافوا

اللّه عزّ وجلّ ، وأيّدهم بروح القوّه؛ فبه قدروا على طاعه الله ، وأيّدهم بروح الشهوه؛ فبه اشتها طاعه الله عزّ وجلّ ، وكرها معصيته ، وجعل فيهم روح المدرج الذي به يذهب الناس ويجيئون . . . «(١)» .

وفى روايه اخرى لجابر عن أبى جعفر عليه السلام :

« إنّ فى الأنبياء والأوصياء خمسه أرواح : روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح الحياه ، وروح القوّه ، وروح الشهوه ، فبروح القدس - يا جابر - عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى .

ثمّ قال :

يا جابر ، إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدّان إلّاروح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب «(٢)» .

وفى روايه اخرى للمفضّل بن عمر ، عن أبى عبد الله عليه السلام :

« . . . لا ينام ،

ولا يغفل ، ولا يلهو ، ولا يزهو ، والأربعة أرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو ، وروح القدس كان يرى به «(٣)» .

وهذه الروايات وغيرها تدلّ على اختلاف شؤونهم وأحوالهم بحسب طبقات أرواحهم ، وأنّ أحكامها وصفاتها تختلف من روح إلى اخرى .

مضافاً إلى ما ورد مستفيضاً من سلسله صدور أنوارهم ، ثمّ أرواحهم ، ثمّ نفوسهم ، ثمّ أبدانهم .

٣ - فاطمه وازدياد العلم للأنبياء والأوصياء :

ففى صحيحه زراره قال : « سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول :

لولا أنّا نزداد لأنفدنا . . . «(٤)» الحديث ، ومثله عدّه صحاح .

ص: ٣٢٥

١- (١) قد روى ذلك فى جملة من مصادر الفريقين نذكرها لا على سبيل الحصر : ١- الطبرانى فى المعجم الكبير : ٢٢ : ٣٩٧ ، فى فصل ذكر سنى فاطمه عليها السلام . ٢- ابن عبد البرّ فى الاستيعاب : ٤ : ١٨٩٩ . ٣- الإصابه لابن حجر : ٨ : ٢٦٢ . ٤- تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر : ٣ : ١٥٨ . ٥- اسد الغابه لابن الأثير : ٥ : ٥٢٠ . ٦- أنساب الطالبين للمجدى : ١٢٨ : ٧ . ٧- درر السمط فى خبر السبط لابن الأبار (المتوفى ٥٤٨ هـ . ق) : ٧٧ . ٨- التعديل والجرح للباغى (المتوفى ٤٧٤ هـ . ق) : ١ : ١٤٩٨ و ١٤٩٩ . ٩- تهذيب الكمال للمزى : ٣٥ : ٢٤٧ . ١٠- سير أعلام النبلاء : ٢ : ١١٩ . ١١- الكاشف للذهبي : ٥١٤ : ١٢ - مقاتل الطالبين

- لأبى الفرج فى ترجمه الإمام الحسن عليه السلام : ٢٩. ١٣ - مناقب آل أبى طالب : ١ : ١٤٠. ١٤ - تاج المواليد للطبرسى : ٢٠
١٥. - الدعاء للطبرانى : ١ : ٣٠.
- ٢- (٢) الكافى : ١ : ٢٧٢ ، باب فيه ذكر الأرواح التى فى الأئمة عليهم السلام ، الحديث ١ .
- ٣- (٣) الكافى : ١ : ٢٧٢ ، باب فيه ذكر الأرواح التى فى الأئمة عليهم السلام ، الحديث ٢ .
- ٤- (٤) الكافى : ١ : ٢٥٥ ، باب لولا أن الأئمة يزدادون لنفد ما عندهم ، الحديث ٣ .

وروى الكليني أيضاً بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : « قال الله عز وجل في ليله القدر : فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (١) ، يقول : ينزل فيها كل أمر حكيم ، والمحكم ليس بشيئين ، إنما هو شيء واحد . . . إنه لينزل في ليله القدر إلى ولي الأمر تفسير الأمور سنه سنه ، يُؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا ، وفي أمر الناس بكذا وكذا ، وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عز وجل الخاص ، والمكنون العجيب المخزون ، مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر ، ثم قرأ : وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَهُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢) » (٣) .

ولا يخفى أن الروح النازله في ليله القدر مصدر لعلوم الأئمة عليهم السلام قد اشير إليه في ذيل صحيحه أبي بصير ، وأنه أعظم مصادر علومهم عليهم السلام ، كما تشير صحيحه زراره ، والروايه الأخيره أنه مصدر ازدياد علوم أهل البيت عليهم السلام كل يوم وكل اسبوع ، وأن هذا المصدر هو الروح الأمرى النازل في ليله القدر ، وفي كل ليله و يوم ، وفي كل ليله جمعه ، وقد أشارت بعض الآيات وجمله من الروايات إلى أن حقيقه ذلك الروح الأمرى هو روح فاطمه عليها السلام ، فعلى ضوء ذلك يتبين أن وساطه فاطمه العلميه للأئمة عليهم السلام لا ينحصر في مصحفها كمصدر لعلومهم ، بل كذلك وساطه الروح الأمرى في ليله القدر ، وفي كل ليله و يوم ، وفي كل ليله جمعه هو أيضاً روح فاطمه عليها السلام ، وهذه وساطه علميه أعظم لمصدر علم الأئمة عليهم السلام .

بل الملاحظ من روايات الفريقين أن هذه الوساطه ليس لأئمة أهل البيت عليهم السلام فحسب ، بل هي لجميع الأنبياء من لدن آدم ، إذ ليله القدر قناه غيبته كانت مع

ص: ٣٢٤

١- (١) الدخان : ٤ .

٢- (٢) لقمان : ٢٧ .

٣- (٣) الكافي : ١ : ٢٤٨ ، باب في شأن (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ، الحديث ٣ .

الأنبياء ، وهى مع أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد خاتم الأنبياء ، وعلى ضوء ذلك فلفاطمه عليها السلام الحجية من بعد رتبة أبيها على جميع الأنبياء ، ولها الولاية وحق الطاعة عليهم ، إذ كانت واسطه لفيض العلم عليهم .

ويشير إلى معية الروح الأمرى لجميع الأنبياء قوله تعالى : يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (١) ، وقوله تعالى : يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (٢) ، فالآيتان تبينان أن إنزال الروح الأمرى سُنَّه دائمه لله تعالى مع العباد الذين تعلقت بهم مشيئته الاصطفاء الإلهي .

ويشير إلى ذلك الروايات الواردة من الفريقين .

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أبي جعفر عليه السلام قوله :

« لقد خلق الله عزَّ وجلَّ ذكره ليلة القدر أوَّل ما خلق الدنيا ، ولقد خلق فيها أوَّل نبيِّ يكون ، وأوَّل وصيِّ يكون ،

ولقد قضى أن يكون في كلِّ سنة ليلة يُهبط فيها تفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة ، من جحد ذلك فقد ردَّ على الله عزَّ وجلَّ علمه ، لأنه لا يقوم الأنبياء والرسل والمحدِّثون إلَّا أن تكون عليهم حجة بما يأتيهم في تلك الليلة مع الحجة التي يأتيهم بها جبرئيل . . .

وأيم الله لقد نزل الروح و الملائكة بالأمر في ليلة القدر على آدم .

وأيم الله ما مات آدم إلَّاوله وصيِّ ، وكلَّ من بعد آدم من الأنبياء قد أتاه الأمر فيها ، ووضع لوصيِّه من بعده .

وأيم الله إن كان النبيُّ ليؤمر فيما يأتيه من الأمر في تلك الليلة من آدم

ص: ٣٢٧

١- (١) النحل : ٣ .

٢- (٢) غافر : ١٥ .

إلى محمد صلى الله عليه وآله أن أوص إلى فلان» (١).

وروى الكليني أيضاً في موثقه فضيل بن يسار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام في حديث :

« وإن العلم الذي نزل مع آدم لم يُرفع ، وما مات عالم فذهب علمه ، والعلم يُتوارث » (٢).

وروى نظير هذا المعنى عدّه روايات في نفس هذا الباب .

وقد روى النسائي عن أبي ذرّ حيث قال في حديث فضل ليله القدر : « . . . قال :

يا رسول الله ، أتكون مع الأنبياء ، فإذا ماتوا رُفعت ؟

قال :

بل هي باقيه » (٣).

وروى عبد الرزاق الصنعاني في « المصنّف » بسنده عن ابن عباس قال : « ليله في كلّ رمضان يأتي » .

قال : وحديثي يزيد بن عبد الله بن الهاد أنّ رسول الله سُئل عن ليله القدر فقيل له :

كانت مع النبيّين ثمّ رُفعت حين قبضوا ؟ أو هي في كلّ سنة ؟

قال :

بل هي في كلّ سنة ، بل هي في كلّ سنة (٤).

وروى عن ابن جرير ، قال : « حُذث أنّ شيخاً من أهل المدينة سأل أبا ذرّ بمنى فقال : رفعت ليله القدر أم هي في كلّ رمضان ؟

فقال أبو ذرّ : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ، رفعت ليله القدر ؟

قال :

بل هي في كلّ رمضان » (٥).

ص: ٣٢٨

١- (١) الكافي : ١ : ٢٥٠ ، باب في شأن إنا أنزلناه في ليله القدر وتفسيرها ، الحديث ٧ .

٢- (٢) الكافي : ١ : ٢٢٢ ، باب أنّ الأئمة ورثه العلم يرث بعضهم بعضاً ، الحديث ٤ .

٣- (٣) فتح الباری : ٤ : ٢٢٧ ، کتاب تحرّی لیلہ القدر .

٤- (٤) المصنّف لابن أبی شیبہ : ٤ : ٢٢٥ ، الحدیث ٧٧٠٨ .

٥- (٥) المصنّف : ٤ : ٢٢٥ .

وروى ابن أبي شيبه الكوفى في « المصنّف » في باب ليله القدر ، بسنده إلى ابن أبي مرثد ، عن أبيه ، قال : « كنت مع أبي ذرّ عند الجمره الوسطى فسألته عن ليله القدر ، فقال : كان أسأل الناس عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قلت : يا رسول الله ، ليله القدر كانت تكون على عهد الأنبياء فإذا ذهبوا رفعت ؟

قال : لا ،

ولكن تكون إلى يوم القيامة » (١) .

فهذه الروايات من الفريقين تدلّ على أنّ ليله القدر كانت مع جميع الأنبياء ، وأنها مصدر لعلومهم ، إذ يتنزّل فيها تقدير كلّ شيء إلى العامّ القابل ، كما هو نصّ الآيات والروايات .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر قد ورد في الروايات أنّ هذا الروح الأمرى الذى يتنزّل فى ليله القدر هو أحد المراتب لروح فاطمه عليها السلام ، ومن ذلك يُستنتج كما قد صرّح به فى الروايات وساطه فاطمه عليها السلام لسائر الأنبياء .

فقد روى الشيخ الطوسى بسنده (٢) إلى أبى عبد الله عليه السلام ، قال :

« إنّ الله تعالى أمهر فاطمه عليها السلام ربع الدنيا ، فربعها لها ، وأمهرها الجنّه والنّار ، تدخل أعداءها النّار ،

ص: ٣٢٩

١- (١) المصنّف لابن أبي شيبه : ٢ : ٣٩٤ ، الباب ٣٤١ ، الحديث ٥ .

٢- (٢) قد روى الشيخ الطوسى بسنده عن ابن أبى الحسين محمّد بن الحسين الكوفى - الجليل عند أصحابنا فى الكوفه - قال : حدّثنا صفوان بن يحيى - وهو من أجمعت الطائفه على جلالته - ، عن الحسين بن أبى غنّدر ، وهو صاحب أصل يرويه عنه صفوان بن يحيى ، والطريق الذى ذكره الشيخ فى الفهرست إلى كتابه هو بعينه طريق هذه الروايه ، وللنجاشى طريق إلى ذلك الكتاب أيضاً ، عن صفوان عنه ، وهذا الطريق للنجاشى عن طريق أستاذه الشيخ المفيد ، وهو أستاذ الشيخ الطوسى ، فيكون هذا الطريق للشيخ أيضاً ، عن استاذه ابن قولويه - عن إسحاق بن عمّار وأبى بصير - فالروايه فى الاصطلاح هى روايتان وإنّما هو طريق يشترك إلى كلّ من إسحاق بن عمّار وإلى أبى بصير ، وبعبارة اخرى : إنّ طريقان للروايه .

وتدخل أولياءها الجنة ، وهي الصديقه الكبرى ، وعلى معرفتها دارت القرون الأولى «(١)» .

وروى فرات الكوفي في تفسيره - وهو من أعلام الغيبة الصغرى - قال : حدثنا محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ اللَّيْلَةَ فَاطِمَةَ ، وَالْقَدْرَ اللَّهُ ، فَمَنْ عَرَفَ فَاطِمَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةَ لِأَنَّ الْخَلْقَ فَطَمُوا عَنْ مَعْرِفَتِهَا .

وقوله : وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يَعْنِي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ مُؤْمِنٍ ، وَهِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا وَالْمَلَائِكَةُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ عِلْمَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ هِيَ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعَ الْفَجْرُ يَعْنِي حَتَّى يَخْرُجَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «(٢)» .

وروى شرف الدين الاسترابادي النجفي في « تأويل الآيات الظاهرة » وهو متقدم على الشيخ المجلسي صاحب البحار ، وهو معاصر للمقدس الأردبيلي ، قال في ذيل سورة القدر : وروى أيضاً عن محمد بن جمهور عن موسى بن بكر عن زراره عن حمران قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يُعرف في ليلة القدر ، هل هو ما يقدر الله فيها ؟

قال :

لا- توصف قدره الله إلمانه قال : فيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فَكَيْفَ يَكُونُ حَكِيمًا إِلَّا مَا فَرَّقَ ؟ وَلَا تُوصَفُ قَدْرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ يُحَدِّثُ مَا يَشَاءُ .

وأما قوله : لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يَعْنِي فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ .

وقوله : تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا وَ الْمَلَائِكَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُؤْمِنُونَ ،

ص : ٣٣٠

١- (١) الأما لي للطوسي : المجلس ٣٦ ، الحديث ٦ ، ورواه ابن شهر آشوب في المناقب : ٣ : ١٢٨ ، في عنوان تزويج فاطمه عليها السلام ، ولكنه لم ينقل الذيل .

٢- (٢) تفسير فرات الكوفي : ٥٨١ ، الحديث ٧٤٧ .

الذين يملكون علم آل محمّد ، والروح القدس وهو فى فاطمه . مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ يَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مَسَلَّمَهُ حَتَّى مَطَّلَعِ الْفَجْرِ يَعْنَى حَتَّى يَقُومَ الْقَائِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «(١)» .

فإذا تقرر أنّ روح القدس أحد مراتب روحها فيظهر بوضوح وساطتها فيما يتنزل ليله القدر على الأنبياء ، آدم ومن بعده من الأنبياء ، ومنه يظهر وساطتها فى فيض العلم الإلهي لهم .

ولعلّ هذا أحد معانى ما ورد عنهم عليهم السلام من تسميته صلى الله عليه وآله لها بأنّها أمّ أبيها ، ولا يتوهم أنّ القول بذلك يقتضى أفضليتها أو ولايتها على سيّد النبيين ، وذلك لأنّ فى سيّد الأنبياء لا تتأتى هذه المفاضله ولا الهيمنه فى الولاية إذ قد تقرر فى الأدلّة أنّ نوره صلى الله عليه وآله اشتقّ منه نور علىّ ومن ثمّ اشتقّ منهما نور فاطمه ، والنور أعلى مرتبه وجوديه من الروح الأمرى ، وإنّما الروح الأمرى وساطه فيض علميه فى العوالم النازله على الروح الجزئيه ، كما هو الحال فى وساطه جبرئيل فى الوحي للروح الجزئيه لسيّد الأنبياء ، فإنّه لا يستلزم أفضلية جبرئيل على سيّد الأنبياء ، بل الروح الأمرى بالنسبه إلى خصوص سيّد الأنبياء ما هو إلّا قطره فى بحر محيط ذاتى ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى : وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا (٢) ، حيث قد اشير فى سور عديده كما بين الإمام زين العابدين عليه السلام فى الصحيفه السجاديّه إلى أسماء ومقامات النبيّ صلى الله عليه وآله ممّا هى أعلى مرتبه ومقاماً من الكتاب ، كما فى مثل يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وَحَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ وَطَسْ وَغَيْرَهَا مِنْ مَقْطَعَاتِ الْحُرُوفِ الَّتِي قُرِنَ الْكِتَابُ بِهَا بَعْدَهَا ، والسبق فى الذكر إشارة

ص: ٣٣١

١- (١) تأويل الآيات الظاهره فى فضائل العتره الطاهره : ٢ : ٨١٨ ، الحديث ٣ .

٢- (٢) الشورى : ٥٢ .

إلى تقدّم في شأن المقام .

هذا وقد تقرّر في بيانات آيات وروايات عديده أنّ الروح الأمرى وروح القدس هو حقيقه القرآن (١) ، كما قد أشارت سوره الواقعه إلى أنّ الكتاب المكنون يمسه المطهرون ، وهم أهل آيه التطهير ، والمسّ يشير إلى الإدراك والوصول ، ويقرّر مرتبه من الأتّحاد والعيّته ، كما يشير حديث الثقلين إلى معيه الكتاب والعترة ، وعدم افتراقهما ، وهما جبل الله الممدود ، أى وليس جبلين ، ممّا يشير إلى مرتبه فى الأتّحاد والوحده فى المراتب العالیه .

كما يستفاد ذلك من قوله تعالى : يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٢) ، بتقريب أنّ الإلقاء نحو من التأييد والتسديد والمعّيه ، وعنوان العترة وأهل البيت متضمّن لفاطمه عليها السلام ، ومن ثمّ أشرنا إلى أنّ أمره صلى الله عليه وآله إلى الحديث المتواتر بالتميّك بالثقلين الدالّ على أنّه نوع ونمط حجّيه العترة كحجّيه الكتاب سنخاً من لزوم التمسك بهما شامل لها عليها السلام ، إذ هى أساس فى العترة ، كما يشير إليه الحديث القدسىّ حيث ابتدأ بها

« هى فاطمه وأبوها وبعلمها وبنوها » (٣) .

وممّا ينبّه إلى أنّ هذا المقام لها عليها السلام أيضاً ، أنّ الكتاب المبين هو الإمام المبين ، كما تقرّر ذلك فى أبحاث اخرى ، ويشير إليه قوله تعالى : وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (٤) ، مع قوله تعالى : لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥)

(، فإذا كان ذلك مقام

ص: ٣٣٢

١- (١) لاحظ كتاب الإمامه الإلهيه - الفصل السابع .

٢- (٢) غافر : ١٥ .

٣- (٣) بحار الأنوار : ٩ : ١١٢ ، الباب ١ و ٩ : ٢١٨ ، الباب ١ ، الحديث ٩٧ و ١٦ : ٣٦٣ ، الباب ١١ ، الحديث ٦٥ .

٤- (٤) يس : ١٢ .

٥- (٥) يونس : ٦١ .

الإمام عليه السلام هو الكتاب المبين والمفروض كما قد مرّ وساطتها عليها السلام العلميه لأئمه أهل البيت عليهم السلام في مصحفها ، فكيف لا تكون واسطه لهم في الروح الأمرى ، وكما مرّ في سيد الأنبياء لا يتوهم أفضله فاطمه عليها السلام على سيد الأوصياء .

إذا عرفت ذلك نقول : إنّ هذه المعارف والعلوم ليس لوجودها الكتبي كلّ الدور ، أعنى الحروف المكوّنه له ، ولا اللفظى أى الألفاظ المؤلفه له ، ولا الذهنيّ أى صورته فى الذهن ، بل لوجودها الحقيقى ، ووجودها كذلك .

وبعبارة ثالثة : ليس لنفس الكتاب المكوّن من الصفحات والخطوط الدور الكبير فى هذا النوع من المعارف والعلوم ، بل بلحاظ إيصال الحقائق النوريه لهذه المعارف إلى أرواحهم الطاهره عليهم السلام .

و هذا النوع من المعارف ليس أمراً غريباً ، حيث إنّ نفس حقائق القرآن الكريم من هذا النوع ، فلاحظ أنت ماذا تعبّر الآيات الإلهيه عن حقيقه القرآن الكريم ، فلاحظ قوله تعالى : **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (١)** ، وأخرى تعبّر عنه بالنور و ذلك فى قوله تعالى : **وَالنُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ (٢)** ، وأخرى بالروح :

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً (٣) .

إذن هناك حقيقه لهذه العلوم والمعارف خلف هذا المخطوط ، نعم هذا المخطوط للقرآن الكريم يحكى تلك الحقائق بنوع من الحكايه .

وعليه ، فلا يتبادر إلى الذهن أنّه بناءً على هذا فأين هو القرآن المقدّس عندنا ، وماذا نقرأ نحن ؟

ص: ٣٣٣

١- (١) الواقعه : ٧٧ .

٢- (٢) الأعراف : ١٥٧ .

٣- (٣) الشورى : ٥٢ .

فنقول : إنّ هذا القرآن المخطوط بين أيدينا هو يحكى تلك الحقيقه العُلويّه الغيبيّه الحقيقته للقرآن الكريم ، وليس منفصلاً عنها ، والمطلوب منها هو قراءه هذا المخطوط والعمل به ، والاتّعاظ بآياته ، والامتثال لأمره والانتهاه بنهيه ، ولكن الأمر الذى نريد إلفات النظر إليه هو أنّه ليس هذا هو تمام حقيقه القرآن ، فليتفت إلى ذلك .

كما هو الحال فى اسم الذات المقدّسه (الله) فهو يحكى بنوع عن الذات الإلهيّه المقدّسه ، ولكن ليس هو الذات المقدّسه بنفسها ، بل حقيقتها أمر آخر غير هذا الإسم ، نعم هذا الإسم هو حاكى عنها ، وله قداسته وأثره ، ولذا لا يجوز مسّه بدون الطهاره ، وله حرمة فلا يجوز هتكها ، مع أنّه ليس هو الذات المقدسه .

ثمّ إنّ هناك عدّه إشكالات :

الإشكال الأوّل : وحاصله : إذا كان الأئمّه عليهم السلام يعلمون الكتاب ، وقد قال تعالى :

...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ۚ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١) .

وقال أيضاً : ما فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۚ (٢) . فأى موقع وأهميه لمنابع هذه العلوم والمعارف والتي منها مصحف فاطمه عليها السلام ، بعد أن تكفل القرآن الكريم ببيان كلّ شىء تحتاجه البشريّه ؟

الجواب : إنّ من المسلم أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً ، والظاهر قد يطّلع عليه العالم العارف ولكن باطنه ليس كذلك .

وبعبارة اخرى : إنّ هذه المنابع العلميه - والتي من ضمنها مصحف فاطمه عليها السلام - هى واسطه من باطن القرآن إلى أرواحهم الشريفه .

حيث إنّ الذى هو تبيان لكلّ شىء ليس هو ظاهر القرآن بل باطنه ، حيث يعبّر

ص: ٣٣٤

١- (١) النحل : ٨٩ .

٢- (٢) الأنعام : ٣٨ .

القرآن عن نفسه كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (١) وفي موضع آخر :

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢) وفي موضع ثالث في مسأله المتشابهه والمحكم في القرآن هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ . . . وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَهُوَ صَرِيحٌ بِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا الرَّاسِخُونَ ، أَى إِلَافَتُهُ خَاصَّةٌ . وَلَا شَكَّ أَنَّ تَأْوِيلَهُ جِزْءٌ مِنْ مَعَارِفِهِ .

إذن : فمحلّ هذه العلوم - ومنها مصحف فاطمه عليها السلام - هو أنها الواسطه بين الحقائق القرآنيه الغيبية وبين النفوس الشريفه للأئمه عليهم السلام ، و هذا متطابق مع مقام ليله القدر لها .

الإشكال الثاني : لا شكَّ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِمَامًا لِسَيِّدَةِ النَّسَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، وَعَلَيْهِ فَكَيْفَ تَتَصَوَّرُ أَنَّهَا وَاسِطَةٌ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْعِلْمِ ، وَلَوْ قَدَّرَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَنْ تَعِيشَ إِلَى زَمَنِ إِمَامِهِ وَلَدِيهَا الْإِمَامِينَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَنَفْسُ الْكَلَامِ يَأْتِي مِنْ تَوْجِيهِ وَسَاطِئِهَا الْعِلْمِيَّةِ لِإِمَامِ زَمَانِهَا .

الجواب : أَنَّهُ مُضَافًا إِلَى أَنَّ نَفْسَ وَفَاتِهَا قَبْلَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْحِكْمِ ، الدَّالَّةُ عَلَى أَنَّهَا لَا تَكُونُ مَأْمُومَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَيْثُ إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَجْرَدَ الْإِنْسَانِ الْمَأْمُومِ تَجَاهَ إِمَامِهِ كَسَائِرِ الْمَأْمُومِينَ ، بَلْ كَانَ لَهَا الدَّورُ الْوَلَائِيُّ زَمَنِ أَبِيهَا وَبَعْلِهَا ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي بَحْثِ الْفِيءِ ، وَالْخَمْسِ ، وَفَدَاكَ ، حَيْثُ كَانَ لَهَا دَوْرٌ فَاعِلٌ فِي إِمَامَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحُكُومَتِهِ فِي عَهْدِهِ ، فَضْلًا عَنْ عَهْدِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وبعبارة اخرى : أَنَّ لَهَا شِرَاكَةً تَابِعَهُ فِي حُكُومَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَوَلَايَتِهِ ، كَمَا أَنَّ لَهَا شِرَاكَةً كَفَيْتِيَّةً مِنْ جَوَانِبِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَى مِنْ بَعْضِ الْجَوَانِبِ .

ص: ٣٣٥

١- (١) الواقعة : ٧٨ - ٧٩ .

٢- (٢) البروج : ٢١ - ٢٢ .

الإشكال الثالث : أليست فاطمه عليها السلام تطيع وتُسَلِّم لأمر ربِّها بإمامه الأئمّه من أولادها عليهم السلام وإن لم تحضر زمن إمامتهم ، فكيف تكون واسطه علميّه لهم ؟

الجواب : أنّ تسليمها بإمامه ولدها لا يعنى فوقيه وأفضليّه مقامهم على مقامها ، كما هو الحال فى تسليم النبيّ صلى الله عليه وآله بنبوّه الأنبياء قبله ، فالإيمان والتسليم بنبوّتهم لا يعنى علوّ مقام الأنبياء عليهم السلام على مقامه صلى الله عليه وآله ، والذى قد ثبت فى محلّه إجماع المسلمين على علوّ منزلته ومقامه على جميع الأنبياء ، بل على الخلق أجمع .

واعلم أنّه لا- ينحصر الأمر لدى الأئمّه عليهم السلام بظاهر تنزيل الكتاب ، وظاهر السنّه اللفظيّه ، بل هناك مصادر جمّه اخرى لعلومهم ، مثل كتاب على عليه السلام ، والجفر ، والجامعه ، والمصحف عليها السلام ، وروايات ازدياد العلم ، وغيرها من المصادر الأخرى .

وبعد هذه المقدّمه التى عرفنا فيها أنّ الأوصياء هم حجج إلهيّه على الخلق ، والأدلاء إلى الحقّ سبحانه وتعالى ، فنقول : فإذا كان أوصياء النبيّ صلى الله عليه وآله وهم أهل البيت عليهم السلام حجج على الخلق ، فإنّ أمّهم فاطمه عليها السلام هى حجّه الله عليهم ، وهذا يُفسّر قول الإمام العسكريّ فيما نُسب إليه عليه السلام :

« نحن حجّه الله على الخلق وفاطمه عليها السلام حجّه الله علينا » (1) .

والحجّه هنا الظاهر أنّها بمعنى الواسطه العلميه بين الله تعالى وبين أهل البيت عليهم السلام ، حيث كون مصحفها المعروف بمصحف فاطمه عليها السلام أحد مصادر علومهم التى يعتمدون عليها .

وكذلك وساطتها فى ليله القدر لجميع الأنبياء ، وأهل البيت عليهم السلام ، وهذا مصدر ثان وهو أعظم مصادر علوم أهل البيت عليهم السلام وهذا ما أشار إليه الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى صحيحه أبى بصير ، فلا تنحصر وساطتها العلميه بالمصحف ، بل هناك وساطه أعظم ، وقد مرّت الإشاره إلى ذلك فى فصل وجوه ولايتها على الخلق .

ص: ٣٣٦

١- (١) تفسير أطيب البيان : ١٣ : ٢٣٥ .

المقاله الثانيه : الزهراء عليها السلام وصيانه الإسلام عن التحريف

دور الأوصياء عليهم السلام في حفظ الشريعة عن التحريف :

اشاره

إنّ المسار الطبيعيّ للرسالات هو أنّها كانت تتعرضّ دوماً لمجموعه من الانحرافات ، سواء في صياغه الرساله الإلهيه نفسها أو في تفسيرها .

ومنهج الإسلام على الضدّ من ذلك ، و ذلك للأسباب التاليه :

١ - الضمان الإلهي بسلامه القرآن من التحريف .

٢ - وجود الحجج الإلهيه والأوصياء لضمان صيانه الشريعة من التعرّض للتحريف الفكريّ ، والتفسير طبقاً للأهواء والأغراض السياسيّه والشخصيّه .

و هذا الدور نلمسه واضحاً في حياه سيده النساء عليها السلام ، حيث قامت بالتصدّي للتبديل والانحراف الذي قام به رجال السقيفه بعد النبيّ صلى الله عليه و آله .

وهناك حقيقه لا- يمكن لأىّ منصف أن يتجاوزها أو يتغافلها ، وهي المكانه المرموقه والاحترام الكبير الذي تنطوى عليه قلوب المسلمين للزهراء عليها السلام ، فهي بضعه الرسول صلى الله عليه و آله ، وهي سيده النساء ، قد سمعوا الأحاديث في مدحها وفضلها ، وهذه الحقيقه تلحظها حتّى في فتره متأخره ، حيث تجد أنّ الصحاح السنّه وغيرها من كتب الحديث تجعل فصلاً خاصاً تحت عنوان فضائل الزهراء عليها السلام ، ممّا يؤكّد هذا الأمر الذي نشير إليه .

ونحن نرى أنّ هذا الموضوع قد صار بين الإفراط والتفريط ، فبين من اعتقد

بوجود حُبِّ واحترام من قبل صحابه النبي صلى الله عليه وآله للصديقه الطاهره عليها السلام ، بحيث رتب على هذا الاحترام أثراً ، وهو استبعاد أن يصدر الأذى والإساءه من الصحابه تجاه الزهراء عليها السلام كما نقله التاريخ .

وبين من يعتقد أنّ الصحابه كانوا يكتنون العداً والبغض للزهراء عليها السلام كما هو واضح بخاصه من يبغض بعلمها أمير المؤمنين عليه السلام .

ولكن الذي نرجحه أنّ الدلائل والقرائن المتعدده تؤكد أنّ للزهراء عليها السلام موقعيه ونفوذ خاصّ لدى عامه المسلمين ، ويشير إلى ذلك عدّه مؤشرات ، كما سنستعرضها .

رغم ذلك لم يمنع هذا من إقدام جماعه منهم على المواجهه معها عليها السلام كي لا تقف سداً أمام مشروعهم المتواطأ عليه ، إذ التقدير والاحترام والمودّه شيء ، والمصالح الشخصيه والقبليه وتحكم العادات الجاهليه شيء آخر .

فمثلاً- ما ينقله ابن قتيبه من « أنّ أبا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ (كرم الله وجهه) فبعث إليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار عليّ فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده ، لتخرجن أو لأحرقنّها علي من فيها .

ف قيل له : يا أبا حفص ، إنّ فيها فاطمه .

فقال : وإن «(١)» .

وفي روايه ذكرها بسنده عن عبد الله بن حمزه أنّه أقبل بقبس من نار وهو يقول :

إن أبوا أن يخرجوا فيبايعوا أحرقت عليهم البيت ، ف قيل له : إنّ في البيت فاطمه أفتحرقها ؟! «(٢)» .

ص: ٣٣٨

١- (١) الإمامه والسياسه لابن قتيبه : ١ : ١٩ ، تحقيق الزيني .

٢- (٢) الشافى فى الإمامه لابن حمزه : ٤ : ١٧٣ .

فترى أنّ السائل كان مع عمر وكأنه كان يظنّ أنه جاء مهدّداً فقط ، لكن لما رأى أنّه جادّ في الأمر استغرب من إمكان إقدام عمر على اقتحام الدار وإحراقه وفي الدار فاطمه عليها السلام .

و هذا هو الدور البرزخيّ الذي تهيأ لها بين حياه أبيها وبعلمها ، وهو دور متمّم لمسار النبوه العقائدي ، قامت به بما لها من تلك الموقعيّه والمكانه في الدين وعند المسلمين .

إذن فلها في ذهن وعقول المسلمين مكانه يشار إليها بالبنان ، ولا يمكن للمسلمين أن يتجاوزوها .

وبعد هذه المقدّمه نقول : إنّ الصّدّيقه الطاهره عليها السلام حاولت أن تستثمر هذا الموقع الاعتقادي في ذهن المسلمين غايه الاستثمار لتصحيح مسار الإسلام ، ولتقوم بدورها ، ولعلّه يمكن أن يقال : إنّ أوّل من قام بهذا الدور سيّده النّساء عليها السلام ، وحتّى قبل تحرّك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و ذلك للظروف الموضوعيه التي كانت تسمح لها أن تقوم بهذا الدور قبله عليه السلام .

ومّا يشير إلى ذلك الدور وموقعيّه النفوذ لها ، المصادمات السياسيّه التي قامت بها عند نشوء سلطه السقيفه ، ولسلب الشرعيّه عن مشروع السقيفه :

وسياتى في البحوث اللاحقه كيف شرّعت لمنهج وسنّه الإصلاح ، وما هو دورها في العقيدّه والبّنيه الأولى في الإسلام ، وكيفيّة استنهاضها الجهادي للأنصار جهاراً أمام جماعه سلطه السقيفه ، وبيان مدى هيمنتها ونفوذها على مقاليد أمور الأئمّه آنذاك .

إلّا أنّنا نذكر في المقام جملة من النقاط الأخرى التي تنضمّ إلى ذلك لتعطى صورته واضحه عن منظومه الدور الذي قامت به ، كتتميم لمسار وحرّكه النبيّ صلى الله عليه و آله ، وإعداد خطّه لتحرّك ومسار الإمامه فيما بعد .

ودورها هذا هو نظير الدور الذي قامت به مريم عليها السلام حيث هتأت عقول الناس وقلوبهم لعقيدته جديده وهى مجيء رساله وبعثه ولدها النبى عيسى عليه السلام ، فكما كانت مريم عليها السلام فاتحه عقيدته ودور إلهى جديد فكذلك كانت فاطمه عليها السلام ، فهى تؤصّل بناء أسس وبُنيه الإمامه فى طبيعه النشأه الأولى للإسلام وترعرعه ، والبناء الأوّل للأمة الإسلاميه ومسار المسلمين . فإنّ الزهراء عليها السلام بما لها من موقعيه كبضعه للنبي صلى الله عليه وآله ، وما لها من حجّيه فى الدين عند الأئمه حاولت أن تستثمر هذا الموقع الإلهى الاعتقادى عند الناس ، وتمارس دورها التصحيحى ، وهى أوّل من قام بهذا الدور قبل قيام الرجال ونهضتهم .

وإليك نُبذه من المواقف والمصادمات السياسيه التى قامت بها عليها السلام :

١ - خطبتها عليها السلام الكبرى فى المسجد

وهذه الخطبه خطبتها - كما يروى فى مقدّماتها - بعد أن بلغها أن أبا بكر قد طرد عاملها على فدىك ، وسيأتى كلام ابن أبى الحديد أنّ الأنصار أخذت تهتف باسم على عليه السلام بعد خطبتها عليها السلام فى المسجد ، حتّى ارتجّ المكان واضطرب الأمر على أبى بكر ، وخاف من ذلك .

والملاحظ فى الخطبه هذه أنّها كلّها أدلت بأدلّه من الآيات وأحاديث أبيها صلى الله عليه وآله لم يكن أبو بكر يجرؤ على الاعتراض عليها .

وقد فضّلت فى خطبتها أركان المعارف كجوامع علم ترجع إليها الأئمه فى معارف الدين وفروعه .

٢ - خطبتها عليها السلام الصغرى مع نساء المهاجرين والأنصار

وقد كشفت فيها القناع عن تخاذل المهاجرين والأنصار عن الوفاء لعلى عليه السلام بالبيعه ، وعدم وفائهم لطاعه الله ورسوله فيما أمرهم بشأن على عليه السلام ، وأنّ ذلك

لنفرتهم من العدل ، وجهلهم بنعيم البركات التي يعيشون في كنفها لو وفوا لعلی علیه السلام بالبیعه .

٣ - رثاؤها وبكاؤها عليها السلام

فهی حاله تندید واستتکار لما یجرى من حولها ، سواء كان داخل البیت أم خارجه ، والملاحظ أنّ الأبیات المنسوبة إليها فی رثاء أیبها صلی الله علیه و آله لم تكن تتناول موضوع فقده صلی الله علیه و آله فقط ، بل كانت تشکو فقده ، وسوء صنیع أصحابه معها ، وهذا ما تلحظه فی کلّ رثائها .

وإلیک بعض النماذج :

فمن رثائها :

قُلْ لِلْمُعِيبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَرَخَتِي وَنِدَائِي

صَبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا صَبَّتْ عَلَيَّ الْأَيَّامِ صِرْنَ لِيَالِيَا

قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حِمِيٍّ بِظِلِّ مُحَمَّدٍ لَأَخْتَشِي ضَيْمًا وَكَانَ حِمِيٍّ لِيَا

فَالْيَوْمَ أَخْشَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَقِيضِيْمِي وَأَذْفَعُ ظَالِمِي بِرِدَائِي(١)

٤ - صدها عليها السلام للباب

ونرى من الضرورىّ التوقف عند هذه النقطة ، حيث قد يشار حولها أنّ من المستبعد خروجها إلى الباب مع وجود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام داخل الدار ، والأمر المتعارف أن يخرج الرجل إلى الباب عندما تطرق ، لا أن تخرج حرمه .

ولكنّ الظاهر أنّ الخروج كان بعد ندائهم للإمام عليه السلام بالخروج ، وتهديدهم بحرق البیت .

ص: ٣٤١

١- (١) مناقب آل أبي طالب : ١ : ٢٠٨ .

فخروجها لم يكن لفتح الباب ، ولكن لردّهم وصدّهم عن ما قصدوا ، ومن الواضح الجليّ أنّ بيت فاطمه كان يتمتّع بحرمة قد شيّدها القرآن الكريم لأهل البيت عليهم السلام ، وتعظيم وحثّ بالغ على مودّتهم ، مضافاً إلى تعظيم النبيّ صلى الله عليه وآله لحرمة بيت فاطمه وعلّيّ عليهما السلام ، حيث لم يكن يدخل هو نفسه صلى الله عليه وآله إلّا بعد الاستئذان وطرق الباب (١) ، و يقول :

« إنّ الله قد أمره بذلك » .

وقد روى الفريقان أنّه صلى الله عليه وآله كان طيله ستّه أشهر يأتي إلى دار فاطمه عليها السلام يطرق الباب عند صلاه كلّ غداه و يقول :

« السلام عليكم أهل البيت ... » (٢) .

مضافاً إلى ما في القرآن من تنزيل علّيّ عليه السلام بمنزله نفس النبيّ صلى الله عليه وآله ، وفي الحديث النبويّ : « إنّ فاطمه روحه التي بين جنبيه » (٣) . و

« الحسنان عليهما السلام ريختاي من الدنيا » (٤) ، فلم يرع عمر تلك الحرمة ، كما لم يرع أبو بكر ذلك حينما أمر بالكشف عن بيت فاطمه عليها السلام (٥) ، وهي في موقفها ذلك نظير انتداب الله عزّ وجلّ مريم بنت

ص: ٣٤٢

١- (١) بحار الأنوار : ٤٣ : ٨٢ .

٢- (٢) كما روى ذلك : الطيالسي في مسنده : ٢٧٤ . الحسكاني في شواهد التنزيل : ٢ : ٢٠ . الخطيب في المتفق والمفترق : ٣ : ٢٠١٣ . الطبراني في المعجم الكبير : ٢٢ : ٤٠٢ . مسند أحمد : ٣ : ٢٨٥ . تاريخ الطبري : ٢ : ٦٢٠ . تاريخ مدينة دمشق : ٣٠ : ٤٢٠ . ميزان الاعتدال للذهبي : ٣ : ١٠٩ ، الحديث ٥٧٦٣ ، وغيرها كثير .

٣- (٣) نور الأبصار للشبلنجي : ٥٢ . فرائد السمطين : ٢ : ٣٥ ، الباب السابع ، الحديث ٣٧١ ، وغيرها .

٤- (٤) صحيح البخاري : ٤ : ٢١٧ ، كتاب بدء الخلق ، باب مناقب الحسن والحسين . مسند أحمد : ٢ : ٨٥ ، ٩٣ ، ١١٤ . مسند الطيالسي : ٨ : ١٦٠ . مستدرك الحاكم : ٣ : ١٦٥ . فتح الباري : ٨ : ١٠٠ . ذخائر العقبى : ١٣٠ .

٥- (٥) تاريخ الطبري : ٤ : ٥٢ ، في حوادث السنه الثالثه عشره . الأموال لأبي عبيده : ١٩٤ . الإمامه و السياسه : ١٨ . ميزان الاعتدال : ٣ : ١٠٩ . تاريخ الإسلام للذهبي : ٣ : ١١٧ و ١١٨ . تاريخ دمشق : ٣٠ : ٤٢٢ ، وغيرهم .

عمران للقيام بمهمته لم ينتدب الله تعالى لها زكريا عليه السلام ، وهي كشف القناع عن دجل علماء اليهود من بنى إسرائيل ، حيث كانوا يدعون الصداره الدينيه ويستأكلون بالدين ويطمعون فى الرئاسة الدنيويه فلم يكن باستطاعه زكريا عليه السلام أن يكشف هذا الزيف بقدر ما كان لمريم عليها السلام ذلك ، إذ أن حرمتها أوضح فى ذهن عامه الناس ، والتعدى عليها أجلى وضوحاً لكشف زيف المعتدى كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (١) .

وبهذا المشهد الذى يصوره القرآن الكريم جعل الله تعالى مريم تخاطر بنفسها وعرضها لأنه أُبين شىء لدى عموم أذهان الناس لإسقاط القناع عن علماء بنى إسرائيل ، المتكالبين على الدنيا والرئاسه ، ولصعوبه المهمه التى انتدبت لها مريم عليها السلام أشار تعالى إلى قولها : قَالَتْ يَا لَيْتَنى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا (٢) .

ومن ثم ندم أبو بكر بعد ذلك على كشف بيت فاطمه عليها السلام ، حين فشل تدبيره وتخطيطه فى طمس حقّ علىّ عليه السلام المحفوف بالنصر الإلهى فى إمامته ، كما لم يفلح علماء اليهود فى طمس نبوه النبى عيسى عليه السلام ، ونصر الله الذين اتبعوا النبى عيسى عليه السلام على أعدائهم ، كما قال تعالى : وَ جَاءَ لُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُم بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٣) .

ص: ٣٤٣

- ١- (١) مريم : ٢٦ - ٢٩ .
- ٢- (٢) مريم : ٢٤ .
- ٣- (٣) آل عمران : ٥٥ .

فلولا هذا الموقف الذى قامت به فاطمه عليها السلام لما لها من حرمة عظيمه فى القرآن عند الله وعند رسوله لما استطاعت أن تهزّ الضمير عند المسلمين عبر الأجيال ، فما أن يقف الباحث عند هذا المشهد المثير للعواطف والأحزان إلّا ويهتّر وجدانه وضميره ، ويبصر الحق ويعرف أهله ، ويرزق الهدايه .

وهناك نصّ تاريخيّ رواه أهل السنّه فى مصادرهم حيث روى ابن أبى شيبه فى « المصنّف » قال : حدّثنا محمّد بن بشير ، حدّثنا عبيد الله بن عمر ، حدّثنا زيد بن أسلم عن أبيه أسلم ، « أنّه حين بويح لأبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان علىّ عليه السلام والزيبر يدخلان على فاطمه بنت رسول الله فيشاورونها ويرتجعون فى أمرهم ، ولمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمه عليها السلام ، فقال لها :

وأيم الله ما ذاك بمانعى إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرتهم أن يُحرق عليهم البيت «(١)» .

و هذا النصّ بيّن مدى موقعه فاطمه عليها السلام كمحور يتخوّف منه أصحاب السقيفه ، إلى درجه فقدوا فيها توازنهم فى التعامل مع أعظم حرمة فى الإسلام ، ممّا سبّب انجلاء واقع مشروع السقيفه أمام أى متأمّلٍ مُنصف .

وكذلك نقل المؤرّخون أنّه ما بايع علىّ إلّا بعد ستّه أشهر ، وما اجترأ عليه إلّا بعد موت فاطمه «(٢)» .

وكذا رووا أن « لم يبايعه - أبا بكر - أحد من بنى هاشم حتّى ماتت فاطمه » «(٣)» .

ص: ٣٤٤

-
- ١- (١) المصنّف لابن أبى شيبه : ٧ : ٤٣٢ ، الحديث ٣٧٠٤٥ . مسند فاطمه الزهراء عليها السلام للسيوطى : ٢٠ و ٢١ ، الحديث ٣١ . كنز العمال للهندي : ٥ : ٥٦١ ، الحديث ١٤١٣٨ .
 - ٢- (٢) صحيح البخارى ، باب غزوه خيبر : ٣ : ٣٧ . صحيح مسلم : ٥ : ٥٤ ، باب قول النبيّ « لا نورث » .
 - ٣- (٣) مروج الذهب : ١ : ٤١٤ .

٥ - خروجها عليها السلام خلف الإمام علي عليه السلام في أزقه المدينه

يعطى طابعاً عن مدى قوّه موقفها عليها السلام وشجاعتها من بين جميع المسلمين في مواجهه أول مشروع انقلابي أُسس بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله ، في مرحله البناء لصرح الدين ، فرغم ما هددوا به فاطمه عليها السلام ، وتجاسروا على حرمتها ، وجرى عليها ما جرى إلّا أنّها لم تكن لتخاف أو تنهزم أمام شدّه وشراسه الطرف الآخر وقمعه ، كما حفلت بذلك وصوّرتة مصادر الفريقين .

٦ - امتناعها عليها السلام عن البيعه لأبي بكر

ومما لا شكّ فيه لزوم البيعه على كلّ مسلم للإمام الحقّ ، حيث اتّفق المحدثون على روايه : من مات ولم يعرف» .

فما رواه المحدثون من الإماميه هو نصّ

« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليه » (١) .

وما رواه العامه منهم هو :

« من مات ولم يكن في عنقه بيعه لإمام مات ميتة جاهليه » (٢) .

وقد روى التفتازاني في كتابه شرح المقاصد (٣) الروايه كما روتها الإماميه .

وعلى أيّ حال فالمؤدّي لكلا- النقلين متقارب ، وهو لزوم البيعه في ذمه كلّ مسلم وأنّ الذي يموت ولا- بيعه في عنقه فميتته جاهليه .

ص: ٣٤٥

١- (١) كمال الدين وتمام النعمه : ٤٠٩ ، الحديث ٩ . كفايه الأثر : ٢٩٦ . وسائل الشيعه : ١٦ : ٢٤٦ ، الحديث ٢١٤٧٥ .

٢- (٢) صحيح مسلم : ٨ : ١٧ . مسند الطيالسي : ٢٥٩ ، ط . حيدر آباد . ينابيع المودّه للقندوزي : ١١٧ .

٣- (٣) شرح المقاصد للتفتازاني : ٥ : ٢٣٩ وما بعدها .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : هل ماتت الزهراء عليها السلام وفي رقبتها بيعه لأحد ؟

وهنا نطرح عدّه احتمالات :

الأول : أنّها كانت جاهله بهذا الحكم و هذا اللزوم .

وجوابه : كيف يتصوّر ذلك فى مثل سيّده النّساء ، وهى بضعه النّبىّ صلى الله عليه وآله ومن أهل البيت ، الذى شهد لهم القرآن بالطهاره وأذهب عنهم الرجس ، فلا يُحتمل فى حقّها الجهل بمثل هذا الأمر المهمّ والخطير .

الثانى : أنّها كانت عالمه ولكن خالفته .

وجوابه : أنّ ذلك ينافى آيه التطهير الثابته فى حقّها ، والتى نزهتها عن الذنب والمعصيه .

الثالث : أنّها ماتت وقد بايعت الإمام الحقّ وهو علىّ بن أبى طالب عليه السلام .

وعليه : فلم تباع أبابكر أبداً وقد ماتت على ذلك .

ونتيجه لهذه المصادمات المتعدّده نجد أنّ الخليفه وصاحبه قاما بمحاوله لعلاج الموقف ، وخطوه أعربت عن مدى تأثير كلّ هذه المصادمات فى نفوس الأمّه .

والخطوه هى قيامهما بزيارتها وطلب الصفح منها واسترضائها .

ولكنّها أبدت موقفاً فوّت الفرصه عليهما ، وأوقعهما فى مزيد من الورطه ، حيث أخذت منهما الاعتراف والإقرار فى ذلك المجلس بمدى ما لها من حرمه فى الدين وعند الله تعالى ، وأنّها ميزان للحقّ يميّزه عن الباطل .

ولاحظ النصّ الذى ينقله التاريخ عن ذلك المجلس :

يقول ابن قتيبه فى الإمامه والسياسه :

« أرايتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به ؟

قالا : نعم .

ص: ٣٤٦

قالت : نشدتكما الله ، ألم تسمعا رسول الله يقول : رضا فاطمه من رضاي ، وسخط فاطمه من سخطي ، فمن أحب فاطمه ابنتي فقد أحبني ، ومن أَرْضَى فاطمه فقد أَرْضَانِي ، وَمَنْ أَسْخَطَ فاطمه فقد أَسْخَطَنِي ؟

قالا : نعم ، سمعنا من رسول الله صلى الله عليه و آله .

قالت : فَإِنِي اشهد الله وملائكته أَنَّكُمَا أَسْخَطْتُمَانِي وَمَا أَرْضَيْتُمَانِي ، وَلِئِنْ لَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَشْكُونَكُمَا إِلَيْهِ «(١)» .
وروى المجلسي في « البحار » : « أَنَّهُمَا اسْتَشَدْنَا عَلَى فَاطِمَةَ فَلَمْ تَأْذَنْ لِهَمَا فَأْتِيَا عَلِيًّا فَكَلَّمَاهُ فَأَدْخَلَهُمَا عَلَيْهَا ، فَلَمَّا قَعَدَا عِنْدَهَا حَوَّلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْحَائِطِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا فَلَمْ تَرُدَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ »(٢) .

٧ - وصيتها عليها السلام أن تدفن ليلاً و أن يُكتم أمرها

فقد روى الشيخ المفيد بسنده عن علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين ، قال :

« لَمَّا مَرَضَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ أَوْصَتْ إِلَى عَلِيِّ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُمَ أَمْرَهَا ،

وَيَخْفِي خَبْرَهَا ، وَلَا يُؤْذِنَ أَحَدًا بِمَرَضِهَا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَكَانَ يَمْرُضُهَا بِنَفْسِهِ وَتَعِينَهُ عَلَى ذَلِكَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ رَحِمَهَا اللَّهُ ، عَلَى اسْتِسْرَارٍ بِذَلِكَ كَمَا وَصَّتْ »(٣) .

وروى الشيخ الصدوق في حديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله قوله :

« فَتَقْدَمُ عَلِيٌّ فَاطِمَةَ مَحْزُونَةً ، مَكْرُوبَةً ، مَغْمُومَةً ، مَغْصُوبَةً ، مَقْتُولَةً »(٤) .

ص: ٣٤٧

١- (١) الإمامه والسياسه ، المعروف ب « تاريخ الخلفاء » : ٣١ ، ط . قديمه ، و : ٢٠ ط . تحقيق الزيني .

٢- (٢) بحار الأنوار للمجلسي : ٢٨ : ٣٥٧ .

٣- (٣) كتاب ترتيب الأمالي : ٥ : ٦٧ .

٤- (٤) أمالي الصدوق : المجلس ٢٤ ، الحديث ٢ . ترتيب الأمالي : ٥ : ٥٥ .

فشهادتها ودفنها ليلاً محطه مفعمه بالظلم والأسى ، وصارخه بالاعتراف على المتغلبين على أمر الخلافة .

قال ابن طاووس في « الإقبال » حول دفنها ليلاً : « أنها دُفنت ليلاً مُظهره للغضب على من ظلمها ، وآذاها وآذى أباه صلوات الله عليه وعلى روحها الطاهره » (١) .

ومراده أنه قد انقطعت في هذا الموقف التعذيرات الرافعه عن الإدانه لأصحاب السقيفه .

وسجّلت بنحو يبين لكلّ الأجيال الإدانه لحركه السقيفه ومسار الابتعاد عن أهل البيت عليهم السلام ، تبياناً منها لبطلان الأُسس والبنى التي أرسو مسارهم عليها ، كدعوى الشورى ، وخوف الفتنة ، ودعوى العلم بالكتاب والسنة ، كما في قولها :

« أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي ؟ » ، فرفعت اللوابس والحيره الساتره على رؤيه وبصيره الأُمّه التي أخذتها الفتنة الفكرية والسياسية المحتدمه ، حيث عمّت وغطت الأجواء ، في أول مرحله تعيشها الأُمّه بعد غيبه نبيها صلى الله عليه وآله ، فسنت بذلك سنّه التولّي والتبرّي العقيدى والسياسى فى الأُمّه الإسلاميه .

فدورها بيان بقاء مسار النبوه والرساله تعييناً فى منهاج الإمامه ، وأنّ هذا المقام مقام غيبى ذو شؤون ، قد امتدّ فى الإمامه ، وأنّ الوراثة لمقامات النبي صلى الله عليه وآله ومنصبه وخلافته تكون باستحقاقات حاصله بالسوابق فى تحمّل أعباء تشييد الدين ، وإلى ذلك يشير قولها عليها السلام فى خطبتها :

« قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا » .

وفيما أوصت به أيضاً أن لا يصلّى عليها أحد من هذه الأُمّه ، حيث قالت :

ص: ٣٤٨

« لا تصلى على أمّه نقضت عهد الله وعهد أبي رسول الله . . . فهذه أمّه تصلى على وقد

تبرأ الله ورسوله منها » (١).

٨ - وصيتها عليها السلام في التشيع والدفن :

وهذه المصادمه الأخيره والتي هي سند حى دائم ما دامت الدنيا قائمه لتوضّح المسيره ، كانت تريد أن تجعل حثّى من إخفاء قبرها سنداً ودليلاً على هذا الانحراف الجديد الذى طرأ فى الأمّه ، بل سيقى لخفائه على مرّ العصور شاهداً آخر على مظلوميّتها ، والملاحظ أنّه حثّى الأئمّه عليهم السلام من ولدها لم يقوموا بالإفصاح عن موضع قبرها لئلاّ ينتقض الغرض المهمّ وراء إخفائه .

ومن قوه هذا الموقف ودلالته لم تستطع المصادر العديده على إخفائه وطمسه حثّى من « صحيح البخارى » ، ممّا يدلّ على أنها رحلت عليها السلام من هذا العالم وهى مقاطعه لهذا المشروع ، وغاضبه على رجال السقيفه .

تشريعها عليها السلام لسنّه ومنهج الإصلاح

إنّ الملاحظ أنّ فاطمه الزهراء عليها السلام أوّل من اختطّ شريعته الإصلاح وتغيير الانحراف فى الأمّه ، وأسّست لذلك نظاماً يعالج التجاذب القائم بين مهمّه الحفاظ على وحده الأمّه وتماسكها ، وبين مهمّه مقاومه الانحراف وتغيير الفساد ، حيث إنّ على طول التاريخ عانت البشريّه من مدرستين إفراطيتين آخذة بأحد الشعارين تفريط وإفراط ، فبين دعاه الحفاظ على الأمّه الإسلاميه وجماعه المسلمين ، فيتمادى به الأمر إلى أن يتدبّن بدين السلاطين والخلفاء ، كما هو مذهب أهل سنّه الخلافه وجماعه السلطان ، ولا يجعل نهايه لهذا الولاء إلّا الكفر البواح - الصريح - وبين دعاه

ص: ٣٤٩

١- (١) الهدايه الكبرى للحصينى : ١٧٨ .

إلى شعار التغيير ومجاوبه الانحراف ، إلى درجة يشطّ به الحال إلى هدر كلّ الحرامات ، وسفك الدماء وهتك الأعراض ونهب الأموال ، كما هو الحال لدى الخوارج ، ومن نهج منهجهم حتى عصرنا الراهن ، من الحركات المتطرّفه .

وهذه الأزمه ليست خاصه بالمسلمين ، بل تعيشها البشريه في أعرافها وحضاراتها المختلفه ، حيث إنّ هناك بين من ينادى بحفظ السلم البشريّ والإبقاء على النظم المدنيه والنظام العامّ للتعایش البشريّ السلميّ ، كما هو شعار الغرب والمؤسسات الدوليه التي تولّدت من دول الحلف المنتصره في الحرب العالميه الأولى والثانيه ، وبين من ينادى بضروره الصدام لظاهره الاستعباد البشريّ ، والإقطاع الظالم ، وسياسات التمييز العنصريّ والعرقّيّ والقوميّ ، إلى حدّ التمرد على كلّ الأعراف ، والانفلات عن كلّ الموازين المقرّره .

وقد وُلمد كلا الاتّجاهين مذاهب فكريه متعدّده ، كالإرجاء ، والقدريّة والجبريّة ، والمفوّضه ، وغيرها من المذاهب والمدارس التي قامت على بُنى وأساس هذا الثنائي المتطرّف .

بينما سنّت الصديقه الطاهره عليها السلام حاله ثالثه متوازنه يُرعى فيها كلا الجانبين ، وأنّ سيره الإصلاح والتغيير لا يفرّط فيها بذريعه الحفاظ على النُظم العامه ، والحفاظ على الوحده ، كما أنّ مجمل الحُرّمات والحدود الإلهيه ، وبيضه الإسلام لا يفرّط فيها تحت ذريعه الإصلاح والتغيير ومقاومه الفساد ، بل اعتمدت الزهراء عليها السلام الموازنه بين البُعدين ، وحفظ الأعراض التشريعيه لكلا الطرفين ، مع أنّها عليها السلام وصل بها الأمر إلى استنهاض الأنصار للمقاومه العسكريه أمام الحزب القرشيّ ، وبقية القبائل المتحالفه مع قريش ، والتي ازدحمت بالدخول في المدينه المنوره بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله لإنجاز مهمّه الانقلاب المسلّح ، بطابع الضغط والإرهاب على بنى هاشم ، وكذلك على الأنصار الذين انقسموا على أنفسهم ، حيث قالت عليها السلام مخاطبه لهم :

« يَا مَعْشَرَ الْبَقِيَّةِ ، وَأَعْضَادَ الْمَلَةِ ، وَحَضَنَةَ الْإِسْلَامِ ، مَا هَذِهِ الْفِتْرَةُ عَنْ نُصْرَتِي ، وَالْوَيْتِيُّ عَنْ مَعُونَتِي ، وَالْغَمَزَةُ فِي حَقِّي ، أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ . سُرْعَانَ مَا أَحْدَثْتُمْ ، وَعَجْلَانَ مَا أَتَيْتُمْ ، أَلَيْسَ مَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَّتُمْ دِينَهُ ، ... »

أَيُّهَا بَنِي قَيْلِهِ ، أَأَهْتَضُمُ تَرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى وَمَسِيحٍ ، تَبْلَغُكُمْ الدَّعْوَةَ ، وَيَسْمَلُكُمْ الصَّوْتُ ، وَفِيكُمْ الْعُدَّةَ وَالْعَدْدُ ، وَلَكُمْ الدَّارُ وَالْجَنَنُ ، وَأَنْتُمْ تُنَجِّبُهُ اللَّهُ الَّتِي انْتَجَبَ ، وَخَيْرَتُهُ الَّتِي اخْتَارَ ، بِأَدْيَيْتُمْ الْعَرَبَ ، وَبَادَهْتُمْ الْأُمُورَ ، وَكَافَحْتُمْ الْبُهْمَ حَتَّى دَارَتْ بِكُمْ رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلْبُهُ ، وَحَبَّتْ نِيرَانَ الْحَرْبِ ، وَسَكَتَتْ فَوْرَةُ الشُّرُوكِ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةَ الْهَرَجِ ، وَاسْتَوْتَقَ نِظَامَ الدِّينِ ، أَفْتَأَخَّرْتُمْ بَعِيدَ الْإِقْدَامِ ، وَنَكَصَيْتُمْ بَعْدَ الشُّدَّةِ ، وَجَبَنْتُمْ بَعْدَ الشَّجَاعَةِ ، عَنْ قَوْمٍ نَكُنُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتَلُوا أَيْمَنَهُ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١) « (٢) .

وهذه المقطوعة من الخطبة كما هو ظاهرها أنها تستنهض الأنصار وتعيبهم على القيام بمقاومه هذا الانحراف من خيانه قريش وانقلابها على عهود الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله .

وقد ذكر ابن أبي الحديد نقلاً عن كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في « السقيفة وفدك » وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاه النبي صلى الله عليه وآله « أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا سَمِعَ خُطْبَتَهَا شَقَّ عَلَيْهِ مَقَالَتَهَا ، فَصَعَدَ الْمَنْبِرَ ، وَقَالَ - فِيمَا قَالَه لِلْأَنْصَارِ - : قَدْ بَلَغَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَقَالَهُ سَفَهَائِكُمْ ... أَلَا إِنِّي لَسْتُ بِأَسْطَأَ يَدًا وَلَا لِسَانًا عَلَيَّ مِنْ لِمَ يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ مِنَّا » .

وقال ابن أبي الحديد عن النقيب أبي يحيى البصرى أنه قال : « إِنَّ الْأَنْصَارَ لَمَّا

ص: ٣٥١

١- (١) التوبة : ١٢ .

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد : ١٦ : ٢١٢ .

هتفوا بذكر عليّ وخاف أبو بكر من اضطراب الأمر قال ذلك» - أي ما تقدّم من كلامه وتهديده لهم - (١).

أقول : إنّ تهديد أبي بكر للأنصار وهو في بلد الأنصار وهي المدينة المنورة مؤشّر واضح على جملة من النقاط :

١ - اعتضاد وتحالف أبي بكر مع قريش والقبائل الأخرى ، ممّا هيأ له قوّة ضاربه ، يصول ويجول ويهدّد بها .

٢ - أنّه خشي من تحرّك الأنصار واستجابتهم لاستنهاضها عليها السلام .

٣ - أنّ جرأته على الأنصار تكشف عن انقسامهم على أنفسهم ، ممّا فتح الباب لعلبه قريش والقبائل على الأنصار .

لكنّ كلّ هذه التبعثه والاستنفار والاستنصار الذي قامت به الزهراء عليها السلام ، لم يكن يحمل في طيّاته دعوته إلى التفريط بما شيّده وبناه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولا هدم للمجتمع المدني الذي أقامه صلى الله عليه وآله ، فلم تستنهض القبائل والأحلاف الجاهليّة ، كما اقترحه أبو سفيان على أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم تناد بشعار حميّة الجاهليّة الأولى ، كما رفعه غيرها .

بل استنهضت أنصار الإسلام الأوائل ، وحمله رايته ، السابقين عهداً بالدين والدّابن عنه ، ورفعت شعار الوفاء بعهد الله تعالى ووصيته رسوله صلى الله عليه وآله ، ومواجهه من أحدث وبدّل في الدين .

فلم يكن في دعوتها عليها السلام ما يسمّى خلطاً للأوراق ، ولا خبطاً في الموازين ، بل نظّمت المعارضه بنحو حافظ للحدود وداع إلى إرجاع ما قد غُيّر منها وحُرّف .

ومن ثمّ بدأت خطبتها بتوحيد الله وبيان عظمته ونعمه ، وبيان معالم الدين

ص: ٣٥٢

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد : ١٦ : ٢١٤ و ٢١٥ .

وفلسفتها ، ثم بيّنت عظم حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله على هذه الأئمّه ، حيث انتشلها من الضلال المبين إلى الهدايه والكيان العظيم من الحضاره الإسلاميه ، ثم أشارت إلى انقلابهم على الأعقاب بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ، وخيانتهم للدين ، ومخالفتهم أوامر الله ورسوله ، كما أنّها شدّدت على تحكيم كتاب الله تعالى ووصيّه رسوله صلى الله عليه وآله .

ص: ٣٥٣

مما يُبين ويوضح موقعه فاطمه عليها السلام فى الدين ، وحبّيتها فى التشريع الذى مرّ على صعيد تنظير الأدله ، المسار التطبيقى والتنفيذى الذى قامت به من دور .

فهل هذا الدور كان بيانها وتعيينها وبقاء مسار النبوه والرساله فى منهاج الإمامه ، وأنّ هذا المقام الغيبى ذو الشؤون ممتدّ فى الإمامه ؟

أو هو لرفعها اللوالب والحيره الساتره على رؤيه وبصيره الأُمّه ، بسبب الفتنة الفكرية والسياسية المحتممه ، التى غطت وعمت الأجواء فى أول مرحله تعيشها الأُمّه بعد غيبه نبيها صلى الله عليه وآله ؟

أو ما قصدته وكشفت عنه فى خطبتها ، بعد بيانها لأركان المعارف كجوامع علم ترجع إليها الأُمّه فى معارف الدين وفروعه ؟

أو هو لسنّها لسنة التولى والتبرى السياسى والعقيدى فى الدين والأُمّه ؟

أو هو لتسجيلها موقفاً واضحاً لكلّ الأجيال لإدانه حركه السقيفه ، ومسارها الانحرافى البعيد عن خطّ أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم ، وبالتالى تبين بطلان الأسس وبُنى هذه المدرسه الأخرى ، كالثورى فى الإمامه الإلهية ، وخوف الفتنة ، ودعوى العلم بالكتاب والسُنّه ، كما فى قولها عليها السلام :

« أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي ؟ » ، وهو نفس بيان على عليه السلام يوم صفين : « القرآن الناطق والصامت » .

وللإجابة عن هذه التساؤلات تظهر من حجم الحساسيه والتحنس المشاهد

من الطرف الآخر تجاه خصومه الزهراء عليها السلام وخصامها مع جماعه السقيفه ، فإن الملحوظ أنّ جماعه الخلافه والسلطان يبدون توتراً شديداً وانفعالاً كبيراً تجاه أىّ تساؤل أو تفتيش وتنقيب حول مجرى الأحداث التي قامت بها وتعرضت لها الزهراء عليها السلام بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله .

و هذا القلق الزائد البالغ ذروته كاشف عن مدى خطوره مواقفها عليها السلام ، وموقعيتها في رسم المنهاج للأمم وإضائه طريق الحق في نظام دلائل الدين ، ومدى تأثير خطاها ومسارها في بناء مسار الدين للأمم إلى يوم القيامة ، وأنّ رعييل الصحابه مهما كثر عدده وعدّته لا ينهض أمام حجّيه موقفها ، ولا يثبت أمام ما تخطّه للدين والأمم من هديٍّ ومنهاجٍ وسنّه .

ونظير هذا التحسيس والإرباك الشديد الموجود عند علماء أهل سنيّه الجماعه والخلافه تجده حول تفاصيل مقاطعتها لجماعه السقيفه ، المعبر عن إدانتها لما قاموا به من غضب الخلافه ومصادره مناصب النبي صلى الله عليه وآله ، والذي تمثّل في عدّه أشكال وأساليب : من وصيتها بإخفاء مرضها ، وتجهيزها ، والصلاه عليها ، ودفنها ، وإخفاء قبرها ، كعلامه أبدية مستمره تصرخ بالأمم لتوقظها من غفوتها ، لتصححو بعد ذلك وتعود إلى وعيها ورشدتها حول حقيقه الحدث وما دار من وقائع .

فقد نقل ابن أبي الحديد في « شرح النهج » عن جماعه وعدّه من علماء أهل سنّه الخلافه إنكار وقوع الخصام والصدام بين فاطمه عليها السلام وأبي بكر (١) .

وقد تعرّض السيد المرتضى أيضاً في كتابه الشافي في ردّه لما تعرّض له القاضي عبد الجبار في كتابه « المغني » عن جماعه منهم من أنّها لم تسخط على أبي بكر ، ولم تهجره ، ولم تكن واجده عليه (٢) .

ص: ٣٥٦

١- (١) شرح نهج البلاغه : ١٦ : ٢٥٢ .

٢- (٢) الشافي في الإمامه للسيد المرتضى : ٤ : ١١٠ .

ومن المؤشرات البيّنة على صداره موقعيّه الزهراء عليها السلام فى نظام الدين والملّه أنّ القوم من جماعه السقيفه ، أوّل بادره قاموا بها يدشّنون بها قواعد ملكهم هو قيامهم بغصب فذك ، والحوائط السبعه ، ممّا كان تحت يد فاطمه عليها السلام ، وهو مقام ورثته ، بل أنيطت مسؤوليه إدارتها إليها فى حياه النّبىّ صلى الله عليه وآله .

كما سارعوا أيضاً إلى الهجوم على بيتها وهتك حرمتها ، انقضاضاً منهم على مركز سلطان الولاية والنّبوه ، نظير ما يشاهد فى الدول العصريّه من حدوث الانقلابات ، فقد تبادر السلطه الجديده للانقضاض على مراكز السلطه السابقه كالقصر الجمهورى أو الملكى ، ومواقع القرار والرئاسه فى البلاد .

وهذا يبرز أنّ فاطمه عليها السلام بما لها من وجود فى الساحه الدينيه والسياسيه فى مطلع الإسلام هى أكبر عقبه كانت تواجه تيار السقيفه ، ممّا حدا بهم أن يروا أنفسهم مندفعين إلى الوثوب على هذه العقبه الكؤوده أمام مخططاتهم .

وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام فى قوله مخاطباً النّبىّ صلى الله عليه وآله بعد دفن فاطمه :

« وَسَيَتَّبِعُكَ ابْنُكَ بِتَظَاغِيرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا ، فَأَخْفِهَا السُّؤَالَ ، وَاسْتَحْبِرْهَا الْحَالَ ؛ فَكَمْ مِنْ غَلِيلٍ مُعْتَلِجٍ بِصَدْرِهَا لَمْ تَجِدْ إِلَى بَنِّهِ سَبِيلًا . وَسَتَقُولُ : وَيَحْكُمُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » (١) .

ففاطمه عليها السلام بوصييتها بإخفاء قبرها أرادت أن لا يصل إليها من قد قاطعها من جيل الأمّه ، ولا يكون وصلاً لها معها ممّن قد جفاها ، فتظلّ القطيعه والجفوه رمزاً لإدانه منهج السقيفه وأتباعهم ، ومباينتهم لمسار النّبوه وبضعته المطهره .

ويمكن تبيان دورها عليها السلام تفصيلاً فى محطات :

ص: ٣٥٧

١- (١) أمالى الطوسى : ١١٠ ، الحديث ١٦٦ . أمالى المفيد : ٢٨٢ ، الحديث ٧ . بحار الأنوار : ٤٣ : ٢١١ .

قولها عليها السلام :

« أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةٍ ، أَهْضَمُ تَرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ ، وَمُتْتَدِيٍّ وَمَجْمَعٍ ، تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ ، وَتَشْمَلُكُمْ الْخُبْرَةُ ، وَأَنْتُمْ ذَوُّ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ . . . » .

من الأمور التي لم يسأط الضوء عليها فيما كُتب حول سيره الزهراء عليها السلام أنها دعت إلى الجهاد والمدافعة العسكريه للسلطه التي استولت على الأمور في الأيام الأولى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، مع أنّ هذه الدعوه المعلنه للمواجهه العسكريه لم يدع إليها في العلن أمير المؤمنين عليه السلام ، وإن دعا إليها في السرّ ، بنحو الدعوه المشتركه منه ومن الزهراء عليها السلام لفته من المهاجرين والأنصار .

فقولها عليها السلام في الخطبه صريح في هذا الاستنهاض والدعوه ، للمواجهه مع سلطه الانقلاب وبشكل علنيّ أمام الخليفه الأول ، و هذا من الجرأه والشجاعه بمكان ، ومن هيمنتها وموقعيتها على الدين والأئمه إذ لم تأبه بجنود السلطه والأحزاب القبليه التي تساندها ، لا سيّما وأنه من الجهار بالدعوه المسلّحه أمام السلطه وجهاً لوجه .

فهى عليها السلام فضلاً عن رفضها البيعه والإقرار والمهادنه للسلطه ، ها هي تدعو وتسنّ للأئمه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مشروعيه الكفاح المسلّح ضد السلطه الجائره الغاصبه لمقام الشرعيه ، كما فى قولها عليها السلام فى خطبتها أمام أبى بكر استنهاضاً للأنصار :

فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنْتَهُونَ فهِى بذلك قد سنّت هذه السّينه العظيمة قبل قيام سيّد الشهداء عليه السلام بإقامه هذه السّينه . فضلاً عن كون موقفها هذا مبيّناً لبطلان وانحراف المسار المخالف لأهل البيت عليهم السلام ، وهدر كيانه بالجهاد ضدّه بالمنازحه ، و هذا نصّ قولها عليها السلام :

« أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةٍ ، أَهْضَمُ تَرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ ، وَمُتْتَدِيٍّ وَمَجْمَعٍ ،

تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ ، وَتَشْمَلُكُمْ الْخُبْرَةُ ، وَأَنْتُمْ ذَوُّ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ، وَالْأَذَاهِ وَالْقُوَّةِ ، وَعِنْدَكُمْ

السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ ، تُؤَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ ، وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ .

فهذه العبارات منها عليها السلام ما أشبهها بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله حينما يستنهض الأنصار للجهاد ولغزوه من الغزوات ، وقد أشارت إلى السلاح بلفظه والقوّه والأداء الحربيه ، وإلى العدد الذى تُولّف منه الكتائب فى المنازله الحربيه ، وأنه قد أنشأت هى عليها السلام وأهل البيت عليهم السلام وأعلنت الدعوه لهم بالجهاد فلم يجيبوا ، واستصرختهم بالنصره العسكريه والقوّه المسلّحه فلم يغيثوا أهل البيت عليهم السلام ، عندما استضعفتهم جماعه السقيفه ، وغالبوهم بقوّه السلاح ومسانده القبائل المواليه لهم ، نظير بنى أسلم⁽¹⁾ والطلاقاء من قريش وغيرها من القبائل التى تعصّبت فى حرب الأحزاب ضدّ رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثمّ تتابع عليها السلام قولها :

« وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ ، مَعْرُوفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ،

وَالنُّجْبَةُ الَّتِي انْتَجَبْتَ ، وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . قَمَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكُفْرَ وَالتَّعَبَ ، وَنَاطَحْتُمُ الْعَامِمَ ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ ، فَلَمَّا نَبْرَحَ أَوْ تَبْرَحُونَ ، نَأْمُرُكُمْ فِتْيَاتِمُرُونَ ، حَتَّى إِذَا دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ ، وَدَرَّ حَلَبُ الْأَيَّامِ ، وَخَضَعَتْ نُغْرَةُ الشُّرُوكِ ، وَسَكَنْتْ فَوْرَةُ الْأُفُوكِ ، وَحَمَدَتْ نِيرَانُ الْكُفْرِ ، وَهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرَجِ ،

وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ . »

فهى عليها السلام تصرّح بدعوتها لاستنفارهم بالكفاح ، بمقتضى العهد الذى تعاقدت الأنصار به مع رسول الله صلى الله عليه وآله فى بيعه العقبه ، وتذكّرهم بمدى وفائهم بذلك العهد فى زمنه صلى الله عليه وآله ، ومدى عناء شدّه الحروب التى واجهوها تجاه جميع العرب ، وكل ذلك وفاءً لعهدهم الذى قطعوه على أنفسهم بمسانده ونصره أهل البيت عليهم السلام ، وأن ذلك أثمر فى تشييد الإسلام وإماته الكفر .

ص: ٣٥٩

١- (١) أنظر : شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد : ١٦ : ٢١٣ ، عن كتاب « السقيفه وفدك » للجوهري .

ولذا فهي تتعجب بعد ذلك من نكوصهم عن هذا العهد في قولها :

« فَأَتَى جِرْتُمَ بَعْدَ الْبَيَانِ ، وَأَسْرَزْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الْإِيْمَانِ ؟ » .

ثم تحرّضهم عليها السلام مرّة اخرى ضد جماعة السقيفة والحزب القرشي بالاعتباس من تحريض القرآن في سابق العهد للأنصار على قتال قريش وأهل مكّة ، وأن آيات الجهاد والقتال تشمل القتال لقريش ، التي استولت على الخلافة ، وغصبت أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله حقهم .

فتقول عليها السلام : « أَلَا- تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَّثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَ تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

وقولها في خطبتها التي يرويها الجوهرى في كتاب « السقيفة وفدك » :

« وَجَبْتُمْ بَعْدَ الشَّجَاعَةِ عَنْ قَوْمٍ نَكَّثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ، وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ ! فَقَاتِلُوا أَيْمَانَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١) » .

ثم تفسح جهاراً بأن الأنصار قد اختاروا الذلّ لأنفسهم بتركهم مقاومه قريش ، وبعد أن قد أبعدها من هو أحق بالخلافة منهم ، وأنهم قد تخلّوا عمّا عرفوه من الأيمان والهدى والنور ، فتقول عليها السلام :

« أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخَلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ ، وَأَبَعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسِطِ وَالْقَبْضِ ،

وَخَلَوْتُمْ بِالِدَّعَةِ ، وَنَجَرْتُمْ مِنَ الضُّبِقِ بِالسَّعَةِ ، فَمَجَجْتُمْ مَا وَعَيْتُمْ ، وَدَسَّعْتُمْ الَّذِي تَسَوَّعْتُمْ ، فَإِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْمَأْرُضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ .

أَلَا وَقَدْ قُلْتُمْ مَيَّا قُلْتُمْ هَذَا عَلَى مَعْرِفَةِ مَنِيَّ بِالْخَذَلِ الَّذِي خَامَرْتُمْ ، وَالْعُدْرَةَ الَّتِي اسْتَشَعَرْتَهَا قُلُوبُكُمْ » ، فهي تبين أنّها إنّما استنهضتهم إتماماً للحجّة ، وقطعاً للعذر عليهم .

ص: ٣٦٠

قولها عليها السلام :

« اَعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةٌ ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ » .

وقولها عليها السلام :

« أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ » .

ربّما يقرأ القارىء العديد من النصوص القرآنيه التى تبين ولايه الزهراء عليها السلام وحجيتها فى الدين ، والنظام السياسى فى الإسلام ، كما أوضحناه فى آيه الفىء ، وآيه المباهله ، وآيه الإِراث ، وغيرها من الآيات ، وكذلك الحال فى الأحاديث النبويه الراسمه لموقعيتها فى نظام الدين ، بأخطر ممّا يرسمه القرآن لمريم عليها السلام من موقعيه .

إلّا أنّ الباحث والمتتبع يجد مشاهد مبتيه فى عرف وارتكاز الجيل الأوّل من المسلمين ، تعكس صورته تلك الموقعيه والمنصب والدور الذى رسمه القرآن والنبيّ صلى الله عليه وآله لها عليها السلام ، وأنّها كانت تتشاطر مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى شغل وملء موقعيه النبيّ صلى الله عليه وآله على مقاليد الدين والأُمّه .

ومن البصمات الحاكبيه عن ذلك فى الأحداث التى تلت وفاه الرسول صلى الله عليه وآله عدّه مشاهد :

المشهد الأوّل : توليها النفير بالجهد العسكرى والمواجهه المسلحه ودعوتها الأنصار إلى ذلك ، كما سبق بيانه فى المحطه السابقيه ، وهذا التولى للدعوه إلى الجهد مارسته عليها السلام بما أنّها ذات صلّه وثيقه بالنبيّ صلى الله عليه وآله فهى تمثله وتقوم مقامه ، وقد أكّدت على هذه الحيشه فى خطبتها عدّه مرّات .

المشهد الثانى : تصدّيها جهاراً لتغيير الخلافه التى أقيمت على أساس غير مشروع ، لأجل إرجاع الخلافه إلى موقعها الشرعى الصحيح ، وهى تمارس هذا التصدّى كصاحب صلاحيه يعنيه هذا الأمر ، ويمثّل النبيّ صلى الله عليه وآله فى هذه الرعايه ، وهذا ما أعلنته ونطقت به جهاراً فى مستهلّ خطبتها ، بعد أن بينت أساس الدين وموقعيه الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته من بعده ، وأنّ صرح هذا الدين ونظامه قد بناه

الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، ثم عطفت على ما أحدثته قريش في الدين وبدلته من تغيير الخلافة عن موقعها المرسوم في الدين ، وذلك في صريح قولها :

« فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ ، ظَهَرَتْ فِيكُمْ حَسِيكَةُ النَّفَاقِ ،

وَسَيِّمَلْ جِلْبَابُ الدِّينِ ، وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينَ ، وَنَبَغَ خَامِلُ الْأَقْلِينَ ، وَهَيَّدَرَ فَيْقُ الْمُبْطِلِينَ ، فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ ، وَأَطَلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَعْرَزِهِ ، هَاتِفًا بِكُمْ ، فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ ، وَلَلْغَرَّهَ فِيهِ مُلَا حَظِينَ . . . ، فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شَرِبِكُمْ .

هذا ، وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ ، وَالْجُرْحُ لَمَّا يَنْدَمِلُ ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُقْبَرُ ،

إِيْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَيَقُطُّوْا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ،» فهي بذلك تبين وتصرح بالمشكلة الحقيقية التي هي بصدد مواجهتها ومحاصرتها ، وهي بيان زيغ ما ابتدروه من إحداث في الدين والخلافة ، واغتصوبه من الحكم .

ولما أتمت عليهم الحجة والنذير ، قامت بنفير الأنصار ، ودعوتهم إلى الكفاح والجهاد ضد هذا الكيان القائم .

المشهد الثالث : يشير إلى أن ما تمارسه كان يمثل مقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الأئمة قولها في الخطبه في مواضع مثل :

« أَفَلَا تَعْلَمُونَ ؟ بَلَى قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنُتُهُ . »

وقولها في موضع آخر :

« اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ . . . »

فَإِنَّ تَعَزُّوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ نِسَائِكُمْ ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ ، وَلِنَعِيمِ الْمَعْرِي إِليِهِ ،» ، كما أنها تُبدى وتعلن مشاركة المسؤولين التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله ، والعناء والكد والجهاد في تبين الرسالة ، وإقامه الدين ، كذلك تعلن مشاركة أخيه ابن عمه وأهل بيته في قولها عليها السلام :

« قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا ، . . . »

مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، سَيِّدًا فِي أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، . . .

وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيهِ مِنَ الْعَيْشِ ، وَادْعُونَ فَاكِهِونَ آمِنُونَ ،

المشهد الرابع : عجز السلطه عن المواجهه الساخنه فى قبال تصعيدها للموقف ، حيث إنَّها عليها السلام أعلنت الجهاد وقامت باستنفار الأنصار إلى الكفاح جهاراً فى المسجد النبوى أمام أبى بكر ، الذى يمثّل رأس السلطه الجديده والخلافه المحدثه ، من دون أن تحسب له حساباً أو تتوجّس منه خيفه من عمل مضادّ تقوم به السلطه الحديثه التأسيس ، وهذا ينمّ عن سيطرتها على الموقف ، سواء على الأنصار ، أو على السلطه القائمه ، إذ لم يتمكّن أبو بكر من إبداء أى رده فعل قاطعه فى القول ، فضلاً عن أى إجراء عمليّ ، مع أنّ الوضع كان يندّر بهياج الأنصار ، ووشيك استجابتهم لهذه الدعوه .

كما يشير إلى ذلك أنّها عليها السلام لما أنّت أنه أجهش القوم لها بالبكاء ، فارتجّ المجلس فى مسجد النبىّ صلى الله عليه وآله ، واشتعلت فورتهم ، واحتدّ نشيج القوم ، حتّى أمهلتهم هُنيئَه ، فافتتحت خطبتها بحمد الله والثناء عليه ، والصلاه على رسوله ، فعاد القوم فى بكائهم ، فلمّا أمسكوا عادت فى كلامها .

وفى الخطبه التى يرويها ابن أبى الحديد عن كتاب « السقيفه وفدك » للجوهري بطرقه أنّها « أمهلت طويلاً- حتّى سكنوا من فورتهم » ورغم ذلك لم يتمكّن أبو بكر إلّا من الإنصات ومحاولة استعطاف فاطمه عليها السلام كى تهدّىء الموقف ، فقال : « يا ابنه رسول الله ، لقد كان أبوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً ، رؤوفاً رحيماً ، وعلى الكافرين عذاباً أليماً ، وعقاباً عظيماً ، إن عزوانه وجدناه أباك دون النساء ، وأخا إلفك دون الأخلاء ، آثره على كلّ حميم ، وساعده فى كلّ أمر جسيم » .

فهذه الكلمات كلّها استعطافاً منه لفاطمه عليها السلام كى لا ينفجر عليه الموقف ، ويفلت زمام الأمر من يده ، وقد فطن إلى أنّ المواجهه الساخنه لفاطمه عليها السلام من المؤكّد أنّها ستفجّر الموقف ، وتستوجب نهوض الأنصار فى صفّ فاطمه عليها السلام .

وكلّ هذا يعكس مدى موقعه فاطمه عليها السلام فى الدين ، والمقام الذى تمثّله

فى نفوس المسلمين والأنصار وبعض المهاجرين خاصه .

بل ترى أبا بكر يعترف حتى بموقعه على عليه السلام ، وأخصيته بالنبي صلى الله عليه وآله ، ولا يكتفى بذلك ، بل يتابع قوله : « لا يحبكم إلا سعيد ، ولا يبغضكم إلا شقي بعيد ، فأنتم عتره رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبون ، والخير المتتجون ، على الخير أدلتنا ، وإلى الجنة مسالكنا ، وأنت يا خير النساء وابنه خير الأنبياء صادق في قولك ، سابقه فى وفور عقلك ، غير مردوده عن حقك ، ولا مصدوده عن صدقك . . . وهذه حالى ومالى هى لك وبين يديك ، لا تزوى عنك ولا ندخر دونك ، وإنيك سيده أمه أبيك ، والشجره الطيبه لبنيك ، لا ندفع مالك من فضلك ، ولا يوضع فى فرعك وأصلك ، حكمك نافذ فيما ملكت يداى » (١) .

المشهد الخامس : إدانتها الصريحه وحكمها جهاراً بغضب الخلافه والتواطؤ على الغدر ، وهذه محاسبه جريئه وصريحه لكل المهاجرين والأنصار ، ومن هم أهل الحل والعقد آنذاك ، كما يشير إلى ذلك جمله مما تقدم فى عتابها للأنصار ، وقولها عليها السلام فى جواب أبى بكر :

« أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْغَدْرِ إِعْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ ، وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ . . . كَلَّا بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » .

وقولها عليها السلام :

« مَعَاشَرَ النَّاسِ الْمُسْرِعِ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ ، الْمُغْضِيَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ ، أَفَلَا تَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ ، وَلَبِئْسَ مَا تَأْوَلْتُمْ ، وَسَاءَ مَا بِهِ أَشْرُتُمْ ، وَشَرَّ مَا مِنْهُ اغْتَضْتُمْ » .

وقولها عليها السلام للأنصار :

« أَلَا وَقَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ

ص: ٣٦٤

١- (١) الاحتجاج : ١ : ١٤٤ .

أَحَقُّ بِالْبَسِطِ وَالْقَبْضِ .

وقولها عليها السلام :

« فَوَسَّمْتُمْ غَيْرَ إِلَيْكُمْ ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شَرِّكُمْ » .

وقد تقدّم في المحطّه السابقه حكمها في خطبتها أمام أهل السقيفه بوجوب قتالهم وجهادهم ، لأنّهم نكثوا أيّمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا في الدين ، فصار أهل السقيفه رواداً وأئمّه لمسيره الكفر ، أى الضلال الذى هو فى مقابل الإيمان لا فى مقابل الإسلام ، فقالت عليها السلام للأنصار :

« وجبتم بغيّد الشجاعه عن قوم نكثوا أيّمانهم من بغيّد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم فقالتوا أئمّه الكفر إنّهم لا أيّمان لهم لعلّهم يئنّهون » ، ثم تلت الآيه التى بعدها ، و أنّهم انقلبوا على أعقابهم وقرأت قوله تعالى : **إِنْ قَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ...** .

المشهد السادس : إفحامها لأبى بكر فى الحجاج أمام مرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار ، حيث قطعت عليه الحجج الواحده تلو الأخرى بعد مداوله الجدل ، حتّى انقطعت عليه المعاذير فما بقى له أن يتشبث إلّا بأخر قوله : « هؤلاء المسلمون بينى وبينك قلّدونى ما تقلّدت ، وباتّفاق منهم أخذت ما أخذت ، غير مكابر ، ولا مستبدّ ، ولا مستأثر ، وهم بذلك شهود » .

فلم يتمكّن من التشبّث بآيه أو حديث أو دليل سوى التواطؤ مع الملاء الحاضر ، والاستناد إلى التواطؤ ليس إلّا ، وأنّ الكلّ مسؤول عن ذلك وليس هو وحده ، فمن ثمّ التفتت فاطمه عليها السلام إلى الناس فى آخر هذا المجلس وقالت :

« مَعَاشِرَ النَّاسِ الْمُسْرِعِ إِلَى قَيْلِ الْبَاطِلِ ، الْمُغْضِيَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ . . . » .

ولو نظر الباحث الحصيف إلى هذه المشاهد يامعان وتأمل واستشعر ذلك بفطنته ووجدانه كيف قامت فاطمه بمحاكمه أبى بكر ومحاسبه المهاجرين والأنصار ، وإدانتهم بحجج قويّه حازمه لأبصر بوضوح تامّ ما تحتلّه فاطمه عليها السلام من موقعيه فى الدين ، ومقام فى الولايه وإمساك مقاليد الأئمّه ، وهيمنه على قلوب

وبعكس ذلك تماماً ما حاولت أن تقوم به عائشه في قبال أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته بعد أن نقضت بيعته ، فإنها لم تجرؤ أن تعلن خلافها معه جهاراً في المدينة المنوره ، بل تسللت إلى مكه ، تحت ذريعه الحج أو العمرة ، ثم لم تجرؤ على إعلان الخلاف على أمير المؤمنين عليه السلام إلا بالاحتماء والالتجاء إلى بعض القبائل ، نظير بنى ضبّه ، فتمادى بها الأمر إلى الخروج من قرار بيتها في المدينة ، وترك ما افترض الله تعالى عليها في قوله : وَقَزْنَ فِي يُبُوتِكُنَّ ، كى تتمكن من المعارضه ، وقد استنكرت بقيه نساء النبي صلى الله عليه وآله عليها فعلها ، كما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام واجهها بالقتال الشديد حتى انهزم جيشها ، ومنّ عليها بالأمان والعفو الذى عُرف به عليه السلام عن العصاه والمرده ، وأرجعها إلى المدينة .

ومن هذه المفارقات - مع أنّنا لسنا بصدد قياس سيده نساء العالمين عليها السلام بغيرها من نساء الأمم - يعرف مدى موقعيه الزهراء عليها السلام وهيمنتها على مقاليد الأمور .

المشهد السابع : اعترافات أبى بكر أمام ملاء المسلمين بموقعيتها في الدين وولايتها ، فرغم أن الجوّ القائم كان ملتهباً في مواجهه ، والوضع مرشح للانفجار ، و ذلك بهدف تبرئه نفسه من التمرد على موقعيه فاطمه عليها السلام مثل قوله : « صدق الله ورسوله وصدقت ابنته » فأردف موقع فاطمه عليها السلام بعد موقعيه الله ورسوله في الصدق والحجيه ، وقوله : « أنت معدن الحكمة ، وموطن الهدى والرحمه وركن الدين وعين الحجّه ، لا- أبعد صوابك ، ولا أنكر خطابك » وقوله : « أنت سيده امه أبيك ، لا يدفع ما لك من فضلك ، ولا يوضع في فرعك وأصلك ، حكمك نافذ » .

المشهد الثامن : اضطراب الأمر وهياج الناس بعد دعوتها للجهاد ضدّ أصحاب السقيفه ، حيث قد نُقل في عدّه مصادر الحال الذى صار إليه الناس بعد خطبتها ، فقد روى الطبرى في « دلائل الإمامه » : « ثمّ ولت ، فتبعها رافع بن رفاعه الزرقى فقال

لها : يا سيده النساء ، لو كان أبو الحسن تكلم في هذا الأمر وذكر للناس قبل أن يجرى هذا العقد ما عدلنا به أحداً .

فقال له برذنها :

إليك عني ، فما جعل الله لأحد بعد غدير خمّ من حجّه ولا عذر .

قال : فلم ير باك وبأكيه كان أكثر من ذلك اليوم ، ارتجت المدينة وهاج الناس وارتفعت الأصوات .

فلمّا بلغ ذلك أبا بكر قال لعمر : تربت يداك ما كان عليك لو تركتني ، فربّما رفأت الخرق ، ورتقت الفتق . ألم يكن ذلك بنا أحقّ ؟

فقال الرجل : قد كان في ذلك تضعيف سلطانك ، وتوهين كافتك ، وما أشفقت إلّا عليك .

قال : ويلك فكيف بابنه محمّد وقد علم الناس ما تدعو إليه ، وما نحن من الغدر عليه .

فقال : هل هي إلّا غمره انجلت ، وساعه انقضت ، وكأنّ ما قد كان لم يكن . . . «(١)» .

وروى الجوهري في كتابه « السقيفه وفدك » : أنّ فاطمه عليها السلام ألقّت خطبتها ورجعت إلى بيتها ، فلمّا سمع أبو بكر خطبتها شقّ عليه مقالتها ، فصعد المنبر وقال :

أيّها النّاس ، ما هذه الرعه إلى كلّ قاله . . . » .

ثمّ عرض بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بسباب ، وكلام بذيء جدّاً ، ثمّ التفت إلى الأنصار وقال : « قد بلغني يا معشر الأنصار مقاله سفهائكم وأحقّ من لزم عهد رسول الله صلى الله عليه وآله أنتم ، فقد جاءكم فأويتهم ونصرتهم ، ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحقّ ذلك مني »(٢) .

ص: ٣٦٧

١- (١) دلائل الإمامه للطبري : ١٢٢ .

٢- (٢) السقيفه وفدك : ١٠٢ ، ط . مكتبه نينوى - طهران ، ورواه ابن أبي الحديد عنه أيضاً ٢١٤١٦ - ٢١٥ .

قال ابن أبي الحديد بعد ما أورد ذلك : « قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد وقلت له : بمن يُعَرِّض ؟

فقال : بل يُصَرِّح .

قلت : لو صرّح لم أسألك .

فضحك وقال : بعلّى بن أبي طالب عليه السلام .

قلت : هذا الكلام كلّه لعلّى يقوله !!

قال : نعم إنّهُ المُلك يا بنى .

قلت : فما مقاله الأنصار ؟

قال : هتفوا بذكر على فخاف من اضطراب الأمر عليهم فهاهم .

والرعه : الاستماع والإصغاء . والقاله : القول (١) .

و هذا يدلّ على هياج الأنصار واضطرابهم بعد دعوه فاطمه عليها السلام لهم بالجهاد ، وتأييهم على خذلان أهل البيت عليهم السلام ، وأنّ الأمر كاد ينفلت منه و ينقلب عليه لولا- أنّ الأنصار قد ضعف موقفهم نتيجة الانقسام فيما بينهم من جهة ، ودعم شبكه الأحزاب القبليّه لمخطّط السقيفه فى مصادرهِ الخلافه من أهل البيت عليهم السلام .

ومن ثمّ هدّد أبو بكر الأنصار وعرّض باستخدام السوط فيهم ، و ذلك بعد انكسار شوكتهم بنشوب الاختلاف بينهم .

المشهد التاسع : عدم مبايعه على عليه السلام وعموم بنى هاشم أبى بكر حتّى توفيت فاطمه عليها السلام وقد مرّ الحديث عن هذا المشهد فيما مضى .

ص: ٣٤٨

١- (١) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد : ١٦ : ٢١٤ و ٢١٥ .

المحطه الثالثه: تقزدها فى المواجهه المعلنه لمشروع السقيفه، وتكبدها بذلك أكبر التضحيات

قولها عليها السلام :

« يابنَ أبى طالبٍ ، اشتَمَلتَ شِمْلَهَ الجَنِينِ ، وَقَعَدتَ حُجْرَهَ الظَّنِينِ . . . »

حَتَّى حَبَسَيْتُنِي قَيْلَهُ نَصِيرَها ، وَالْمُهَاجِرَهُ وَضِيْلَها ، وَعَغَصتِ الْجَمَاعَهُ دُونِي طَرْفَها ، فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ . . . ماتَ العُمْدُ ، وَوَهَنَ العُصْدُ ، شَكُوأى إِلَى أبى ، وَعَدُوأى إِلَى رَبِّى . » .

إنَّ الملاحظ من مواقف الزهراء عليها السلام بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله فى النكير على اجتماع السقيفه ، وما نتج منه أنه موقف رافض بشكل صريح ، ويستخدم النكير المكشوف على مسار السقيفه وبلا هواده وبكلِّ قُوّه ، حَتَّى أَنَّ الأمر آل إلى المشادّه والتجاذب بنحو كان مهيجاً لجماعه السقيفه ومربكاً لهم ، كما هو ملحوظ فى إقدامها على الخطبه فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله والذى كان يعتبر الساحة الأولى لتدبير الحكومه والخلافه ، وموقع الصفوف الأولى لإداره الدوله الإسلاميه ، وما ألقته من كلمات وتعبئه مثيره للأنصار ولعموم المسلمين .

حَتَّى أَنَّ ابن أبى الحديد ينقل حاله الوضع بعد خطبتها أَنَّ الأنصار صاروا فى حاله نفسيه معبأه للتحرك فى وجه الخليفه الأول ، حَتَّى خشى هو من انفلات الوضع ، فأخذ يطعن فى شخصيه أمير المؤمنين عليه السلام أمام ملأ الأنصار بسفاه بعيد عن الحشمه تماماً ، وكلّ ذلك لأجل أن يُخمد فتيل التعبئه ضده ، كما أَنَّ مَشاهد مواجعتها لمداهمات جماعه السقيفه لبيت على عليه السلام الذى كان يمثّل مركز التدبير السياسى فى نظام المسلمين ، وعاصمه الدوله الإسلاميه فهذه المواجهه منها بقوّه وجرأه وبنحو مباشر ومعلن سبب لها تحمّل كثير من التضحيات ، انفردت هى بها عليها السلام ، إلى درجه لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام تسمح له الظروف القيام بها ، بسبب اشتباك الأحوال من تعقيدات واختلاط فى الأوراق يصعب بل يمتنع

على عامته المسلمين التفكير في الموازنه واتخاذ الموقف المناسب ، والتمييز بين الحقّ منها والزائف الزائغ ، بحيث لو قام عليه السلام بهدم الزينغ لما زاد الأمور إلتعقيداً ، وهذا ما أوجب غربتها وانفرادها في تحمّل المسؤوليّة ، بحيث كان يقع الثقل الأكبر في الصدمه والصدام عليها .

و هذا ما عبّر عنه النبيّ صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام :

« عمّا قريب سينهدّ ركناك يا عليّ »(١) .

أى أنّ الزهراء عليها السلام كانت ركناً وملجأً لرايه أمير المؤمنين عليه السلام ومنهاجه ، وهذا ما يفسّر قولها عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام عندما رجعت :

« يا بنّ أبى طالبٍ ،

اشتملت شمله الجنين ، وقعدت حجرة الظنين . . . » .

و هذا التعبير لا- يراد منه ما يوهمه ظاهره ، من توجيه العتب لسيد الأوصياء ، بل المراد منه نظير المراد ما فى قوله تعالى للنبيّ عيسى عليه السلام : « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (٢) ، ونظير المراد من قول النبيّ موسى عليه السلام لهارون : « مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَأَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٣) .

فإنّه ليس المراد فى الآيتين توجيه العتاب إلى المخاطب ، بل بيان فضاعه الحدث ، وبشاعه القائمين عليه ، وشده المسؤوليه تجاهه ، بحيث تصل حاله إلى المساءله .

والمعنى المراد هنا زياده على ذلك من قولها عليها السلام هو بيان مدى الغربه التى عانت مرارتها من خذلان الكلّ لها ، وعدم وجود أى ناصر ، كما يشير إلى ذلك ما رواه الشيخ الطوسى فى الصحيح عن أبان بن تغلب ، عن عكرمه ، عن عبد الله بن عباس ،

ص: ٣٧٠

١- (١) أمالى الصدوق : ١٩٨ ، الحديث ٢١٠ . معانى الأخبار : ٤٠٣ ، الحديث ٦٩ . روضه الواعظين : ١٥٢ . ذخائر العقبى : ٥٦ .

٢- (٢) المائده : ١١٦ .

٣- (٣) طه : ٩٣ .

قال : « لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاه . . . فقال صلى الله عليه وآله :

« . . . كأتى بفاطمه ابنتى وقد ظلمت بعدى وهى تنادى : يا أبتاه ، فلا يعينها أحد من أمتى »(١).

بل هذا الكلام فى حقيقته هو دفاع عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قالته أمام من احتشد فى بيتها من بنى هاشم وأنصار عليّ وفاطمه عليها السلام ، ليتبين لهم الموقف ، وأنّ عدم انبراء عليّ عليه السلام للدفاع عن فاطمه هو الخشيه من تعقيد الأمور فى بصيره المسلمين والأجيال اللاحقه ، فيزداد التباس الحقّ بالباطل ، وتختلط الأوراق ، ويظنون بعليّ عليه السلام انجراره نحو الدنيا كما هو حال أصحاب السقيفه همهم الحرص على الرئاسة والدنيا ، فيدبّ الشكّ لديهم فى أهل الدين ، وأنه انتهاز للقضّ على الرئاسة ، فتترنزل بذلك العقيده بالإسلام .

فهذا هو الذى قيّد عليّاً عليه السلام ومنعه عن القيام بالمهمّه العظيمه من مسانده فاطمه عليها السلام فى موقفها ، فهذا الحوار منها مع عليّ عليه السلام هو من باب « إياك أعنى واسمعى يا جاره » واسمعى يا جاره حقيقه موقف أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنه ليس هناك اختلاف بين موقف فاطمه وموقفه عليهما السلام ، بل هما على وفاق ومسار واحد ، امتداد لمسار النبىّ صلى الله عليه وآله .

المحطه الرابعه : فلسفه شدّه جزعها على أبيها :

قولها عليها السلام :

« أَتَقُولُونَ : مَاتَ مُحَمَّدٌ ؟ فَحَطَبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهَيْه . . . » .

إنّ الملاحظ من حزن فاطمه عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكائها وندبتها وعزائها عليه كان بنحو من الشده لا يطيقه الآخرون ، حيث إنه صار الناس فى دهشه وحيره لما يرونه ويسمعونه من شدّه ذلك ، حتّى أنّ المعروف من كتب السير أنّه « اجتمع شيوخ أهل المدينه وأقبلوا إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فقالوا له : يا أبا الحسن ،

ص: ٣٧١

١- (١) أمالى الطوسى : ١٨٨ ، الحديث ٣١٦ . بحار الأنوار : ٤٣ : ١٥٦ .

إن فاطمه تبكى الليل والنهار ، فلا أحد منا يتهنأ بالنوم في الليل على فرشنا ، ولا بالنهار لنا قرار على أشغالنا وطلب معاشنا ، وأنا نخبرك أن تسألها إما أن تبكى ليلاً أو نهاراً .

فقال عليّ عليه السلام :

حُبّاً وكرامه .

فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمه عليها السلام ، وهي لا- تفيق من البكاء ولا ينفع فيها العزاء ، فلما رآته سكنت هنيئاً له ، فقال لها :

يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، إن شيوخ المدينة يسألوني أن أسألك إما أن تبكى أباك ليلاً وإما نهاراً .

فقلت :

يا أبا الحسن ، ما أقل مكثي بينهم ، وما أقرب مغيبى من بين أظهرهم ،

فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال لها عليّ عليه السلام :

إفعلى يا بنت رسول الله ما بدا لك [\(١\)](#) .

ولا يخفى ما فى موقف عليّ عليه السلام من تقرير لعصمه فاطمه عليها السلام وحجّيه فعلها .

وقد ورد أيضاً فى روايه الإمام جعفر الصادق عليه السلام :

« البكاؤون خمسهُ : آدم ،

ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمه بنت محمّد صلى الله عليه وآله ،

وعليّ بن الحسين . . . وأما فاطمه فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة ، فقالوا لها : قد آذيتنا

بكثره بكائك ، وكانت تخرج إلى المقابر ، مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضى حاجتها ثم تنصرف [\(٢\)](#) .

وهذه الظاهره ملحوظه فى الزهراء عليها السلام بنحو التميّز ، كما تصف روايات التاريخ أنّ أهل المدينة قد ضجّوا من بكائها ،

بدرجه أصبح ذلك مضرب مثل فى التاريخ ، فيقال : كيوم توفى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومع تلك الشده فإنّه لم

يصلوا إلى تلك الشده التى كانت عليها ، حزن سيده النساء عليها السلام ، بل هم أنفسهم رغم

١- (١) بحار الأنوار : ٤٣ : ١٧٧ .

٢- (٢) وسائل الشيعة : ٣ : ٢٨١ ، الحديث ٣٦٥٥ .

جزعهم لم يتحملوا شدّة جزعها ، فإنّ جزعها جزع معصوم لتنوء به جبال الأرض ، وهى رغم اعتراضهم بقيت على هذه الحاله إلى أن توفيت عليها السلام ، وهذا السلوك منها عليها السلام يسترعى الانتباه والوقوف عنده ، بعدما شهد لها القرآن بالطهاره من الزلل والخطأ ، فما هو الأمر وراء هذا السلوك ، وما هى غاياته وأسبابه ؟ وما الذى يؤسسه من منهاج للأمم ؟

فإنّه يقال : إنّ شخصيه الرسول صلى الله عليه وآله بما اتّصفت به من مقام لا يمكن أن تشهده البشريّه من بعده ، كما لم تشهده من قبله ، فمن ثمّ عظم مصاب فقده ، كما ورد فى روايات أهل البيت عليهم السلام بيان هذه الحقيقه ، أنّ الخلائق لم يُصابوا بمثل مصاب رسول الله صلى الله عليه وآله (١) . أى بمثل الخساره التى مُنيت بها الأمم بفقد رسول الله صلى الله عليه وآله .

فاستشعار عظم مصابه يرشد ويُعرّف عظم مقامه صلى الله عليه وآله ، أى أنّه يكوّن معرفه صحيحه وسديده بموقعيه الرسول والرساله ، والنبىّ والنبوه ، كما أنّ العكس ، أى قلّه البقاء والجزع يفضى ويُنبىء عن انحطاط المعرفه بمقام النبىّ صلى الله عليه وآله .

وهذه الأهميه بعظم مقامه صلى الله عليه وآله ومعرفته ترسم بياناً وصرحاً فى قوام الدين ، كما نلاحظها فيما ذكره القرآن الكريم فى تعظيم شخصيه النبىّ صلى الله عليه وآله فى نعته بعظائم المديح ، كوصفه برحمه للعالمين وبيعض الأسماء الإلهيه ، كالرؤوف الرحيم ، واقتران طاعته بطاعه الله تعالى ، فى كلّ أوامر الطاعه فى القرآن ، واقتران ولايته بولايه الله تعالى ، وذكره بذكر الله تعالى ، كما فى قوله تعالى : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٢) ، وباشتراط التوسّل به فى قبول التوبه بضميمه اشتراط شفاعته أيضاً ، وبخفض الصوت عنده ، وأنّ سوء الأدب معه صلى الله عليه وآله يحبط الأعمال ، وغيرها من شؤون التعظيم له صلى الله عليه وآله ، فإنّ من الغايات لذلك هو شدّ الناس إلى اتباعه ، بالتعلّق به ،

ص: ٣٧٣

١- (١) وسائل الشيعه : ٣ ، الباب ٧٩ من أبواب الدفن .

٢- (٢) الشرح : ٤ .

وبتوسط توثيق وتوكيد المحبّه له ، فإنّه كلما اشتدّ التعلق والمحبّه اشتدّ الاتباع والتسليم والانقياد له ، وعلى العكس إذا قلّ التعلق وضعفت المحبّه فإنّه يستعصى الاتباع ، ويمتنع الانقياد الكامل والتسليم له صلى الله عليه وآله .

فإنّ المحبّه هي الصراط الأطوع للطاعه والاتباع .

ونلاحظ هذا التركيز على التعلّق برسول الله صلى الله عليه وآله جلياً في تعاليم الدين ووصاياه ، ففي قول عليّ عليه السلام بعد وفاه الزهراء عليها السلام :

« قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنْ لِي فِي النَّأْسِي بِسُنَّتِكَ فِي فُرْقَتِكَ مَوْضِعٌ تَعَزُّ ... وَفِيكَ أَحْسَنُ الْعَزَاءِ » (١) .

فبيّن عليه السلام بأنّ عظم المصاب بفقدته يسأل ما دونه من المصاب ، بل إنّ هذا التعلق لعليّ عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله ظلّ بتلك الشدّه إلى آخر حياته عليه السلام ، حتّى أنّه قيل له : لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين - أي أن يصبغه بالخضاب - فقال عليه السلام :

« الخضاب زينه ونحن قوم في مصيبه » ، يريد برسول الله صلى الله عليه وآله (٢) .

ومن هنا ورد عنه صلى الله عليه وآله :

« من أصيب بمصيبه فليذكر مصيبته فيّ فإنّها أعظم المصائب » .

وكذلك ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

« إذا أصبت بمصيبه فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله ،

فإنّ الخلق لم يصابوا بمثله قطّ » (٣) .

ومن ثمّ يفهم فلسفه هذه الشدّه في جزعها وبكائها ، فإنّ ما فعلته عليها السلام تربيته للجيل

ص: ٣٧٤

١- (١) بحار الأنوار : ٤٣ : ٢١١ ، نقلاً عن أمالي الشيخ المفيد .

٢- (٢) شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد : ٢٠ : ٢٣٠ ، كلمه ٤٨١ . وسائل الشيعة : ٢ باب استحباب الخضاب بالسواد ، الحديث ٣ .

٣- (٣) وسائل الشيعة : ٣ : ٢٦٧ ، باب استحباب تذكّر المصاب بمصيبه النبي صلى الله عليه وآله ، واستصغار مصيبه نفسه بالنسبه إليها .

الأول من الأئمة وللأجيال اللاحقه على تأكيد التعلق برسول الله صلى الله عليه وآله ، ولم يبق بهذه السنه غيرها ، وما سنته هو ما أكد عليه القرآن الكريم ، فإن فلاح هذه الأئمة وصلاحها وسدادها بتوثيق محبتها لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن المحب لمن أحب مطيع ، وكلما فترت وضعفت محبه هذه الأئمة بنبيها كلما ابتعدت عن التأسي برسولها .

و هذا الذى نهجته عليها السلام كان فى قبال شعار آخر رُفِع يوم السقيفه ينادى بمقوله :

« من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات »(١) ، فإن مقصود رافعى هذا الشعار هو الإنكار على شدة تعلق الناس برسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن هذا الولاء من الناس يصفه أصحاب هذا الشعار بأنها عباده للنبي صلى الله عليه وآله ، وإلا فلم يحدثنا التاريخ أن أحداً من المسلمين كان قد صلى أو صام لرسول الله صلى الله عليه وآله ، أو قال بألوهيته صلى الله عليه وآله ، ومرادهم من جعل موت النبي صلى الله عليه وآله غايه لعبادته هو أنهم يجعلون وفاته صلى الله عليه وآله نهايه لهذا الولاء ، وهذه الدرجه من التعلق والذوبان والطاعه ، وأنه من يوم رحيله فلاحاً سيتّم مواجهه ذلك .

و هذا الشعار وإن أعلنوه بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنهم لطالما مارسوه فى حياته صلى الله عليه وآله ، وأرادوا فى مواطن عديده إفشاءه بين المسلمين ، فإن قائلهم وهو المنادى فى محضر من النبي صلى الله عليه وآله فى أعصب الأوقات التى يمر بها سيد الرسل : « إن الرجل ليهجر » و هذا الشعار الذى رفع فى البدايه ، قد اختطّ منهجاً توالى فصوله ومراحلها لاحقاً فى مجالات عديده ، منها منع روايه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وتدوينه ، حيث قال قائلهم : فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا : بينا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه(٢) .

ص: ٣٧٥

١- (١) صحيح البخارى : ٢ : ٧٠ : ٤ : ١٩٤ .

٢- (٢) تذكرة الحفاظ : ١ : ٢٣ .

وقال قائلهم الآخر : من كان عنده منها شيء فليمحه (١).

حتى وصل الأمر بالخليفة الثاني إلى منع بعض الصحابة من السفر خارج المدينة لئلا يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

بل قد مرّ أنهم منعوا تدوين حديثه صلى الله عليه وآله في عهده صلى الله عليه وآله فقد روى عبد الله بن عمر أنه قال : « كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتابه ، وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق » (٣).

هذا فضلاً عن كتابه سيرته صلى الله عليه وآله وتفصيل الحوادث في عهد صدر الإسلام .

وقد فضحت الصديقه فاطمه عليها السلام هذا المنهج وهذا الخط بما قامت به من إحياء سيرته إبقاء الولاء الشديد لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وتأكيده في قلوب المسلمين وزرع الحبّ الباعث على التسليم والاتباع له ، والتأكيد على عدم نسيان ذكره والحفاظ على حرمة ، في قبال ذلك بدا واضحاً انزعاج قريش ممّا أظهرته من شدّه التعلّق عليه برسول الله صلى الله عليه وآله والجزع .

وقد أشارت عليها السلام في خطبتها إلى ذلك بقولها :

« أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ أَبِي يَقُولُ : « الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ » ، سُرْعَانَ مَا أَحَدْتُمْ ، وَعَجَلَانَ ذَا إِهَالَهُ ، وَلَكُمْ طَاقَةٌ بِمَا أَحَاوِلُ ، وَقُوَّةٌ عَلَيَّ مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ ؟

أَتَقُولُونَ : مَاتَ مُحَمَّدٌ ؟ فَخَطَبْتُ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْنُهُ ، وَاسْتَنْهَرَ فَتَقُهُ ، وَأَنْفَعَتِ رَتْقُهُ ،

ص: ٣٧٤

١- (١) كنز العمال : ١٠ : ٢٩٢ ، الحديث ٢٩٤٧٦ . تقييد العلم : ٥٣ .

٢- (٢) تذكره الحفاظ : ١ : ٧ . المستدرک علی الصحیحین للحاکم : ١ : ١١٠ . المصنّف لابن أبي شيبة : ٥ : ٢٩٤ ، الحديث ٢٦٢٢٩ .

٣- (٣) تقييد العلم : ٧٤ . سنن الدارمی : ١ : ١٢٥ . سنن أبي داود : ٣ : ٣١٨ ، الحديث ٣٦٤٤ .

وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِعَيْبَتِهِ ، وَكَسَفَتِ النُّجُومُ لِمَصِّبَتِهِ ، وَأَكْثَدَتِ الْأَمَالُ ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ ، وَأَضْيَعَ الْحَرِيمُ ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ . فِتْلِكَ وَاللَّهِ ! النَّازِلَةُ الْكُبْرَى ،

وَالْمَصِيبَةُ الْعُظْمَى ، لَامِثُلُهَا نَازِلَةٌ ، وَلَمَّا بَيَّنَّقَهُ عَاجِلُهُ ، أُعْلِنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي أَفْتِنَتِكُمْ فِي مُمَسَاكِمِ وَمُضَيَّبِحِكُمْ ، هَتَافًا وَصُدْرَاخًا ، وَتِلَاوَةً وَأَلْحَانًا ، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، حُكْمٌ فَضْلٌ ، وَقَضَاءٌ حَتْمٌ (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) .

وبقولها :

« وَتَسْتَجِيبُونَ لِهَتَافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ ، وَإِطْفَاءِ أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ ،

وَإِهْمَادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ » (١) .

فهى تشير بما قامت به من تربيته الأتمه على السير على نهج الانشداد إلى شخصيته النبى صلى الله عليه وآله والذوبان فى محبته ، إلى كون هذا هو الطريق لطاعته ، والتسليم لحكمه ونبوته ، والتصديق برسالته صلى الله عليه وآله ، فى قبال ما نهجته قريش من إمامته ذكر النبى صلى الله عليه وآله ورفع شعار « مات رسول الله صلى الله عليه وآله » لإمامته سنته ونهجه وهديه ، كما فى قولها :

« أَتَقُولُونَ : مَاتَ مُحَمَّدٌ ؟ ... »

الآن مات رسول الله ، أتمم دينه « وقولها :

« وَإِهْمَادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ » ، فهى تبدى الاستنكار على الشعار الذى رفعوه وهو « مات محمد » .

كما أوضحت عليها السلام إلى ما أشار إليه القرآن الكريم لهذا الإحداث فى الدين ، والتبديل الذى بيته قريش لحين وفاه الرسول صلى الله عليه وآله ، حيث عبر القرآن الكريم عن ذلك بالانقلاب على الأعقاب ، أى الرجوع إلى ما كانوا عليه من قبل ، ولا يخفى أن الآية إذا نزلت لا تختص بمورد النزول ، وهو ما حدث فى واقعه أحد ، بل معانى الآيات عامه ذات مفاهيم خالده ، تشير إلى تكرر السنن وانطباق الآيات عليها .

ص: ٣٧٧

١- (١) تقييد العلم : ٧٤ . سنن الدارمى : ١ : ١٢٥ . سنن أبى داود : ٣ : ٣١٨ ، الحديث ٣٦٤٦ .

روى الفريقان عليهم السلام مستفيضاً حديث

« فاطمه قد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار »^(١) وفي بعض الروايات أنها « جعلت مستودعاً للحسن والحسين ورحماً لهما ولنسل الإمامه » ، فهو نظير ما ورد في مريم عليها السلام من قوله تعالى : وَ مَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ^(٢) ، حيث إن ظاهر الآية أن سبب إعطاء عيسى لمريم هو إحسان فرجها ، وبضميمه ما ورد مستفيضاً أن فاطمه عليها السلام أحصنت فرجها ؛ تتأتى نفس العله فيها عليها السلام فحرم الله ذريتها على النار أى أن ذريتها عصموا من الضلال والردى^(٣) .

فليس المراد فيه صيرف مجرد العفه عن الفاحشه الكبيره ، فإن هذا أمر تتحلّى به كثير من المؤمنات ، ومع ذلك لم يصلن إلى مقام (مستودع العصمه والطهاره) ، فلا بد أن يكون المعنى أكبر من ذلك .

ص: ٣٧٩

-
- ١- (١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ : ٢٥٧ ، الحديث ١ و : ٢٥٩ ، الحديث ٤ . الخرائج والجرائح : ١ : ٢٨٠ . مناقب ابن شهر آشوب : ٣ : ١٠٧ ، مناقب فاطمه عليها السلام . الحاكم فى المستدرک : ٣ : ١٥٢ . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد : ١٨ : ٢٥٣ . نظم درر السمطين للزرندي الحنفى : ١٨٠ . الجامع الصغير للسيوطى : ١ : ٣٥٢ ، الحديث ٢٣٠٩ . تاريخ بغداد : ٣ : ٢٦٦ . ميزان الاعتدال للذهبي : ٣ ، الحديث ٦١٨٣ . لسان الميزان لابن حجر : ٤ : ٣٢٢ ، الرقم ٩١٠ .
 - ٢- (٢) التحريم : ١٢ .
 - ٣- (٣) انظر بحار الأنوار : ٤٣ : ٥٠ .

وقد استعمل عنوان (الفرج) كناية عن مطلق الشهوة الجنسية ، وعلى ذلك يكون المراد من الإحصان هو العفاف بدلاً عن استعمال الشهوة الجنسية في تمام أعضاء البدن ، سواء العين أو اليد أو الأذن ، أو غيرها من الحواس ، فضلاً عن الفرج كما ورد ، فعن الصادقين عليهما السلام قالا :

« ما من أحد إلّا ويصيب حظاً من الزنا ، فزنا العين النظر ، وزنا الفم القبله ، وزنا اليدين اللمس »(١) ، وإليه يشير قوله تعالى : يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (٢) .

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام :

« النظره بعد النظره تزرع في القلب الشهوه ، و كفى بها لصاحبها فتنه »(٣) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله :

« العين تزني والقلب يزني ، فزنا العين النظر ، وزنا القلب التمني ،

والفرج يصدق ما هنالك أو يكذبه »(٤) .

وعن النبي صلى الله عليه وآله :

« لكل ابن آدم حظّه من الزنا ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان المنطق ، والأذنان زناهما الاستماع ، واليدان تزنيان فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان فزناهما المشي ، والفم يزني فزناه القبل »(٥) .

بل الظاهر أنّ معنى إحصان الفرج بمقتضى ما ورد من الآيات الواردة في عفة الحجاب وهو أن تحصن المرأة نفسها ولا تظهر زينتها للأجنبي ، فيلتدّ بالنظر إليها ؛ تقع في معرض : ولو برمق العين ، أو تلذذ السماع ، كما يشير إليه قوله تعالى :

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ (٦) بل قد يصل الحجاب

ص: ٣٨٠

١- (١) وسائل الشيعة : ٢٠ : ١٩١ ، الحديث ٢٥٣٩٦ .

٢- (٢) غافر : ١٩ .

٣- (٣) وسائل الشيعة : ٢٠ : ١٩٢ ، الحديث ٢٥٣٤٠٠ .

٤- (٤) مسند أحمد : ٢ : ٣٢٩ .

٥- (٥) كنز العمال : ٥ : ٣٢٤ ، الحديث ١٣٠٤٨ .

٦- (٦) الأحزاب : ٣٢ .

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

رسول الله صلى الله عليه وآله ، وولّي أبي بكر ، فرأيتماني كاذباً ، آثماً ، غادراً ، خائناً ، والله يعلم أنني لصادق ، بارّ ، راشد ، تابع للحقّ ، فولّيتُما ، ثمّ جئتني أنت و هذا ، وأنتما جميع ، وأمركما واحد ، فقلتما : ادفعاها إلينا .

وكما أسلفنا أنّ البخارى قد روى ذلك أيضاً ، لكنّه قد حذف بعض المقاطع منه .

وهذه المحاججه التي رواها مسلم والبخارى تدلّ على احتجاج عليّ عليه السلام على أبي بكر وعمر في شأن الخلافه وأنّه وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده ، وهو الوارث لمقامه في الخلافه ، حتّى أنّ أبا بكر وعمر سلّما بأنّ من يكون وليّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي يقوم مقامه كخليفه ويلي ميراثه ، إلّا أنّهما زعما أنّهما وليّا رسول الله صلى الله عليه وآله دون عليّ .

هكذا تدلّ على أنّ المحاججه والمواجهه في أمر الخلافه قد حصلت في كلّ من فتره خلافه أبي بكر وعمر ، وأنّ عليّاً كان يكذب أبا بكر وعمر في دعواهما ولايه رسول الله صلى الله عليه وآله ويحكم عليهما بالغدر والإثم والخيانه ، وهذا يناقض ما رواه البخارى ومسلم من أنّ عليّاً بايع أبا بكر بعد وفاه فاطمه عليها السلام ، ولم يحدث بينه وبين أبي بكر نزاع بعد ذلك .

كما أنّ هذه المحاججه تدلّ بصراحه على أنّ الخصومه في الفياء إنّما هي مخاصمه على ولايه الأمر والخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنّ ولايه الفياء هي ولايه كلّ أموال الدوله ، والثروات العامّه ، وهي بعينها ولايه الأمر .

وذكر البخارى في صحيحه في كتاب الفرائض الباب الثالث ، باب قول النبيّ :

« لا نورث ، ما تركناه صدقه » ، عن عائشه : « أنّ فاطمه والعبّاس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فذك ، وسهمهما من خبير ، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا نورث ما تركناه صدقه ، إنّما يأكل آل محمّد من هذا المال .

قال أبو بكر : و الله لا أدع أمراً رأيت رسول الله صلى الله عليه و آله يصنعه فيه إلا صنعته .

قال : فهجرته فاطمه فلم تكلمه حتى ماتت (١) .

وذكر البخارى أيضاً فى كتاب المغازى الباب ٣٨ باب غزوه خيبر ، عن عائشه :

« أن فاطمه عليها السلام بنت النبى صلى الله عليه و آله أرسلت إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله ممّا أفاء الله عليه بالمدينه وفدك ، وما بقى من خمس خيبر ، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال : لا نورث ما تركناه صدقه ، إنما يأكل آل محمّد صلى الله عليه و آله فى هذا المال ، وإئى و الله لا أغير شيئاً من صدقه رسول الله صلى الله عليه و آله عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه و آله ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمه منها شيئاً . فوجدت فاطمه على أبى بكر فى ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبى صلى الله عليه و آله سنّه أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلاً ، ولم يؤذن بها أباً بكر ، وصلى عليها .

أقول : وفى هذه الروايات التى رواها البخارى من كلام أبى بكر تناقض واضح ، حيث إنّه من جهة يُقرّ أنّها ملك لرسول الله صلى الله عليه و آله خاصّه دون المسلمين ، ومن ثمّ أقرّ بأنّها ممّا ترك رسول الله صلى الله عليه و آله ، وادّعى أنّها صدقه بعد رسول الله ، ومن جهة اخرى يدّعى أنّها صدقه فى عهد رسول الله ولا يغيرها عن حالها التى كانت فى عهده .

فكيف تكون تاره هى ممّا ترك وأنّ حكم ما ترك بعده صلى الله عليه و آله صدقه ، وأخرى يدّعى أنّها صدقه فى عهده وحياته صلى الله عليه و آله ، فإنّها إن كانت صدقه فى حياته فلماذا يتشبّه بما يدّعى من الروايه بأنّ ما يتركه رسول الله صلى الله عليه و آله يكون حكمه بعد ترك رسول الله صلى الله عليه و آله لذلك المال بالوفاه ، يكون صدقه ، فتاره هو يدّعى بسيره النبى صلى الله عليه و آله فى عهده وأخرى يدّعى بتسبيل تركه رسول الله صلى الله عليه و آله . هذا مع أنّ فدكاً كانت تحت يد فاطمه فى عهد رسول الله صلى الله عليه و آله .

ص: ٣٩٥

١- (١) صحيح البخارى ٢ : ٩٩٥ .

ومن التساؤلات الجادّة في احتجاجها عليها السلام على أبي بكر في فدك أنّ مطالبتها عليها السلام هل كانت مقتصره على خصوص أرض فدك أم كانت مطالبه عامه بعموم الفيء والخمس اللذين أسندت ولايتهما في آيه الخمس وآيه الفيء إلى ذى القربى بعد ولايه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، وعلى أىّ تقدير فكيف ينسجم ذلك ويتوافق مع جعل مستند المطالبه تاره الإرث وأخرى النحله ، وثالثه الفيء ، والملاحظ لنصوص المحاججه لها عليها السلام يجد أنّها على ثلاثه أنماط :

النمط الأول : ما كان بعنوان الإرث مثل ما روى مستفيضاً عن الفريقين من قولها لأبى بكر :

« يَا بْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟ لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا فَرِيًّا » (١).

وأيضاً قولها عليها السلام في خطبتها :

« وَأَنْتُمْ الْآنَ تَزْعُمُونَ أَلَا إِرْثَ لَنَا ، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . . .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، أَأَغْلَبُ عَلَى إِرْثِهِ ؟ يَا بْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ وَلَا أَرِثَ أَبِي ؟ » (٢).

وأيضاً ما رواه البخارى في « صحيحه » عن عائشه : « أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أُرْسِلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمَدِينَةِ وَفَدَكَ ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خَمْسِ خَيْبَرَ » (٣).

وذكر البخارى أيضاً في « صحيحه » في كتاب الفرائض الباب الثالث ، باب

ص: ٣٩٦

١- (١) شرح ابن أبى الحديد : ١٦ ، نقلاً عن كتاب أحمد بن عبد العزيز الجوهري .

٢- (٢) دلائل الإمامه للطبرى : ٣٠ . التذكرة الحمدوتيه لابن حمدون : ٦ : ٢٥٥ ، الحديث ٦٢٨ . تاريخ يعقوبى : ٢ : ١٢٧ .

٣- (٣) صحيح البخارى : ٤ : ٢١٠ ، كتاب بدء الخلق ، باب مناقب المهاجرين ، و ٥ : ٨٢ ، كتاب المغازى - باب غزوه خيبر .

قول النبيّ: « لا نورث ما تركناه صدقه » ، عن عائشه أيضاً: « أنّ فاطمه والعبّاس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذٍ يطلبان أرضيهما من فدك » .

النمط الثاني : ما كان بعنوان النحلة : كما في قولها لعليّ عليه السلام مستنجده به شاكيه غضب أبي بكر حيث تقول :

« هذا ابن أبي قحافه يبتزني نحلّه أبي وبلّغه ابني » (١).

وروى أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن هشام بن محمّد ، عن أبيه ، قال :

« قالت فاطمه عليها السلام لأبي بكر :

إنّ أمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطانى فدكاً . . . » (٢).

وروى أبان عن سليم بن قيس الهلاليّ ، قال : « كنت عند عبد الله بن عباس في بيته ومعه جماعه من شيعة عليّ عليه السلام فكان فيما حدّثنا أن قال : . . . ثمّ إنّ فاطمه بلغها أنّ أبا بكر قبض فدكاً ، فخرجت في نساء بني هاشم ، حتّى دخلت على أبي بكر ، فقالت : يا أبا بكر تأخذ منّي أرضاً جعلها لي رسول الله صلى الله عليه وآله وتصدّق بها عليّ . . . » (٣).

وروى في « جواهر البحار » قال : « وذكرنا في الأصل من روى أنّ فاطمه عليها السلام قالت في فدك :

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أنحلنيها وما أنفق فيها » (٤).

النمط الثالث : ما كان بعنوان الفيء :

ما رواه السيّد حيدر الآملي في كشكوله عن المفضّل بن عمر قال : « قال مولاى الصادق عليه السلام :

لما ولي أبو بكر قال له عمر : إنّ الناس عبيد هذه الدنيا ، لا يريدون

ص: ٣٩٧

١- (١) الاحتجاج للطبرسى : ١ : ١٣١ .

٢- (٢) السقيفه وفدك للجوهري : ١٠١ .

٣- (٣) كتاب سليم بن قيس الهلاليّ : ٢ : ٨٤٢ ، الحديث ٤٨ .

٤- (٤) جواهر البحار في فضائل النبيّ المختار صلى الله عليه وآله للعلامة النبهانيّ : ٤ : ٨٦ .

غيرها ، فامنع عن عليّ الخمس والفيء وفدكاً ، فإنّ شيعته إذا علموا ذلك تركوا عليّاً وأقبلوا إليك رغبة في الدنيا . . . إلى قوله :

قال عليّ عليه السلام لفاطمه عليها السلام :

صيرى إلى أبى بكر وذكّريه فدكاً ، فصارت فاطمه عليها السلام إليه وذكرت له فدكاً مع الخمس والفيء .

فقال : هاتى بينه يا بنت رسول الله .

فقالت :

أمّا فدك فإنّ الله عزّ وجلّ أنزل على نبيّه قرآناً بأن يأتينى وولدى حقّى ، فكنتُ أنا وولدى أقرب الخلائق إلى رسول الله فنحلنى وولدى فدكاً فلما تلا عليه جبرئيل عليه السلام : و المسكين و ابن السبيل قال رسول الله صلى الله عليه و آله : ما حقّ المسكين و ابن السبيل ؟

فأنزل الله تعالى : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كئى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . . . (١)

فما لله فهو لرسوله ، وما لرسول الله فهو لذى القربى ، قال الله تعالى : قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى .

فنظر أبو بكر بن أبى قحافه إلى عمر بن الخطّاب وقال : ما تقول ؟

فقال عمر : ومن اليتامى ، و المساكين ، و أبناء السبيل ؟

فقالت فاطمه :

اليتامى الذين يأتمون بالله ، و المساكين الذين أسكنوا معهم فى الدنيا والآخرة ، و ابن السبيل الذى يسلك مسلّكهم .

قال عمر : فإذا الخمس والفيء كلّ لكم ولمواليكم وأشياعكم ؟

فقالت فاطمه عليها السلام : أمّا فدك فأوجبها الله لى ولولدى دون موالينا وشيعتنا ، وأمّا الخمس فقسّمه الله لنا ولموالينا وأشياعنا كما يقرأ فى كتاب الله .

قال عمر : فما لسائر المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ؟

ص: ٣٩٨

قالت فاطمه : إن كانوا موالينا ومن أشياعنا فلهم الصدقات التي قسّمها الله وأوجبها في كتابه ، فقال الله عزّ وجلّ : إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ .

قال عمر : فدك لك خاصّه ، والفيء لكم ولأوليائكم ؟ ما أحسب أصحاب محمّد يرضون بهذا !!

قالت فاطمه :

فإن الله عزّ وجلّ رضى بذلك ، ورسوله رضى به ، وقسّم على الموالاه والمتابعه ، لا على المعاداه والمخالفه ، ومن عادانا فقد عادى الله ، ومن خالفنا فقد خالف الله ، ومن خالف الله فقد استوجب من الله العذاب الأليم ، والعقاب الشديد في الدنيا والآخرة .

فقال عمر : هاتى بيته يا بنت محمّد على ما تدعين ؟ !

فقالت فاطمه عليها السلام : قد صدّقتم جابر بن عبد الله وجرير بن عبد الله ولم تسألوهما البيّنه ! ويّنتى فى كتاب الله .

فقال عمر : إنّ جابراً وجريراً ذكرا أمراً هتينا ، وأنت تدعين أمراً عظيماً ، يقع به الردّه من المهاجرين والأنصار .

فقالت عليها السلام : إنّ المهاجرين برسول الله وأهل بيت رسول الله هاجروا إلى دينه ،

والأنصار بالإيمان بالله ورسوله وبذى القربى أحسنوا ، فلا هجره إلّا إلينا ، ولا نصره إلّا لنا ، ولا أتباع بإحسان إلّا لنا ، ومن ارتدّ عنّا فإلى الجاهليّه «(1)» .

وهذه الروايه تشتمل على اصول وأسس وقواعد المعارف الإسلاميه .

وروى إسحاق بن راهويه بسنده عن ام هانى بنت أبى طالب : « أن فاطمه عليها السلام

ص: ٣٩٩

١- (١) بحار الأنوار : ٢٩ : ١٩٤ . مستدرک الوسائل : ٧ : ٢٩٠ ، الباب ١ من أبواب قسمه الخمس ، الحديث ١٠ .

أتأبأ بكر تسألأ سهم ذوأ القربى .

فقال لها أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سهم ذوأ القربى لهم فى حياتى وليس لهم بعد موتى «(١)» .

وفى مقام الإجابأ عن هذا التساؤل يقال : إنَّ محاجبتها واعتراضها على أبى بكر لم يقتصر على فذك فقط ، بل شمل جميع الأموال التى كانت تحت يد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفى الحقيقأ هذا الاحتجاج والنزاع وقع على ولايه الرسول صلى الله عليه وآله على الأموال ، أى فى تقمُّم وتقمُّص أبى بكر لهذا المنصب .

وإنَّ أمعنا النظر فى خطبتها عليها السلام سوف نلاحظ بالتالى تصريحها بالاعتراض على غضب الخلافأ من على عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام ، لأنَّ ولايه على عليه السلام على الأموال عبارأ اخرى عن حقايقته فى دعوى الخلافأ ، وقد تقدّم جملة من الشواهد على ذلك ، وسأأتى أيضاً .

وقد صرّحت جملة من مصادر الفريقين على أنّها عليها السلام طالبت بذك ، والعوالى ، والفاء ، والخمس ، وخير ، وغيرها من الأموال التى كانت تحت يد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإليك جملة من المصادر زيادأ على ما مرّ :

منها : ما رواه البخارى فى « صحيحه » فى كتاب فرض الخمس (٢) بسندأ عن عائشأ ، قالت : « وكانت فاطمأ تسأل أبأ بكر نصيبها ممّا ترك رسول الله من خير وفذك وصدقته بالمدينه » (٣) .

ومنها : ما رواه مسلم فى صحيحه بسندأ عن عائشأ : « أنّ فاطمأ بنت رسول

ص : ٤٠٠

١- (١) مختصر إتحاف السادأ المهره بزوائد المسانيد العشره : ٦ : ٥٠٤ ، الحديث ٥١٤٥ ، والظاهر أنّه رواه عن مسند إسحاق بن راهويه .

٢- (٢) وهو باب فرض الخمس الحديث الثالث فى الباب .

٣- (٣) وروى قريب هذا المعنى عن تاريخ الإسلام لسراج الدين عثمان : ٢٢٥ ، مخطوط .

اللّٰه صلي الله عليه و آله أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه و آله ، ممّا أفاء الله عليه بالمدينة ، وفدك ، وما بقي من خمس خيبر . . . » (١).

ومنها : ما رواه السيوطي عن عمر بن الخطّاب ، قال : « لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ بِوَيْعِ الْأَبِيِّ بَكْرٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَهَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَتْ :

ميراثي من رسول الله صلى الله عليه و آله أبي ؟

فقال أبو بكر : من الرّثّة أو من العُقَد ؟

قالت : فدك ، وخيبر ، وصدقاته بالمدينة ، أرثها كما يرثك بناتك إذا متّ . . . » الحديث (٢).

وقد عقد ابن سعد في « طبقاته » باباً تحت عنوان « ذكر ميراث رسول الله صلى الله عليه و سلم وما ترك » (٣).

ومنها : ما رواه ابن سعد في « الطبقات » بسنده عن أمّ هانئ : « أنّ فاطمة قالت لأبي بكر :

مَنْ يَرِثُكَ إِذَا مِتُّ ؟

قال : ولدي وأهلي .

قالت :

فما لك ورثت النبيّ دوننا ؟

فقال : يا بنت رسول الله ، إني و الله ما ورثت أباك أرضاً ولا ذهباً ولا فضّة ولا غلاماً ولا مالاً .

قالت :

فسهم الله الذي جعله لنا وصافيّتنا التي بيدك ؟

فقال : إني سمعت رسول الله يقول : إنّما هي طعمه أطعمنيها الله ، فإذا متّ كان

ص: ٤٠١

١- (١) صحيح مسلم : ٥ : ١٥٣ ، كتاب الجهاد ، باب ١٦ (قول النبيّ صلى الله عليه و آله : لا نورث ما تركناه صدقه) .

٢- (٢) مسند فاطمة للسيوطي : ٣٣ ، الحديث ٥٢ . الطبقات الكبرى : ٢ : ٣١٥ .

٣- (٣) الطبقات الكبرى : ٢ : ٣١٤ .

قاعده منهجيّه فى العقائد :

ولا بدّ من تقديم مقدّمه ، حاصلها :

أنّ عناوين العقود والعهود من البيع ، والإجاره ، والقرض ، والهبة ، والوكاله ، والوصيّه ، والنذر ، واليمين ، وقاعده الشروط - المؤمنون عند شروطهم - وغيرها ، وكذا الإيقاعات والأحكام نظير الإرث ، والحدود ، والقصاص . . . الخ ، تاره يكون موردها الأموال والحقوق الشخصيه الفرديه ، وهو المنسب المعهود منها .

وأخرى يكون موردها حقوق الجماعه من الناس وأهل المدينه ، والعشيره ، والقبيله .

وثالثه يكون موردها الشأن العامّ السياسى ، والأمر العامّه للأئمّه ، والتعامل بين الأئمّه والولاه ، أو بين الأمم فيما بينهم ، وكل هذه الأنماط والأنواع من الموارد تنطبق عليه العقود والإيقاعات ، والأحكام .

فالبيع مثلاً يصير بصوره البيعه ، والوكاله تصير بصوره النيايه والولايه ، والوصيّه الفرديه تصبح وصيّه سياسيه ودينيه مرتبطه بعهد الولايه والخلافه ، ومن ثمّ قد ورد أنّ

« من مات وليس فى عنقه بيعه لإمام مات ميتة جاهليته »(٢) ، وكذلك ورد أنّ

« من مات ولم يوص مات ميتة جاهليته »(٣) .

فأخذت البيعه والوصيّه طابعاً عقائدياً ، مع أنّهما صوره عقدان فقيهان ، وذلك

ص: ٤٠٢

١- (١) المصدر المتقدّم .

٢- (٢) بحار الأنوار : ٢٣ : ٩٤ . الكافى : ١ : ٣٧٦ ، باب من مات وليس له إمام من أئمّه الهدى مثله .

٣- (٣) المناقب لابن شهر آشوب : ١ : ٢١٧ .

لأن البيعه المتضمنه لمعنى البيع إذا طُبِقَ على صعيد الالتزام والتعهد والولاء تجاه صاحب منصب الولاية الإلهية ، فلا يخرج عن الطابع الفردي فحسب ، ولا الأسرى والسياسى فحسب ، بل يندرج فى الثوابت العقائديه ، لثبات متعلقه ، وسعته بما يتجاوز البيئه السياسيه الخاصه ، والشأن الفردي والأسرى ، وكذلك الحال فى الوصيه ، فإن الوصيه إذا انطبقت على مورد ذو صلته بالعقائد ، والثابت الذى يتجاوز الأزمنه إلى شموليه كل الزمان والأمكنه ، كالذى ورد فى استحباب الوصيه بالشهادات الحقه ، وكما فى قوله تعالى : وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١) .

وبعبارة اخرى : إن إقرار الإنسان بالعقائد الحقه والتزامه ، لا بد أن يتجاوز مدّه عمره فى الحياه الدنيا إلى إبراز الالتزام بها إلى ما بعد الحياه ، وكلّ تصرّف فى شؤون المرء يتعلّق بما بعد حياته الدنيويه تنطبق عليه ماهيه الوصيه .

كما أنّ للوصيه تطبيقاً آخرًا ، وهو تصرّف النبى صلى الله عليه وآله لفته ما بعد رحيله فى شؤونه الراجعه إلى المناصب الإلهيه التى تقلدها يُعدّ وصيه أيضاً ، كما فى نصبه علياً عليه السلام إماماً للأمة وخليفه من بعده .

وكذلك الدين ، فإنّ ديون الحاكم فى الدوله الإلهيه كسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ليست ديوناً فرديه ، ولا أسريه ، ولا سياسيه لدوله مؤقته بشريه ، بل هى ديون نتيجه تعاقدات بين النبى صلى الله عليه وآله كرسول الإله تبارك وتعالى ومُرسل من قبله تعالى ، مع الفئات البشريه ، فهذه الديون تأخذ طابعاً فى التعامل مع الحضرة الإلهيه ، وبالتالي تكون عقائديه ، كما مرّ فى القسم الأوّل فى حديث الدار ، الوارد فى شأنه قوله تعالى : وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢) ، حيث بُعث النبى صلى الله عليه وآله فى صدر

ص: ٤٠٣

١- (١) البقره : ١٣٢ .

٢- (٢) الشعراء : ٢١٤ .

البعثه ببعثه خاصه إلى بنى هاشم ، تتضمن واجبات وحقوق خاصه ، مرتبطه بنظام قياده الدين إلى يوم القيامه ، وكان من تلك الواجبات والوظائف لمن يتقلد الوصايه عن النبى صلى الله عليه وآله أن يقضى ديون النبى صلى الله عليه وآله ، ومواعيده ، وهى ليست ديوناً شخصيه فرديه ، ولا مواعيد اعتياديه فى معيشه الحياه ، بل هى التزامات الرساله الناتجه من عقود نبويه مع أنظمه الفئات الاجتماعيه البشريه .

وبكلمه جامعته : فإنّ العقود فى الأبواب الفقهيّه ، بل وبقية الأبواب والأطر الفقهيّه كما يتمّ ترسيمها على صعيد فردى فيكون نتاج فقهي فردى ، أو على صعيد الأحوال الشخصيه الأسريّه فيكون فقهاً وقوانين للأسره ، أو على صعيد النظام الاجتماعى فيكون فقهاً سياسياً أو اقتصادياً أو عقائدياً ، كذلك إذا تعلقت بالعهد مع الله تبارك وتعالى وولايته وحاكميته فإنّها تكون فقهاً عقائدياً .

ومن ثمّ فإنّ الأصول الاعتقاديّه والمعارف العقديه كما يمكن بيانها وتقرير إثباتها بلغته عقلية فلسفيه أو كلاميه ، أو بلغه ذوقيه برهانيّه عرفانيّه ، أو بلغه الأرقام والعلوم التجريبيه ، ولو بلحاظ بعض معطيات مقدّمات الاستدلال ، أو بلغات اخرى . كذلك يمكن بيانها بلغه القانون والفقّه بالتقريب المتقدّم .

كما أنّ الحال فى الإرث قد يكون إرثاً فى الأموال الشخصيه ، وقد يكون فى الولايات والمناصب ، ما هو دارج فى عرف الجماعات البشريّه ، المتشكّله على هيئه قبائل وملوك ، كعرف قانونى دارج لديهم ، وكما هو مقرّر فى قانون الوراثه فى بيوت الأنبياء والأصفياء ، كوراثه سليمان لداود ، ويحيى لزكريّا ، وقد بسطنا القول فى ذلك فى القسم الأوّل ، فى آيات الوراثه .

وقد تنطبق هذه العقود والعهود والإيقاعات والأحكام على العهود التى بين الخلق والبارى سبحانه وتعالى ، وتتخذ حينئذٍ طابعاً عقائدياً ، كما أنّ النمط السياسى أيضاً قد يكون متعلقاً للمعتقد الدينى ، كالتسليم بالولاية السياسيه لحاكميه

وإذا تقررت هذه المقدمه نقول : فإنه يُضمّ إلى ما تقدّمت الإشارة إليه في القسم الأول ، من أنّ قاعده الوراثة في آيه : وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ (١) غير مختصّه بوراثه ملكيه الأموال الشخصيه والحقوق الخاصه ، بل هي شامله لشؤون الشخصيه الحقوقيه والاعتباريه القانونيه للمورث ، أى الملكيه والولاية في الشؤون العامه ، والحقوق ذات الطابع العام .

فالوراثة تشمل النمطين من الحقوق ، والنمطين من ملكيه الأمور ، كما هو الحال في قوله تعالى : وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (٢) ، إنها شامله لموارث النبوه وللمال الخاص ، وكذا في قوله تعالى : يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ (٣) في وراثه يحيى لزكريا ، غايه الأمر أنّ جريان قاعده الوراثة في الشخصيه الحقوقيه والاعتباريه يشترط فيها شرائط ، وعدم موانع ، أكثر بكثير من الشرائط المقرره في المال الخاص ، والحقّ الشخصى .

وقد اشير في الآيات القرآنيه والأحاديث المستفيضه إلى جملة من تلك الشرائط ، وقد استوفينا ثمه جملة من تلك الشروط ، فكما أنّ في وراثه المال الخاص والحقّ الشخصى لا يرث كلّ قريب ، بل الأقرب يمنع الأبعد ، ولا بدّ أن يكون كلّ من المورث والوارث من أهل مله واحده ، وأن لا يكون الوارث قاتلاً للمورث ، وغيرها من الشروط .

فكذلك الحال في الوارث للأمور الاعتباريه ولخصائص الشؤون الحقوقيه ، لا سيّما في الوارث الاصطفائى للمصطفين ، نظير ما أشارت إليه الآيه الكريمة

١- (١) الأنفال : ٧٥ .

٢- (٢) النمل : ١٦ .

٣- (٣) مريم : ٦ .

فى وراثه الإمامه : ... لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١) ، أى من يقترف المعصيه ، ولو لمَره واحده ، وكون الوارث سابقاً بالخيرات كما فى قوله تعالى :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢) .

فكذلك الحال فى وراثه فاطمه عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فإنها لا تقتصر على وراثه المال الخاص والحق الشخصى ، بل هى ترث الشخصيه الحقيقه لرسول الله صلى الله عليه وآله ، بما لها من خصائص وحقوق وولايات فى الشأن العام .

لا سيما وأن ذلك ليس فقط بمقتضى عموم قاعده الوراثة ، بل كذلك بدلاله خصوص الآيتين الواردين فى وراثه أولاد الأنبياء الاصطفائيه ، وخصوص دلاله قوله تعالى : النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ (٣) .

وحيث طبقت قاعده الوراثة على خصوص وراثه ولايه النبى صلى الله عليه وآله على المؤمنين ، والتى هى أولى من ولايتهم على أنفسهم ، وقد تقدم شرح هذه الآيه فى القسم الأول مبسوطاً .

بل وخصوص دلاله آيه الفىء و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيلٍ ولا ركابٍ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٤) .

ص: ٤٠٦

١- (١) البقره : ١٢٤ .

٢- (٢) فاطر : ٣٢ .

٣- (٣) الأحزاب : ٦ .

٤- (٤) الحشر : ٧ .

حيث دلت أنّ قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله وأقربهم فاطمه عليها السلام يتولّون مقام النبي صلى الله عليه وآله في الولاية على الفیء . والفیء یمثل الثروات العامّة فی الأرض ، وهذه الآیه كما تبین ولایه فاطمه علیها السلام وولدها علی الفیء ، كذلك تبین تولیها وذویها لولاية الفیء ، هو بجهه قرابتهم من النبي صلى الله عليه وآله وراثه .

فالمستفاد من الآیه أمران :

الأوّل : إثبات أصل ولاية الفیء لذوی القربی بعد إثباتها لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله ، وذلك بتوسّط اللام الدالّة على الاختصاص والملک .

الثانی : أنّ هذه الولاية الثابته لهم هی ثابته ضمن قانون الوراثة .

تطابق الإرث والفیء :

یتبّن ممّا تقدّم أنّ ولاية فاطمه علیها السلام وذی القربی من ذویها علی الفیء هو بمقتضى ولاية النبي صلى الله عليه وآله علی الفیء ، وانتقالها منه صلى الله عليه وآله إليهم لكونهم قرابته .

و هذا هو معنى قانون الوراثة الاصطفائیة ، الشامله للفیء وغيره .

ویتبّن بذلك أنّ مطالبتها بالفیء تاره وبالإرث تاره اخرى مرجعه إلى أمر واحد وهو الولاية علی الأموال .

انطباق النّحله مع ولاية الفیء :

النّحله فی اللغة : هی العطیه من غیر مثنامه ، ففی قوله تعالى : وَ آتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَهُ (١) قيل : إنّها عطیه من غیر مطالبه منهنّ ، ولا محاصمه ، لأنّ ما يؤخذ بالمحاكمه لا یقال له نحله .

وقیل فی معنى النّحله فی الآیه : فریضه مسّماه من الله تبارک وتعالى ، فهو یقرب

ص: ٤٠٧

مما قيل أنّ النحلّه بمعنى الدّين ، كما يقال : فلان ينتحل كذا ، أى يدين به ، فإيتاء النساء الصدقات نحلّه ، أى عملاً بما افترض فى الدين .

وقيل : معناه عطية من الله تعالى ، و ذلك لأنّ الله تعالى أوجب للنساء المهر بإزاء الاستمتاع مع أنّ الاستمتاع مشترك بين الزوجين ، فكان عطية من الله تعالى للنساء .

مهر فاطمه عليها السلام هو ولايتها نحلّه :

وعلى جميع هذه المعانى للنحلّه ، فقد ورد فى الروايات أنّ ما أعطى من الولاية لفاطمه عليها السلام هو مهر لها .

ففى صحيحه يعقوب بن شعيب ، عن أبى عبد الله عليه السلام قال :

« لما تزوّج رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمه عليهما السلام دخل عليها وهى تبكى ، فقال لها : ما يبكيك ؟

فوالله لو كان فى أهلى خير منه لما تزوّجتك ، وما أنا زوّجته ولكنّ الله زوّجه ، وأصدق عنه الخمس ما دامت السماوات والأرض » (١).

وفى روايه الحسن بن عليّ بن سليمان ، عمّن حدّثه ، عن أبى عبد الله عليه السلام ، قال :

« إنّ فاطمه قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : زوّجتنى بالمهر الخسيس ؟

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أنا زوّجتكى ، ولكنّ الله زوّجك من السماء جعل مهرك خمس الدنيا ، ما دامت السماوات والأرض » (٢).

وروى ابن عباس : « أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله قال :

يا عليّ ، إنّ الله عزّ وجلّ زوّجك فاطمه و جعل صداقها الأرض ، فمن مشى عليها مبغضاً لك ، مشى حراماً » (٣).

ص: ٤٠٨

١- (١) الكافى : ٥ : ٣٧٨ ، الحديث ٦ و ٧ . وسائل الشيعة : ٢١ : ٢٤١ ، الباب ١ من أبواب المهور ، الحديث ٢٦٩٩٣ .

٢- (٢) الكافى : ٥ : ٣٧٨ ، باب ما تزوّج عليه أمير المؤمنين فاطمه عليها السلام .

٣- (٣) ينابيع المودّة للقندوزى : ٢٣٦ ، عن ابن مسعود . المناقب للخوارزمى : ٢٢٩ - ٢٦٤ . أرجح المطالب : ٢٥٣ . تنزيه الشريعة المرفوعة للكنانى : ١ : ٤١١ . تحفه المحييين بمناقب الخلفاء الراشدين : ١٧٧ (مخطوط) .

وروى محمد بن جرير الطبري بسنده عن جابر ، عن محمد بن علي عليه السلام ، في حديث تزويج فاطمه عليها السلام :

« إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ نَحْلَهَا مِنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَ الدُّنْيَا ، وَثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ ، وَجَعَلَ نَحْلَهَا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَهْجَاءٍ : الْفَرَاتَ وَالنَّيْلَ وَنَهْرَ دَجْلَةَ وَنَهْرَ بَلْخَ » الخبر (١).

وروى أيضاً في حديث قدسي بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أَنَّ مَهْرَ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ نِصْفَ الدُّنْيَا » (٢).

وروى قريب منه في « فقه الرضا عليه السلام » (٣).

وفي جملة من الروايات أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَحَلَهَا شَجَرَهُ طُوبَى فِي الْجَنَّةِ .

فيظهر من هذه الروايات امتداد ولايه فاطمه عليها السلام للدنيا والآخرة وهو مقام الحجة اللدنية في الدين .

وفي « أمالي الشيخ » روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَهْرَ فَاطِمَةَ رِبْعَ الدُّنْيَا ، فَرَبَعَهَا لَهَا ، وَأَمَهْرَهَا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ ، تُدْخِلُ أَعْدَاءَهَا النَّارَ ، وَتُدْخِلُ أَوْلِيَاءَهَا الْجَنَّةَ ، وَهِيَ الصَّدِيقَةُ الْكُبْرَى ، وَعَلَى مَعْرِفَتِهَا دَارَتِ الْقُرُونُ الْأُولَى » (٤).

وقال الدمشقي : « وَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ بِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ زَوَّجَهَا وَجَعَلَ الدَّرَاهِمَ مَهْرًا لَهَا فَقَالَتْ :

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ بَنَاتِ النَّاسِ يَتَزَوَّجْنَ بِالدَّرَاهِمِ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ ؟ أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّهَا وَتَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مَهْرِي الشِّفَاعَةَ فِي عَصَاهِ أُمَّتِكَ .

ص: ٤٠٩

١- (١) دلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري : ١٨ . ورواه الحضيبي في الهداية الكبرى : ١١٣ .

٢- (٢) المصدر المتقدم .

٣- (٣) فقه الإمام الرضا عليه السلام : ٤٠ .

٤- (٤) أمالي الشيخ الطوسي : ٢ : ٢٨٠ ، الحديث ٦ .

فنزّل جبرئيل عليه السلام ومعه بطاقه من حرير مكتوب فيها : جعل الله مهر فاطمه الزهراء شفاعه المذنبين من امّه أيتها«(١).

وغيرها من المصادر الكثيره التي يقف عليها المتتبع في مصادر الفريقين ، وهي كثيره غفيره ، وهذه الروايات المستفيضه مفاداً ومعنى في تملكها شؤون الأرض ، أو شؤون الآخره هي عباره اخرى عن الولاية في الدنيا والولاية في الآخره .

وهي تطابق ما في مفاد آيه الفىء وآيه الخمس ، إلّا أنّ سبب الولاية هاهنا هو تزويجها من على عليه السلام ، فهو سبب آخر مقتضى لولايتها ، وهو نحلّه من الله تعالى بضميمه صداقها ومهرها .

ومن ثمّ يتبين أنّ ولايتها على الأموال أيضاً هو نحلّه من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله .

وبذلك يتضح أنّ مطالبها بولايتها على الأموال هو مطالبه بما هو نحلّها من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله .

فظهر أنّ تعدّد وجوه المطالبه بالإرث مرّه ، وبالنحلّه اخرى ، وبالفىء ثالثه ، هي أسباب متعدده لمسبب واحد ، وهي ولايتها على الأموال .

ثمّ أنّ الملاحظ في مهر فاطمه عليها السلام ونحلّه صداقها ، ليس على حذو مهر وصداق ونحلّه عامّه النساء ، بل الملاحظ أنّ مهرها وتولى الإمام على عليه السلام شؤونها عليها السلام ، ولا سيّما أنّها ذات مقام اصطفاء وطهاره لديّته إلهيه ولها مقامات الحجّيه ، فناسب شؤونها وموقعيتها في الدين دنياً وآخره ، أن يكون تملكها لعلى عليه السلام مقابل أن تملك هي وتبسط ولايتها على شؤون ومقامات إلهيه ، هي في الأصل من ولاية الله تبارك وتعالى ، حيث إنّ المتولّى لتزويج على عليه السلام منها - كما جاءت بذلك الأحاديث المستفيضه - هو الله تبارك وتعالى ، فكأنّ الله تعالى هو الوليّ المتكفل في المهر

ص: ٤١٠

١- (١) أخبار الدول وآثار الأوّل : ٨٨ ، وكتاب تجهيز الجيش : ١٠٢ .

بحسب موقعيتها في المراتب الدينيه .

ومن الواضح أنّ المناسب في مثل ذلك كون المهر والعوض هو الولاية في الشؤون العامه في الدنيا والآخرة .

و هذا المعنى لمهرها عليها السلام في عقد تزويجها الذي هو سبب لحاظ عقد الزواج والمهر في افق أوسع من النطاق الفرديّ أو الأسريّ ، أي في افق عامّ يتّصل ويرتبط بأفق الموقعيه والمكانه الدينيه ، الشامله لعوالم الدنيا والآخرة ، وهو مفاد ما تقدّم من القاعده المنهجيه العقائديه .

وحاصلها : أنّ العقود إذا لوحظت في تطبيقها بمستوى دائره البيئه العامه فإنّها تخرج عن الطابع الفردي إلى الطابع السياسي ، كما أنّها إذا تجاوزت حُقبه الجيل المعاصر لصدور النضّ إلى حقبه الأجيال اللاحقه فإنّها تأخذ طابعاً حضارياً ودينيّاً ، وهذا هو الذي مرّ في وراثه الأقربين للنبيّ صلى الله عليه و آله من قرباه ، حيث إنّ مقاماته واختصاصاته لم تكن على صعيد فرديّ أو اسريّ خاصّ ، بل هي صلاحيات ذات طابع عامّ ، لا يقتصر على وسع الدائره السياسيّه فحسب ، بل يتّسع إلى عموم آفاق الدائره الدينيه ، فيتبدّل طابع الوراثة من طابع فرديّ اسريّ إلى طابع اصطفاء واجتباء إلهي .

وهذه ظاهره ملحوظه في عناوين الأفعال والمعاملات والعقود المرتبطه بمن اصطفاهم الله تبارك وتعالى حججاً على خلقه .

والسرّ في ذلك يعود إلى أنّ هذه الشخصيات يتجاوز بُعدها الجانب الفردي لموقعيتها في الدائره العامه السياسيّه والدينيه ، لما لها من موقعيه الحجج الإلهيه .

و هذا أمر ملحوظ بنحو الأطراد في أفراد الحجج المصطفين ، وعليه فلا ينبغي قراءه تلك العناوين والأفعال والعقود قراءه فرديه وأسريه ، بل لا بدّ من قراءتها ضمن قالب ولون سياسيّ ودينيّ عامّ ، لأنّ شخصياتهم ليست قالباً فرديّاً بقدر ما هي قالب

دينى عام .

ومن ثمّ ورد فى روايات مهر فاطمه عليها السلام أنّ مهرها فى الأرض خمسمائة درهم ، ومهرها فى السماء ولايتها فى الدنيا والآخرة .

وعليه فالتعبير « فى السماء » للدلالة على موقعيه الأخرى والبيئه الواسعه العامه .

ونظير ذلك ما فى قوله تعالى فى شأن هارون و موسى عليهما السلام ، فإنّ الأخوه بينهما والتأخى لا تقتصر على المعنى الدارج المعروف بين الأفراد ، والبعد الفردى للمشاركه فى النسب والأصل ، بل فى الحجج يتجاوز هذا المجال المحدود إلى بُعد المشاركه فى النسب الروحى والمشاركه فى موقعيه الاصطفاء والحجيه ، قال تعالى فى شأن اخوه موسى وهارون عليهما السلام : **وَاجْعَلْ لِي وَاِزْرًا مِّنْ اَهْلِيْ * هَارُوْنَ اَخِيْ * اَشَدُّ بِهٖ اَزْرِيْ * وَ اَشْرِكُهُ فِىْ اَمْرِى (١)**.

كما هو الحال فى وراثه الأقربين الأطهرين المخلصين من رهط النبى صلى الله عليه وآله ، فإنها ليست وراثه نسب كسائر ما تعارف عليه الناس من الوراثة فى الأموال الفردية فحسب ، بل وراثه مقامات وصلاحيات وموقعيات فى الدين ، كما يشير له قوله تعالى : **الَّذِيْ اَوْلٰى بِالمُؤْمِنِيْنَ مِنْ اَنْفُسِهِمْ وَ اَزْوَاجِهِمْ اُمَّهَاتُهُمْ وَ اَوْلُوْا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِىْ كِتَابِ اللّٰهِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَ الْمُهَاجِرِيْنَ (٢)** فإنّ الآيه كما مرّ الحديث عن مفادها مبسوطاً فى القسم الأول فى سياق تثبيتها ولايه النبى صلى الله عليه وآله على المؤمنين ، النافذه عليهم بأنفسهم ، بينت أنّ اولى الأرحام الشامل لأرحامه أولى بهذا المقام ، وراثه النبى صلى الله عليه وآله على وآله ، أولى من المؤمنين والمهاجرين ، كما هو المقرّر فى كتاب الله تعالى .

ص: ٤١٢

١- (١) طه : ٢٩ - ٣٢ .

٢- (٢) الأحزاب : ٦ .

ففى الآيه إيماء وتلويح واضح فى أن شؤون النبى صلى الله عليه وآله ومن يرتبط به تتخذ هذه الشؤون وتملك الرابطة طابعاً شمولياً بحسب موقعيه ومقامات وصلاحيات النبى صلى الله عليه وآله .

وبهذا نختم الحديث عن الوراثة الاصطفائية لسيدة العالمين فاطمه الزهراء عليها السلام .

هذا وقد تم تحبير هذه الأوراق - بحمد الله وفضله - فى الخامس عشر من شهر شعبان من سنة ألف وأربعمائة وثلاثين للهجره النبويه .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

والصلاه والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين

ص: ٤١٣

قرآن الكريم

نهج البلاغه

- ١ - الإتقان فى علوم القرآن : ----- جلال الدين السيوطى ، دار الفكر - لبنان
- ٢ - الاحتجاج : ----- الشيخ الطبرسى ، دار النعمان للطباعه والنشر - النجف الأشرف
- ٣ - إحقاق الحقّ : ----- نور الله التّستري ، مكتبه السيّد المرعشى - قم المقدّسه
- ٤ - أحكام القرآن : ----- ابن العربى ، دار الفكر - بيروت
- ٥ - أخبار الدول وآثار الأول : ----- أبى العباس القرمانى
- ٦ - أرجح المطالب : ----- الأمرتسرى ، لاهور - باكستان
- ٧ - الإرشاد : ----- الشيخ المفيد ، آل البيت عليهم السلام - قم المقدّسه
- ٨ - الاستيعاب : ----- ابن عبد البرّ النمرى ، دار الجيل - بيروت
- ٩ - اسد الغابه : ----- ابن الأثير ، انتشارات إسماعيليان - طهران
- ١٠ - الإصابه فى تمييز الصحابه : ----- ابن حجر العسقلانى ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ١١ - إعلام الورى بأعلام الهدى : ----- الطبرسى ، آل البيت عليهم السلام - قم المقدّسه
- ١٢ - إقبال الأعمال : ----- السيّد ابن طاووس ، مكتب الإعلام الإسلامى - قم المقدّسه
- ١٣ - الأمالى : ----- الشيخ الصدوق ، مؤسسه البعثه - قم المقدّسه
- ١٤ - الأمالى : ----- الشيخ الطوسى ، مؤسسه البعثه - قم المقدّسه
- ١٥ - أمالى المفيد : ----- الشيخ المفيد ، جامعه المدرّسين - قم المقدّسه
- ١٦ - الإمامه والسياسه : ----- ابن قتيبه الدينورى ، الشريف الرضى - قم المقدّسه

- ١٧ - الأموال : ----- أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار الفكر - بيروت
- ١٨ - أنساب الأشراف : ----- أحمد بن يحيى البلاذري
- ١٩ - أنساب الطالبين : ----- المجدي ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام - قم المقدسه
- ٢٠ - بحار الأنوار : ----- العلّامة المجلسي ، المكتبة الإسلاميه - طهران
- ٢١ - البدايه والنهايه : ----- ابن كثير الدمشقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٢٢ - بلاغات النساء : ----- ابن طيفور ، مكتبه بصيرتي - قم المقدسه
- ٢٣ - تاج المواليده : ----- الطبرسي ، مكتبه السيد المرعشي - قم المقدسه
- ٢٤ - تاريخ الإسلام : ----- الذهبي ، دار الكتاب العربي - بيروت
- ٢٥ - تاريخ الإسلام : ----- سراج الدين عثمان
- ٢٦ - تاريخ بغداد : ----- الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ٢٧ - تاريخ الطبري : ----- محمّد بن جرير الطبري ، مؤسسه الأعلمي - بيروت
- ٢٨ - تاريخ مدينه دمشق : ----- ابن عساكر ، دار الفكر ، بيروت - لبنان
- ٢٩ - تاريخ المدينه المنوره : ----- ابن شيبه النميري ، دار الفكر - بيروت
- ٣٠ - تأويل الآيات الظاهره : ----- الاستربادي ، مدرسه الإمام المهدي - قم المقدسه
- ٣١ - تأويل مختلف الحديث : ----- ابن قتيبه ، دار الكتب العلميه ، بيروت - لبنان
- ٣٢ - تجهيز الجيش (مخطوط) : ----- أمان الله الدهلوي
- ٣٣ - تحف العقول : ----- الحسن بن شعبه الحرّاني
- ٣٤ - تحفه المحيّن بمناقب الخلفاء الراشدين (مخطوط) : ----- محمّد بن رستم
- ٣٥ - تذكره الحفاظ : ----- الذهبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٣٦ - التذكرة الحمدونيّه : ----- محمّد بن الحسن بن حمدون ، دار صادر - بيروت

٣٧ - تذكرة الخواص : ----- سبط ابن الجوزي ، مكتبة نينوى الحديثه - طهران

٣٨ - التعديل والتجريح : ----- سليمان بن خلف الباجي ، وزاره الأوقاف - مراكش.

٣٩ - تفسير ابن أبي حاتم : ----- ابن أبي حاتم الرازي ، المكتبة العصرية - بيروت

ص: ٤١٤

- ٤٠ - تفسير ابن كثير : ----- إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار المعرفة - بيروت
- ٤١ - تفسير أطيّب البيان : ----- عليّ إبراهيمي ، دار الأنصار - قم المقدّسه
- ٤٢ - تفسير البرهان : ----- السيّد هاشم البحراني ، مؤسسه الأعلمي - بيروت
- ٤٣ - تفسير البغوي : ----- الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، دار المعرفة - بيروت
- ٤٤ - تفسير التبيان : ----- الشيخ الطوسي ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم المقدّسه
- ٤٥ - تفسير الثعالبي : ----- عبدالرحمن بن محمّد الثعالبي ، مؤسسه التاريخ العربي - بيروت
- ٤٦ - تفسير الثعلبي : ----- أحمد بن محمّد الثعلبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٤٧ - تفسير الخازن : ----- عليّ بن محمّد البغدادي الخازن ، دار الفكر - بيروت
- ٤٨ - تفسير الصافي : ----- الفيض الكاشاني ، مكتبه الصدر - طهران
- ٤٩ - تفسير العياشي : ----- محمّد بن مسعود العياشي ، المكتبه العلميه الإسلاميه - طهران
- ٥٠ - تفسير فرات : ----- فرات بن إبراهيم الكوفي ، مؤسسه الطبع والنشر - طهران
- ٥١ - تفسير القرطبي : ----- محمّد بن أحمد الأنصاري ، دار الكتاب العربي - بيروت
- ٥٢ - تفسير القمّي : ----- عليّ بن إبراهيم القمّي ، دار الكتاب - قم المقدّسه
- ٥٣ - التفسير الكبير : ----- الفخر الرازي ، المطبعه العلميه - بيروت
- ٥٤ - تفسير المراغي : ----- أحمد مصطفى المراغي ، دار الفكر - بيروت
- ٥٥ - التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : مدرسة الإمام المهدي - قم المقدّسه
- ٥٦ - تفسير روح المعاني : ----- للآلوسي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٥٧ - تقريب المعارف : ----- أبو الصلاح الحلبي ، الناشر : فارس تبريزيان
- ٥٨ - تقييد العلم : ----- الخطيب البغدادي ، دار إحياء السنّه - بيروت
- ٥٩ - تلخيص الشافي : ----- للشيخ الطوسي ، انتشارات المحيّن

٦٠ - تنزيه الشريعة (مخطوط) : ----- عليّ بن محمّد بن عراق المصري

٦١ - تهذيب الأحكام : ----- الشيخ الطوسي ، دار الكتب الإسلاميّه - طهران

٦٢ - تهذيب التهذيب : ----- ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر - بيروت

ص: ٤١٧

- ٦٣ - جامع البيان : ----- ابن جرير الطبري ، دار الفكر - بيروت
- ٦٤ - الجامع الصغير : ----- جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت
- ٦٥ - جواهر البحار : ----- النبهاني ، البابي الحلبي - مصر
- ٦٦ - حاشيه الدسوقي على الشرح الكبير : ----- محمّد بن عرفه الدسوقي ، دار الفكر - بيروت
- ٦٧ - الحاوي : ----- جلال الدين السيوطي
- ٦٨ - الحدائق الناضره : ----- الشيخ يوسف البحراني
- ٦٩ - حليه الأبرار : ----- السيّد هاشم البحراني ، مدرسه الإمام المهدي - قم المقدّسه
- ٧٠ - الخرائج والجرائح : ----- القطب الراوندي ، مدرسه الإمام المهدي - قم المقدّسه
- ٧١ - خصائص أمير المؤمنين عليه السلام : ----- النسائي ، مكتبه نينوى الحديثه - طهران
- ٧٢ - الخصال : ----- الشيخ الصدوق ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدّسه
- ٧٣ - الخلاف : ----- الشيخ الطوسى ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدّسه
- ٧٤ - الدرّ المنثور : ----- جلال الدين السيوطي ، دار المعرفه - بيروت
- ٧٥ - درر السمط فى خبر السبط : ----- محمّد بن عبدالله القضاعى ، دارالعرب الإسلامى - بيروت
- ٧٦ - دلائل الإمامه : ----- محمّد بن جرير الطبري ، المطبعه الحيدرّيّه - النجف الأشرف
- ٧٧ - دلائل النبوه : ----- البيهقي ، دار الكتاب العربى - بيروت
- ٧٨ - دلائل النبوه : ----- أبو نعيم الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربى - بيروت
- ٧٩ - ذخائر العقبى : ----- محبّ الدين الطبري
- ٨٠ - رساله فى حديث « نحن معاشر الأنبياء » : ----- للشيخ المفيد ، دار المفيد ، بيروت
- ٨١ - روضه الواعظين : ----- الفتال النيسابورى ، الشريف الرضى - قم المقدّسه
- ٨٢ - زاد المسير : ----- ابن الجوزى ، دار الفكر - بيروت

٨٣- زبده البيان : ---- المقدّس الأردبلى ، المكتبه المرتضويه

٨٤- سرّ السلسله العلويّه : ---- أبو نصر البخارى ، المطبعه الحيدريه - النجف الأشرف

٨٥- السقيفه وفدك : ---- الجوهرى ، شركه الكتبى - بيروت

ص:٤١٨

- ٨٦ - سنن ابن ماجه : ----- محمّد بن يزيد القزويني ، دار الفكر - بيروت .
- ٨٧ - سنن أبي داود : ----- سليمان بن الأشعث السجستاني ، دار إحياء السنّه المحمّديه
- ٨٨ - سنن الترمذى : ----- عيسى بن سوره الترمذى ، دار الفكر - بيروت
- ٨٩ - سنن الدارمى : ----- عبدالله بن بهرام الدارمى ، مطبعه الاعتدال - دمشق
- ٩٠ - السنن الكبرى : ----- البيهقى ، دار الفكر - بيروت
- ٩١ - السنن الكبرى : ----- أحمد بن شعيب النسائى ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ٩٢ - سنن النسائى : ----- أحمد بن شعيب النسائى ، دار الفكر - بيروت
- ٩٣ - سير أعلام النبلاء : ----- الذهبى ، مؤسسه الرساله - بيروت
- ٩٤ - السيره الحليّيه : ----- عليّ بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفه - بيروت
- ٩٥ - السيره النبويّه : ----- ابن هشام الحميرى ، مكتبه محمّد على صبيح - مصر
- ٩٦ - الشافى فى الإمامه : ----- ابن حمزه
- ٩٧ - الشافى فى الإمامه : ----- السيد المرتضى ، مؤسسه إسماعيليان - قم المقدّسه
- ٩٨ - شرح الأخبار : ----- النعمان بن محمّد المغربى ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدّسه
- ٩٩ - شرح الترمذى : ----- ابن العربى
- ١٠٠ - شرح صحيح مسلم : ----- النووى ، دار الكتاب العربى - بيروت
- ١٠١ - شرح المقاصد : ----- التفتازانى ، دار المعارف النعمانيه - باكستان
- ١٠٢ - شرح المواقف : ----- القاضى الجرجانى ، مطبعه السعاده - مصر
- ١٠٣ - شرح نهج البلاغه : ----- ابن أبى الحديد المعتزلى ، دار إحياء الكتب العربيّه - بيروت
- ١٠٤ - شواهد التنزيل : ----- الحاكم الحسكاني ، مؤسسه الطبع والنشر - طهران
- ١٠٥ - الصحاح : ----- إسماعيل بن حمّاد الجوهري ، دار العلم للملايين - بيروت

١٠٦ - صحيح ابن حبان : ----- علاء الدين علي بن بلبان ، مؤسس الرسالة - بيروت

١٠٧ - صحيح البخاري : ----- محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر - بيروت

١٠٨ - صحيح مسلم : ----- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، دار الفكر - بيروت

ص: ٤١٩

- ١٠٩ - الصوارم المهرقه : ----- نور الله التستري ، مطبعة النهضه - طهران
- ١١٠ - الصواعق المحرقة : ----- ابن حجر العسقلاني ، مكتبة القاهره - مصر
- ١١١ - الطبقات الكبرى : ----- ابن سعد ، دار صادر - بيروت
- ١١٢ - عبقات الأنوار : ----- السيد حامد حسين اللكهنوي
- ١١٣ - علل الشرائع : ----- الشيخ الصدوق ، المكتبة الحيدريه - النجف الأشرف
- ١١٤ - عوالم العلوم : ----- عبدالله البحراني
- ١١٥ - عون المعبود : ----- العظيم آبادي
- ١١٦ - عيون أخبار الرضا عليه السلام : ----- الشيخ الصدوق ، مؤسسه الأعلمی - بيروت
- ١١٧ - الغارات : ----- إبراهيم بن محمد الثقفي ، تحقيق : السيد جلال الدين المحدث
- ١١٨ - الغدير : ----- الشيخ عبدالحسين الأميني ، دار الكتاب العربي - بيروت
- ١١٩ - الغيبه : ----- الشيخ الطوسي ، مؤسسه المعارف الإسلاميه - قم المقدسه
- ١٢٠ - فتح الباري : ----- ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر - بيروت
- ١٢١ - فتوح البلدان : ----- أحمد بن يحيى البلاذري ، مكتبة النهضه المصريه - القاهره
- ١٢٢ - فرائد السمطين : ----- الجويني ، مؤسسه المحمودي - بيروت
- ١٢٣ - فردوس الأخبار : ----- الديلمي ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ١٢٤ - الفصول المهمه : ----- ابن الصباغ المالكي ، دار الحديث للطباعه والنشر
- ١٢٥ - الفضائل : ----- شاذان بن جبرئيل القمي ، مؤسسه ولي العصر - قم المقدسه
- ١٢٦ - الفقه الإمام الرضا عليه السلام : ----- مؤسسه آل البيت عليهم السلام - قم المقدسه
- ١٢٧ - فوائد الأصول : ----- محمد علي الكاظمي ، دفتر تليغات - قم المقدسه .
- ١٢٨ - فيض القدير : ----- العلامة المناوي ، مكتبة مصر - القاهره

١٢٩ - الكاشف : ----- الذهبي ، دار الفكر - بيروت

١٣٠ - الكافي : ----- محمد بن يعقوب الكليني ، دار الكتب الإسلاميه - طهران

١٣١ - الكامل فى التاريخ : ----- ابن الأثير ، دار صادر - بيروت

ص: ٤٢٠

- ١٣٢ - كتاب الدعاء : ----- الطبراني ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ١٣٣ - كتاب سليم بن قيس : ----- سليم بن قيس الهلالي ، تحقيق : محمد باقر أنصاري
- ١٣٤ - كشف الخفاء : ----- إسماعيل بن محمد العجلوني ، دار الكتب العلميه ، بيروت
- ١٣٥ - كشف الغرر : -----
- ١٣٦ - كشف اليقين : ----- العلامة الحلّي ، تحقيق : حسين الدرگاهي
- ١٣٧ - كفايه الأثر : ----- الخزاز القمي ، انتشارات بيدار - قم المقدسه
- ١٣٨ - كمال الدين وتمام النعمه : ----- الشيخ الصدوق ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدسه
- ١٣٩ - كنز العمال : ----- المتقى الهندي ، مؤسسه الرساله - بيروت
- ١٤٠ - كنز الفوائد : ----- أبو الفتح الكراجكي ، مكتبه المصطفوي - قم المقدسه
- ١٤١ - كنوز الدقائق : ----- العلامة زين الدين المناوي ، مطبعه بولاق - مصر
- ١٤٢ - لباب النقول : ----- جلال الدين السيوطي ، دار إحياء العلوم - بيروت
- ١٤٣ - لسان العرب : ----- ابن منظور المصري ، نشر أدب الحوزه - قم المقدسه
- ١٤٤ - لسان الميزان : ----- ابن حجر العسقلاني ، دار الفكر - بيروت
- ١٤٥ - اللغه البيضاء : ----- محمد عليّ التبريزي الأنصاري ، نشر الهادي - قم المقدسه
- ١٤٦ - المتفق والمفترق : ----- الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ١٤٧ - مجمع البيان : ----- أمين الإسلام الطبرسي ، دار صعب - بيروت
- ١٤٨ - مجمع الزوائد : ----- الهيثمي ، دار الكتب العلميه - بيروت
- ١٤٩ - محاضرات الأوائل : ----- علاء الدين الحنفي السكتواري
- ١٥٠ - المحتضر : ----- الحسن بن سليمان الحلّي ، المكتبه الحيدريّه - النجف الأشرف
- ١٥١ - مختصر اتحاف الساده المهروه بزوائد المسانيد العشره : ----- أحمد بن أبي بكر البوصيري ، مكتبه الرشد - الرياض

١٥٢ - مختصر البصائر : -----الحسن بن سليمان الحلبي ، مؤسس النشر الإسلامي - قم المقدسه

١٥٣ - مختصر تاريخ دمشق : -----ابن منظور الأفيقي ، مؤسس النشر الإسلامي - قم المقدسه

ص:٤٢١

- ١٥٤ - مروج الذهب : ----- المسعودى ، انتشارات الشريف الرضى - قم المقدسه
- ١٥٥ - المزار الكبير : ----- ابن المشهدى ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدسه
- ١٥٦ - المسائل الصاغانيه : ----- الشيخ المفيد ، دار المفيد - بيروت
- ١٥٧ - المستدرک على الصحيحين : ----- الحاكم النيسابورى ، حيدر آباد - الدکن
- ١٥٨ - مستدرک وسائل الشيعة : ----- الميرزا النورى ، مؤسسه آل البيت : - قم المقدسه
- ١٥٩ - مسند أحمد : ----- أحمد بن حنبل ، دار صادر - بيروت
- ١٦٠ - مسند زيد بن عليّ : ----- الشهيد زيد بن عليّ عليه السلام ، دار مكتبة الحياه - بيروت
- ١٦١ - مسند الطيالسى : ----- أبى داود سليمان بن داود الطيالسى ، دار المعرفه - بيروت
- ١٦٢ - مسند عليّ بن أبى طالب : ----- السيوطى ، دار المعرفه - الكويت
- ١٦٣ - مسند فاطمه : ----- جلال الدين السيوطى
- ١٦٤ - مشارق أنوار اليقين : ----- الشيخ رجب البرسى ، مؤسسه الأعلمى - بيروت
- ١٦٥ - المصاحف : ----- ابن أبى داود السجستانى
- ١٦٦ - مصباح الزائر : ----- للسيد ابن طاووس ، مؤسسه آل البيت : - قم المقدسه
- ١٦٧ - مصباح المتهجد : ----- الشيخ الطوسى ، مؤسسه فقه الشيعة - بيروت
- ١٦٨ - المصنّف : ----- ابن أبى شيبه الكوفى ، دار الفكر - بيروت
- ١٦٩ - المطالب العالیه : ----- ابن حجر العسقلانى
- ١٧٠ - معارج النبوه : ----- أبو نصر البخارى الكلاباذى
- ١٧١ - معانى الأخبار : ----- الشيخ الصدوق ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدسه
- ١٧٢ - معانى القرآن : ----- النحاس ، جامعه امّ القرى - السعوديه
- ١٧٣ - المعجم الأوسط : ----- الطبرانى ، دار الحرمين

١٧٤ - المعجم الصغير : ----- الطبرانى ، دار الفكر - بيروت

١٧٥ - المعجم الكبير : ----- الطبرانى ، دار الكتب العلميه - بيروت

١٧٦ - المغازى : ----- محمّد بن عمر الواقدى ، افسيت دار المعرفة - بيروت

ص: ٤٢٢

- ١٧٧ - المغنى : ----- ابن قدامه ، دار الكتاب العربى - بيروت
- ١٧٨ - مفردات غريب القرآن : ----- الراغب الأصفهاني ، نشر الكتاب - قم المقدسه
- ١٧٩ - مقاتل الطالبين : ----- أبو الفرج الأصفهاني ، المكتبه الحيدريه .
- ١٨٠ - مقتل الحسين عليه السلام : ----- الخطيب الخوارزمي
- ١٨١ - المقنعه : ----- الشيخ المفيد ، مؤسسه النشر الإسلامى - قم المقدسه
- ١٨٢ - ملحقات إحقاق الحقّ : ----- آيه الله السيّد المرعشى النجفى
- ١٨٣ - من لا يحضره الفقيه : ----- الشيخ الصدوق ، دار الكتب الإسلاميه - طهران
- ١٨٤ - المناقب : ----- الخوارزمي ، مؤسسه النشر الإسلامى ، قم المقدسه
- ١٨٥ - مناقب آل أبى طالب : ----- ابن شهر آشوب ، انتشارات ذوى القربى - قم المقدسه
- ١٨٦ - مناقب أمير المؤمنين عليه السلام : ----- الكوفى ، مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه - قم المقدسه
- ١٨٧ - مناقب عليّ بن أبى طالب عليه السلام : ----- ابن المغازلى ، مجمع إحياء الثقافه الإسلاميه
- ١٨٨ - المواقف : ----- الإيجى ، دار الجيل - بيروت .
- ١٨٩ - موسوعه الإمامه فى نصوص أهل السنّه : ----- السيّد المرعشى النجفى
- ١٩٠ - ميزان الاعتدال : ----- الذهبى ، دار المعرفه - بيروت
- ١٩١ - الميزان فى تفسير القرآن : ----- العلّامه الطباطبائى
- ١٩٢ - نزهه المجالس : ----- الصفورى الشافعى ، القاهره - مصر
- ١٩٣ - نظم درر السمطين : ----- الزرندي الحنفى ، دار إحياء التراث العربى - بيروت
- ١٩٤ - النوادر : ----- فضل الله الراوندى ، مؤسسه دار الحديث - قم المقدسه
- ١٩٥ - نور الأبصار : ----- مؤمن بن حسن الشبلنجى ، منشورات الشريف الرضى - قم المقدسه
- ١٩٦ - الهدايه الكبرى : ----- الخصيبى ، مؤسسه البلاغ - بيروت

١٩٧ - وسائل الشيعة : ----- الحرّ العاملي ، مؤسسه آل البيت : - قم المقدّسه

١٩٨ - وفاء الوفا : ----- السمهودي ، تحقيق : محمّد محيي الدين عبدالحميد

١٩٩ - ينابيع المودّه : ----- القندوزي الحنفي ، دار الأُسوه - طهران

ص: ٤٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩